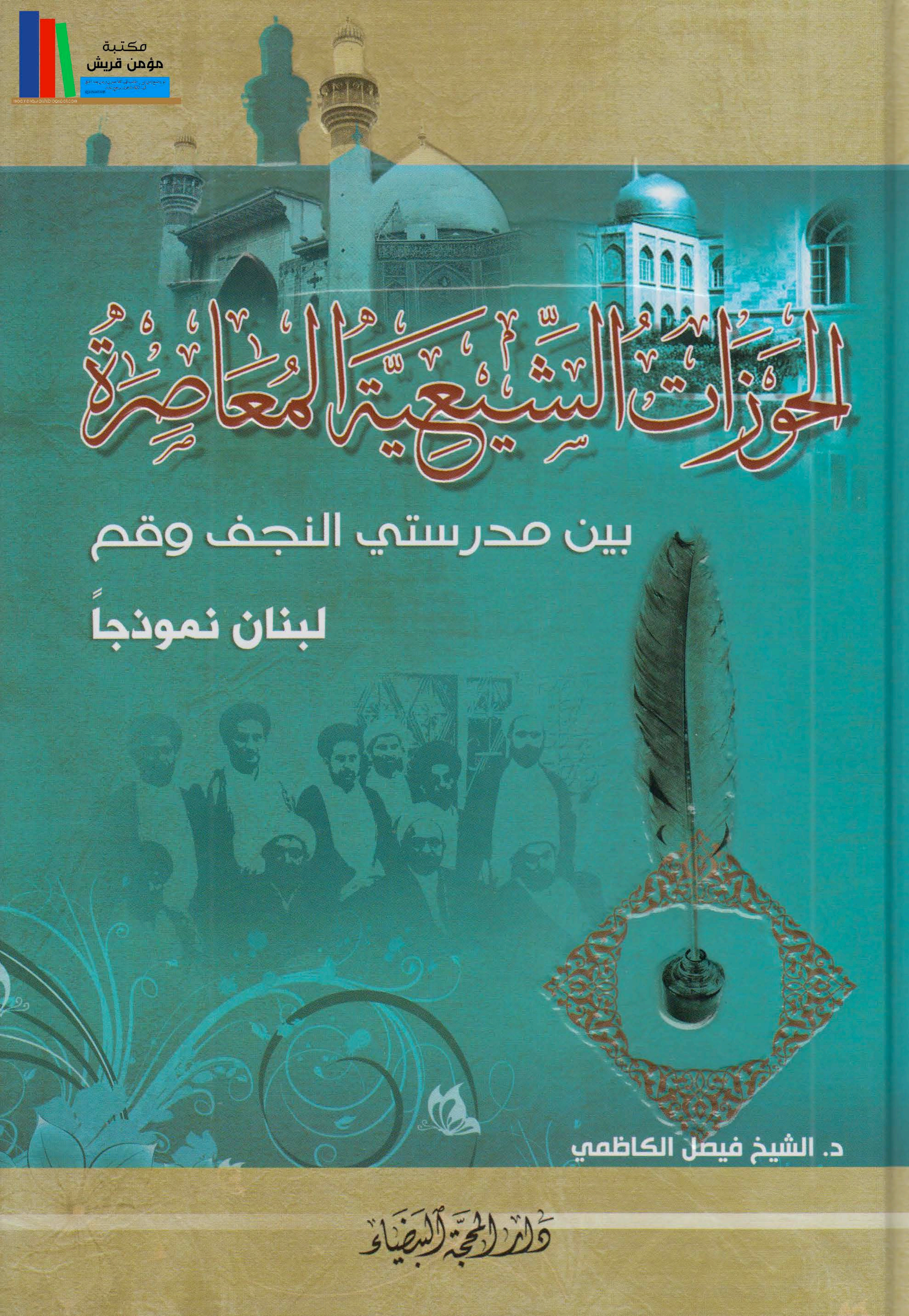
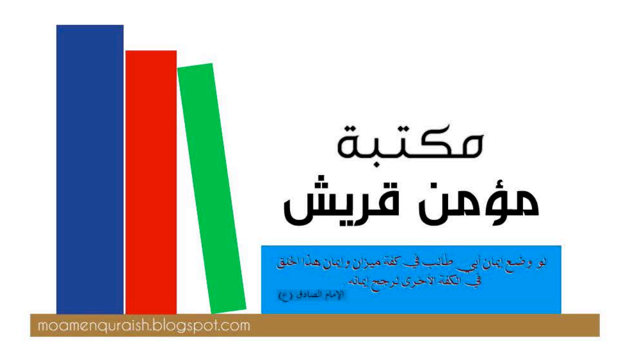


مكتبة
مؤمن قريش
الحوزات الشيعية المعاصرة
بين مدرستي النجف وقم
لبنان نموذجاً
د. الشيخ فيصل الكاظمي
دار المحجة البيضاء


الحوزات الشيعية المعاصرة
بين مدرستي النجف وقم - لبنان نموذجاً

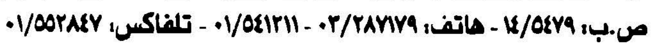
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م





الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال


ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٣١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

الحوزات الشيعية المعاصرة

بين مدرستي النجف وقم - لبنان نموذجاً

الدكتور الشيخ فيصل الكاظمي

دار المحجة البيضاء


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد وصلاته وسلامهُ على أولي الكرم والمجد سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

كانت رغبتي في أن تكون أطرروحة الدكتوراة في موضوع يتعلّق بالمنبر الحسيني المبارك وبعض أبعاده، ولكن الهيئة العلميّة بجامعة الإمام الأوزاعي حيث أنهيت هناك رسالة الماجستير رجحوا لي البحث حول موضوع آخر، وهكذا تم اختيار عنوان الحوزات الشيعيّة المعاصرة، ولمّا كنت مقيماً بلبنان في السنوات العشر الأخيرة من سنيّ هجرتي الثلاثين ١٩٨٠ - ٢٠١٠م من جهة، وكعرفان وتقدير ومحبة للأخوة اللبنانيين الذين غمروني بألطافهم وأخلاقهم الكريمة من جهة ثانية، ولما أعرفه من عمق العلاقة وقوّة الأواصر التي تربط اللبنانيين بالنجف الأشرف نصوصاً والعراق عموماً ثالثاً، كانت الدراسة منصبّة على حوزات لبنان المعاصرة بالخصوص. فكان عنوان الدراسة هو (حوزات لبنان الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم).

ولما عزمت -بعد التوكّل على الله تعالى- بطبع هذه الدراسة، كان اقتراح المختصين بدور النشر بإجراء تغيير طفيف على العنوان، يُبقي على المضمون، ويوسع من دائرة الإهتمام، فكان العنوان الجديد هو(الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم لبنان نموذجاً).

لقد أخذت مني هذه الدراسة أكثر من ست سنين، وأنا أبحث في موضوعات وأبحاث لا أخفي أن جزءاً مهماً منها لم يكن موضوع اهتمامي الدقيق سابقاً، بل كانت مجرد معلومات عامة، قد تكون موجودة عند كل من له حظ ولو متواضع من المعلومات التاريخية والمعرفية حول الحركة الحوزية الشيعيّة.

بل كنت أقف أحياناً أمام فصل كامل أو مبحث منه وليس عندي إلا خطوط عامة للبحث ومعلومات متناثرة وقد تكون شحيحة في أحيان كثيرة. وللقارئ الكريم أن يتصوّر كم على من مثلي أن يبذل جهد ومتابعة حتى يصل إلى معرفة معلومة، وتوظيف أخرى، ومقارنة ثالثة بغيرها وهكذا.

والدراسة بدأت بفصل كنت أجده أساسياً لها وهو البحث في تاريخ التشيّع بجبل عامل خصوصاً أو لبنان عموماً، حاولت أن أكون فيه حياديّاً أتحرك حسب المعلومة، أو الاستنتاج الذي يعتمد على الموثوق منها - حسب الأمكان - وأترك تقويم ذلك إلى القارئ الكريم.

ثم بدأت في الفصل الأول دراسة نشأة الدراسات الحوزوية ومراحلها حتى تحوّل جبل عامل إلى مركز مهم وأساس من تلكم المراكز العلمية المتقدمة، وعند هذه النقطة تحوّل البحث كليّاً إلى جبل عامل، ثم جاءت الفصول الثلاثة حول المراحل التاريخية للحركة الحوزوية اللبنانية.

ثم تحوّلت الدراسة إلى دراسة ميدانية في فصل الحوزات المعاصرة، وموضوعات أخرى في الفصلين الأولين، حيث كنت أسأل في زياراتي للعراق - قبل استقراري وعودتي إلى وطني العزيز - أسأل عن أي أثر للعلماء العامليين، وكم سررت حينما اكتشفت مصادفةً مسجداً بكربلاء المقدسة منسوباً للشهيد الأول حيث كان ساكناً هناك سنة ٧٥١هـ.

وكانت رغبة الهيئة العلمية بالجامعة كذلك بحث موضوعي المرجعية الدينية الشيعية وولاية الفقيه، وهما موضوعان أخذا من إلى البحث والدراسة والاستقصاء والحوار مدة ليست بالقصيرة حتى استطعت أن أقف على أبواب شيء من الالمام بهاذين الموضوعين بالغي الأهمية والحساسية.

ولعلّ كثرة المقابلات الشخصية بهذه الدراسة، اشارة إلى المتابعة الميدانية لبعض المعلومات الغائبة أو إجلاء غير الواضح منها، أو تأكيد ما ينال التوقف عند بعضها.

لقد حاولت بذل قصارى الجهد رغم الظروف القاسية التي مرّت في فترة

إعداد هذه الدراسة؛ كان من أشدّها حرب تموز ٢٠٠٦م حيث تبعثرت الأوراق واختلطت القصاصات وعشت في قلقٍ لا أحسد عليه، حينما اضطررنا لترك موضع سكننا والنزوح إلى مناطق بعيدة عن ضاحية بيروت الجنوبية.

وأحمده تعالى على حسن رعايته، حيث وجدت مكتبتي سالمة وهويت لله ساجداً، ثم استأنفت العمل، حتى توقفت لإكمالها ومناقشتها ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ونيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بدرجة جيد جداً، وإن كنت أتوقع أكثر من ذلك.

وهنا يسعدني الإعراب عن جزيل الشكر والإمتنان لأساتذتي لا سيما الأستاذ المشرف الدكتور نايف معروف والأستاذان المناقشان الدكتور محمد سعد الدين والدكتور طلال عتريسي، كما وأشكر أمناء المكتبات والعاملين فيها التي كانت موضع بحثي وكتابتي أثناء السنوات الخمس، وشكر خاص للشخصيات العلمائيّة والأكاديمية والاجتماعية الذين تفضلوا عليّ بإجراء المقابلات الشخصية معهم، والتي أكسبت الدراسة بعداً مهماً ودرجة رصانة متقدمة، فلهم كلّ الشكر والثناء. كما وأشكر أساتذتي العلماء وشيوخي الخطباء والأخوة جميعاً على حسن تشجيعهم ودعمهم. وأخيراً عائلتي التي تحملت الانزواء الطويل عنها والاختلاء بالبحث دونها، فلها جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

وآمل أن تكون هذه الدراسة خطوة في الطريق العلمي الصحيح، ولبنة طيبة في البناء العلمي الأكاديمي، والتي تحتاجه أمتنا أيّما حاجة، وتزداد سعادتي لأي ملاحظة أو تأمّل يصلاني من الباحثين والعلماء والقراء الأعزّاء، فكم ترك الأول للآخر، والحمد لله أولاً وآخراً.

فيصل الخالدي الكاظمي
النجف الأشرف
جمادى الأولى ١٤٣٢/نيسان ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين.

كانت للصّحوة الإسلاميّة المعاصرة أبعاد شتّى، منها ما تجسّد في تعاظم الرغبة في الدراسات الفقهيّة الإسلاميّة، فكثرت معاهد العلم، وازدادت مدارسه، وشمل ذلك المسلمين كافّة، على اختلاف مناهجهم الفقهيّة ومبانيهم المذهبيّة. ومن تلك المعاهد الدينيّة الإسلاميّة، ما يعرف في أوساط المسلمين الشيعة الإثني عشريّة بـ (الحوزات) أو (الحوزات العلميّة)، التي راحت تمتدّ في مناطق المسلمين الشيعة بالعالم، متجاوزة الحواضر العلميّة التقليدية في العراق وإيران، بل تفرّع بعضها في بعض المغتربات وبلدان المهاجر.

لقد شهدت الساحة اللبنانية المعاصرة انتشار الكثير من (الحوزات) في مناطق مختلفة من جبل عامل والبقاع وبيروت، وما تزال أعدادها في تكاثر، وأعداد طلّابها في تزايد. فكان لابدّ من دراسة لهذه الحوزات المعاصرة، وجذورها التاريخية، ومراحل تطوّرها، حتى الوصول إلى واقعها المعاصر، منطلقين الى آفاقها المستقبليّة، فكانت هذه الأطروحة (حوزات لبنان الشيّعية المعاصرة). ثمّ لمّا كانت هذه الحوزات المعاصرة بلبنان متأثّرة بمنظومة المناهج والرؤى والتطلّعات لأحدى الحوزتين الشيعيتين الكبيرتين بالنجف الأشرف وقمّ، وهذا بحاجة إلى بحث واستنتاج ومقارنة، كان عنوان الأطروحة الأخير هو: (حوزات لبنان الشيعيّة المعاصرة بين مدرستي النجف وقمّ).

وستكون الأطروحة في فصول خمسة، كالتالي:

الفصل التمهيدي: تناولنا فيه موضوعاً نجده شديد الصلة بمجال بحثنا، وهو نشأة التشيّع بلبنان، والآراء في تلك النشأة، ومناقشتها واختيار الراجح، وتمّ ذلك في مبحثين.

الفصل الأول: تناولنا فيه البحث في التمهيد تعريف مفردات عنوان الأطروحة، بينما بحثنا في المبحث الأول منهُ: الجذور التاريخية لحوزات لبنان، وعلاقاتها بأولى الحوزات التي عُرفت ببغداد والنجف والحلّة، وصولًا إلى بروز الشيخ محمد بن مكي الجزّيني (ت:٧٨٦هـ)، وما أحدثه من نقلة نوعية بجبل عامل، حيث توقفنا عند أبرز أوصاف شخصيّته، وناقشنا أسباب مقتله، قبل الدخول في تقسيمات مراحل حوزات لبنان.

وفي المبحث الثاني: تمّت متابعة المرحلة الأولى لحوزات لبنان (التأسيسيّة)، التي بلغت تسع حوزات، ونشأة هذه الحوزات، وترتيبها تاريخياً ومناقشة أبرز خصائصها، ومواقف مؤسّسيها، وعقد مقارنات بينها.

الفصل الثاني: الذي أخذ عنوان (الحوزة النجفيّة وحوزات لبنان)، الذي يبدأ بتمهيد حول حوزة النجف، ودور حوزات جبل عامل بإعادة النشاط إليها. بينما تناول المبحث الأول المرحلة الثانية لحوزات لبنان، التي عرفت بـ (المرحلة النجفيّة) في استقصاء لكل حوزات هذه المرحلة، والتي بلغت أربع عشرة حوزة، وترتيبها تاريخياً، وبيان أبرز النقاط فيها. وخُتم هذا المبحث بذكر أبرز النقاط في ميّزات حوزات هذه المرحلة.

في حين تناول المبحث الثاني الذي كان بعنوان (العلماء اللبنانيّون في الحوزة النجفية)، دراسات تاريخية موثقة لأوائل العلماء اللبنانيين الوافدين اليها. ثم أثرنا نقاطاً أربع، في جوانب من الحضور النجفي في المجتمع اللبناني الشيعي، وصولًا إلى العلماء اللبنانيين المعاصرين، وارتباطهم بالنجف وحوزتها، وأسباب انقطاعهم عنها، ثم دراسة الحضور العلمائي اللبناني في حوزة قمّ.

الفصل الثالث: بعد تمهيد مقتضب، طُرح مبحثان؛ الأول منهما في دراسة ميدانيّة للحوزات المعاصرة عبر زيارتها واستقصاء المعلومات عنها، بعد ترتيبها حسب تأريخ تأسيسها، وتقسيمها إلى رجاليّة، وأخرى نسائيّة. أمّا المبحث الثاني، فقد تولّى دراسة أدوار هذه الحوزات، على الصعد

المتوقعة لها، وآفاقها المستقبلية، والمعوّقات التي تكتنف نشاطاتها، وعلاقاتها بحوزتي النجف وقمّ دراسيّاً.

الفصل الرابع (المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة وولاية الفقيه)، بعد تمهيد حول المرجعيّة وعلاقاتها بولاية الفقيه، تعريفها ونبذة تاريخية عن القول بها.

وجاء المبحث الأول؛ لدراسات المرجعيّة الدينيّة الشيعية، تعريفاً وشرائط وكياناً ومراحل تطوّرها، ثم مقارنة بين حوزتي النجف وقمّ، وانتهاءً بعلاقة شيعة لبنان وحوزاتها بالمرجعيّة، والأسباب التي حالت دون بروز مرجع بالنجف أو قم منهم.

أمّا المبحث الثاني فيتناول موضوع (ولاية الفقيه)، ومراحل تطوّر القول بها، ثم عرض لأدلة القائلين بها، ومسائل أخرى متفرعة عنها، ثم موقف الحوزات اللبنانيّة منها.

وفي آخر الأطروحة عرض لأهم النتائج التي استطعنا التوصّل إليها.

ولعلّ من المفيد هنا، أن نبيّن المعنى المقصود من المفردات التالية، التي تصادفنا أثناء البحث وهي:

* طالب علم: وهو الذي لا يزال يدرس في الحوزات العلمية .

* الشيخ: وهو كلّ منتم للدراسات الحوزويّة، قد لبس العمامة البيضاء. ويبقى لقباً ملازماً له في كلّ المستويات العلميّة.

* السيّد: يطلق على كلّ طالب علم قد لبس العمامة السوداء (التي تشير إلى كونه سيّداً شريفاً من نسل رسول اللهﷺ)، ويبقى هذا اللقب ملازماً له – كذلك – في كلّ مستويات الحوزة العلميّة.

* الأستاذ: وهو الذي يتولّى التدريس في هذه الحوزات .

* العالم (العلماء): الذي أنهى مستويات مهمّة في الدراسات الحوزويّة، ويمكن أن يكون إمام مسجد، أو مشغولًا في مهمّة التدريس الحوزي.

* الوكيل: وهو العالم الذي تنتدبه المرجعية الدينيّة، ليمثّلها في المناطق

والنواحي. وبرز أخيراً بالعراق مصطلح (مُعتمد) المرجعّية الدينيّة، وهو بمستوى أقلّ من موقع الوكيل.

* المجتهد: وهو العالم الذي بلغ مرحلة الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية .

* الفقيه: لفظ مرادف لمعنى المجتهد، فكلّ مجتهد فقيه، وكلّ فقيه مجتهد.

* المرجع: وهو المجتهد المقلّد، أي الذي يطرح فتاواه ضمن ما يُعرف بالرسالة العمليّة. وعادة ما يكون المرجع أبرز مجتهدي الحوزات العلميّة. فكلّ مرجع مجتهد، ولكن ليس كلّ مجتهد بمرجع.

والله من وراء القصد

فيصل كاظم الخالدي

النجف الأشرف

ربيع الأول 1432هـ–شباط 2011م

فصل تمهيدي

نشأة التشيّع بلبنان

فصل تمهيدي
نشأة التشيّع بلبنان

تمهيد:

يتبيّن من خلال المصادر والمراجع، التي تناولت موضوع تاريخ التشيّع بلبنان، غياب الدليل التاريخي الواضح، الذي يمكن الركون إليه، في تحديد زمن دخول التشيّع إلى جبل عامل[1] خصوصاً، أو لبنان عموماً. وقد صرّح بذلك أغلب من طرق أبواب هذه المسألة، وأشار إليه آخرون.

وغنيٌّ عن القول، أن البحث في مسألة تاريخيّة، أصعب بكثير منه، في مسألة علميّة؛ فيزيائيّة أو كيميائيّة، لتوافر عناصر الأخيرة، وإمكانيّة إعادة تجربتها، عكس الأولى، فهناك غياب لكثير من المعلومات المطلوبة.

ولهذا "كان البحث في تاريخ جبل عامل بوجه خاص، عسراً جداً وعملًا شاقّاً، يكتنفه الغموض ويحيط به الإيهام؛ لقلة المستندات، وضئيل الوثائق التي يرجع إليها الباحث، لتحليل الحوادث واستنباط الأدلة والبراهين، ومعرفة أبعاد البلاد"[2].

ويؤكد هذه الصعوبة باحث آخر بقوله: "إنّ وجود الشيعة الإماميّة في غربي بلاد الشام؛ أعني جبل لبنان وجبل عامل أو عاملة، وساحل البحر المسامت لهذين الجبلين، وشرق سهل البقاع؛ المعروف بالبقاع البعلبكي، يعتبر من الألغاز التاريخية التي لم يقدّم لها تفسير مقنع لحد الآن!"[3].

وتأكيداً على مسألة قلّة مصادر هذا البحث، فإنّ بعض من حاول أن يثبت قِدَم التشيّع بهذا البلد، راح يعتمد على ورود أسماء أشخاص في بعض

١- جبل عامل: " وسمّي بلبنان الجنوبي... والجنوب في المدّة الأخيرة حتى شاع ذلك (الفقيه، محمد تقي: جبل عامل في التاريخ، ص١٦)، وقد جاءت في تحديده عدة تعريفات منها ما أورده شبيب الأسعد في كتاب "العقد المنضّد في شرح ديوان أشعار شبيب بك الأسعد، ص١٢٤": "من الجانب القبلي (الجنوبي) النهر المسمّى بنهر القرن، الجاري شمال طرشيحا الى البحر جنوب قرية الزيت بالقرب من عكّا. وشمالًا النهر المسمّى بالأوّلي، الذي يصب في البحر شمالي مدينة صيدا. ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق طرف الأردن والخيط والحولة، الى نهر الغجر ووادي عوبا". الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص ٥٥ – ٥٦.

٢- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، ص١٥.

٣- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص١١.

الحوادث التاريخية، التي وقعت في القرن الهجري الأول، لا لشيء إلّا لكون تلك الأسماء جاءت بألقاب، يتصوّر من خلالها، أنها منسوبة إلى بعض المدن اللبنانيّة، والواقع هو غير ذلك تماماً. فهي معلومة بعيدة عن أجواء المسألة، غريبة عن بابها.

فقد وجد أحد الباحثين أنّ اثنين من الذين كانوا مع الإمام الحسين بكربلاء، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة، وقتلا معه، يلقّبان بلقب "الصيداوي"، فظن أن اللقب نسبة إلى مدينة "صيدا"، وهذا ما اعتمدهُ دليلًا على سبق التشيّع بصيدا، لوجود اثنين من شهداء كربلاء منها. وهما "عمرو بن خالد الصيداوي"، و"قيس بن مسهر الصيداوي"[1].

ومن خلال مراجعة بعض كتب الرجال والتراجم، يتبيّن أن (صيدا) هنا، ليست هي المدينة اللبنانية المعروفة، بل إنها بطن من بطون قبيلة بني أسد!.

فهم "بنو أسد، وبنو الصيداء؛ حيّ من بطون قبيلة بني اسد"[2]. وورد في ترجمة (قيس بن مسهر الصيداوي)؛ قيس بن مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بني اسد بن خريمة الأسدي الصيداوي، وصيدا بطن من أسد. كان قيس رجلًا شريفاً في بني الصيداء، شجاعاً مخلصاً.

يقول الكميت بن زيد الاسدي[3] الشاعر في قيس:

١- درويش، علي ابراهيم: جبل عامل بين (١٥١٦–١٦٩٧م)، ص٢٦، نقلًا عن علي زين: للبحث عن تاريخنا، ص٧٨.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة صيد (٣/٢٦٣).

٣- الكميت بن زيد الأسدي: "شاعر مقدم، عالم بلغات العرب خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها المتعصّبين على القحطانية... كان في أيام بني أُميّة، وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيّد شعره ومختاره. كان يعلّم الصبيان في مسجد الكوفة. ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي، سنة ستين ومات في سنة ست وعشرين ومائة". (الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، ١٧/١،٢،٤٠).

والشاعر في هذا البيت يشيد بموقف هذا الشهيد من شهداء كربلاء، وأنه كان من السبّاقين نحو الشهادة، حيث قتل (وفاضت) روحه، قبل أن تفيض أرواح أهل البيت ويقتلوا... (الباحث).

وشيخ بني الصيداء قد فاض قبلهم ....".[1]

وجاء في أُسد الغابة: "هو قيس بن مسهر بن خالد بن جندب... بن أسد بن خريمةِ الأسدي الصيداوي، وصيدا بطن من أسد". كما وقد ورد في الإصابة: "عمرو بن خالد بن حكيم بن حزام الأسدي الصيداوي"[2].

وتأكيداً لهذا المعنى؛ فإن كتاب (أمل الآمل في علماء جبل عامل)، وهو أقدم مصدر في تراجم علماء لبنان الشيعة، قد ترجم لأحد العلماء واسمه (علي بن أحمد بن محمد الصيداوي) في المجلد الثاني منه[3]، والمخصَّص لتراجم العلماء الشيعة من غير اللبنانيين. ولو كان هذا المعنى – الذي ذهب إليه من النسبة إلى مدينة صيدا – وارداً، لما تركه صاحب أمل الآمل.

إن ما ذُكر هو مجرّد إشارة، على حرص بعض من كتب في تاريخ التشيّع بلبنان، على اقتناص أي شاردة أو واردة، لتوظيفها ضمن محاولة البحث عن هذا التاريخ.

إنّ هناك حرصاً واضحاً، من الذين كتبوا في تاريخ التشيّع بلبنان، على كونه بدأ في فجر التاريخ الإسلامي – كما سيتضح – ولعلّ من الأمور الطبيعيّة – بشكل عام – أن تسعى كلُّ أمّة أو طائفة، لإثبات قِدَمها وعراقتها في بلدها. (وهم من الباحثين الشيعة عموماً، ويوافقهم بعض السنّة).

١- (السماوي، محمد: إبصار العين في أنصار الحسين، ص١١٤)، ولم يورد المصدر عجز البيت. (بحر العلوم، محمد تقي: مقتل الحسين، ص١٧٨)، (الزنجاني، إبراهيم: وسيلة الدارين في أنصار الحسين، ص١٧٦، ص١٨١).
٢- الجزري، علي بن محمد: أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/٨ .
٣- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ، ٢/١٧٥.

المبحث الأول

فرضيّات نشأة التشيع بلبنان

يمكن إجمال فرضيّات نشأة التشيّع بثلاث، وهي:

الفرضيّة[1] الأولى: الفتح الإسلامي

يذهب من يتبنّى هذه الفرضيّة، إلى تاريخ أسبق ممن سواه، في تحديد بداية ظهور التشيع بلبنان، حيث يوعز ذلك إلى عين الفترة الزمنيّة التي دخلت فيها البلاد في دار الإسلام[2].

فحينما "فتح المسلمون بلاد الشام وسواحله الجنوبية، في الربع الأول من القرن الأول لهجرة الرسول ﷺ، الموافق لأواخر القرن السابع الميلادي، وطأت أقدام شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام مدينة جبيل، وسائر المدن الساحليّة. إذ شاركت في هذه الفتوحات قبيلة خزاعة، المعروفة بتشيّعها لبني هاشم في الجاهلية والإسلام.

كما شارك فيها أيضاً، من صحابة رسول الله ﷺ والمعروفين بتشيّعهم؛ مثل هاشم بن عتبة المرقال[3]، وحجر بن عدي

---

١ - "ان الحقائق تتحوّل من قبل الباحث الى بناءات وهذه بدورها تتحوّل إلى فرضيّات، وعندما يتمّ فحصها صادقة تتحول الى نظرية علميّة، وعندما تفحص النظرية ويتم قبولها من قبل العلماء وتعبتر قانوناً ... البحث ← فرضيّة ← نظرية". (الضامن ، منذر : أساسيات البحث العلمي ، ص٧٩) .

٢- دار الإسلام، في مقابل دار الكفر، ويعني به الأقاليم والمدن، التي دخلت في العالم الإسلامي، وانضمّت الى بقية بلدان المسلمين. (الباحث).

٣- هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص. وهو ابن أخي سعد بن أبي وقّاص، يعرف بالمرقال. نزل الكوفة وأسلم يوم الفتح، كان من الشجعان الأبطال والفضلاء الأخيار، فُقئت عينه يوم اليرموك بالشام. وهو الذي فتح جلولاء من بلاد الفرس وكانت تسمى بفتح الفتوح، شهد صفّين مع علي رضي الله عنه ، وكانت معه الراية وهو على الرجّالة، وقتل يومئذٍ... وكانت صفين سنة سبع وثلاثين. (الجزري، علي بن محمد: أسُد الغابة، ٥/٣٧٧) (وفي الهامش: المرقال لقب بذلك لأن علياً أعطاه الراية=

الكندي[1]، مالك بن الأشتر النخعي[2]، وبلال بن رباح[3]، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين"[4].

ثم يعلّق من تبنّى هذه الفرضيّة، على الفرضيّة التالية – الثانية؛ وهي الأوسع انتشاراً – التي تذهب إلى أنّ الصحابي أبا ذر الغفاري[5]، هو الذي بذر التشيّع، يعلّق بقوله: "إنّ مجيء أبي ذر، جاء استثماراً لما أسّسه هؤلاء قبله، إذ وجد أرضيّة مهيّأة لعمله"[6].

= بصفين، فكان يرقل بها، أي يسرع).

١- حجر بن عدي الكندي: وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هاني بن عدي... شهد القادسية وشهد بعد ذلك الجمل وصفّين، وصحب علياً فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء بأمر من معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها فقدّر أن قتل بها... شهد موت أبي ذر بالربذة، حصب زياد لما أطال في خطبته فسرّح به الى معاوية. (العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ١–٣١٤).

٢- مالك بن الأشتر النخعي: أمير، من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، وأول ما عرف عنه أنه أدرك خطبة عمر في " الجابية ". وسكن الكوفة وكان له نسل فيها. شهد اليرموك وذهبت عينه فيها، كان ممن ألّب على عثمان، وحضر حصره في المدينة، شهد الجمل وصفين مع علي. ولّاه علي "مصر" فقصدها فمات في الطريق. فقال علي: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٥/٢٥٩).

٣- " بلال بن رباح: الحبشي أبو عبدالله، مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت ماله من مولدي السراة. وأحد السابقين للإسلام. وفي الحديث: بلال سابق الحبشة، كان شديد السمرة نحيفاً طويلاً خفيف العارضين له شعر كثيف، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله، أذّن بلال ولم يؤذن بعد ذلك، أقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم وتوفي بدمشق ٢٠هـ /٦٤١ م". (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢/٧٢).

٤- عمرو، يوسف محمد: صفحات من ماضي الشيعة، ص١٣.

٥- أبو ذر الغفاري: "الزاهد المشهور الصادق اللهجة... مختلف في اسمه واسم أبيه المشهور أنه جندب بن جنادة، قدم مكة وأسلم على يدي رسول الله ﷺ بمكة، ثم أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده رسوله، فقام إليه القوم فضربوه. هاجر بعد بدر وأحد الى المدينة. قال فيه رسول الله ﷺ: (ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر). وقال ﷺ: (يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده). كانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها" (العسقلاني، أحمد بن علي، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/٦٢).

٦- عمرو، يوسف محمد : صفحات من ماضي الشيعة ، ص١٣.

وإذا تأملنا هذه الفرضية نجدها تبتني على ثلاث مقدمات متتالية:

١– إثبات تشيّع من ذكر من الصحابة، وكذا الأمر بالنسبة لقبيلة خزاعة.

٢– إثبات اشتراكهم في فتوحات المنطقة بالخصوص، لا عامّة بلاد الشام.

٣– إثبات كون من ذكرنا من الصحابة، أو القبيلة قد قاموا فعلًا بنشر التشيّع أو الدعوة إليه.

فحتى لو أُثبتت لنا الخطوة الأولى والثانية، فأنه لا دليل واضح، على الخطوة الثالثة وهي الأهم هنا، بل وليس هناك حتّى إشارة واحدة وردت في مصدر تاريخي، يمكن الركون إليها لإثبات هذا المدّعى. أو أيُّ معلومة عن بداية نشأة مكوّن شيعي، في تلك الفترة الزمنية أو ما تلاها، ولو أنّ مثل هذه المعلومة موجودة، لما تأخّر صاحب هذه الفرضيّة عن إيرادها. كما أنّ هذه الفرضية لم تبيّن لنا: كيف وجد الصحابي أبو ذر الغفاري أرضيّة هيّأت له، فهل وجد قرية شيعية مثلًا، أو استقبله قوم من الشيعة، أو ما إليها من أوجه تصوّر وجود تلك الأرضية المدّعاة؟

ويمكن أن تكون هذه الفرضية، هي أقلّ الفرضيّات حظّاً في هذا الباب.

الفرضيّة الثانية: (الصحابي أبو ذر الغفاري).

تعدّ هذه الفرضيّة، من أقوى الفرضيّات المطروحة على بساط بحث هذه المسألة، ولا تكاد تدانيها فرضيّة أُخرى، بل ذهب بعضهم إلى اعتبارها وكأنها من المسلّمات التاريخية. التي لا تقبل التشكيك. ولقد لاقت رواجاً واسعاً، وانتشاراً كبيراً، في كل الدراسات والأبحاث، التي تناولت التشيّع وبداياته، في لبنان خاصة أو بلاد الشام عامة.

وعناصر قوة هذه الفرضية تعود إلى أسباب عدّة، أهمها:

١– مكانة صاحب هذه الفرضيّة، وهو الشيخ محمد بن الحسن المشهور بالحرّ العاملي[1]. العالم الكبير وصاحب المدوّنات الضخمة والمهمّة. وقد أطلق

١- الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي(ت:١١٠٤هـ) ' فقيه إمامي، ومؤرّخ، ولد في قرية مشغرة=

هذه الفرضية في أهم وأقدم وأوسع كتاب لتراجم علماء الشيعة بلبنان وغيرها. فالمؤلِّف بالكسر – والمؤلَّف – بالفتح (أمل الآمل في علماء جبل عامل) أكسبا هذه الفرضيّة قوةً وحضوراً قويَّيْن.

٢– السبق التاريخي، إن للسبق آثاراً مهمّة في تبنّي فكرة، أو شيوع نظرية، أو بروز قضيّة. حيث يكون لها تأثير كبير، يزداد مع عمقها التاريخي وقدمها الزمني، وهي ظاهرة يمكن ملاحظتها في كثير من المصاديق الحياتيّة. لقد سبقت هذه الفرضيّة غيرها، وسدّت فراغاً كان يبحث عن إجابة.

٣– وجود أثرين تاريخيّين، هما عبارة عن مسجدين قديمين، بجبل عامل ينسبان إلى الصحابيّ أبي ذر، أحدهما في بلدة (الصرفند)[١] والآخر في قرية (ميس الجبل)[٢]. لا يزالان قائمين ومعروفين.(الملاحق/الصورة: ١).

ولا بدّ أن نسجّل هنا؛ أن صاحب هذه الفرضيّة، لم يذكر هذين المسجدين الأثريّين، حينما أورد فرضيته، مع أهميتهما الميدانيّة الواضحة، في دعم هذه الفرضيّة وقوّتها. فلماذا لم يذكرهما صاحب أمل الآمل؟ سؤال لم تتضح إجابته، فهل كان ذلك يعود، إلى عدم اشتهار تلك النسبة في زمنه

= (من جبل عامل بلبنان) وانتقل الى "جبع" ومنها الى العراق، وانتهى الى طوس (بخراسان) فأقام وتوفي فيها. له تصانيف منها: أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل – ط" . "الجواهر السنّيّة في الأحاديث القدسيّة". و" تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة "ويسمى بـ "الوسائل" اختصاراً... وكان كثير النظم، له ديوان بخطه في النجف، فيه نحو عشرين الف بيت..." (الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ٦/٩٠).

١- الصَّرفند كما هو المشهور في اسمها اليوم، أو صرفند كما في القاموس، أو صرفنده با لهاء كما في معجم البلدان وابن عساكر... قرية كبيرة في ساحل صيدا بينها وبين صور، فيها مشهد ومسجد ينسبان لأبي ذرّ. رضي الله عنه لكنّ أبا ذر توفي بالربذة، فنسبة المشهد إليه غلط، فلعلّه رجل صالح، ومن هنا يتطرق الشك، الى المسجد المنسوب إليه، ويقال: أنه دخلها لما نفي إلى دمشق، ومن دمشق إلى القرى، فتشيّع أهل قرى جبل عامل على يديه. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٦٠).

٢- ميس الجبل، "ميس: الميم مفتوحة ومثناة تحتيّة ساكنة وسين مهملة، وتعرف بميس الجبل، بلدة كبيرة غربي الحولة، تتصل أرضها بها، ذات حارتين غربيّة وشرقية فيها جامع ينسب لأبي ذر... خرج منها الكثير من العلماء. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠٥). وسيكون لها دور بارز في حوزات لبنان في المرحلة الأولى (الباحث).

أو عدم ثبوتها لديه، أم أنه ترك ذكرهما نسياناً أو تغافلًا ؟

٤– تشيّع أبي ذر الواضح، وما نقلته المصادر والمراجع التاريخية عن سيرته ومواقفه، التي لا تجعل مجالًا للشك في تشيّعه للإمام علي، مما يجعل لهذه الفرضيّة مقبوليّة ليست لغيرها. خاصّة حول ما عُرف عن إبعاده[١] من المدينة المنوّرة إلى دمشق، ثم إبعاده مرّة أخرى منها الى قرى بلاد الشام الساحليّة. وننقل هنا نصّ هذه الفرضية؛ وصاحبها بصدد ذكر أصل جبل عامل: " إن تشيّعهم أقدم من تشيّع غيرهم، فقد روي أنه لما قبض رسول الله ﷺ لم يكن من شيعة علي عليه السلام إلّا الأربعة المخلصون؛ سلمان[٢] وأبو ذر والمقداد[٣] وعمّار[٤]، ثم يتبعهم جماعة قليلون، اثنا عشر، وكانوا يزيدون ويكثرون بالتدريج، حتى بلغوا ألفاً وأكثر. ثم في زمن عثمان، لما أخرج أبا ذر إلى الشام، بقي أياماً، فتشيّع جماعة كثيرة. ثم أخرجه معاوية

---

١ - من مصادر هذه المسألة: (ابن الأثير، علي بن عبد الواحد: الكامل في التاريخ، ٥٦/٣ ، في حوادث سنة ٣٠هـ)، (الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٥/٣)، (المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، ٣٤٠/٢٠) ويراجع (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ١٥٧/٢٠) حينما يتحدث عن الجليل (في جبله موضع يحبس معاوية فيه)...

٢ - سلمان الفارسي: "أبو عبد الله... ويقال له: سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير. وأصله من رام هرمز وقيل من أصبهان، كان قد سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينة. كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولي المدائن. يقولون :عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة. مات سنة ثلاث أو سنة اثنتين وثلاثين. (العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٦٢/٢).

٣- المقداد بن عمرو بن ثعلبة... بن قضاعة البهراوي، المعروف بالمقداد بن الأسود... ويقال له أيضاً: المقداد الكنديّ. قديم الإسلام من السابقين، هاجرإلى الحبشة، لما هاجر إليها رسول الله ﷺ، ثم هاجر بعد ذلك. شهد بدراً وكان له فيها مقام مشهور. صرّح النبي ﷺ بحبّه، شهد فتح مصر. كانت وفاته بالمدينة في خلافة عثمان. " (الجزري،علي بن محمد : أسد الغابة، ٢٥١/٥).

٤- عمّار بن ياسر بن عامر... المذحجي ثم العنسي، أبو اليقظان. هو من السابقين الى الإسلام، وهو حليف بني مخزوم، وأمه سميّة، وهي أوّل من استشهد في سبيل الله عز وجل، وهو وأبوه وأمه من السابقين... هو ممن عذّب في الله. وكان إسلامه بعد بضعة وثلاثين رجلًا. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وأُحداً، والخندق، وبيعة الرضوان مع رسول الله.ﷺ هو أول من بنى مسجداً في الإسلام، استعمله عمر بن الخطاب في الكوفة. صحب علياً عليه السلام ، وشهد معه الجمل وصفين، وقتل بصفين، وكان عمره أربعاً وتسعين سنة. قال رسول الله ﷺ فيه: تقتله الفئة الباغية. (الجزري، علي بن محمد: أسد الغابة، ١٢٩/٤).

إلى القرى، فوقع في جبل عامل، فتشيّعوا من ذلك اليوم.

ثم لمّا قتل عثمان وخرج أمير المؤمنين[١] ، من المدينة إلى البصرة[٢] ، ومنها إلى الكوفة[٣] ، تشيّع أكثر أهلها ومن حولها. ولما تفرّقت أعماله وشيعته، كان كلّ من دخل منهم بلاداً، تشيّع كثير من أهل تلك البلاد بسببه، ثم لما أُخرج الرضا[٤] عليه السلام إلى خراسان[٥]، تشيّع كثير من أهلها. وذلك مذكور في التواريخ والحوادث.

فظهر أنّه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيّع، إلّا جماعة محصورون، من أهل المدينة. وقد كان أيضاً في مكة ، والطائف، واليمن، والعراق، والعجم[٦] قليلون، وكان أكثر الشيعة في ذلك الوقت، أهل جبل عامل"[٧].

١- إذا ذكر (أمير المؤمنين) مطلقاً انصرف إلى الإمام علي بن أبي طالب. (الأصبهاني، حسين بن محمد الراغب : محاضرات الأدباء ، ٣/٣٤١).

٢- البصرة " البصرة في كلام العرب ، الأرض الغليظة، أو هي حجارة رخوة فيها بياض، والنسب إليها بصري. ولّى عمر بن الخطاب عليها، عتبة بن غزوان، وتم تمصيرها سنة ١٧هـ ." (الحموي، ياقوت : معجم البلدان ١/ ٤٣٠ –٤٣٢). وهي الآن ميناء العراق ومركز محافظته الكبرى بجنوبه، وفي البصرة يلتقي دجلة والفرات ليشكّلا شط العرب. (الباحث).

٣- الكوفة، المصر المشهور بأرض بابل، من سواد العراق ، قيل سميت لاستدارتها ، مصرت سنة ١٧هـ وهي السنة التي مصّرت فيها البصرة، في خلافة عمر بن الخطاب. وتسمى كوفة الجند ، وفيها مسجدها وفضله معروف " . (الحموي، ياقوت : معجم البلدان ، ٤/ ٤٩٠–٤٩٢).

٤- الإمام علي بن موسى الرضا: وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشر، ولد بالمدينة ١٤٨هـ /وتوفي بطوس بخراسان سنة ٢٠٣هـ . ، ولي عهد المأمون سنة ٢٠١هـ . (الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ٥/ ٢٦).

٥- خراسان: بلاد واسعة، تشتمل على أمّهات من البلاد، منها نيسابور، وهراة، ومرو وهي كانت قصبتها. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة، وصلحاً، وذلك سنة ٣١ في أيام عثمان رضي الله عنه ، بإمارة عبد الله بن كريز، النسبة لها خرس أوالخرسي أوالخراساني. (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٥٠).

٦- العجم: (بلاد): اسم يطلق أحياناً على بلاد إيران. (الباحث) "والعجم خلاف العرب. والعُجْم: جمع الأعجم، الذي لا يفصح، أو جمع العجم. تقول: هذا رجل أعجمي إذا كان لا يفصح، سواء كان من العجم أو من العرب. ورجل عجمي إذا كان من الأعاجم فصيحاً، أو كان غير فصيح".(ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب،١٢/ ٣٨٥ – ٣٨٧).

٧- الحرّ العاملي ، محمد بن الحسن : أمل الآمل ، ١/ ١٣.

والملاحظ على هذا النص أُمور منها:

١- خلوّه (النص) من ذكر المصادر، التي تؤيّد المعلومات التي ذكرها. ولعلّها كانت عادة بعض القدماء في الكتابة. كما أنّه لم يتصدّ أحد ممن كتب، في تاريخ التشيّع، إلى تحقيق هذه المعلومات، وتثبيت مصادرها. (والأدقّ أنهم لم يجدوها في مصدر، وإلّا لبادروا إليه).

٢- من هم هؤلاء (الإثني عشر)، وهم من الصحابة حسب السياق، وعددهم قليل، أي يمكن ذكر أسمائهم، فلماذا لم تذكر أسماؤهم؟

٣- إثبات أن أبا ذر، قام بالدعوة إلى التشيّع وكذلك بالنسبة إلى الآخرين؛ من أتباع علي وأصحابه الذين ذكرهم. كأن يكون هناك حوار ما، أو محاججة وما شابهها!

٤- قوله: "كان كلّ من دخل منهم بلاداً، تشيّع كثير من أهل تلك البلاد" فلماذا لم يوردْ لنا ولو مثالًا واحداً، على هذه المعلومة، وأين كانت ومع من حدثت؟

٥- أمّا كون شيعة جبل عامل، هم أقدم الشيعة، فرأيٌ ستجري مناقشته في نهاية الفرضيّات الثلاث المطروحة. وهو رأي مبنيّ على صحة ما نسب لأبي ذر.

ورغم هذه الملاحظات وغيرها، فإن هذه الفرضيّة، قد حظيت بقبولٍ وانتشارٍ واسعين، ربّما للنقاط الأربع التي سبق أن ذكرناها، وربّما لغيرها.

كما واعتُمد رأي الحر العاملي هذا كأساسٍ، بدا وكأنه الوحيد، في مسألة تاريخ التشيّع بجبل عامل، حتى رجع إليه واعتمده كلّ من أراد الكتابة في هذا الموضوع، أو مرّ عليه أثناء بحث، أو دراسة تهتم بمسألته، وكأنه رأيٌ مسلّم به، بل راح الكثيرون يسوقون المؤيدات والمرجّحات له.

ومن ذلك ما أورده الأستاذ محمد كرد علي[1] بقوله: "لا ريب في أن

---

١ -' محمد كرد علي: (١٢٩٣-١٣٧٢هـ /١٨٧٦-١٩٥٣م): محمد بن عبد الرزّاق بن محمد، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، ومؤسّسه، وصاحب مجلة المقتبس والمؤلفات الكثيرة، وأحد كبار الكتاب. أصله من أكراد السليمانية (من أعمال الموصل) مولده ووفاته بدمشق، أحسن التركيّة، والفرنسية، وتذوّق الفارسية. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢٠٢/٦).

أول ظهور للشيعة كان في الحجاز، بلد المتشيّع له (أي الإمام علي)، وكان التشيّع هناك ضعيف الحول، ولكنه مكين في قلوب أهله. ثم استفحل أمره في العراق زمن خلافة الإمام عليعليه السلام. أمّا في الشام؛ فالمعروف بين الشيعة في جبل عامل، خلفاً عن سلف، أن الذي دلّهم على هذا المذهب؛ أبو ذر الغفاري، لمّا سيّر إلى الشام"[١].

ثم إنه ذكر المسجدين المنسوبين إلى أبي ذر بجبل عامل، وكرّر مقالة الشيخ الحرّ العاملي، حول دور أبي ذر في انتشار التشيّع. ولكنه لم يكتف بما ذكره الحرّ، بل أورد رواية، نقلها الحرّ في كتابه (أمل الآمل)، واعتبرها (كرد علي) مؤيّدة لهذه الفرضيّة، في حين أن الشيخ الحرّ نفسَهُ، لم يضعْها في هذا المنحى. وفحوى هذه الرواية الواردة عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام[٢] أنّه ورد فيها ثناء، على شيعة قرى جبل عامل. ممّا اعتبره (كرد علي)، دليل تأييد لفرضيّة أبي ذر الغفاري.

والرواية (الحديث)، تحكي ما تكون عليه أحوال الناس، عند خروج الإمام المهدي[٣]، فيسأل أحدهم عن أنصاره حين خروجه، فيجيبه الإمام الصادق: "بليدة بالشام، فقيل: يا ابن رسول الله إنّ أعمال[٤] الشام متّسعة؛

١- كرد علي، محمد: خطط الشام، ٢٤٦/٦ .

٢ -" الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام السادس من أئمة أهل البيت، ولد بالمدينة سنة ٨٧هـ، وتوفي ودفن بها سنة ١٤٨هـ. كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة منهم: الإمامان أبو حنيفة ومالك، لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط له أخبار مع الخلفاء من بني العباس. وكان جريئاً عليهم صدّاعاً بالحق" . (الزركلي خير الدين: الأعلام ، ١٢٦/٢) .

٣ -الإمام المهدي: "محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي أبو القاسم (المهدي المنتظر). آخر الأئمة الاثني عشر عند الإماميّة، وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر، وصاحب السرداب. ولد في سامراء (٢٥٦هـ/ ٨٧٠ م) مات أبوه وله خمس سنوات... والشيعة ينتظرون خروجه في آخر الزمان..". (الزركلي، خير الدين : الأعلام، ٨٠/٦).

٤- الأعمال: يقصد بها المدن والقرى المرتبطة إدارياً بمركز ما. (الباحث).

قال: بلدة بأعمال الشقيف[١] أوتون[٢] ، وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحار، وأوطئة الجبال..." ثم أثنى عليهم وعلى إخلاصهم.

وهنا بعض الملاحظات على هذه الرواية:

أ – انها رواية غير مسندة[٣]، إذ يقول عنها الشيخ الحر نفسه: " فهذا الحديث – وإن لم أجده في كتاب معتمد – لكنّه لم يتضمن حكماً شرعياً، وهو مؤيّد للوجوه السابقة، وهي مؤيدة له، وقرائن على ثبوت مضمونه "[٤]. إن عدم ورود هذه الرواية أو (الحديث)، في كتاب معتمد موثوق، قد يعني خدشاً فيها يورث قلة الاطمئنان إليها.

ب – إنّ هذه الرواية غريبة عن موضوع بحثنا تماماً، فلا يصحّ إيرادها هنا، لأنها تتحدث عن وجود شيعي بهذه القرى من جبل عامل، حال خروج الإمام المهدي الذي لا يعلم به إلّا الله تعالى، أي في مستقبل الأيام، لا أنها تتحدث عن وجود شيعي قديم كان في زمن الإمام الصادق، أي زمن الرواية.

ج – إن السائل الوارد في الرواية، يبدي استغرابه من وجود شيعيّ

١- الشقيف: " بوزن رغيف، اسم لناحية تحتوي بلدان كثيرة، يسمى بمجموعها ناحية الشقيف، وهي مقاطعات بجبل عامل، يحدها من الجنوب نهر الليطاني، كان في شماله بلاد الشقيف. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٥٦).

٢- والواضح أن هناك خطأً مطبعياً، أو في النقل من المصادر، فالأصح هو (شقيف أرنون) بدل (شقيف أوتون) حيث إن الرواية تذكر : (بلدة بأعمال الشقيف أوتون)، وقد توقفت عند كلمة (أوتون) فلم أجد لهذا اللفظ ذكراً، في قرى جبل عامل أو مدنها ، ضمن المصادر التي تناولت هذا الجبل ، ومنها (الأمين، محسن : خطط جبل عامل) و(ظاهر، سليمان : معجم قرى جبل عامل). في حين كان لفظ (أرنون) يعني قرية من قرى الشقيف فيقال : شقيف أرنون، ثم إنّي وقفت على حقيقة الأمر حينما ذكر صاحب خطط جبل عامل، في ترجمته لقرية أرنون أنه قد « جاء ذكرها في حديث مرسل عن العسكري عليه السلام وهو الذي أشار إليه الحرّ العاملي في كلامه» (الأمين، محسن : خطط جبل عامل ، ص ٢٠٧). والحسن العسكري: الإمام الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر، توفي بسامراء سنة ٢٦٥هـ. (الباحث).

٣- الرواية غير المسندة أي التي في رجالها الراوين لها انقطاع، فليس هناك سلسلة متصلة منهم. والحديث " المسند : هو ما اتصل سنده مرفوعاً من راويه إلى منتهاه ، فخرج باتصال السند ؛ الحديث المرسل ..." (الجبعي، زين الدين بن علي: علم الدراية ، ص٣٠) .

٤- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ، ١/١٦.

ببلاد الشام، فيسأل عن أي أعمال بلاد الشام؛ ولو كان التشيّع معروفاً في ذلك الزمان لما كان هناك مناسبة لطرح هذا السؤال أساساً. أي أنّ إيراد السؤال نفسه، هو دليل على خلو تلك البلاد – آنذاك – من التشيّع والشيعة، ولهذا فإن صاحب (خطط الشام)، قد أورد هذا الحديث (الرواية) باقتضاب.

ثم إنه جاء برواية أخرى، وردت في كتاب (الروضة والفضائل)[١] ، مسندة إلى عمّار بن ياسر، وزيد بن الأرقم[٢]، تشير إلى قرية شيعيّة بالشام، عند جبل الثلج، كانت أيام خلافة الإمام علي عليه السلام[٣]، تسمى (أسعار)[٤].

ومن الذين أيّدوا هذه الفرضيّة كذلك، شكيب أرسلان[٥] حيث ذكر:

"أما كون التشيع في جبل عامل، هو أقدم منه في بلد العجم، بل في كل قطر حاشا الحجاز فمن الحقائق التي لا خلاف فيها، بل التشيّع في العجم، أحدث منه في سائر بلاد الإسلام، إن الشيعة كانوا لا يزالون معتصمين بالتقيّة[٦] ، ومتكتمين في أمرهم مئين من السنين، لأنهم لا جدال

١- القمي، شاذان بن جبرائيل: الروضة والفضائل، ص١٥٧.

٢- زيد بن الأرقم بن كعب بن الخزرمي، استصغر في أُحُد وأول مشاهده الخندق، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، شهد صفين مع علي مات بالكوفة أيام المختار سنة ست وستين، وقيل: ثمان وستين". (العسقلاني، أحمد بن علي، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١/٥٦٠).

٣- كانت خلافة الإمام علي بن ابي طالب بين (٣٥–٤٠هـ). (حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ١/٢١٦) .

٤- أسعار: قرية خربة بين مجدل شمس وجباتا الزيت، وهناك نهر يعرف بنهر أسعار (المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٩٠) .

٥- شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخييّن ملوك الحيرة. عالم بالأدب والسياسة ، مؤرخ من الكتاب، ينعت بأمير البيان، من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، ولد في الشويفات (بلبنان)، اقام مدة في مصر، وانتخب نائباً عن حوران، سكن دمشق، ثم عاد إلى بيروت، وتوفي فيها، ودفن بالشويفات. عاش بين (١٢٨٦ – ١٣٦٦هـ / ١٨٦٩–١٩٤٦م). (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٣٠/١٧٣) .

٦- التقيّة: من وقيت الشيء أقيه: أي إذا صننه وسترته عن الأذى. التقية والتقاة: يريد أنهم يتقون بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق. وباطنهم بخلاف ذلك (ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، ١٥/٤٠١ – ٤٠٤). وأول تشريع للتقية كان في الآية الكريمة التي نزلت في حق الصحابي عمار بن ياسر، حيث أظهر الكفر بلسانه وقلبه مؤمن فنزل قولهُ تعالى ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ (سورة آل عمران، ٢٨). كما واستدلوا بأحاديث شريفة في الباب. وعرف الشيعة =

في كونهم، موجودين في الشام منذ أوائل الفتح الإسلامي، ومع هذا فالمؤرخون، لا يذكرون هذا الأمر إلّا عرضاً وربّما لا يذكر أصلًا.

ومما يدلّ على القدم والتكتّم، كون الإسماعيليّة[1]، والدروز[2]، قد خرجوا من الشيعة السَبْعيَّة[3]، أي القائلين بالأئمة السبعة، وقد وقع في أواخر القرن الرابع الهجري، وأوائل القرن الخامس منه، في أيام الدول الفاطمية[4] الغالية[5] في التشيّع»[6].

= بالتقية دون بقية فرق المسلمين لما أحاطتهم من ظروف صعبة ومخاطر. وهي الآن في خبر كان. (مغنية، محمد جواد: الشيعة في الميزان، ص ٤٨–٥٢)، (نقلت باختصار).

١- الإسماعيلية: نسبة الى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، جد الخلفاء الفاطميين. وهي من فرق الشيعة في الأصل، تميزت عن الاثني عشريّة بأن قالت (الإسماعيلية) بإمامته بعد أبيه، والاثني عشرية تقول بإمامة أخيه موسى الكاظم. أكدت مصادر التاريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه. ثم قالت الإسماعيلية بإمامة أخيه محمد بعده. (الزركلي، خير الدين : الأعلام، ١/ ٣١١).حيث أدعّت الإسماعيلية أن الإمام الصادق أوصى لولده إسماعيل دون سواه. (المفيد، محمد بن النعمان: الإرشاد، ص ٢٨٥).

٢- الدروز: "فرقة أسسها الداعيتان درزي وحمزة بن علي بن أحمد في أيام الخليفة الفاطمي الحاكم. انتشرت في سوريا (حلب، بانياس) استوطن الدروز لبنان منذ أواخر القرن ١٢م (وادي التيم) اندمج تاريخهم بالجبل منذ القرن ١٥م هاجر منهم عدد الى سوريا في أواخر ق ١٧، فقطنوا الجبال ومرتفعات حوران التي دعيت بجبل الدروز. (معلوف، لويس: المنجد: ٢/ ٢٨٥).

٣- الشيعة السَبْعية: اسم يطلق على الإسماعيلية المستعلية، لأنهم انفصلوا عن الشيعة ابتداءً من الامام السابع، وهم المعروفون اليوم بالبهرة وعلى هذا الرأي كان الخلفاء الفاطميّون (معلوف: المنجد ٢/ ٣٤٩). ومن المعروف عن البهرة في العراق، أنهم يزورون مدينتي كربلاء والنجف حيث قبرا الإمام الحسين والإمام علي عليه السلام، ولا يزورون الكاظمّية وسامراء، حيث مراقد الأئمة عليهم السلام من السابع وما بعده (الباحث).

٤- الدولة الفاطميّة: : الفاطميون سلالة تنتسب إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ انشأؤوا دولة (٢٩٧–٥٦٧هـ) قامت أول أمرها في تونس ثم اجتاحت الشمال الأفريقي كلّه، ثم مصر في عهد المعزّ لدين الله ، الذي مدّ حدود الدولة على شواطئ الأطلسي. وأرسل قائده جوهر، فاحتل مصر المعزّ ٣٦٢هـ. وأنشأ باسمه مدينة القاهرة، وبسط نفوذه على سورية وفلسطين ولبنان، بلغت الثقافة الإسلامية في عهدهم أوجها..." (حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ٣/ ١٥١–١٥٨) .

٥- الغالية: من غلا في الدين والأمر يغلو غلوّاً: جاوز حدّه. غلوت في الأمر غلوّاً أو غلانية وغلانياً؛ إذا جاوزت فيه حدّه وأفرطت فيه "(ابن منظور ، محمد بن مكرم :لسان العرب ١٥/ ١٣٢). وينبز بعض الشيعة بالغلو، كما ينبز بعض السنة بالنصب.

٦- أرسلان، شكيب: مجلةالعرفان، ٢/ ٤٤٨.

وهكذا وجدنا أنه اعتبر هذه الفرضية، من الحقائق التي لا خلاف فيها، بل وراح يؤيّدها بقوله وتأكيده: أنّ الشيعة موجودون ببلاد الشام منذ الفتح الإسلامي.

وجاء مؤيّد آخر لهذه الفرضّية فقال: "إن وجود الشيعة في هذا القطر (لبنان) قديم جدّاً، وهو أقدم بلاد عرفت بالتشيّع. ويمتد زمن ظهور الشيعة فيه، الى عهد سيدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه "[١].

ورأي مؤيّد ثالث، وهو يسوق ما اعتبره دعماً لفرضيّة الصحابي أبي ذر الغفاري، بقوله: "ومن عرَف ما كانت تشتمل عليه مكتبة الحرّ، صاحب الوسائل[٢]، وما تهيأ له من الأعوان، وعرف ما أنفقه من عمره الشريف، في التأليف والتصنيف والضبط، جزم بكل ما في كلامه، وأشدّه ارتباطاً فيما نحن فيه قوله: ثمّ أخرجه معاوية إلى القرى، فوقع في جبل عامل، فتشيّعوا من ذلك اليوم، فإنه نصٌّ صريحٌ في المطلوب"[٣].

والملاحظ أنّه لم يأت بدليل علميّ الّا الاستحسان، واعتبر بعض فقرات الفرضيّة، نصّاً في المطلوب، وهي لا تعدو فرضيّة، ورأياً يحتاج الى نصّ تاريخي موثق يؤيده.

وذكر مؤيد آخر، وكأن الأمر مسلّم لا نقاش فيه: "وأهله – أي جبل عامل– أقدم الناس في التشيّع، لم يسبقهم الّا بعض أهل المدينة"[٤] . ثم جاء المؤيّدون لهذه الفرضية من خارج لبنان، حيث قال أحد علماء النجف الأشرف[٥]: "إن التشيّع في جبل عامل، يعود الى نزول أبي ذر الغفاري

١- ظاهر، سليمان،: جبل عامل في الحرب الكونية، ص٢٢.

٢- الوسائل: أي كتاب (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، يقع في عشرين مجلداً ضخماً، جمع فيه مؤلفه الشيخ الحرّ العاملي (مؤلف أمل الآمل) الأحاديث والروايات، التي تُعتمد في استنباط الأحكام الشرعية. (الباحث).

٣- الفقيه ، محمد تقي: جبل عامل في التاريخ، ص٣٨ .

٤- مغنية، محمد جواد: الشيعة في الميزان، ص١٩٨.

٥- النجف الأشرف: النجف بالتحريك... وهو بظهر الكوفة كالمسنّاة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها... وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد=

ببلاد الشام، أيام حكم معاوية لها، في خلافة عثمان"[1].

على أن هذه الفرضيّة، لم تعدم متأمّلًا أو متوقّفاً أو مناقشاً. ومن هؤلاء السيّد محسن الأمين العاملي[2] بقوله: "ثم إنّ تشيّع أهل جبل عامل على يد أبي ذر (الذي أشار اليه رأي الحرّ العاملي)، وإن لم يرد فيه خبر يعتمد عليه، ولا ذكره مؤرّخ، الّا أنه يمكن الاستئناس به، بشيوعه بين أهل تلك البلاد، وتناقل الخلف له عن السلف، وبوجود مسجدين منسوبين إليه في تلك البلاد؛ أحدهما في قرية ميس الجبل والآخر في قرية الصرفند... والله أعلم" ثمّ يعلّق على ذكر نقاط استئناس أخرى بكونها تورث الظنّ بذلك"[3]، أي انها لم تصل الى حدّ الاطمئنان فضلاً عن اليقين.

ولا بدّ من طرح سؤال حول موضوع هذا الشيوع، إذ أليس من المحتمل أنّ منشأ هذا الشيوع، هوالشيخ الحر العاملي نفسه، مع ما تمتّع به من موقع علميّ فريد، إلّا إذا جاءنا دليل، على وجود هذا الشيوع قبل الشيخ الحرّ، وإلّا اعتبر مصادرة[4].

ويقول السيد حسن ابن السيد محسن الأمين:

"واذا كان العامليّون يتداولون هذا الأمر جيلًا بعد جيل، فإنه ليس بأيدينا مستند تاريخي يؤكّده، بل ليس لدينا إلّا هذه الشهرة الموروثة، عن أسلاف العامليّين سلفاً عن سلف، دون ارتكاز على نصّ كتاب مدوّن"[5]

ويقف أحد الباحثين مستغرباً بقوله:

= ذكرته الشعراء في أشعارها فاكثرت. (الحموي ، ياقوت : معجم البلدان، ٥/ ٢٧١).

١- المظفّر، محمد حسين: تاريخ الشيعة، ص١٣٥.

٢- السيد محسن الأمين العاملي: (١٢٨٢-١٣٧١هـ /١٨٦٥-١٩٥٢م): آخر مجتهدي الشيعة في بلاد الشام له اشتغال بالتراجم، ولد في قرية شقراء وتعلّم بها ثم في النجف وعاد إلى دمشق ١٣١٩هـ عمل في التدريس كان مكثراً من التاليف. (الزركلي، خير الدين : الأعلام ٥/ ٢٨٧).

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٧١-٧٢.

٤- المصادرة في المنطق: "وفيها يفترض الإنسان صحة ما يراد البرهنة عليه، من أجل أن يبرهن عليه (بدوي، عبد الرحمن: المنطق الصوري الرياضي، ص٢٤٤).

٥- الأمين، حسن: جبل عامل السيف والقلم، ص ٣٨.

"إن التشيّع في بلاد الشام، هو أقدم منه في كل البلاد غير الحجاز، وهذا من العجيب، أن يقوم أول ركن، وتنتشر أول دعوة للشيعة، في بلاد محكومة لأعدى الناس لهم"[١]. ويقصد الأمويين هنا.

ولو فرضنا أن أبا ذر نُفي الى جبل عامل، فهل سيتغافل عنه معاوية دون رقابة، خاصّة وأنه لم يبعده عن دمشق، الّا خوفاً من تأثيره في أهلها!.

ويقول أحد علماء النجف الأشرف:

"ولا نعلم شيئاً صحيحاً، عن بداية أمر هذا القطر، وظهور الحركة الفكريّة الشيعيّة فيه..."[٢].

ولم أجد محاكمة علميّة، ونقداً مباشراً، بل وقاسياً، لهذه الفرضية، أشدّ ممّا كان عند صاحب الفرضيّة الثالثة التالية. فإنه ذهب الى أن فرضيتّه هي الأصح، وشكّك في فرضيّة أبي ذر الغفاري، عكس من ذهب للفرضية الأولى، حيث اعتبر مجيء أبي ذر الى جبل عامل، استثماراً لفرضيّة الفتح الإسلامي المتقدمة.

الفرضية الثالثة: (قبيلة هَمْدان)[٣]

كانت فرضيّة الشيخ الحر العاملي قد حظيت بأوسع مساحة تأييد، حتى اعتبرها بعضهم من المسلّمات. وهي لا تزال الأقوى الى الآن، والأكثر شيوعاً.

إنّ من الأمور الشائعة، في بعض أوساط الدراسات الحوزوية الشيعية – وربّما في غيرهم كذلك –؛ القول بأنّ الفقيه المتميّز، هو الذي يوفّق لإيراد

١- رضا، أحمد: مجلة العرفان، ٢٣٩/٢.

٢- الأصفي، محمد مهدي: تاريخ الفقة الشيعي، ص٧٠.

٣- هَمْدان بن مالك بن زيد .. من بني كهلان ، من قحطان .. كانت منازل أهليه في شرقي اليمن، ونزل الكثير منهم ، بعد الإسلام ، في بلاد الحجاز وغيرها .. ترجع بطونهم كلها إلى قبيلتي حاشد وبكيل ، كان صنمهم في الجاهلية (يعوق) (الزركلي، خير الدين : الأعلام ، ٩٤/٨) .

مؤيدّات جديدة للرأي المشهور، لا أن يأتي برأي جديد بالضرورة[1]، وكأن هذا الرأي الفقهي، يسري حتى في بعض القضايا التاريخية؛ كقضيتنا هذه. إنّ أجرأ محاكمة علميّة -السابقة- من هذه الفرضيّة، التي طرحت في كتاب:

(التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية)[2] ،والتي يقول فيها صاحبها، وهو يعلّق على الفرضيّة المشهورة: "إن العناصر التاريخيّة في هذا الكلام نادرة جدّاً، في حين أنّ العناصر الأسطوريّة في الغاية من الوضوح والجلاء!. كيف يسمح معاوية الذي أراد الشام مغلقة عليه، أن يطلق حركة أبي ذر في قرى الشام ؟"[3].

ويقول في مكان آخر: "ولا دليل – على الإطلاق – على أن الجبل كان معموراً بالشيعة، قبل الفترة الفاصلة من تاريخه؛ أي قبل حوالي القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد، بل الدليل قائم على العكس؛ أعني أنه كان شبه خالٍ من السكّان"[4].

أي أنه يقول: إن القضية سالبة؛ لانتفاء موضوعها وهم السكّان، ثم يقول: "إنّ تاريخ جبل عامل كلّه، أي الثقافي والسياسي والإجتماعي، قبل القرن السادس للهجرة، الثاني عشر الميلادي مجهول، وهذه قضيّة معروفة لدى جميع المعنيّين"[5]. ثم يشنّ حملة على الفرضيّة السابقة قائلًا: "لكن أسُطورة أبي ذرّ[6]، وما لقيته من قبول ورضا لدى العامّ والخاص، قد نفت

١- حيث يسمع ذلك طلبة العلوم الدينية عن أساتذتهم. كبعض أعراف الدراسات الدينية الفقهيّة. فهي فكرة موجودة في الصدور ولكنها غير مدوّنة بالسطور. (الباحث).

٢- لمؤلفه الشيخ جعفر المهاجر: ولد سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م ببعلبك... علّامة اديب مفكر مثقف كتابته فيها تحقيق وتدقيق ابتدأ في دراسته على جدّه الشيخ حبيب آل إبراهيم (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ثم هاجر الى النجف فدرس على نخبة من أساتذتها، من خريجي الدورة الأولى لكليّة الفقه في النجف عام ١٩٦٢ ، ومنها عاد ليكون قاضياً. له عدة مؤلفات مهمة. (الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/١٠١) .

٣- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص٢٠١.

٤- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص٢١١.

٥- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص٢١١.

٦- أحسب أن هذا لفظ قاس، يمكن الاستعاضة بما يؤدي معناه دون ما قد يفهم منه تجريح، برأي=

التاريخ وألغته لحساب الأسطورة، وكما تفعل الأسطورة دائماً، وبذلك حالت بين الباحثين، وبين التأمل في مغزى تلك الحقيقة، وفهم دلالاتها "[1].

وقد انقدحت هذه الفرضيّة في ذهن صاحبها الشيخ المهاجر (كما يذكر)، بينما كان يقرأ في كتاب (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)، فتوقّف عند هذه المعلومة: "وبالجبل المعروف بالظنّين[2] من الشام، فرقة من هَمْدان "[3]. ثم يقول على إثرها "كان العثور على تلك الرواية، تحوّلًا نوعيّاً على أكثر من مستوى"، حيث تولّدت فرضيّتهُ التي يقول فيها: بأن أساس التشيّع بلبنان يعود إلى هذه القبيلة اليمانيّة المعروفة بتشيّعها وولائها لعليّ، والتي كانت قد تعرّضت لحملات تهجير من الكوفة، وأنها اتجهت نحو بلاد الشام، وأنّ التشيّع ببلاد الشام كلّها، يعود لهذه القبيلة. وقد وصل إلى هذه النتيجة، بعد إثارته أسئلة ،وإشكالات عدّة، منها:

"إنّ الصورة التاريخية التي نعرفها للمنطقة، منذ أن دخلت في دار الإسلام، لا تهيء إطلاقاً لصورة كالتي وصفناها... فالتشيّع الذي تطوّر الى إمامي أو اثني عشري[4]، هو حجازي – عراقي. أو بالأحرى حجازي ثمّ عراقي، مدينيّ – نسبة الى المدينة المنورة – ثم كوفي، هناك نما وشبّ نهجاً سياسياً، ثم خطّاً فكريّاً، في مخاض طويل ومؤلم، استمرّ أربعة قرون حافلة بالثورات الدمويّة والبناء الفكري، مجتازاً كل ما يخطر بالبال من

= شخصية علميّة مرموقة . (الباحث) .

١- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص٢٢، ص٢٠١، ص٢١١.

٢- جبل الظنّين: "والضنيّة هي منطقة المنحدرات الغربيّة لقمّة القرنة السوداء، أعلى قمم سلسلة جبال لبنان الغربيّة، يحدّها شمالاً قضاء عكّار، وشرقاً الهرمل وبعلبك، وجنوباً قضاء بشرّي والزاوية، وغرباً الزاوية وبلدة المنية ؛ التي تشكّل مع مقاطعة الضنيّة ما يُعرف اليوم بقضاء طرابلس " . (الصمد ، قاسم : تاريخ الضنيّة ، ص٢٢).

٣- (القلقشندي، أبو العباس أحمد: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٤٣٩). ويمكن كذلك مراجعة: العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/قبائل العرب ص١٥٥.

٤- إشارة الى الأئمة الأثني عشرﷺ، الذين يرجع إليهم الشيعة الإماميّة، أولهم الإمام عليّ وآخرهم المهدي. (الباحث).

أزمات وانشقاقات؛ لأسباب فكريّة أو سياسيّة أو اجتماعية أو حتى شخصيّة. أمّا أن يُنجب في (الشام) وليدٌ بهذا الحجم، فهو أشبه بقصة عجيبة، يزعم راويها؛ أن امرأة عاقراً أنجبت من حَملٍ أُخرى"[١]!

إن ما ذكره صاحب هذه الفرضيّة؛ بأن قبيلة همدان منحازة إلى الإمام علي، فهو أمرٌ ورد في أكثر من مصدر، منها ما جاء في بعض كتب التاريخ والسير؛ مثل قولهم:

"كانوا شيعة لعلي، كرم الله وجهه ورضي عنه، عندما شجر بين الصحابة، وهو المنشد فيهم:

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ لقلتُ لهمدانَ: ادخلوا بسلام[٢]"

و "وقد كان علي مائلًا لهمْدان مؤثراً لهم، وهو القائل:

فلو كنت بوّاباً على باب جنّةٍ لقلتُ لهمدان ادخلو بسلام

وقال:

عَبّيتُ هَمدانَ وعبّوا حِميرا ...."[٣]

"وكانت همدان قد أسلمت على يد الإمام علي باليمن"[٤]. "وصارت الكوفة مركز التجمّع الرئيس لهمدان"[٥].

إذاً، همدان كانت معروفة بولائها للإمام علي، لكن كيف يربط صاحب هذه الفرضيّة، بين هذه المسألة، وما نحن بصدده؛ من تفسير الوجود

١- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة، ص١٢ .

٢- (ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر، ٢/ ٥٢٥ تاريخ ابن خلدون) و(الزركلي، خير الدين، الأعلام ، ٨/ ٩٤).

٣- (المسعودي،علي بن الحسين: مروج الذهب،٣/ص٨٥). هكذا ورد صدر البيت الثاني في المصدر، دون العجز.

٤- الحلبي، علي بن برهان الدين: السيرة الحلبيّة، ٣/ ٢٣٠.

٥- السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي: الأنساب، مادة همدان، ٥/ ٦٤٧.

الشيعي بلبنان. نرجع إليه فنجده يقول:

"لسنا ندري ما حدث بالضبط لهمدان (الكوفة) ،بعد الهزيمة السياسية الكاسحة (أي بعد مقتل الأمام علي عليه السلام وصلح الإمام الحسن عليه السلام[1])، ولكنّنا نفهم جيداً ،أنّ أرض الكوفة لم تعد الملائمة لها... إن آخر مشاركة لبني همدان في مجرى الأحداث، هي أثناء الفترة القصيرة[2] التي كافح فيها الإمام الحسن عليه السلام، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من طوفان الهزيمة، ثم إنطفأؤوا من التاريخ"[3].

ثمّ إن صاحب الفرضيّة، يربط بين ما نعتَهُ بانطفاء همْدان من التاريخ، وبين ظهورهم بجبل (ظنين)، ليؤسّس لفرضيّة، من أنهم هاجروا إلى هذا الجبل، ونقلوا معهم التشيّع إلى بلاد الشام.

وإنصافاً للرجل، فإنه لم يجزم بذلك، بل اعتبر هذا الاستنتاج مجرد (تصوّرات)، لحلّ لغز التشيّع ببلاد الشام، حيث يذكر: "ومهما يكن من أمر هذه التصورات، فإنها تبقى لنا مجرد تصوّرات، لا يعني ذكرها أننا نأخذ بها كحقيقة تاريخيّة مثبتة، طبقاً لمناهج معترف بها، أو أننا نطلب من القارئ أن يأخذ بها. ففرق كبير بين إثبات الحدث في ذاته، وهو هنا؛ انتشار همدان في الشام، وبين القول في حدوثه بطريقة ولأسباب محدّدة"[4].

ولعلّ ما شجّع صاحب هذه الفرضيّة، على ترجيحها على فرضية أبي ذر الغفاري، ما ذكرته بعض المصادر، عن انتقال التشيّع من الكوفة إلى

١- كان قتل الإمام علي في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ، وصلح الإمام الحسن كان في ربيع الأول ٤١ هـ. (ابن الأثير ، علي بن عبد الواحد : الكامل في التاريخ ، ٣/ ١٩٤ ، ٢٠٢) – (الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك ، ٤/ ١١٠ ، ١٢٤) .

٢- تولى الإمام الحسن الخلافة لمدة ستة أشهر وخمسة أيام (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢/ ٢٠٠).

٣- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة، ص ٧٦–٧٧.

٤- المهاجر ، جعفر : التأسيس لتاريخ الشيعة، ص٨٦ .

مدينة قم[1] الإيرانية، بل وتمصيرها[2]، على يد قبيلة يمانيّة شيعيّة أخرى، وهي قبيلة الأشعريّين.

فقد قامت حركة مناوئة للأمويين، عرفت (بحركة القرّاء[3])، بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[4]، وتم قمعها من قبل جيش الحجاج ابن يوسف الثقفي[5] ، سنة ثلاث وثمانين للهجرة. حيث لجأ بعض أولئك القرّاء إلى قمّ وأدخلوا أهلها في الإسلام والتشيّع في الوقت نفسه.

فقد جاء في معجم البلدان عند الحديث عن (قم) ما يلي:

"وأهلها كلهم شيعة إماميّة، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجّاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين. وذلك أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن

١- قم "بالضمّ وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية، مدينة تذكر مع قاشان... وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعري، وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً ، منها الى الريّ مفازة سبخة، فيها رباطات ومناظر ومسالح...(الحموي، ياقوت : معجم البلدان، ٣٩٧/٤).

٢- والتمصير الذي مرّ في ترجمتها، يعني جعلها مصراً أي مدينة. (الباحث) .

٣- حركة القرّاء أو ثورة القرّاء، وهي الحركة التي ارتبطت، بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الذي كان أمير سجستان، وكان في معسكرهِ سبعة عشر نفساً، من علماء التابعين من العراقيين. فأعلن خلع الحجاج، وجهز الحجّاج له جيشاً، فانهزم ابن الأشعث وذلك سنة ٨٣هـ . وتُسمّى وقعة دير الجماجم. (الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم الملوك، ١٦٣/٥)، (ابن الأثير، علي بن عبد الواحد : الكامل في التاريخ، ٨٤/٣).

٤- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس: "أمير من القادة الشجعان الدهاة، وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي، سيّره الحجاج بجيش لغزو بلاد الترك... ثم نبذ طاعة الحجاج، وخلع عبد الملك بن مروان ثمّ زحف عائداً إلى المعركة، وحدثت واقعة دير الجماجم، وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة. توفي سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٣٢٣/٣).

٥- الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي؛ قائد داهية سفّاك خطيب. ولد ونشأ في الطائف وانتقل الى الشام فلحق بعبد الملك بن مروان، حتى قلّده أمر عسكره، زحف الى الحجاز وقتل عبد الله بن الزبير وفرّق جموعه. فولّاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليه العراق، واستمرّت إمارته عشرين سنة، بنى مدينة واسط، وكان سفّاحاً باتفاق معظم المؤرخين". (٤٠-٩٥هـ / ٦٦٠-٧١٤م) (الزركلي، خير الدين : الأعلام، ١٦٨/٢).

قيس، كان أمير (سجستان[١]) من جهة الحجاج، ثم خرج عليه. وكان في عسكره ستة عشر نفْساً من علماء التابعين من العراقيين. فلّما انهزم ابن الأشعث، ورجع إلى (كابل[٢]) منهزماً، كان في حملته إخوةٌ يقال لهم: عبد الله والأحوص وعبد الرحمن واسحاق ونُعيم، وهم بنو سعد بْن مالك بن عامر الأشعري... وقعوا إلى ناحية قم... حتى افتتحوها. وكان مقدّم هؤلاء الأخوة عبد الله بن سعد، وكان لهُ ولدٌ قد ربّي بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، وكان إماميّاً، وهو الذي نقل التشيّع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنّيّ قط"[٣].

وجاء في جمهرة أنساب العرب، وهو يتحدث عن بعض بيوت العرب: "ومنهم السائب بن مالك بن عامر، كان له شرف، قُتل مع المختار[٤] ،وكان على شرطته. ومن ولْدِهِ كان بقمّ القائد المشهور الرافضي؛ علي بن عيسى بن موسى بن طلحة... وابن أخيه عبد الله بن سعد بن مالك، وولده بقم لهم بها رئاسة"[٥].

أقول: ولا تزال العديد من متاجر المدينة ومؤسساتها اليوم، تحمل

١- سِجِستان: بكسر أوله وثانية وسين أخرى، وتاء مثناة من فوق وآخره نون: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين العراق ثمانون فرسخاً... أرض سجستان سبخة ورمال حارة ولا يقع فيها الثلج وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل... وأهلها فرس... ذمها بعضهم بأشعاره (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ١٩٠).

٢- كابل: بضمّ الباء الموحّدة ولام. وهي بين بلاد الهند ونواحي سجستان، ولاية ذات مروج كبيرة، غزاها المسلمون في أيام بني مروان وافتتحوها وأهلها مسلمون." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٤/٤٢٦) "عاصمة أفغانستان، تقع شمال شرقي البلاد". (معلوف، بطرس: المنجد ٢/ ٤٢٦).

٣- الحموي،ياقوت: معجم البلدان، ٤/٣٩٧.

٤- المختار بن أبي عبيدة الثقفي: (١-٦٧هـ) من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ ، من أهل الطائف انتقل منها الى المدينة مع أبيه، واستشهد أبوه يوم الجسر ، انقطع المختار الى بني هاشم، تزوّج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخته، كان مع علي بالعراق، قبض عليه ابن زياد بعد قتل الحسين سنة ٦١ هـ، ثم سيطر على الكوفة وتتبع قتلة الحسين" (الزركلي، خير الدين : الأعلام: ٧/١٩٢).

٥- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، ص٣٩٨.

ألقاب أصحابها مثل: (أشعريّون) أو (أشعري نجاد) أو (أشعري زاده)[1]، إلى يومنا هذا، ولذا يمكن القول:

أولًا: ربّما كانت مدينة قم وتشيّعها على قبيلة الأشعريّين اليمانيّة المنطلقة منْ الكوفة، ممّا رجّح فرضيّة انتقال التشيّع منها إلى بلاد الشام، على قبيلة يمانيّة أُخرىَ هي قبيلة هَمْدان. ولكن الدليل في الأولى واضح وموثّق، أمّا في الأخرى، فاستنتاج وتوقّع. وشتّان بين الأمرين!.

ثانياً: إنّها على فرض صحتها، لم تعطنا تفسيراً لذلك الغياب الغريب، للوجود الشيعي بلبنان منذ القرن الهجري الأول، حتى برز فجأة في القرن السادس الهجري. أي أنها تشترك مع الفرضيّتين السابقتين، في غياب هذا التفسير. لأن الفرضية الثالثة تربط التشيّع في لبنان، بهجرة قبيلة همدان، بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، أي في سنة إحدى وأربعين للهجرة[2] ، أو بعدها بسنين قليلة، كما هو المتوقّع، وحتّى لو قلنا: إنّ قبيلة هَمْدان، تحرّكت من الكوفة باتجاه الشام، في سنيّ حركة الأشعريين نحو قُم؛ أي في سنة ثلاث وثمانين. ولكن السؤال يبقى؛ فأين ولماذا غاب الشيعة من هذين التاريخين المتقدمين، إلى القرن السادس الهجري؟

ثالثاً: إن هجرة الأشعريّين نحو قم، كانت منطقيّة إلى حدّ كبير، حتى لو لم نجد دليلًا تاريخياً واضحاً، كالذي وجدناه في تاريخ هذه المدينة، حيث كانت هجرة باتجاه بعيد عن الشام، ومركز الخلافة الأمويّة وتجمّع قواتها، أمّا أن تتجه قبيلة شيعيّة متأثرة – إلى حدٍّ بعيد – بالانتكاسة (أو الهزيمة كما نعتها صاحب الفرضيّة)، التي مُني بها شيعة الكوفة، من قِبل خلافة دمشق، ثم تتجه هذه القبيلة الشيعيّة الموتورة نحو بلاد الشام، دون بقية بلاد الله تعالى الواسعة، فأمرٌ غريب ويعسُر تفسيره!.

١- أشعري نجاد، معناها: أشعري الأصل (بونذر جمهر، محمد حسن: القاموس الشامل، ص٨٧٦).
أشعري زادة، معناها: ابن الأشعري (بونذر جمهر، محمد حسن: القاموس الشامل، ص٣٩٤).
٢- (المسعودي، علي بن الحسين: مروج الهب، ٣/ ٣) (الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الملوك والأمم، ٤/ ١٢٦).

رابعاً: إن وجود الهمدانيين بجبل الظنّين شيء، وتصوّر أنهم هاجروا إليه من الكوفة شيء آخر. فلماذا لا نقول: إنّ قبيلة همدان هاجرت إلى هناك مباشرة، من بلاد اليمن موطنها الأصلي، أيام الفتح الإسلامي أو قبله أو حتى بعده. أمّا أن نربط بين وجودها ببقعة من بلاد الشام، وبين كونها هاجرت إليها من الكوفة خاصةً، فأمرٌ يحتاج إلى دليل آخر غير هذا الدليل.

لقد هاجرت قبائل العرب يمانيّة وغيرها إلى العراق وبلاد الشام، وأقاليم أُخرى، في أزمنة متفرّقة تبعاً لعوامل وأسباب عدّة.

ورغم هذه النقاط، التي أثرناها نقداً لهذه الفرضيّة، فإنها تبقى الفرضيّة التي تميّزت، بمحاكمة الفرضية الأشهر في هذه المسألة. وإن كانت لم تعطِ إجاباتٍ عن إشكالات، ترِدُ عليها بالخصوص. كما أنها فرضيّة حديثة جداً، إذا ما قورنت بالفرضيّة الأشهر، ولذا فهي تحتاج إلى وقت، ربما يكون طويلًا، حتى يُعرف مدى قبولها، أو الأخذ بها، أو ترجيحها، لدى الباحثين وغيرهم.

المبحث الثاني

مناقشة الفرضيّات الثلاث، والنظرية المختارة

سبق أن نوقشت الفرضيات الثلاث كلّاً على حدة، ولكنّ هناك نقاطاً أُخرى توجّه إليها جميعاً .

فقد وجدنا أن الفرضيّات المتقدمة الثلاث، أرجعت مسألة نشأة التشيّع بلبنان إلى تاريخ متقدّم، وهو القرن الهجري الأول.

ولهذا فإن جملة من الإثارات، تبرز أمام هذه الفرضيّات جميعاً .

ثم لا بدّ أن نذكر – قبل المناقشة – أن أصحاب هذه الفرضيّات هم من اللبنانيّين الشيعة، إذ لم يطرح غيرهم فرضيّة أخرى – حسب المعلومات المتوافرة. وهو يعكس اهتماماً علمياً ونشاطاً ثقافياً مهمّاً.

إنّ الفرضيّات الثلاث – بأجمعها – تواجه جملة إشكالات مشتركة، أهمها:

١– غياب الشيعة اللبنانيّين من رواة أحاديث الأئمة الاثني عشرعليهم السلام

عند مراجعة كتب الرجال الشيعيّة، التي وثّقت أسماء الرجال؛ من العلماء ورواة الأحاديث، ومن أخذ علماً عن الأئمة الاثني عشرعليهم السلام، فإننا لا نجد أي أثر، لأيّ راوٍ، أو عالمٍ من لبنان.

فلو كان الأمر كما ذهبت إليه الفرضيّات الثلاث صحيحاً، لأفرز من جملة ما أفرز؛ طلّاب علمٍ أو رواة أحاديثٍ أو تلاميذ فقهٍ، قصدوا أحداً من الأئمة الاثني عشر، ليأخذوا عنه علماً، أو يرووّا حديثاً. وهو أمر متوقع جداً مع التاريخ الذي ذكرته تلك الفرضيّات. سواء حينما كان الأئمة بالمدينة المنوّرة، أو حين انتقال الإمام جعفر بن محمد الصادق(٨٣–١٤٨هـ) بمدرسته وتلامذته الى الكوفة. خاصّة وأن هذا الانتقال، قد جاء في فترة

الانفراج السياسي والأمني النسبي، حينما أطيح بالدولة الأمويّة، وقامت الدولة العبّاسية وذلك سنة ١٣٢هـ"[١]. فلو فرضنا أن ظروفاً أمنيّة أو سياسيّة، كانت تحول دون وصول الطلبة والعلماء اللبنانييّن – على فرض وجودهم – فما هو الذي كان يعيقهم، في فترة الانفراج تلك؟.

وكمثال على سعة مدرسة الكوفة، حينما انتقل إليها الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ما ذكره الحسن بن علي بن زياد الوشاء (ت بعد ٢٠٣هـ) قائلًا: "إني أدركت في هذا المسجد – يعني مسجد الكوفة – تسعمائة شيخ، كلّاً يقول: حدّثني جعفر بن محمد..."[٢]

وقد صنّف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهَمْداني الكوفي (ت ٣٣٣هـ)، كتاباً في أسماء الرجال الذين روَوا الحديث عن الإمام الصادق، فذكر تراجم أربعة آلاف رجل[٣]، من الكوفة والبصرة وخراسان وأماكن أخرى، وليس فيها ذكر لبلدةٍ شاميّة، أو راوٍ من هناك.

ولو قلنا أن هناك عائقاً ما حال دون وصول طالب علم شيعي من لبنان في عهد الإمام جعفر الصادق (ت ١٨٤هـ)، فأين كانوا في حياة بقيّة الأئمة الخمسة، وكان آخرهم، الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام[٤] (ت ٢٦٠هـ)؟ (لم نذكر الإمام الثاني عشر، بسبب إيمان الشيعة الاثنى عشرية بغيبته سنة ٢٦٥هـ).

فإن كان الأمر كما ذكرت الفرضيّات الثلاث المتقدمة، من أن التشيّع بدأ بلبنان أيام الفتح الإسلامي، أو مع الصحابي أبي ذرّ الغفاري، أو بهجرة

١- (المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب، ٣/٣)، (الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الملوك والأمم ١٢٦/٤)، (ابن الأثير، علي بن عبد الواحد: الكامل في التاريخ، ٢٠٣/٣).

٢- القهبائي، عناية الله علي: مجمع الرجال، ١٢٨/٢ . (ترجمة ابن الوشا).

٣- البراقي، علي النجفي: تاريخ الكوفة، ص٤٠٨.

٤- الإمام الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، العسكري الإمام الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، يعرف بالعسكري نسبة إلى عسكر، وهي سامراء بالعراق، لما أُشخص إليها مع أبيه، أيام المتوكل العباسي سنة ٢٣٤هـ، ولد بالمدينة سنة ٢٣١هـ وتوفي بسامراء سنة٢٦٠هـ. (الأربلي، علي بن عيسى: كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١٧٩/٣).

الهمدانييّن... فأين أبناء جبل عامل، وغيرها من بقاع لبنان عن اللحوق بمعاهد العلم الإماميّة ؟ وهم من عُرفوا بالذكاء والفطنة والتقدم في حلبات العلم، والهجرة إلى مواطنه – كما سيُعلم ذلك لاحقاً – ،إنّ هذا الغياب الواضح، يعتبر دليل نفي بيّن، على ما ذهبت إليه الفرضيّات الثلاث.

نعم، هناك رجل؛ من الذين ترجم لهم صاحب أمل الآمل، واسمه (عبد الله بن أيوب العاملي الجزّيني)، ذكر أنه: كان من المنقطعين إلى الإمام الرضاعليه السلام (ت٢٠٣هـ)، وهو الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشر، كما ذكر أنه قد رثى الإمام الرضا. لكنّه يقول "والذي وجدناه (الجزّيني) بالزاي، وجزّين قرية من جبل عامل منها الشهيد وجماعة، وفي بعض النسخ بالراي لا بالزاي فلا يُعلم كونه من تلك القرية حينئذ، فيكون خارجاً عن هذا القسم"[1].

ولدى مراجعة (أعيان الشيعة)، وجد أنّ لقب (الجزّيني)، قد اختفى كما اختفى العاملي بدوره أيضاً ليكون الاسم: (عبد الله بن أيوب الخُريبي البصري)، حيث يقول: "نسبة إلى الخريبة بخاء معجمة مضمومة وراء مهملة مفتوحة، مثناة تحتيّة ساكنة وياء موحّدة، في معجم البلدان: موضع بالبصرة سمّيت بذلك"، ثم يقول "ويوجد في بعض النسخ الجزيني، وجزّين بجيم وزاء، بوزن سكين قرية في جبل عامل وقيل اسم لموضعين؛ قرية كبيرة قرب أصفهان، وأخرى في جبل عامل. وفي بعضها: الجريني، بجيم وراء، نسبة إلى جُرين كحُسين، موضع بنجد وفي بعضها الحُزيبي..."[2]، وجاء في (رياض العلماء): " ويبعد كون قرية جزّين معمورة من زمن الرضاعليه السلام إلى الآن ، فلاحظ"[3]. وما ذكر هنا، يعزز الشك في وجود عاملي كان من أصحاب الأئمة الاثني عشر.

٢– لم تسجّل المصادر التاريخية، أي حضور شيعيّ لبنانيّ ، طوال

١- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن الحر: أمل الآمل، ١/١١١.
٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/٥٠ .
٣- الأفندي ، الميرزا عبد الله : رياض العلماء ، ٣/١٨٥.

القرون الهجرية الأربع الأولى، فهناك غياب شيعي واضح في تلك التواريخ المتقدمة، التي ذكرتها الفرضيّات الثلاث السابقة، وما بعدها. فلو كان الأمر كما ذكرت تلك الفرضيّات، فلماذا لم نسمع عن أي تحرّك شيعيّ ؛ في مواجهة مع حاكم، أو تمرّد شعبي، كما لم نسمع أنّ ضغطاً قد مورس، ضد شيعة تلك المنطقة، لقمع انتفاضة، أو كبح نهضة، كما هو ديدن الشيعة في الكوفة، في تاريخها المعروف، أو كما جرى على المدينة المنوّرة، في واقعة الحرّة (سنة٦٣هـ)[١] ، وذلك طوال الحكمين الأموي والعباسي؟.

ولو راجعنا كتاب "الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ"[٢] ، ومؤلفه من علماء جبل عامل، لما وجدناه يؤرّخ شيئاً عما نذكره من افتراض. ولو كان هناك أيُّ إشارة، ولو بعيدة عن مثل هكذا ممارسات، ضد شيعة لبنان المفترضين آنذاك، لما تأخّر المؤلف عن إيرادها. وتتكرر المسألة مع كتاب: (حركات النضال في جبل عامل)[٣] كذلك .

وما لم يذكرهُ هُذان المؤلّفان، هو ما فعله كذلك بقية المؤرخين الشيعة، وسواهم من غير اللبنانيّين، عند حديثهم عن تاريخ الشيعة بلبنان. بينما نجد أنّ المواقف الشيعية اللبنّانية، لم تغب عن ساحة الأحداث بلبنان وخارجه، منذ القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي ولحد الآن. والتي توّجت أخيراً بالملاحم البطوليّة للمقاومة الإسلامية الباسلة في عصرنا هذا.

٣– لو ذهبنا إلى ما ذهبت إليه الفرضيّات السابقة؛ من أن للتشيّع بلبنان، ذلك البعد الزمني العريق، لكان ذلك الوجود قد أسّس لساحة شيعيّة

١- حدثت بالمدينة المنورة أيام حكم يزيد بن معاوية، لما اعلن اهلها خلع بيعته، فقتل منهم كثير، وذكرت كتب التواريخ والسير فظائع غريبة، راجع:(الطبري، محمد بن جرير:تاريخ الأمم والملوك،٣٧٤/٤) (ابن الأثير، علي بن عبد الواحد:الكامل في التاريخ،٣١٠/٣)، (المسعودي، علي ابن الحسين،٦٩/٣)، (ابن قتية،عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة ،٢٠٩)، (اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي،١٦٤/٢). والحرّة لغة:أرض ذات حجارة سود نخرة كانها أحرقت بالنار. (ابن منظور محمد بن مكرم :لسان العرب،١٧٩/٤).

٢- لمؤلفه السيّد هاشم معروف الحسني (ت:١٤٠٢هـ/١٩٨٣م).

٣- لمؤلفه جهاد بنّوت.

مواليةٍ، ولكان ذلك مدعاة لأنماط من النشاطات، منها: أنها ستكون ملجأً يلجأ إليها المضطهدون والمطلوبون، من أبناء الأئمة عليهم السلام ومن شيعتهم، حيث يلجأ الإنسان إلى حليفه ومن يتلاءم معه ديناً ومذهباً وعاطفةً، ولو كان هذا الأمر قد تمّ – فرضاً – لتجسّد واقعيّاً في قبور ومقامات لأولئك العلويّين – أي من أبناء الإمام علي عليه السلام – اللاجئين، نجدها هنا وهناك في المناطق الشيعيّة بلبنان. ولكننا لا نجد ولا قبراً واحداً، في كل لبنان، ينسب إلى علويّ مضطهد، ومطارَد جاء هارباً أو لاجئاً[١]!

أين هذه الصورة، من الصورة التي نجدها في العراق وأراضيه ؟ فإن الذي يزور أواسط العراق وجنوبه، تشدّ نظره العلامات والدلالات على الطرق الخارجيّة[٢]، وهي تشير إلى قبر فلان بن فلان الحسني، أو مرقد فلان بن فلان الحسيني، من أبناء الأئمة الاثني عشر أو أحفادهم، من الذين اضطروا لترك الحجاز ويمّموا وجوههم شطر العراق، حيث الشيعة المتعاطفون معهم، الذين يسارعون لحمايتهم وإيوائهم، وحيث ألقى التشيّع بجرانه[٣]؛ فكان الملاذ الآمن، لكلّ مطارد خائف من أهل البيت النبوي الشريف. وقد أشارت بعض المؤلّفات، إلى تراجم بعض من دفن بالعراق، من أبناء الحسن والحسين عليهما السلام وذرياتهما، مثل (مقاتل الطالبيين)[٤] من الكتب القديمة، أو (مراقد المعارف)[٥]

١- بمدينة بعلبك قبرٌ منسوب إلى إحدى بنات الحسين عليه السلام، التي تسمى بـ (خولة) حيث ذكر أنها لقت حتفها هناك، أيام مسير نساء الإمام الحسين، من الكوفة إلى الشام، حيث كان الطريق آنذاك عبر بعلبك، وعلى فرض صحة نسبة هذا المرقد لهذه السيدة، فإنه خارج عن موضوعنا، الذي يتحدّث عن هروب العلويين الى الشيعة المفترض وجودهم بلبنان، آنذاك. (الباحث).

٢- راجع الملاحق / الصورة: ٢.

٣- الجران: "مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض، (الفيومي،أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٣٨)، والمعنى أن التشيّع بالعراق استقرّ وتمكّن(الباحث).

٤- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي: مقاتل الطالبيّن .

٥- حرز الدين، محمد: مراقد المعارف. الذي ترجم لستة وخمسين علويّاً دفنوا في أواسط العراق وجنوبه.

و(كتاب المزار)[1] و(الشيعة والحاكمون)[2]. من الكتب الحديثة.

فلو أنَّ ما ذهبت إليه الفرضيّات الثلاث المتقدمة – من أن التشيّع بلبنان قديمٌ إلى تلك التواريخ التي ذكرت – كان صحيحاً –، لأمكننا أن نجد، ولو أشارة، أو دلالة، على قبرٍ، أو مقام،لأحد العلويّين اللاجئين إلى شيعة لبنان آنذاك... فلِمَ لمْ يلجأ هؤلاء إلى جبل عامل، أو أي منطقة لبنانيّة أُخرى، كما كان الأمر مع العراق؟ وقد يكون الطريق من الحجاز إلى لبنان، أفضل وأقرب منه إلى العراق؛ الذي يتطلب اجتياز مفازات موحشة!.

ولماذا لمْ نعثر على مقام، مثل المقامين المنسوبين إلى الصحابي أبي ذر، أو على الأقل قربهما، حيث يُتوقع – ربّما – وجود شيعي مفترض.

نعم تنتشر في جنوبي لبنان وبقاعه – وربّما في أماكن أخرى، مراقد يقال لصاحبها (نبيّ) – ولا يُعلم هل هم أنبياء حقاً، أم أنه يقال تعظيماً[3]؟– وقد ذكر صاحب خطط جبل عامل، ستة وثلاثين مشهداً، ليس فيها مشهد واحد، ينسب إلى أحد أبناء الأئمة من أهل البيت[4]، كما أنه لم يتعرّض، إلى ذكر المرقد المنسوب (لخولة بنت الحسين) ببعلبك.

إن خلوّ الساحة اللبنانية، من أي مرقد ينسب إلى علويّ، من أبناء أئمة، أهل البيت عليهم السلام، لا يشجّع على تبنّي أيّ من الفرضيّات الثلاث الآنفة.

٤– من الأمور الثابتة تاريخياً، خلو لبنان من أي نشاطٍ علميّ وفقهي شيعي، من القرن الأول الهجري وحتى القرن السادس منه. فهناك غياب تامّ،

١- القزويني، مهدي: المزار، حيث ترجم للأئمة والصحابة وأبناء الأئمة المدفونين بالعراق.

٢- مغنية، محمد جواد: الشيعة والحاكمون. حيث ينقل وقائع هروب بعض أبناء الأئمة إلى العراق، (ص١٤٥ – ١٧٢).

٣- أثناء سفرة لي إلى البحرين (١٥–٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠–٢٥ ايار٢٠٠٨) ذكر لي: أنّ هناك جزيرة تسمى بجزيرة النبيه صالح، لوجود قبر لرجل صالح هناك، فقلت في نفسي: لعلّ الأصل في ما يعرف بقبور لبنان بـ (النبي) أصله هو (نبيه) ثم حُرّف. (الباحث).

٤- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص (١٥٥–١٥٧)، وصحيح انه كتاب في جبل عامل– دون البقاع، ولكنه ذكر بعضاً من القرى البقاعية ايضاً (الباحث).

لأي دليل على ذلك. فأين كان العلماء اللبنانيون الشيعة، طوال خمسة قرون، إذا أخذنا بما ذهبت إليه الفرضيّات الثلاث السابقة؟

أين غاب فقهاء شيعة لبنان، وهم من قد عرفوا بعد ذلك بنبوغهم ولوذعيّتهم[1]، بل حتى بلغوا في بعض العصور، "الخُمس من علماء الشيعة في جميع الأقطار، مع أن بلادهم أقل من عُشر العشر، من باقي بلدان الشيعة"[2]؟

فلو كان الأمر كما ذكر في تلك الفرضيّات، فلماذا تأخّر هذا البروز اللافت للفقهاء الشيعة بلبنان، مع كل هذا الاستعداد العلميّ ؟

نعم، شهدت بعض مدن لبنان، في القرن الخامس الهجري، نشاطاً علميّاً فقهياً شيعيّاً، من خلال علماء أو رسائل فقهيّة، أو كلامية، من المرجعيّة الشيعيّة ببغداد، لرعاية التجمّعات الشيعيّة هناك. وليس في أولئك العلماء لبنانيّون، كما سيتضح ذلك – إن شاء الله تعالى – في الفرضيّة الرابعة التالية.

إنّ هذه النقاط الأربع، التي أثرناها نقداً للفرضيّات الثلاث، تجعل النفس غير مطمئنة إليهن، قلقةً باتجاههنّ، وهذا ما دعى إلى اختيار فرضيّة رابعة، قد تكون أكثر مقبولية من السابقات لها،.حتى يمكن وصفها بـ (النظريّة).

النظريّة المختارة: (الدول الشيعيّة)

بعد ذكر تلك الإثارات ونقاط النقد للفرضيّات السابقة، تترجّح فكرة أنّ نشأة التشيّع في لبنان، وربّما في بلاد شاميّة أخرى، كانت بتأثير الدول

١- اللوذعي: " لذع برأيه وذكائه، أسرع إلى الفهم والصواب، كإسراع النار إلى الإحراق، فهو لوذعي ". (الفيومي، أحمد بن محمد : المصباح المنير ، ص ٢١١) .
٢- الحرّ العاملي: محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٥.

الشيعيّة[1] التي برزت في المنطقة. لأن هناك علاقة لا تخفى، بين انتشار الأفكار والرؤى؛ ومنها الأديان والمذاهب والمدارس الفقهيّة، وبين الوجودات والاتجاهات السياسيّة، سلباً أو إيجاباً.

لقد كان لسيطرة بني بويه[2] ،على مقاليد الأمور ببغداد، من (سنة ٣٣٤-٤٤٧هـ)، من جهة وبروز الدولة الحمدانيّة[3] في شمال العراق، وبلاد الشام، من (سنة ٣١٧-٣٩٤هـ) من جهة ثانية، وقيام الدولة الفاطمية[4]، ببلاد المغرب[5] ومصر، من (سنة ٢٩٧-٥٦٧هـ) من جهة ثالثة، كان لذلك أثر واضح، في تهيئة الأجواء وتمهيد السبل، لانتشار التشيّع بلبنان. وهذا مما يشجّع على تبنّي الفكرة ، التي تُرجع انتشار التشيّع ونشأته الى هذه الفترة، في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين.

وإنّ ممّا يرجّحها لتصل إلى مصاف النظريّات ما يلي:

١- النصوص التاريخية المؤيّدة لها.

لقد كانت الفرضيّات الثلاث المتقدّمة، تشكو من غياب نصّ صريح

---

١ - إنّ هذه الدول لم تتبنَّ التشيّع ومناهجه الفقهيّة أساساً في الحكم ، فهي دول شيعية سياسياً، وليست دول شيعيّة دينياً ، وليس حالها كحال الدولة الصفويّة ، التي لجأت إلى الفقهاء اللبنانييّن الشيعة، وجعلت مقاليد الأمور بأيديهم. والأمر أوضح في الدولة الفاطمية الإسماعيلية، حيث المدرسة الفقهية المختلفة، عن مدرسة الفقه الاثني عشرية. (الباحث).

٢ -بنو بويه: " أسرة تنسب إلى أبي الشجاع بويه بن فناخسرو، من الفرس ونسبوا إلى الديلم لطول مقامهم ببلادهم، وكان أبوهم فقير الحال ، وقد ملك أبناؤه الثلاثة ؛ عماد الدولة علي ، وركن الدولة الحسن، ومعزّ الدولة أحمد، والأخير هو الذي دخل بغداد عام ٣٣٤هـ، وحكموها حتى عام ٤٤٧هـ ". (الأمين محسن ؛ أعيان الشيعة، ٨٣/٤).

٣- الدولة الحمدانيّة : " أول من ملك منهم ناصر الدولة الحسين ، وأخوه سيف الدولة علي – ممدوح المتنبّي – وكان بنو حمدان شيعة معروفين بالتشيّع، وكانوا نوابغ عصرهم، أمراء، وشعراء ومن الشعراء أبو فراس الحمداني ." (الأمين محسن : أعيان الشيعة، ٥١٧/٥).

٤- الدولة الفاطمية: راجع هامش (٤ – ص٢٠).

٥- بلاد المغرب " بالفتح، ضد المشرق. وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدّها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود افريقية، الى آخر جبال السوس، التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس. وإن كانت الى الشمال أقرب ما هي..." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ١٦١/٥).

وواضح، في مسألة تشيّع لبنان، إذ كانت فرضيّات تعتمد، على استنتاجات وتصوّرات ومرجّحات، بينما نجد أنّ هناك نصوصاً واضحة، ذكرت في بعض المصادر التاريخية، تؤكّد نظريتنا هذه، ومن هذه المصادر:

ما جاء في كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين)، وهو يتحدث عن الدولة الفاطمية: "وفي أيامهم كثرت الرافضة[1] واستحكم أمرهم، ووضعت المكوس[2] على الناس، واقتدى بهم غيرهم، وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام"[3].

وفي مصدر آخر؛ وهو يتحدث عن الفاطميّين ودولتهم ايضاً: "قبّح الله دولة أماتت السُنّة ورواية الآثار النبويّة، وأحيت الرفض والضلال، وبثّت دعاتها في النواحي تغوي الناس، فبهم ضلّت جبلية[4] الشام وتعثّرت"[5].

وفي مصدر ثالث: "وفي هذه السنة – أي سنة أربع وستين وثلاثمائة

١- الرافضة: من الفعل (رفض) بمعنى ترك (الزبيدي، محمد: تاج العروس، ١٨/٣٤٨). والروافض جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة (ابن منظور،محمد بن مكرم: لسان العرب، ٧/١٥٦)، وقد وردت (الرافضة) في كتاب بعثه معاوية الى عمرو بن العاص ..."فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة" (اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٨٣)، واصطلاحاً: فقد يقصد بالرافضة قوم من الشيعة (الشهر ستاني ، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ١/١٣٨)، وقد يقصد بها كلّ الشيعة (ابن رسته، أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة، ص ١٩٥–١٩٧). أو هم ليسوا من الشيعة (ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، ٢/٢٣٠). ويقال: إن أول من استخدمه الإمام زيد بن علي بن الحسين. (الطبري،محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ٧/١٨١) وقيل إن أول من استخدم الرافضة هو المغيرة بن سعيد (الأشعري، سعد بن عبد الله: المقالات والفرق، ص ٧٧) و(النوبختي، الحسن بن مولى: فرق الشيعة، ص٦٢).

٢- المكوس: من الفعل مكس في البيع مكساً من باب ضرب، نقص الثمن، وماكس مماكسة مكاساً مثله. والمكس: الجباية... وجمع على مكوس، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء". (الفيومي،أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٢٢٠) .

٣- المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ١/١٠١ (طبعة حجرية) .

٤- جبليّة الشام: أي القاطنين للجبال. وإذا كان المقصود هنا (جبل عامل) فالنصّ دقيق جدّاً.

٥- السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة، ١/٣٤٨.

للهجرة – وبعدها كان الرفض يغلي ويفور بمصر، والشام، والمغرب، والمشرق".[1]

فهنا ثلاثة نصوص تاريخيّة، تؤكّد ارتباط انتشار التشيّع بظهور الدولة الفاطميّة واتّساع رقعتها.

وقد تثار على ما ذكرنا ثلاث إشكاليات متوقّعة، وهي: أولًا: إن نقداً قد يوجّه إلى هذه المصادر باعتبارها لم تصدر عن مؤلفين شيعة، فقد يقول البعض: إن هذه الكتب قد لا تكون حياديّة في ما ذكرت من تواريخ. والجواب: إنها نصوص صريحة في المطلوب، ولا يوجد في كتب الشيعة نصوصٌ صريحة تقابلها، أو أيّة نصوص من جهة أخرى. وثانياً: قد يقال أيضاً إن هذه النصوص تحدثت عن توسع التشيّع، ولم تتحدث عن بداياته وتأسيسه، وهو لا يخلو من وجاهة ، ولكن لا دليل عندنا صريح، على تاريخ ذلك التأسيس، خاصّة في بحثنا هذا. والنقطة الثالثة، أننا نأخذ ما رووا وندع ما رأوا، أي أننا نستفيد من المعلومة، التي ذكرتها هذه المصادر؛ وهي انتشار التشيّع أيام الدول الشيعيّة، دون أن نتوقف عند آراء أصحابها الفكريّة، أو نعوتهم العقديّة التي وجّهوها، لأن ذلك ليس موضعه في هذه الأطروحة، مع عدم إغفال احتماليّة تأثيرها في المؤلفين.

٢– إنّ النشاط الفقّهي الشيّعي بلبنان، وكما سيتضح في الفصل الأول، إن شاء الله تعالى، قد بدأ مع أُسر علميّة حلبيّة، نزحت إلى طرابلس، ثمّ منها إلى جبل عامل . والتفسير الأقرب لهذا: تحوّل تلك الأُسر العلميّة بعد نهاية الحمدانييّن، إلى طرابلس ودولة بني عمّار[2]، ثم نزولهم إلى الجنوب

١- الذهبي، محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام، (حوادث ٣٥١–٣٨٠هـ) ص٢٥٩.وقد نقلنا النصوص السابقة كما هي دون ان نعلّق على بعض الألفاظ، التي لا تتناسب، مع اللغة العلميّة وأساليبها، (الباحث).

٢- بنو عمار "أسرة شيعيّة من قضاء طرابلس (لبنان– كان لها إمارة مستقلّة (٤٦٢–٥٠٣هـ) (١٠٧٠–١١٠٩)م. قامت في الساحل اللبناني السوري من شمالي بيروت الى جنوبي إنطاكية. كانت عاصمتها طرابلس التي اشتهرت بمكتبتها الكبرى وبكفاحها ضد الصليبيين الى أن سقطت بأيديهم. أول من استقل بحكمها القاضي أبو طالب بن عمّار ت٤٦٤هـ/١٠٧٢). (أبي عبدالله، عبد الله إبراهيم: الموسوعة اللبنانيّة/تاريخ لبنان عبر الأجيال المجلد ٣،٤/١١٣).

بعد سيطرة الأفرنج عام ٥٠٣هـ. ولهذا فإنّ الترجيح لا يميل، إلى أنّ انتشار التشيّع الاثني عشرية (بجبل عامل)، كان بتأثير الفاطميّين أو دولتهم، المعروفة بتشيعها الإسماعيلي، نعم قد يكون ذلك راجحاً بدرجة كبيرة، في طوائف أخرى غير الشيعة الاثني عشريّة، مثل الدروز حيث الجذور الإسماعيليّة الواحدة.

وقد ذُكرت التواريخ ومصادرها السابقة؛ للتأكّيد على الفكرة الأساس وهي: ارتباط انتشار التشيّع ببلاد الشام، وربّما في غيرها، بتأثير الدول الشيعيّة آنذاك.

ويترجّح في الوقت نفسه، أن التشيّع في لبنان، كان مرتبطاً بالدولتين الشيعيتين الاثني عشريّتين، أي الدولة البويهيّة ببغداد، والحمدانيّة بحلب[1]، وإذا توخينا مزيد دقةٍ، فإن التشيّع بدأ – كما يقوى – بتأثير من الحمدانيّين مباشرة؛ لقربهم الجغرافي، وربّما السكّاني والقبلي من شمالي لبنان، ولا سيّما مدينة طرابلس[2]. فقد دخل التشيّع الإثنا عشري الى لبنان من شماله، ثم امتدّ الى جنوبه وشرقه، لا أنه بدأ من الجنوب (أي بتأثير فاطميّ). ثم جاء دور البويهيّين بصورة غير مباشرة، حيث تهيأت الأجواء ببغداد لنشوء أول حوزة علميّة شيعيّة، والتي راحت بدورها ترعى الوجود الشيعي الوليد في لبنان، بعلمائها وفقهائها، وفتاواهم المبعوثة إلى مدن لبنانية. (كما سيأتي بيانه في الفصل الأول).

فقد ورد في رسالة، كتبت في حدود سنة أربعين وأربعمائة للهجرة:

١- حلب: "مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء. والحلب في اللغة مصدره قولك حلَبْتُ أحلُبُ. والحلب أيضاً: اللبن الحليب، وقيل إن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه... وحلب بلد مسوّر بحجر أبيض، وفيه ستة أبواب وفي جانب السور قلعة في أعلاه مسجد وكنيستان... وفي غربي البلد في سفح جبل الجوش قبر المحسن بن الحسين..." (الحموي، ياقوت : معجم البلدان ، ٢/٢٨٢–٢٨٥).

٢- طرابلس: "بفتح أوله وبعد الألف باء موحّدة مضمومة، ولام أيضاً مضمومة، وسين مهملة، ويقال: أطرابلس. وقد ذكر أن اشباروس قيصر أول من بناها. وتسمى أيضاً مدينة إياس، وهي على شاطئ البحر، ومبني جامعها بأحسن مبنى وبها أسواق حافلة جامعة. وهي كثيرة الثمار والخيرات" (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٤/٢٥).

"إن فقهاء حلب كانوا يفتون طبقاً للمذهب الإمامي"[1].

وجاء في كتاب (السفرنامة) [2] وهو يتحدّث عن طرابلس في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة هجريّة: "... وسكّان طرابلس كلّهم شيعة، وقد شيّد الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد، وهناك بيوت على مثال الأربطة[3]، ولكنّها لا يسكنها أحد وتُسمّى مشاهد"[4]، وقد يكون في ترجيح مقالة أن علماء جبل عامل إنّما كانوا قد انتقلوا إليها من حلب، حيث كان التشيّع غالباً إلى أوائل القرن السادس، أمراً مؤكداً؛ نظراً لانتشار التشيّع قبل ذلك، من حلب إلى جبل عامل عبر طرابلس[5].

وبلغ من قوة الشيعة وانتشار التشيّع، إن قامت إمارة شيعيّة بطرابلس وما حولها، فقد "أسس هذه الإمارة، القاضي أمين الدولة بن عمّار، الذي كان قاضياً على طرابلس، فاستقلّ بها سنة اثنتين وستين وأربعمائة للهجرة، سنة سبعمائة وألف للميلاد، وحكمها حتى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة... ويعود له الفضل بإنشاء مكتبة طرابلس الشهيرة، التي كانت تضمّ أكثر من مائة ألف مجلّد[6] ".

وقد عرفت طرابلس شعراء نسبوا إليها، كان لهم علاقة وطيدة مع السيد الشريف المرتضى[7] ببغداد؛ منهم الشاعر ابن منير الطرابلسي (أحمد

١- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٢/٣٨٣ .

٢- سفرنامه: كلمة فارسية من جزأين، سفر وهو معروف، ونامه أي كتاب، فالمعنى: كتاب السفر "سفرنامه: كتاب الرحلة" (بوذر جمهر، محمد حسن: القاموس الشامل، ص٤٥١).

٣- الأربطة، جمع رباط: وهو ما يربط به القربة وغيرها، والجمع ربط مثل كتاب وكتب... والرباط اسم من رابط مرابطة... والرباط الذي يبنى للفقراء..." (الفيومي،أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٨٢).

٤- القبادياني، ناصر خسرو: سفرنامه، ص٤٧–٤٨.

٥- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٦٧.

٦- الأمين، محسن : أعيان الشيعة ، ٥/٥٢١ .

٧- الشريف المرتضى (٣٥٥–٤٣٦) : علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب . نقيب الطالبيّن، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، مولده ووفاته ببغداد، له تصانيف كثيرة. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٤/٢٧٨).

ابن منير بن أحمد بن مفلح الرفّا)[1]، الذي سكن دمشق ثم انتقل الى حماة وحلب. وكان أبوه شاعراً ينشد قصائد الشاعر الشيعي العوني في أسواق طرابلس. وللشاعر ابن منير (القصيدة التتريّة)، المعروفة في كتب الأدب بينه وبين الشريف المرتضى. وعاش الشاعر ابن منير الطرابلسي بين عامي (٤٧٣–٥٤٨هـ). وهذا التاريخ يستبعد كون الشريف هنا، هو الشريف المرتضى، أخو الشريف الرضي الشاعر المعروف، لأنه توفي سنة (٤٣٣هـ). ولهذا رجّح السيد محسن الأمين في الأعيان، أن يكون هناك شريف آخر غير الشريف المرتضى[2] ، له لقبُه.

كما أنّ معظم سكّان بلاد كسروان[3] ، كانوا من الشيعة الإماميّة، حتى أوائل القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، حتى استبيحت بلادهم من قِبَل العسكر المملوكي"[4] . وجاء في (تاريخ بيروت) : " .. والسالم منهم تفرقوا في جزيّن وبلادها والبقاع وبلاد بعلبك"[5].

حيث "إن شيعة جبال كسروان، لا سيّما علماء بني عود – الذين هاجروا الى جزّين، حيث تعاونوا مع إخوانهم أهل جزّين على أن تكون

١- يمكن مراجعة بعض المصادر في ترجمته منها: (ابن عساكر، علي بن الحسن الدمشقي؛ تاريخ دمشق، ٩٧/٢)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن الحر: أمل الآمل ٣٥/١)، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة ٥٦٠/٤)، (الزركلي، خير الدين: الأعلام ٢٦٠/١)، (الأميني، عبد الحسين احمد: الغدير ٣٢٦/٤).

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة ٥٦٤/٤ .

٣- كسروان: "من مقاطعات لبنان التاريخيّة. اشتهرت بحملة المماليك الذين أبادوا منها من الشيعة فحلّ محلّهم الموارنة سنة ١٣٠٥م" (معلوف، لويس: المنجد، ٥٨٩٩/٢٠). وهي اليوم قضاء في محافظة جبل لبنان مركزه (جونيه) وفي القديم كانت مقاطعة تمتدّ بين نهر الكلب ونهر إبراهيم، من مراكز الشيعة في لبنان ، إلى أن قضى عليهم المماليك سنة ١٣٠٥ / ٧٠٧هـ . (عمرو ، يوسف محمد : صفحات من ماضي الشيعة ، ص٣٦٧).

٤- المماليك: "هم عبيد أتراك وجراكسة ومغول. استعان بهم الايوبيون للخدمة العسكرية، فتمكن بعض زعمائهم من الوصول الى الحكم، وأسّسوا في مصر سلالتي المماليك البحريّة والبرجميّة" (معلوف، لويس: المنجد الأعلام،ص ٦٨٥).

٥- ابن يحيى ، صالح : تاريخ بيروت، ٩٦/٦.

حاضرة علميّة، تحكي حلب أيام الحمدانيّين، وطرابلس أيام بني عمّار»[١].

والنصوص أعلاه، تُرجّح ما اخترناه؛ من أنّ التشيّع إنّما بدأ من شمالي لبنان، ومن طرابلس بالتحديد، اثني عشريّاً، تماماً كما هو التشيّع في الدولة الحمدانيّة بحلب وأطرافها.

٣- ومما يرجّح نظريتنا هذه - الدول الشيعيّة - كذلك، أنّ أوّل اشارة سُجّلت عن مكوّن اجتماعي شيعيّ، يحتاج الى رعاية دينيّة، كانت في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، بين بعض المناطق اللبنانيّة وبغداد؛ التي كانت تحتضن المرجعيّة الدينية الشيعيّة آنذاك. ومن هذه الإشارات والاتصالات:

أ - رثاء أحد شعراء مدينة صور، وهو عبد المحسن بن غليون المعروف بالصوري (ت:٤١٩هـ)، لأبرز علماء الشيعة الاثني عشرية ببغداد، وهو الشيخ محمد بن النعمان المعروف بالمفيد[٢] (٣٣٦-٤١٣هـ) ، بقصيدة ومطلعها:

يـا لـهُ مـن طـارقٍ مـن الـحـدثـانِ الـحـقَ ابـن الـنُّـعـمانَ بـالـنعـمانِ[٣]

ب - صنّف الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، أربعة رسائل، كانت عبارة عن إجابات لأسئلة، وردت عليه من بعض أهل طرابلس، حينما كان يتزعّم المرجعيّة الدينية ببغداد، بعد وفاة استاذه الشيخ المفيد المتقدّم. وعرفت الرسائل بـ(المسائل الطرابلسيّة الأولى والثانية والثالثة

١- عمرو بن يوسف محمد: صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم في لبنان، ص٩٣-٩٤.

٢- الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه الى قحطان، أبو عبد الله، المفيد ويُعرف بابن المعلّم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه، ولد في عكبرا - على عشرة فراسخ من بغداد- ونشأ وتوفي ببغداد، وله نحو مائتي مصنّف، كانت له صولة في دولة عضد الدولة..." (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٧/ ٢١) .

٣- الامين، محسن: أعيان الشيعة١٤/٢٥٦. والمعنى: يهوّل الشاعر وصول خبر نعي الشيخ المفيد بأنها داهية، من أول الأمر وآخره (الحدثان)، حيث كان من جرّاء ذلك انتقال ابن النعمان (المفيد) بالنعمان وهو السرور أو جبل قرب مكة. (ابن منظور،محمد بن مكرم: لسان العرب،١٢/٥٨٨).

والرابعة)، وبلغ عدد مسألاتها خمساً وسبعين مسألة.

ج – استجابت المرجعيّة الدينيّة ببغداد، لطلبات شيعة طرابلس في حاجتهم لفقيهٍ يرجعون إليه، في أمورهم العبادية وغيرها. فأرسل إليهم السيد الشريف المرتضى، أحد أبرز وجوه تلامذته، وتلامذة أُستاذه الشيخ المفيد من قبل، وهو الشيخ عبد العزيز بن نحرير المعروف بالقاضي، وابن البرّاج (ت ٤٨١هـ)، والذي مكث في طرابلس عشرين أو ثلاثين سنة[1]. أي أنه استمرَّ في أداء مهمّاته الدينيّة، حتى بعد وفاة أُستاذه الشريف المرتضى سنة ٤٣٣هـ إذ أمضى وجوده بعد المرتضى بطرابلس، المرجع الثالث؛ وهو الشيخ أبو جعفر بن الحسن الطوسي[2].

ومما جاء في ترجمته: " تولّى القضاء بطرابلس؛ لدفع الضرر عن نفسه بل عن غيره أيضاً، والتمكّن من التصنيف، وقد عمل أكثر الخلق ببركته بطريق الشيعة "[3] والذي يهمّنا هنا الفقرة الأخيرة، التي تكشف عن عمل تأسيسيّ لنشر التشيّع بلبنان.

ولم يكن الشيخ ابن البرّاج هذا لبنانيّاً، وهذا دليل على حداثة التشيّع آنذاك، بحيث احتاج هذا الوجود إلى فقيه لسدّ حاجاته الدينيّة، في العبادات والمعاملات،ولم يتسنّ لحد ذلك التاريخ، وجود فقيهٍ لبناني يقوم بتلك المهمّة. ولذا ترجم له صاحب (أمل الآمل) في الجزء الثاني من كتابهِ المخصَّص لغير اللبنانيين من الفقهاء الشيعة.

١- عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز. ابن البرّاج (٤٨١هـ) أبو القاسم بن البرّاج فقيه إمامي، قرأ على السيد المرتضى سنة ٤٢٩هـ وولي القضاء بطرابلس (لبنان) عشرين عاماً، ومات بها. له تصانيف، منها "جواهر الفقه". (الزركلي،خير الدين: الأعلام، ١٥/٤).

٢- الشيخ الطوسي " محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥–٤٦٠هـ) مفسّر، نعته السبكي بفقيه الشيعة ومصنّفهم. جاء من خراسان الى بغداد سنة ٤٠٨هـ وأقام أربعين عاماً، ورحل الى الغريّ (بالنجف) فاستقر الى أن توفي. أُحرقت كتبه عدّة مرات بمحضر من الناس، له تصانيف كثيرة". (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٨٤/٦).

٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١٤٢/٣.

د– وتكرّر الأمر مع مدينة لبنانيّة أخرى وهي مدينة صور[١]، حيث بعث السيد المرتضى فقيهاً آخر إليها، وهو الشيخ أبو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي[٢] (ت ٤٤٩هـ)، وكان من قبل ذلك تلميذاً للشيخ المفيد كذلك.

وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية وكتب الرجال، أنّ هذا الفقيه قد صنّف رسالة، بعنوان (الأصول في مذهب آل الرسول)، وكتاباً بعنوان (تلقين أولادِ المؤمنين)!، حيث عَبّر عن الرسالة أنه: "عملها للأخوان في صور"[٣]، إنّ عنواني الرسالة والكتاب، وتعليقةُ على الرسالة، مؤشر واضح على أنّ التشيّع آنذاك كان في طور التأسيس، ولهذا طُرحت أفكار يحتاجها الجيل الناشئ، من أولاد الشيعة آنذاك، فكان التشيّع – كما يبدو – كان بحاجة إلى منهج علميٍّ عقديٍّ، حَدى بهذا الفقيه إلى تأليفهما.

هـ – ثم تبرز مدينة لبنانيّة ثالثة وهي (صيدا)[٤]، والتي حظيت كذلك باهتمام المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة ببغداد، عبر رسائل وأجوبتها، التي كانت بين بعض أهل صيدا والشريف المرتضى، عرفت هذا الرسائل وأجوبتها بـ (المسائل الصيداويّة).

ويعلّق صاحب خطط جبل عامل، على هذه المسائل بقوله: "وكان أهلها

١- صور: بصاد مهملة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة، المدينة الفينيقيّة المشهورة بساحل بحر الشام، وميناء جبل عامل المهم مع صيدا، وهي حدّه الغربي، وهو على لسان البحر يحيط بها البحر من جوانبها الثلاثة عدا الشرقي الذي منه شروع بابها فهي بمنزلة الكف من الساعد. كان لها شان عظيم، والدنانير الصوريّة مشهورة. جاء ذكرها في معجم البلدان للحموي، و في صبح الأعشى للقلقشندي وذكرها ناصر خسرو في رحلته. مرّ بها ابن جُبير وابن بطّوطة... كانت دار علم سكنها وهاجر اليها الكثيرون" .(الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٦٣) .

٢ -"محمد بن علي بن عثمان الكراجكي أبو الفتح (ت ٤٤٩هـ): باحث إمامي، من كبار أصحاب الشريف المرتضى. له عدة كتب، توفي بصور" (الزركلي: الأعلام، ٢٧٦/٦).

٣- (الحرّ العاملي: محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢٨٧/٢)، (الأفندي، الميرزا عبدالله: رياض العلماء، ١٣٩/٥).

٤- صيدا: "صيداء: بالفتح ثم السكون، الدال المهملة والمدّ وأهله يقصرونه. وما اظنه إلّا لفظة أعجمية... والصيداء حجر أبيض... والصيداء الأرض التي ترتبها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض. وهي مدينة على ساحل بحر الشام، من أعمال دمشق شرقي صور، بينهما ستة فراسخ، والنسبة إليها صيداوي... ومن اسمائها إربل، خرج منها جملة من الحفاظ والعلماء..." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٤٣٧/٣).

– صيدا – أو أكثرهم شيعة في عصر السيد المرتضى، والمسائل الصيداوية التي أرسلها إليه أهل صيدا مشهورة"[1].

ولا يُعلم كيف استفاد من هذه المسائل، بأنّ أكثر أهل صيداً أو كلهم كانوا شيعة، لأن هذا الاستنتاج يحتاج الى دليل آخر، ربّما اطّلع عليه، ولكنّه لم يبيّنه لنا. وأمّا إذا اعتمدنا على هذه المسائل فقط، فهي لا تؤدي إلى النتيجة التي قال بها. نعم هي تدل على وجود شيعي بصيدا، أمّا حجمه فيحتاج إلى مستند آخر.

ويترجّح أن التشيّع بصيدا، كان جديد عهدٍ كباقي لبنان – دون الخوض في كونه كان فاشياً في أهلها أم لم يكن كذلك – بحيث اضطرّ شيعتها، إلى مراسلة مرجعيّة بغداد الشيعية، ولو كان عندهم وجود علمائي لبناني شيعي مكين، لرجعوا إليه ولم يتجشّموا عناء مراسلات بغداد.

"وإنّ أول نشاط علميّ ، سُجّل لعلماء جبل عامل، كان في القرن السادس وما بعده"[2]. وسيشهد التاريخ بعد ذلك، كيف نبغ علماء جبل عامل، حتى احتاج الآخرون إليهم، بل وتحوّلت بعض قراهم إلى حوزات علميّة، ومراكز فقهيّة، قصدها بعضٌ من أكابر الفقهاء الشيعة، من غير اللبنانييّن. إنّ هذا البروز المفاجئ في القرن السادس يرجّح – وبشكل واضح – أن التشيّع لم يكن قديماً، بحيث يرجع إلى القرن الأول الهجري، كما ذهبت إلى ذلك الفرضيّات الثلاث الأولى.

٤– ومن جهة رابعة، فإنّ مما يؤيّد هذه النظرية، ويدعم القول بها، ظاهرة انتشار التشيّع في أقاليم ومدن شامية أخرى، مما نستنتج منه، أن التشيّع انتشر في لبنان، كما انتشر في تلك الأنحاء الشاميّة، في زمن الدول الشيعية وفي أزمنة متقاربة. فقد جاء في بعض المصادر مصاديق من الانتشار الشيعي في بعض مدن الشام، منها:

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل ، ص٢٧٢.

٢- القزويني، جودت: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية، ص١٦٢.

أ – "وأهل طبرية[1]، ونصف نابلس[2]، وقَدَس[3]، وأكثر عمّان[4] شيعة"![5]. وذهب بعض المحقّقين[6] إلى أنّ فقيهاً شيعياً بارزاً، من مدينة عَمّان، كان قد عرف بأبي علي الحسين بن عيسى الحذّاء، الشهير بابن أبي عقيل العَمّاني (بتشديد الميم وفتح العين قبلها)، وله مؤلفات منها (المتمسّك بحبل آل الرسول)[7]، وكان في الفترة ما بين النصف من القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الهجريين"[8].

وللأمانة العلميّة، فقد قال عدّة من المحقّقين: أن اللقب هو (العُماني)[9] بضمّ العين، أي نسبة إلى عُمان[10]، الأقليم الواقع في جنوبي شرق الجزيرة

١- طبريّة: طبر في العّربية بمعنى قفز واختبأ. فتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة في سنة ١٣ صلحاً. وهي بليدة مطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي من أعمال الأردن، النسبة لها طبراني." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١٧/٤).

٢- نابلس: "بضم الياء الموحّدة واللام والسين مهملة" ... وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه... أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ. النسبة لها نابلسي" (الحموي، ياقوت : معجم البلدان، ٢٤٨/٥).

٣- قَدَس: بفتح القاف والدال، موقعها قريب من الحولة غربيّها، كانت من أعمال صور، ثم ألحقت بفلسطين". (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٨٤)، و" دمّر الصهانية قَدَس العريقة ، وشتتّوا سكانها عام ١٩٤٨م، وأقام اليهود الأمريكان على هذه القرية عام ١٩٤٨م قلعة دعوها (يفتاح)". (الريّس، فايز حسن : القرى الجنوبية السبع، ص٣٥).

٤- عمّان: بالفتح ثم التشديد وآخره نون: بلد في طرق الشام وكانت قصبة أرض البلقاء، وقيل أنّها مدينة دقيانوس بالقرب منها الكهف والرقيم. وهي على سيف البادية بها قبر أُورياء النبيﷺ، النسبة العمّاني." (الحموي، ياقوت : معجم البلدان، ١٥١/٤).

٥- المقدسي، محمد بن أحمد البنّاء: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٥٣.

٦- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة، ص١٠٩ .

٧- (القمّي، عباس: الكنى والألقاب، ١٩٩/١)، (الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٧٤/٢) .

٨- الخزرجي، صفاء الدين: الفقيه الأقدم، مجلة فقه أهل البيت، ١٥٧/٨.

٩- الخرزجي، صفاء الدين: الفقيه الأقدم، مجلة فقه أهل البيت، ١٥٧/٨.

١٠- عُمان: "بضم أوله وتخفيف ثانيه، وآخره نون: اسم كورة عربيّة على ساحل بحر اليمن والهند، وعُمان في شرق هَجَر، تشتمل على بلدان كثيرة، ذات نخل وزروع، الّا أن حرّها يضرب به المثل. وأكثر أهلها في أيامنا خوارج أباضيّة... يقال: أعمن أو عمّن إذا أتى عُمان..." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان ، ١٥٠/٥).

العربية، وليس عمّان الشام. وإذا رُجّح هذا القول، كان الموضوع خارج البحث!.

ب – وعند الحديث عن التشيّع بدمشق وضواحيها، فإنّ بعض المصادر تقول:

"وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة، وهم أكثر من السُّنيّين بها، وقد عمروا البلاد بمذاهبهم، وهم فرق شتّى..."[1].

ج – ومما جاء عن حمص وتشيّعها؛ وعن بروز الفقهاء الإماميّة بها، والذين تجاوز تأثيرهم حمص إلى غيرها، ومنهم أبو العباس، أحمد بن علي معقل الأزدي الحمصيّ (٥٦٧–٦٤٤هـ)، الذي جاء في ترجمته: "رحل إلى العراق وأخذ الرفض عن جماعة بالحلّة[2]... وعاش به رافضة تلك الناحية"[3]. وتلك الناحية، ذهب البعض إلى أنها (مدينة بعلبك) والتي "سكنها ابن معقل بعد عودته من الحلّة..."[4].

"وكان أول فقيه (شيعيّ) أنجبته بعلبك هو أحمد بن محسّن بن مليّ الأنصاري (٦١٧ – ٦٩٩هـ) وهو تلميذ ابن معقل هذا"[5].

ولهذا فقد تكون هذه المعلومات التي ذكرنا بعضها هنا، سبباً في اختيار فرضية دون أخرى، على أساس الاطمئنان إلى معلومة دون أخرى من التي مرّ بيانها.

إن هذا التشيّع، الذي برز في مدن شاميّة خارج لبنان، يعتبر من

١- ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير، ص٢٥٢.

٢- الحِلّة: "بالكسر ثم التشديد، وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة. والحلّة: علم لعدة مواضع واشهرها حلّة بني مزيد: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى الجامعين. وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي... وذلك في سنة ٤٩٥. وللشعراء فيها أشعار كثيرة." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان ، ٢/٢٩٤).

٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة ، ١/٣٤٨.

٤- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة، ص١٠٩.

٥- المهاجر،جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة، ص١١١.

المرجّحات المهمّة، أنّ التشيّع قد امتد الى لبنان، في حدود تلك الفترة الزمنيّة، أو قريباً منها على الأقل.

إنّ هذه النقاط الثلاث المتقدّمة، هي التي رجّحت الأخذ بأنّ نشأة التشيّع بلبنان، كان بفعل تأثير وامتداد الدول الشيعية، وتهيأتها المجال واسعاً، والسبيل رحباً أمامه.

وقد وُجد هذا الترجيح مؤيّداً، عند بعض الباحثين، ولكنّهم من غير اللبنانيين [١] .ولا بدّ أن نؤكّد في نهاية التمهيد، لدراستنا حول الحوزات اللبنّانية الشيعيّة، أن ليس هناك أدلة قاطعة، تطمئن النفس إليها اطمئناناً قطعيّاً، في أيّ من المقالات الأربع السابقة حول نشأة التشيع بلبنان. ولهذا يبقى الباب مفتوحاً للنقد إثباتاً للأدلة أو نفياً لها.

١- (القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية. ص١٥٩)،(مير هان، صابرينا : حركة الإصلاح الشيعي، ص٢٩).

الفصل الأول

حوزات لبنان الشيعيّة / الجذور والتأسيس

تمهيد:

اكتنف الغموض بدايات الحركة العلميّة الشيعيّة اللبنانية، وسجّلت أولى حالاتها في القرن السادس الهجري، دون إحاطة واضحة بالأجواء التمهيديّة لهذه الحركة. وقد سبق أن اعتبرنا أن هذا التاريخ، لا يشجّع على كون التشيّع قد نشأ بلبنان في القرن الأول الهجري (الفرضيّات الثلاث في الفصل التمهيدي السابق).

وهذا الغموض، وضبابيّة الرؤية في هذه المسألة، انعكس على جملة، ممّن أرّخ لهذه الحركة، أو مرّ بموضوعها[١]. ولا بدّ في البداية من تعريف بعنوان الأطروحة، ثم إلمامة ولو سريعة، بمراكز الحركة العلميّة الشيعيّة خارج لبنان – بالعراق خصوصاً – ، محاولين اكتشاف زمن اتصال العلماء اللبنانييّن الشيعة بتلك المراكز، ثم ما تركه هؤلاء العلماء ومَن جاء بعدهم من آثار في النشاط العلميّ الشيعيّ العام.

ولنبدأ بتعريف ألفاظ مفردات أطروحتنا هذه :

١- حوزات:

جمعٌ مفردهُ:(حَوْزَة) بفتح الحاء وتسكين الواو وفتح الزاي ثم التاء. ولمعرفة معناها؛ فقد جاء في قوله تعالى: ﴿أو مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾[٢]، معناها: أو مائلًا إلى جماعة من المسلمين[٣]، وصائراً إلى حيّز[٤] .

وحوزة من الفعل: حاز، "والحوَز: الجمع، وكل من ضمّ شيئاً الى نفسه؛

١- يقول السيد محسن الأمين: "لكنّ أحوال علماء جبل عامل قبل القرن السادس تكاد تكون مجهولة، فإنّ الذين ذكرهم صاحب أمل الآمل وغيره من علمائه، كلهم من بعد القرن السادس، وسلسلة مشائخ الإجازة للشهيد ليست من العامليّن..." الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٦٧.

٢- سورة الأنفال/١١٦.

٣- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير، ص٦٠.

٤- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضّل: معجم مفردات القرآن الكريم، ص١٣٧.

من مال، أو غير ذلك، فقد حازه". "وحوز الدار وحيّزها: ما انضمّ إليها من المرافق والمنافع... وفي الحديث: (فحمى حوزة الإسلام)، أي حدوده ونواحيه، وفلان مانع لحوزته؛ أي ما في حيّزه. والحوزة؛ فَعْلة، منه سميّت بها الناحيّة. والتحوّز من الحوزة؛ وهي الجانب، كالتنحّي من الناحية. والحوزة: الناحية. وحوزةُ المُلك: بيضتهُ" [١].

"وحزت الشيء أحوزه حوزاً وحيازة، ضممته وجمعته، وكل من ضمّ الى نفسه شيئاً فقد حازه، والحوزة الناحية، والحيّز الناحية" [٢]

فالحوزة من الناحية اللغويّة إذن مأخوذة بمعنى الناحية.

أمّا من حيث المعنى الإصطلاحي فـ (الحوزة) مجردة، أو بإضافة صفة (العلميّة) إليها لتكون (الحوزة العلميّة)، فهي تعني حالياً معنى مرادفاً [٣]؛ لتجمّع علميّ، يضمّ مدارس عدّة، تتوافر فيها أعداد مهمة من الأساتذة، وطلبة العلوم الدينية الإسلامية الشيعيّة الاثني عشريّة، وعادة ما يكون هذا التجمّع العلميّ برعاية دينيّة، وماليّة، وقانونيّة [٤]، من المرجعيّة الدينيّة[٥].

فهناك إذاً عناصر أربعة أساسية، في الحوزات العلمية وهي: المرجعيّة، الأساتذة، الطلبة، والمدارس.

وإذا تجوّلنا في مدينة النجف الأشرف بالعراق، أو مدينة قم بإيران، فإننا لا نجد مؤسسة معيّنة، أو بناية خاصة تعرف بالحوزة، بل قد لا نجد

١- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ٥/٣٤١-٣٤٢.

٢- الفيومي: أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٦٠.

٣- الترادف في علم المنطق هو: اشتراك الألفاظ المتعددة في معنى واحد، مثل إنسان وبشر. (المظفّر، محمد رضا: المنطق، ١/٤٥).

٤- مثل أن تتولى المرجعيّة، إصدار إقامات للطلبة غير المواطنين، في بلد تلك الحوزة، وأمور قانونيّة أخرى. (الباحث).

٥- المرجعيّة: هي القيادة الدينية للشيعة، ويتبوأ مقعدها أشهر المجتهدين الذين يُرجع إليهم في الأخذ بالأحكام الشرعيّة، وعادةً ما يوجد هؤلاء المراجع، في مراكز الحوزات العلميّة العريقة، وأبرزها اليوم مدينتنا النجف الأشرف وقم. وسيأتي مزيد من المعلومات عنها في الفصل الرابع الذي يأتي تباعاً إن شاء الله تعالى (الباحث).

حتى مدرسة مكتوب على بابها عنوان (حوزة). فالحوزة إذاً: هي هذه الأجواء العلميّة، وهذا التواصل العلمي التدريسي والشرعي، بين الطالب، والأستاذ، والمرجع.

لكن معنى (الحوزة) قد تعدّى ما ذكرناه، حيث أخذنا نشهد في السنين الأخيرة – وتحديداً في ثمانينيّات القرن العشرين وما بعدها – أنّ اسم (الحوزة) راح يحتل معنى (المدرسة)، أو (المعهد)، فنجد مدارس دينيّة، ومنها ما هو موجود بلبنان، وكلّ يُسمّى بالحوزة، فما كان يعرف قبل سنين، بمدرسة دينية، أو معهد ديني، حلّ محلّه الآن اصطلاح (الحوزة). وهذا ما انعكس على عنوان أطروحتنا أيضاً، فلم نقل: (حوزة لبنان)؛ التي تجمع كل مدارسها الفقهيّة الشيعيّة، بل قلنا: (حوزات) أي المدارس، والمعاهد الشرعية الشيعية، بلبنان.

وتاريخيّاً؛ لا يوجد تحديد واضح، لزمن اتخاذ المدارس الدينيّة الشيعيّة عنوان (الحوزات) أو (الحوزات العلميّة)، إلّا أنّ من الأمور الثابتة، أنها مصطلحات لم تمتد كثيراً في تاريخ الدراسات الدينية الشيعية، فهو استخدام مُحدَث.

ولم يُعرف تاريخ محدّد لذلك الاستعمال[1].

١- فقد سألت العديد من العلماء، وراسلت بعض الباحثين، وقرأت بعض المدونات، في بعض دوائر المعارف في مادة (حوزة)، فلم أجد من ذكر بداية استعمالها الاصطلاحي المعاصر. ولعلّ أقدم إشارة وجدتها وردت في كتاب (معارف الرجال) في ترجمة الشيخ محمد محيي الدين (ت:١٢٤٧هـ) وفيها قوله: " المعروف بين المعاصرين، أنه كانت له حوزة علميّة من طلّاب العرب الأفاضل... "، (حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ٢/ ٣٣٨). ومؤلف الكتاب هو الشيخ محمد حرز الدين المتوفى سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، ومات وقد بلغ عمره ثلاث وتسعون سنة. ولا نعلم سنة تأليفه الكتاب، ولذا يمكن لنا القول: إنّ هذا الاستخدام، كان في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، أي الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي. (الباحث). كما وردت (الحوزة) اصطلاحاً، في كتاب (ماضي النجف وحاضرها)، في ترجمة بعض العلماء أيضاً، "وله حوزة حافلة بأهل العلم"، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م. (محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها، ١/٣٨٣).

والراجح أنه من بعض إفرازات، التأثير الإيراني الكبير، في أجواء الدراسات الدينيّة الشيعيّة عامة. نظراً لكثرة الأساتذة والطلبة الإيرانيين، ليس فقط في حوزات إيران، بل حتى في حوزات العراق، ولا سيّما حوزة النجف الأشرف[1]. وقد يرجّح أنّ بداية الاستعمال الاصطلاحي هذا، كان قد بدأ في حوزة مدينة اصفهان العريقة، أو قم الإيرانية التي رأت النور، في أوائل القرن العشرين الميلادي، ثم انتقل استعماله إلى حوزة النجف، ومنها الى بقية البلدان الشيعيّة.

والذي يعزز هذا الرأي، أنّ مصطلح (حوزة)؛ هو مصطلح، لا تزال الدوائر الإيرانيّة الرسميّة، تستخدمه في ترسيم حدود المحافظات، والأقضية، والنواحي[2]. حيث تنتصب العارضات على الشوارع العامّة، توضح حدود محافظة إيرانية عن أخرى، وهناك جملة (ابتدائي حوزة قم)، و(انتهائي حوزة طهران): أي بداية حدود قم، ونهاية حدود طهران العاصمة... ولدى مراجعة بعض القواميس الفارسيّة، نجد أن لفظة (حوزة) تأتي بلا نقطتي التاء، ومعانيها هي: ناحية، منطقة، دائرة – المجال (أي أنها لا تزال بمعانيها العربيّة الأصليّة). وكدليل واضح، على بقاء هذه اللفظة حيويّة، في الحياة اليومية الإيرانية، أنها استعملت حتى في بعض المصطلحات العلميّة الطبيعية؛ كالفيزيائيّة، فقد جاء في القاموس نفسه: "حوزه مغناطيسي بمعنى: المجال المغناطيسي" [3].

وما تزال إيران، تستخدم الكثيرمن الألفاظ العربية، في تعاملاتها، شعبيّة ورسميّة، وبنسبة تزيد على ٥٠% من الألفاظ المستعملة حالياً [4]،

١- البهادلي، علي : الحوزة العلميّة في النجف، ص٣٥٨.

٢- وقد لاحظت ذلك، في سني دراستي الدينيّة بحوزة قم بإيران، والتي كانت في الفترة بين: (١٤٠١-١٤٠٦هـ / ١٩٨١-١٩٨٦م).

٣- بوذر جمهر، محمد حسن: فرهنگ (القاموس الشامل)، ص٢٧٥.

٤- مقابلة شخصيّة مع المستشار الثقافي الإيراني ببيروت ، السيد محمد حسين رئيس زادة ، (ماجستير في العلوم السياسية وطالب علم حوزوي/ مواليد ١٣٨١هـ /١٩٦١م)، بيروت، الأربعاء ٥ ربيع ٢ ١٤٣٠هـ /١ نيسان ٢٠٠٩م ، الساعة ١٢ ظهراً.

هذا على رغم أنّ بعض تلك الألفاظ قد هُجرت في التعامل اليوميّ بالبلاد العربيّة. وعلى سبيل المثال؛ فإنّ محلّات بيع أدوات القرطاسيّة بإيران تستخدم مصطلح: (لوازم التحرير)، وهو لفظ عربي صحيح، لا يستخدم اليوم في بلداننا العربيّة.

ولقد كان من جملة تأثير الإيرانيّين؛ من طلبة وعلماء دين، على المدارس الشيعيّة، نقلهم هذا المصطلح (الحوزة) بمعناه اللغوي القديم، أي (الناحية) – كما تقدّم بيانه – ثم أضيف إليه (العلميّة) لتمييزها عن بقية (النواحي). ومما يؤكّد ذلك أننا في البلاد العربية الشيعية، نستخدم مصطلح (الحوزة) فقط، دون إضافة (العلميّة) إليها، للدلالة على المدرسة أو المعهد الدينيّين. لأنه لفظ عربي مهجور لدينا، فلا تنصرف أذهاننا، إلّا إلى استخدامه الجديد، فلا يحتاج إلى قرينة أخرى [1].

بينما يستخدم الإيرانيون المعاصرون، مصطلح (حوزة علميّة)، بحذف ألف ولام التعريف – على عادة الأعاجم –، ولا يفكّكون بين (الحوزة) و(العلميّة)، لإنهم إذا ذكروا (حوزة) فقط، فإنها تعني المعنى الذي لا يزالون يستخدمونه لحدّ الآن، في دوائرهم البلديّة والحكوميّة، أي (الناحية)، ولهذا لا بدّ من إضافة قرينة (العلميّة)، وصفتها؛ لحصرها في المعنى المراد لها.

والذي يعزّز الاعتقاد أنّ مصطلح (الحوزة)، استخدامٌ مستحدث، خلوّ كتب التراجم، والسّير، والتاريخ، والتي تحدثت عن المدارس العلميّة، والحركة الفقهيّة الشيعية أو المدارس، والشخصيّات العلميّة، خلوّها منه والى عهد ليس بالبعيد. فالسيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م) – على سبيل المثال – حينما يذكر ما في جبل عامل، من مرافق، ونشاطات، يذكر في أحد

١- ورد في علم المنطق تعريفات للألفاظ، منها ما يعرف بـ (اللفظ المنقول) وهو : اللفظ الذي يدلّ على معنى معين ثم هُجر، واستخدم بعد ذلك، في معنى آخر. ومنها: (اللفظ المشترك) وهو: اللفظ الذي له عدّة معان. ونحتاج الى ضمّ (قرينة)، لتحديد المعنى المطلوب. بينما لا يحتاج اللفظ المنقول، الى استخدام قرينة، حيث لا يزاحمه معنى آخر. (المظفر، محمد رضا: المنطق، ١/ ٤١).

فصول كتابه؛ (خطط جبل عامل) عنوان: مدارس جبل عامل[1] قديمها وحديثها – المعاصرة له – ومن فيها من علماء بارزين، ولم يمرّ بمصطلح (الحوزة) مطلقاً[2].

وقد ذُكر على غلاف الرسالة العملية (المسائل المنتخبة) [3]، للمرجع السيد أبي القاسم الخوئي [4] ولأول مرّة لقب (زعيم الحوزة العلميّة) بعد ذكر اسمه. (صورة في الملاحق رقم (٣) في عام (١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

٢ – لبنان :

وهو البلد المعروف ببلاد الشام، وقد عرّف قديما بأنه: "بالضم وآخرهُ نون... وهو جبل مطل على حمص، يجيء من العرج، الذي بين مكة والمدينة، حتى يتصل بالشام. فما كان لفلسطين فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن، فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، بحلب وحمص لبنان، ويتصل بإنطاكية ... وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة؛ المعروف بابن الخراساني الطرابلسي:...

وكيف التذاذي ماء دجلة معرقاً   وأمواه لبنان الذ وأعذب .." [5].

"ولبنان حاليا، تحدّه سوريا شمالاً، وشرقاً، والبحر المتوسط غرباً،

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦١.

٢- وسنجد في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى – أن أوائل الحوزات اللبنانية المعاصرة، كانت تستخدم لفظ (مدرسة)، أو (معهد)، وذلك في ستينيّات القرن العشرين. (الباحث).

٣- الرسالة العمليّة: كتاب فقهي، يذكر فيه المجتهد فتاواه للمقلّدين ، وإذا أصدر مجتهد رسالته العمليّة ، فهذا يعني كثرة مقلّديه ودعوة الى تقليده . (الباحث).

٤- أبو القاسم ابن السيد علي أكبر بن السيد هاشم الموسوي، ولد سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٩م بمدينة خوي في اذربيجان، ثم هاجر مع والده الى النجف الأشرف، لطلب العلم، حضر على أكابر علمائها، حتى برز أُستاذاً من أعظم أساتذة الحوزة، حتى لقب بـ (زعيم الحوزة العلمية)، خرّج المئات من المجتهدين. تربع على كرسي المرجعية الدينية المطلقة، لأكثر من عشرين عاماً، توفي بالنجف عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ودفن هناك. له مؤلفات عديدة منها: البيان في تفسير القرآن، أجود التقريرات، المسائل المنتخبة. (الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ٥٣٢/١).

٥- الحموي، ياقوت :معجم البلدان ، ١١/٥.

وفلسطين جنوباً، وتبلغ حدوده ٥٧٠ كلم؛ منها ٢٢٠ كلم لجهة البحر المتوسط، و٧ كلم لجهة فلسطين، و ٢٧٨ كلم لجهة الشرق والشمال. وهذه الحدود السياسيّة، لم تكن واضحة قبلًا، وإنما عرفت في عام ١٩٢٠م، في مطلع عهد الانتداب الفرنسي" [١].

وقد عرّفنا (جبل عامل)، في مقدمة الفصل التمهيدي، وموقعه من لبنان، حيث إنه جزؤه الجنوبي. وقد نجد تداخلًا بين (لبنان) و(جبل عامل)، في كلمات وأقوال الباحثين والعلماء، فقد يذكر أحدهما، ويعنى به الآخر تسامحاً، أو تغليباً، كما أنّ أغلب الحركة العلميّة الشّيعيّة بلبنان، قديماً وحديثاً تأسيساً وانتشاراً، كان لجبل عامل، الدور الأبرز والأوسع فيها.

٣ – **الشيعيّة :**

لفظ (الشيعيّة) جاء تعريفاً بهذه الحوزات من جهة، وتمييزاً لها، عن المدارس الدينيّة، للمسلمين غير الشيعة. فقد لوحظ أن بعض الكتّاب والمؤلفين – من المسلمين الشيعة خصوصاً – يستخدمون مصطلح (الحوزة) أحياناً، وقد يتجاوزون به المدارس الشيعيّة الى غيرها، من مدارس بقيّة المسلمين [٢]، أي حتى يكون التعريف جامعاً لأفراده مانعاً من غيرها.

والشيعيّة نسبة إلى الشيعة، وهي لغة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة... وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، بلفظ واحد، ومعنى واحد" [٣].

"وإنّ الشيعة لغة، هم الصحب والأتباع"، [٤] و" أصل ذلك من

١- فضل الله، عبد الرؤوف: لبنان دراسة جغرافية، ص١١.

٢- على سبيل المثال ما ورد في مقالة الشيخ حسن عبد الساتر (رئيس المحاكم الشرعية الجعفريّة بلبنان) ما يلي: "ولئن اضطربت الحوزات العلميّة هذه، في مثل: بخارى وتركيا والقدس وبعلبك والشام وبغداد والكوفة والبصرة، ومن ثمّ الأزهر والزيتون والقرويين". (الحوزات العلميّة، سلوكاً ومنهجاً، مجلة رسالة النجف، ١/٦٣).

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب ١٨٩/٨.

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدّمة، ص٢/٦٩٧.

المشايعة؛ وهي المطاوعة والمتابعة " [١]. و"الشيعة: الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم شيعة" [٢]. و"شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره" [٣].

والمصادر اللغويّة، تنتقل من هذا المعنى اللغوي للشيعة، الى المعنى الاصطلاحي له، "وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليّاً، وأهل بيته رضوان من الله عليهم أجمعين"[٤]، "ولفظ الشيعة "يطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين، من الخلف والسلف، على أتباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم" [٥]، "وقد اختصَّ هذا اللفظ ، بمن تولّى عليّاً وبنيه عليهم السلام، وأقرَّ بإمامتهم، حتى صار ينصرف إليهم، إذا أطلق عند الاستعمال، من دون قرينة أو إمارة" [٦]. و"ثمّ صارت الشيعة، نبزاً لجماعة مخصوصة" [٧]، "وقد غلب هذا الإسم على كل من يتولى عليّاً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصّاً، فالشيعي: من تولى عليّاً، وكان من الشيعة" [٨].

وما دام بحثنا عن الشيعة بلبنان، فإنهم يُعرفون دون بقيّة شيعة العالم، باسم خاصّ بهم، إذ يطلق عليهم لقب (المتاولة). "وقد غلب هذا الاسم (الشيعة)، على كل من يتولّى عليّاً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصّاً... ويُعرفون بالمتاولة" [٩].

و"هذا اللقب يختصّ بشيعة جبل عامل، وبعلبك، وجبل لبنان" [١٠]. فهو لا يتعدّى حتى الى أقرب الشيعة جغرافياً لهم، مثل سورية.

١- المظفر، محمد حسين: تاريخ الشيعة، ص١٣.
٢- الفيومي، أحمد بن محسن بن علي: المصباح المنير، ص١٢٦.
٣- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ص٤٩٣.
٤- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١٨٩/٨.
٥- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدّمة، ص١٩٦-١٩٧.
٦- المظفر، محمد حسين: تاريخ الشيعة، ص١٣.
٧- الفيومي، أحمد بن محسن بن علي: المصباح المنير، ص١٢٦.
٨- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ص٤٩٣.
٩- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ص٤٩٣.
١٠- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٦٠.

أمّا من أين جاء هذا اللقب لشيعة لبنان، دون غيرهم من الشيعة، فضلًا عن المسلمين، فقد ذُكر أن "تلقيبهم بذلك، إمّا لأنهم كانوا يقولون في حروبهم: (متُّ ولياً لعلي)، كما ذكره الشيخ محمد عبده المصري [(١)]"، في بعض كتاباته. أو لتولّيهم عليّاً وأبناءه عليهم السلام فإن (تفاعل) قد يأتي للمبالغة وغيرها.

قال مهيار[(٢)]:

وأمـــا وســـيّـــدهـــم عـــلـــيٌّ قـــولـــةٌ   تشـجـي العـدوّ وتبـهـج الـمـتـوالـيـاً[(٣)]

وهو لقبٌ مستحدث، لم يعرفوا به قديماً، فإن "الشيعة في جبل عامل وبعلبك، عرفوا منذ عهد قريب بـ (المتاولة)، وهم يفتخرون بهذا الاسم ويُمتَدحون به" [(٤)]. فهو لقب جاء مدحاً بهم، لا نبزاً، أمّا الوجوه المتصوّرة، لمنشأ هذا اللقب فقد ذكر منها:

"أولها: أنه جمع مُتوالٍ، مشتق من غير قياس، مِن تولّى أي اتخذ وليّاً ومتبوعاً ويُراد به هنا ولايتهم لأهل البيت عليهم السلام.

ثانيها: أنه مشتق من توالى – بمعنى تتابع، وهو على القياس. والمعنى

١- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصريّة ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في شبرا ١٢٦٦هـ/١٩٤٨م تعلم بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف، كَتب في الصحف، تولى تحرير جريدة الوقائع المصرية، أجاد اللغة الفرنسية، بعد الأربعين. ناوأ الانكليز فسجن، ثم نفي إلى بلاد الشام، سافر إلى فرنسا، وأصدر مع جمال الدين الأفغاني، جريدة العروة الوثقى، عاد الى بيروت، ثم عاد إلى مصر سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م. تولى منصب القضاء، فمستشاراً، ثم مفتياً للديار المصرية، توفي بالإسكندرية (١٣٢٣هـ /١٩٠٥م). (الزركلي: خير الدين: الأعلام، ٦/٢٥٢).

٢- مهيار بن مرزويه أبو الحسين الديلمي: شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أُسلوبه قوّة. شاعر زمانه، فارسي الأصل، من أهل بغداد الكرخ وبها وفاته، نعته مترجموه بالكاتب. كان مجوسياً ثم أسلم، على يد الشريف الرضي وهو شيخه، تشيّع وتوفي ببغداد ٤٢٦هـ/١٠٣٧م، (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٧/٣١٧).

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٦٠.

٤- الفقيه، محمد تقي: جبل عامل في التاريخ، ص٣١.

المشار بها إليه؛ هو تتابعهم في موالاة أهل البيت عليهم السلام، خلفاً عن سلف...

ثالثها: إن تولّى تأتي بمعنى اتّبع، كما تأتي بمعنى انصرف، فكأنها من الأضداد [1]، واستعملت في كلا المعنيين في الكتاب العزيز: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [2]، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ [3]، واستعملت في معنى ثالث وهو الولاية: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [4]، واسم الفاعل متولّي، ثم حرّفت على طول الزمن، كغيرها من الألفاظ العربيّة التي أصابها التحريف.

رابعاً: ما ذكره الأمير شكيب أرسلان [5] قائلًا: "سمعت من فم أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده المصري، أكرم الله مثواه، إنّهم كانوا يقولون للعلويّ: (مُتْ وليّاً لعليٍّ)... فصيغت من ذلك كلمة متولي ثم صارت متوالي" [6].

والملاحظ أنّ السيد محسن الأمين، أورد في صدد معرفة أصل كلمة (متاولة) نقلًا عن بعض ما كتبه الإمام محمد عبده – دون ذكر المصدر – لفظ (متُّ وليّاً لعلي)، بصيغة المتحدث بالماضي. وأما ما ذكره الشيخ الفقيه فقد جاء النص بـ "مُتْ وليّاً لعلي" بصيغة الأمر، وقد ذكر مصدره، بأن قد أورده شكيب أرسلان عن أستاذه الشيخ محمد عبده. كما أنّ ما ذكره الشيخ

١- الضدان معنيان أو صفتان لا تجتمعان معاً في لفظ واحد ويمكن أن يرتفعا. (المظفر، محمد رضا: علم المنطق،١/١٧١).

٢- سورة المائدة /٥١.

٣- سورة محمد ٣٨.

٤- سورة محمد ٢٢.

٥- شكيب بن حمود بن حسن أرسلان من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة. عالم بالأدب والسياسة من أكبر الكتاب يُنعت بأمير البيان. ولد في الشويفات بلبنان ١٢٨٦/١٣٦٦هـ توسع فكان قائم مقام الشوف ثم نائباً عن حوران اقام في دمشق ثم برلين فجنيف لـ ٢٥ سنة ثم توفي بها ١٨٦٩/ ١٩٤٦م،له ديوان شعر ومؤلفات ورسائل عدة مشهورة. (الزركلي، خير الدين: الأعلام ٣/١٧٣– ١٧٥).

٦- الفقيه، محمد تقي: جبل عامل في التاريخ، ص٣١.

الفقيه، في الوجه الثالث؛ من أنّ الأصل كان اسم الفاعل (متولّي) "ثم حرّف على طول الزمن" في حين أنه يذكر قبل ذلك؛ أن لقب المتاولة كان من عهد قريب، فأين هذا الزمن المذكور هنا؟

ثم من قال إنّ هذا لقب للمدح فقط دون غيره؟ ما لم نعرف أول من استخدمه، وظرف الاستخدام. أفلا يمكن أن يكون نبزاً قد صدر من جهة ما، في بعض الظروف القلقة، التي مرّت بلبنان عامة والشيعة خاصّة؟ وإن كونه لقباً للمدح حاليّاً، لا ينفي كونه غير ذلك في وقت سابق.

وأخيراً؛ إنّ هذا اللقب هو تعيُّني أم تعييني[1] ؟ أي: هل كان بوضع واضع؟ فلا بدّ حينئذٍ من الرجوع، إلى ما قلنا أعلاه، أم جاء اتفاقاً، عبر الزمن، فيمكن والحال هذه، أنْ تأتي بعض الوجوه التي ذكرت آنفاً.

٤ - المُعاصِرة:

والمعاصر: اسم فاعل من العصر، و"العصر هو الدهر" [2] و"الدهر هو الزمان المحدود"[3] و"دهر الإنسان الزمن الذي يعيش فيه. ويُستعمل مرادفاً للعصر"، و"العَصْر أيضاً والعِصْر: الدهر، جمعُه عُصُور وأعصُر وعُصُر..." [4].

ومن جهة أخرى، فقد يعرّف الدهر بأنه: "هو المكان الدائم، والدهر والزمان واحد"[5]، و"هو الزمان قلّ أو كثر" [6] "وجمعُه أدهر ودهُور:

١- المعنى التّعييني والمعنى التعيّني، مصطلحان في علم الأصول، الأول يأتي بمعنى الذي وضعه واضعٌ وعيّنه معيّن، بينما الثاني يأتي في المعنى الذي لا يعرف له معيِّن، ولا طريقة في ذلك التعيين بل هو معنى متعيِّن فعلًا: (ملحم، محمد: المصطلحات الأصولية، ص٤٥).

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، ٥٧٥/٤.

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، ٢٩٢/٤-٢٩٣.

٤- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ص٦٠٦.

٥- البستاني، بطرس: محيط المحيط، ص٢٩٦.

٦- الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٢٧٧.

الزمان الطويل والأمد المدوّر والزمن" [١].

ومن قبل ذلك، جاءت سورة في القرآن الكريم باسم "سورة العصر"، حيث أقسم الله تبارك وتعالى به: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [٢]، "والعَصر والعِصر الدهر، والعصر العشيّ، والعصران: الغداة والعشيّ، وقيل: الليل والنهار" [٣]. واستخدم العصر حالياً في الدلالة على فترة ما، مثل قولهم: عصر صدر الإسلام [٤]. كما أن إحدى الصلوات اليوميّة الخمس، هي صلاة العصر. وفقهيّاً فإن العصر يعرّف: بالوقت الذي يبدأ حينما يكون ظلّ كل شيء مثله أو مثليه حسب الآراء الفقهية [٥]، دون أن نتوسّع في هذه المسألة؛ لئلا نخرج بها من سياق البحث.

ونعني بالحوزات المعاصرة هنا؛ تلك الحوزات التي نشأت بلبنان، ابتداءاً من سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م ، والى سنة إعداد هذه الدراسة في ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م .

٥ – مدرستا النجف الأشرف وقم

والمدرسة هنا عبارة عن الأجواء العلميّة الفقهيّة، من جهة، والآراء والاتجاهات السياسية والفكريّة، من جهة ثانية، والتوجيه المرجعي، من جهة ثالثة... وذلك ضمن عوامل عدّة، أدّت إلى أن تتميّز بهما، جامعتان فقهيّتان معاصرتان – حوزتان –، (النجف الأشرف وقم)، والتي انعكست على المستوى العلميّ، والمتبّنى السياسيّ، والقيادة المرجعيّة، لكلا الحوزتين الواسعتين، وإسقاطات ذلك كلّه – وربما أمور أخرى – على خريجي كلّ من

١- الشرتوني، سعيد: أقرب الموارد، ٣٥٤/١.
٢- سورة العصر، الآيتان ١،٢.
٣- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٤٨.
٤- الشيرازي، ناصر مكارم: التفسير الأمثل، ٤٣١/٢٠.
٥- الحلي، جعفر بن الحسن: شرائع الإسلام، ٦١/١. وبه قال الشافعي وأصحابه والأوزاعي والليث ومالك وقال أبو حنيفة: أول العصر إذا صار كل شيء مثليه وآخره إذا اصفرّت الشمس. (الطوسي، محمد بن الحسن: كتاب الخلاف، ٢٥٩/١).

هاتين الحوزتين العلميّتين، في الأقاليم الشيعيّة بالعالم.

وسنأخذ علماء لبنان الشيعة، وطلبة العلوم الدينيّة الشيعيّة، والحوزات الشيعيّة به، نموذجاً في دراستنا هذه، ضمن دراسة مقارنة وميدانيّة لآثار المدرستين الفقهيتين.

وأما النجف الأشرف وقم ، كمدنيتين فقد سبقت ترجمتهما.

المبحث الأول

الجذور التاريخية لحوزات لبنان الشيعيّة

حتى نصل إلى اكتشاف الجذور التاريخيّة لحوزات لبنان، لا بدّ من مواكبة نشأة أولى مراكز الحوزات الشيعيّة تاريخياً، ومسايرتها، راصدين زمن ارتباط حوزات لبنان، بتلك المراكز ، التي كان أوّلها ؛ مركز بغداد الحوزوي.

أولاً: مركز بغداد (٢٥٥-٤٤٧هـ)

برزت بغداد، كأول حاضرة إسلاميّة، تحتضن أكابر الفقهاء الشيعية، بعد عصر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وكان لذلك البروز أسباب، منها وجود الوكلاء الأربعة لآخر إمام من أئمة الشيعة بها[١]، وما تبع ذلك، من استقطاب لعلماء الشيعة، وفقهائهم، مما شكّل أرضيّة لهذا البروز.

ومن الأسباب المهمة كذلك، الوضع السياسي الملائم، حيث خضعت بغداد منذ سنة ٣٣٤هـ الى سنة ٤٤٧هـ ، لسلطة أمراء بني بويه الشيعة، وما يعني ذلك من أجواء آمنة – على أقلّ تصوّر – غير الدعم والتأييد المترقّب. إنّ الوضع السياسي وما يتبعه من أجواء وظروف أمنيّة، سيُسهم في نشأة حوزات شيعيّة ونموّها ببلدٍ ما، أو ضمورها وربّما موتها ببلد آخر. فهناك تلازم بين تطوّر الدراسة الحوزويّة وبين استقرار الأوضاع الأمنيّة، واستمرّ هذا التلازم إلى عصرنا الحالي. وسنجد في تاريخ حوزات جبل

١- كانت بغداد موضعاً لمقر أربعة فقهاء شيعة ، تولّوا مهمّة السفارة بين الإمام محمد بن الحسن المهدي ، وبين عموم الشيعة وهم أ- الشيخ عثمان بن سعيد العمري السمّان (ت: ٢٥٦هـ)، ب – الشيخ محمد بن عثمان بن سعيد العمري (ت: ٣٠٥هـ) ، ج – الشيخ الحسين بن روح النوبختي (ت: ٣٢٦هـ) ، د- الشيخ محمد بن علي السمري (ت: ٣٢٩هـ). عُرف هؤلاء بالسفراء الأربعة تارة وبالنواب أُخرى، وتعرف فترتهم بالغيبة الصغرى، وقبورهم لا تزال معروفة ببغداد. (القميّ ، عباس : الكنى والألقاب ، ٣/٢٦٦-٢٦٨).

عامل مصاديق عدّة لهذه المسألة.

وقد ضمرت حوزة بغداد سنة ٤٧٧هـ، حينما زالت سلطة البويهيّين عنها، وحلّت محلّها السلطة السلجوقيّة [١].

إن أبرز فقهاء الحوزة الشيعيّة الأولى ببغداد، هم:

١- الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي المعروف بالشيخ المفيد[٢]

ولد سنة ٣٣٦هـ ، وتوفي ببغداد ودفن بها سنة ٤١٣هـ "يعرف بابن المعلم، محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف، له نحو مائتي مصنّف... كانت له صولة في دولة عضد الدولة"[٣].

ولكنّ الانسجام مع البويهيّين، لم يكن على نحو الدوام، فقد تغيّر حتى نفي الشيخ المفيد خارج بغداد مرتين، في سنتي ٣٩٣ و٣٩٨هـ[٤]، في عهد

١- السلجوقيون: قوم ينتسبون إلى سلجوق بن تُقاق، أحد رؤساء الأتراك، وكانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر، في مكان يبعد عن بخارى بعشرين فرسخاً (والفرسخ أربعة أميال) ، وهم نوع من الأتراك الغز ويتصل نسبهم بالجدّ الأكبر لسلاطين الأتراك العثمانيين .. وطغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق هو الذي دخل بغداد عام ٤٤٧هـ . (حسن ، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ، ٤/١٦،٧).

٢- لقّبه بذلك، المتكلّم المعتزلي علي بن عيسى الرّماني (ت: ٣٨٤هـ) ببغداد ، وهو لم يزل شاباً يافعاً. وقد اثبت صاحب أعيان الشيعة أسماء ستة وخمسين عالماً وفقيهاً أخذ عنهم ، وعناوين مائة وسبع وتسعين كتاباً ورسالة ومسألة ألّفها في نواح من العلم متعددة (الأمين ، محسن : أعيان الشيعة، ١٤/٢٥٢-٢٥٦) .

٣- الزركلي، خير الدين : الأعلام، ٧/٢١.

٤- ابن الأثير، علي بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، ٧/٢١٨، ٢٣٩.

وهذا النفي، الذي نال الشيخ المفيد، حاول البعض تصويره؛ بأنه تغيّر من قبل البويهيين ضده وضد التشيّع عموماً، نتيجة ضغط سياسي، وأنّه نتيجة لهذا الضغط السياسي، حاول البويهيّون مواجهة القوى، المتخذة من النفوذ السنّي مبرراً للوصول إلى الحكم، بمبادرة التخلّي عن الهوية الشيعيّة، والظهور بمظهر الخلافة العباسية السنيّة". (القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية ص٢٢). ولكنني أرى، أنّ نفي الشيخ المفيد، لم يكن تغيّراً من البويهيّين، بقدر ما كان تصرفاً يقصد به تهدأة الأوضاع السياسية المذهبية الملتهبة آنذاك. وبذلك فإني أوكد ما أورده السيد محسن الأمين، بقوله: " وعلى رغم من كل هذه الوجاهة والجلالة، فقد اضطرت السلطات الحاكمة قمعاً للفتن الطائفية والاضطرابات المذهبية، الى نفيه مرتين خارج بغداد". (الأمين،=

عضد الدولة. ورغم الأجواء الإيجابيّة عموماً، لفقهاء الشيعة ببغداد في فترة السلطة البويهيّة، "إلّا أن المؤسسة الدينيّة، المتمثّلة بالفقهاء، لم تسجّل أيّ نشاط سياسي يخدم السلطة البويهيّة، بشكل مباشر، أو تسهم في مناصب حكوميّة مهمّة، بل حرصت على أداء وظيفتها بطريقة متوازنة، مع الظروف السياسيّة غير المستقرة" [1]. ولم نشهد طوال الفترة البويهيّة، حضوراً واضحاً لأطروحة (ولاية الفقيه)، لأن البويهيّين لم يكونوا متديّنيين، أو لم يحاولوا الظهور بمظهره على الأقل، من جهة، ولعدم نضوج هذه الفكرة، أو حتى طرحها في تلك الفترة المتقدّمة، من الحوزات الشيعية من جهة ثانية .

ولم يذكر التاريخ شيئاً عن اهتمام الشيخ المفيد، بشيعة لبنان ورعاية شؤونهم الدينيّة – موضوع بحثنا – ولكنّ صيتهُ كان قد بلغ الشيعة هناك، وانعكس ذلك في رثاء شاعر صور؛ عبد المحسن بن غليون الصوري، كما تقدّم (ص٤٥).

ولا نجزم بنفي ذلك الاهتمام، ولكنّ لم يصل إلينا شيء، وحتى لو ثبت عدم الصلة بينه وبين اللبنانيّين آنذاك، فإن الشيخ المفيد بتقلّده مركز الزعامة الدينيّة ببغداد، وإبراز تفوّقها، عبر مناظراته، مع متكلّمي المدارس الفكريّة والفقهيّة آنذاك[2]، وتحديد معالم المرجعيّة الشيعيّة، قد شدّ الى بغداد، أنظار الشيعة في كل مكان، فهو بهذا يكون قد مهّد لمن جاء بعده. خاصّة إذا علمنا، أنّ مبعوث مركز بغداد إلى أهل طرابلس، من الشيعة، هو من أبرز تلامذة الشيخ المفيد، وهو الشيخ عبد العزيز بن نحرير، المعروف

= محسن: أعيان الشيعة، ١٤/ ٢٥٣).

١- القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص١٩. نؤكد على هذه النقطة، كي نقارنها بما سيكون عليه بعض فقهاء الحوزات اللبنانيّة، بعد عدّة قرون من اندماج وتأييد كبيرين منهم للدولة الصفويّة بإيران. وكأن تصرّف فقهاء بغداد الشيعة، سيبقيها السمة المميزة لأخلافهم من فقهاء النجف الأشرف؛ في إعراضهم عن الوظائف السياسية مستقبلًا (الباحث).

٢ -انعكس ذلك على بعض الكتب منها: (ابن النديم، محمد بن اسحاق : الفهرست ،ص٢٥٢) و(التوحيدي، أبو حيّان: الإمتاع والمؤانسة، ١/ ١٤١) و(اليافعي، عبد الله : مرآة الجنان، ٣/ ٢٨).

بالقاضي، أو ابن البرّاج (ت ٤٨١هـ)[١]. وربما كانت بدايات الاهتمام بلبنان وشيعته، قد برزت في عهد الشيخ المفيد.

٢ – الشريف المرتضى السيد علي بن الحسين الموسوي (عَلَمُ الهدى) (٣٥٥–٤٣٦هـ)

" نقيب الطالبين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، مولده ووفاته ببغداد، له: أمالي المرتضى، الشافي في الإمامة، والانتصار في الفقه، وتنزيه الأنبياء..."[٢]. ورث زعامة مركز بغداد بعد وفاة أُستاذه الشيخ المفيد، وكان أبوه نقيب الطالبيّين قبله، وهو الشريف الحسين بن أحمد الطاهر الموسوي، وكان ذا نفوذٍ سياسيٍّ، مكّنه من إجراء مصالحة بين الدولتين الشيعيّتين آنذاك؛ الحمدانيّين بحلب، والبويهيّين ببغداد[٣]. حتى خاف منه البويهيّون، فأودع السجن بضع سنين، وورث ولده الشريف الرضي طموحه السياسي هذا[٤]، فيما انصرف ولده الآخر الشريف المرتضى للفقه والكلام.

ومما تميّز به الشريف المرتضى، وهو ما يخصّ موضوع بحثنا، توسّع مرجعيّة مركز بغداد، حيث اتجهت إليه الشيعة، حتى من خارج العراق، وهذا ما انعكس على كثرة المراسلات، بين المرتضى وعموم الشيعة، في موضوعات فقهيّة، وكلاميّة، وتاريخية متنوّعة، طبعت بعد ذلك باسم (رسائل الشريف المرتضى).

١- الأفندي، الميرز عبد الله: رياض العلماء، ٣/١٤١.
الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/١٥٢.

٢- الزركلي، خير الدين: الأعلام ٤/٢٧٨.

٣- القزويني، جودت: المؤسسة الشيعية، ص٢٦.

٤- الشريف الرضي الموسوي، أبو الحسن محمد بن الحسين، نقيب العلويين ببغداد، من الشعراء المبرزين يروي عنه الشيخ الطوسي (القادم) له هيبة وجلالة وتقشف وكانت له امارة الحاج والمظالم مراراً... لهُ المتشابه في القرآن، كتاب نهج البلاغة، الخصائص، تلخيص البيان، مجازات الآثار النبوية. ولد ببغداد ٣٥٩ وتوفي بها ٤٠٦هـ. (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ٢/ ٢٦١) (القميّ ، عباس : الكنى والألقاب، ٢/٢٣٣).

أمّا بالنّسبة لشيعة لبنان، فإننا نجد الاهتمام بهم في اتجاهين:

الأول: رسائل المرتضى، إلى أهل طرابلس وصيدا، من الشيعة، بما عُرف بـ (الرسائل الطرابلسّية الأولى والثانية والثالثة والرابعة)، و(الرسائل الصيداويّة).

الثاني: وهو التطوّر الأهم، والذي تجسّد في إرسال مركز بغداد أيام الشريف المرتضى، فقيهين كبيرين الى طرابلس وصيدا وصور، وهما:

أ – الشيخ عبد العزيز بن نحرير القاضي ابن البرّاج (ت: ٤٨١هـ) الذي مكث بطرابلس عشرين أو ثلاثين سنة – قاضياً. "وكان في زمن بني عمّار أمراء طرابلس" [١] .وأورد صاحب أعيان الشيعة، ترجمة مقتضبة عنه، في حين أنّ المتوقع توسعتها، لما لهُ من أثر في نشر التشيع بلبنان، الذي ينبغي أن يأخذ اهتماماً أوسع، من المصنِّف.

ب – الشيخ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت:٤٤٩هـ)، الذي أُرسل إلى صور وصيدا، وأطرافهما. ويذكر كذلك، أنه كان أستاذ الشيخ ابن البّراج، وعرّفته بعض مصادر علم الرجال، بأنه نزيل الرملة البيضاء. وقيل عنه: بأنه "من أجلّة العلماء والفقهاء والمتكلمين" [٢]. والصفة الأخيرة مهمّة، في القيام بمهماته ببلاد الشام، كما وألّف كتباً ورسائل منها: (تلقين أولاد المؤمنين)، مما يشير الى الهدف الذي وضعه لنفسه في هاتيك الربوع. و(المتمسّك بحب آل الرسول) "وكانت وفاته بصور" [٣].

١- (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٢٤/١٢–، (القمي، عباس: الكنى والألقاب، ٢٢٤/١)،(الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الأمل، ١٥٢/٢، (ويعبّر عنه "عز المؤمنين"!).

٢- (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء ١٤٠/٥ ." توفي سنة ٤٤٩هـ، والكراجكي نسبة إلى كراجك" قرية على باب واسط) (القمي، عباس: الكنى والألقاب، ١٠٨/٣). عناوين مؤلفاته عليها طابع علم الكلام، والحوار في قضايا الإمامة. (راجع الحر؛ محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢٨٧/٢).

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٤٦/١٤.

ولو تأملنا عناوين آثار الكراجكي، لوجدنا أن طابع المناظرات الكلاميّة في الإمامة، وما يؤيّد أقوال الشيعة فيها، قد أخذت جانباً مهمّاً من مؤلفاته. فإذا عرفنا طول مدّة مكوثه، في بعض مدن لبنان، استطعنا أن نجمع بعض الخيوط عن نشاطاته بها. خاصّة عنوان رسالته السابقة (تلقين أولاد المؤمنين).

ومن جانب آخر، فقد أوردت بعض كتب التراجم، اسم (الشيخ أبو الفتح الصيداوي)، وعرّف عنه، بأنه: "من أعاظم تلامذة بعض تلاميذ السيد المرتضى". فإذا أضفنا إليها معلومة أن القاضي ابن البرّاج، والذي كان ثاني الاثنين من تلامذة المرتضى بلبنان وأطولهما عمراً، ترجّح أن يكون أبو الفتح الصيداوي هذا، تلميذاً لابن البرّاج القاضي، بل قد جزمت بذلك بعض الكتب الرجاليّة [١]، وبهذا أمكننا اكتشاف أول فقيه شيعيّ لبنانيّ يأخذ الفقه على فقيه من فقهاء حوزات العراق القديمة، ومنه يتبين أنّ نشاطاً تثقيفيّاً خاصّاً كان للشيخ ابن البرّاج، تجسّد في إعداد فقهاء، إضافة إلى نشاطه التبليغيّ العام.

ولم نجد – حسب التتبّع – من اهتمّ، أو ترجم بشكل واضح، للشيخ أبي الفتح الصيداوي، بل وجدنا بعض أبرز الباحثين، المهتمّين بمجالات بحثنا، لا يعرفه، فراح يسأل عن اسمه وأين تُرجم له[٢].

٣ – الشيخ محمد بن الحسن الطوسي الملقّب بشيخ الطائفة (٣٨٥ – ٤٦٠هـ)

فقيه ومفسّر، نعته السبكي بفقيه الشيعة ومصنّفهم، انتقل من خراسان إلى بغداد سنة ٤٠٨هـ، وأقام أربعين سنة، ثم رحل الى الغريّ بالنجف

١- (بحر العلوم، محمد مهدي: الرجال٢/٤٧١)، (الأمين، حسن: مستدركات أعيان الشيعة، ١/٩٦).

٢ -كان ذلك في مقابلة شخصية مع الشيخ د. جعفر المهاجر، صاحب المؤلفات المهمة، في تاريخ لبنان الشيعي، وتراجم علمائه، يوم الجمعة ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٨هـ/١٣ نيسان ٢٠٠٧، الساعة ١٠ صباحاً بدار الهادي، بضاحية بيروت الجنوبية، وسيكون اكتشاف الشيخ أبي الفتح الصيداوي حدثاً مهماً، في تاريخ الحركة العلميّة الشيعيّة بلبنان. (الباحث).

فاستقرّ بها إلى أن توفي. أُحرقت كتبه عدة مرات بمحضر من الناس[1] "نظراً لغزارتها"[2] وكانت المرّة الأخيرة لإحراقها مع مجيء السلاجقة إلى بغداد واستيلائهم عليها سنة ٤٤٧هـ، حيث كبست داره، وأُحرقت كتبه، وكرسي الكلام الذي يلقي عليه دروسه.

ونظراً لما احتلّه الشيخ الطوسي، من مكانةٍ علميّة رفيعة، فقد أوكل إليه الخليفة العباسي القائم بأمر الله[3] (كرسيّ الكلام) ، الذي كان يلقي من خلاله، دروساً على طلبة مختلف المذاهب الإسلاميّة ببغداد آنذاك.

لكنّه اضطر الى ترك دروسه، وهجرة داره ومدرسته، حتى خرج من بغداد، ومعه بعض تلامذته الى النجف. وهكذا هجر المركز المرجعي الشيعي الأول ببغداد، لينتقل الى النجف الأشرف، وليؤسّس لأعرق حوزة علميّة شيعيّة قائمة في العالم .

ثانياً: مركز النجف الأشرف: (٤٤٨-٥٥٥هـ)

سبقت الإشارة، إلى أنّ من الأسباب، التي هيأت لبغداد، أن تتبوأ المركز المرجعيّ الشيعيّ الأول؛ استقرار الوضع الأمني، ولهذا تغيّر الأمر، مع انتهاء فترة البويهيّين، ومجيء السلجوقيّن.

فقد تركت بغداد، بعد مضي اثنتي عشرة سنة، من مرجعيّة الشيخ الطوسي، الذي اضطر للانتقال، منها الى النجف، عام ٤٤٨هـ، والتي بقي بها اثنتي عشرة سنة أخرى، حتى توفي بها سنة ٤٦٠هـ[4]، وقبره لا يزال معروفاً. ولكنّ الحضور العلمي للشيخ الطوسي، ظلّ فاعلًا وبقوة لما يقارب

١- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٦/٨٤.

٢ - القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص٣٠ . ولا أجد غزارة الكتب مدعاة لحرقها(الباحث).

٣- القائم بأمر الله العباسي: (٣٩١-٤٦٧هـ- "عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله العباسي، أبو جعفر القائم بأمر الله "خليفة من العباسيّين في العراق. ولي الخلافة بعد وفاة ابيه (سنة ٤٢٢هـ) بعهدٍ منه، وكان عادلًا كثير الرفق بالرعيّة، له فضل وعناية بالأدب والإنشاء" .(الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٤/٦٦).

٤- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/٢٨٧.

مائة عام بعد وفاته، ولم يجرؤ أحد على مناقشة آرائه واجتهاداته.

وفيما يتعلق بموضوع بحثنا، فقد بقي الشيخ الطوسي، متواصلًا مع شيعة لبنان، عبر وكيله الشيخ عبد العزيز بن البرّاج القاضي، الذي عُرّف في بعض الإجازات، بأنه: "الشيخ السعيد، خليفة الشيخ الإمام أبي جعفر، محمد ابن الحسن الطوسي بالبلاد الشاميّة"[1]. حيث نجد أنّ التواصل ظلّ قائماً، مع مرجعيّة بغداد، حتى بعد وفاة السيد المرتضى، وانتقال زمامها إلى الشيخ الطوسي. ولعلّ هذه الحالة تعتبر من أعرق حالات، ما عُرف بالوكالة عن مركز المرجعيّة الدينيّة، التي تمنح إلى علماء المناطق والأقاليم خارجه.

ويبدو أنّ الاهتمام بشيعة لبنان، لم يبلغ مستوى اهتمام مرجعيّة السيّد المرتضى، ورسائله المتبادلة مع شيعة بعض مدنٍ لبنانية، أو علاقات مع شعرائها، ونشاطات أُخرى.

ولعلّ ما حلّ بالشيخ الطوسي؛ من ترك بغداد، وتفرّق حوزته العلميّة، كان من الأسباب المهمّة، لتضاؤل اهتمام مركز النجف المرجعي بشيعة لبنان، وربّما أقاليم شيعيّة أخرى.

ورغم أنّ وفاة الشيخ الطوسي بالنجف، كانت عام ٤٦٠هـ، وكانت وفاة الشيخ ابن البّراج بطرابلس، سنة ٤٨١هـ [2]، فأنّه لمْ تسجّل أيّة معلومة، حول علاقة الأخير بابن الشيخ الطوسي؛ الشيخ أبي علي الحسن بن محمد ابن الحسن الطوسي (ت بعد ٥١٥هـ)، والذي تولّى مرجعيّة مركز النجف، بعد وفاة أبيه، فضلًا عن تسجيل أيّ دليل، عن دعمه أو اهتمامه، بلبنان وشيعته.

١- الأفندي،الميرزا عبد الله: رياض العلماء،١٤٢/٣ وفي الوقت الحاضر، استعيض عن الخليفة للمرجع بمصطلح (الوكيل). وهي صفة تؤخذ، في تراجم بعض العلماء الشيعة المترجمين، فيقال عن أحدهم: أنّه كان وكيلًا عن المرجع الفلاني، والمرجع الفلاني، وكلمّا كثرت وكالاته، عن المراجع، كان ذلك مؤشراً على منزلته العلميّة، ودرجة وثاقته. (الباحث).

٢- وهو اطول عمراً، من مبعوث حوزة بغداد الآخر؛ وهو الشيخ أبو الفتح الكراجكي، المتوفى سنة ٤٤٩هـ. (الباحث).

ومن جهة أُخرى فإنّ التاريخ لم يسعفنا – إن لم ينفِ لنا – بأيّ دليل على أنَّ المرجعيّة الدينيّة بالنجف الأشرف، والتي استمرّت لما يزيد على مائة عام، (٤٤٨–٥٥٥هـ)، كانت قد أرسلت فقيهاً آخر إلى لبنان، بعد وفاة الشيخ ابن البرّاج سنة ٤٨١هـ، أي في حياة ابن الشيخ الطوسي، إلّا إذا احتملنا، أنّه اعتمد الشيخ جمال الملك، ابن الشيخ القاضي ابن البّراج الطرابلسي، بعد وفاة أبيه وأمضى وكالته له.

لقد دخل تاريخ الشيعة بلبنان عامةً، وتاريخ الحركة العلميّة الشيعيّة بها خاصّة، فترة غياب معلوماتي غريبة، منذ وفاة الشيخ ابن البّراج سنة ٤٨١هـ، حتى بروز الفقيه اللبناني الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت: ٥٨٠هـ) ، والذي كان أولّ حالة تسجّل تاريخياً، عن اتصال بين فقهاء لبنان الشيعة، وبين مركز الحلّة، الذي انتقلت إليه المرجعية الشيعيّة في عهد سبط الشيخ الطوسي؛ الشيخ ابن ادريس الحلّي، محمد بن منصور (٥٤٣–٥٩٨هـ)، الذي نقل حلقات العلم الى بلدته الحلّة، واستمرّت بمرجعيّتها الدينيّة الشيعيّة لثلاثة قرون متتالية.

فما أسباب هذا الغياب الغريب؟ نحاول الإجابة بعدة افتراضات:

١– إنّ من أرّخوا للحوزات الشيعيّة، وحركتها العلميّة، كانوا قد وصفوا عهد الشيخ الحسن بن محمد (ت: بعد ٥١٥هـ)، (ابن الشيخ الطوسي)، بأنه عهد جمود فقهي، حيث تعطّلت الحركة الاجتهاديّة[١]، فما كان أحد يجرؤ، على مخالفة آراء الشيخ الطوسي؛ لما تركه من هيبة في نفوس العلماء. فهل أنّ هذا الجمود الفكري أو الاجتهادي، ينسحب إلى جمود في نواحٍ أخرى، ومنها مسألة اهتمام المركز المرجعيّ، بأوضاع الشيعة خارجه؟ وهو تصوّر يطرح في هذه الفرضية[٢]. أي أن، من أسباب هذا الغياب، حالة الجمود، التي أصابت مركز النجف الأشرف آنذاك.

٢– لا شكّ، أن وجود الشيخ ابن البرّاج، وقبله وجود الشيخ الكراجكي، قد تركا أثراً

١- الفضلي، عبد الهادي: تاريخ التشريع الإسلامي، ص٣٤٤.

٢- آل قاسم،عدنان فرحان: الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ص٢٨١.

في شيعة لبنان، بنحو أو آخر، وهنا نثير ما يلي:

أ- ألم يستطع هذان الفقيهان، إعداد من يريانه مناسباً من اللبنانيين، للقيام بمهمتهما، أو على الأقل، إرساله إلى المركز الشيعيّ الجديد بالنجف ، لمواصلة المهمّة التبليغيّة الفقهيّة؟ خاصّة وأنّ الشيخ ابن البرّاج كان له ابن هو الآخر من العلماء، واسمه جمال الملك ويلقب بالطرابلسي كذلك، مما يترجّح أنّ محل دراسته على أبيه كان بطرابلس، وهذا ممّا يزيد في احتمال وجود طلبة علم آخرين، ربما كانوا يشتركون معه في الدراسة على أبيه.

ب- ولو فرضنا أنهما لم يهتما بذلك، أو أنهما لم يوفقا له، فأين غاب وجهاء الشيعة، وشخصيّاتهم، في المدن اللبنانيّة، التي شهدت وجوداً شيعياً ملحوظاً؟ ألم يفكّروا بمراسلة مراكز المرجعيّات الشيعيّة، بشأن هذه المهمّة، ومن يكملها بعد ابن البرّاج والكراجكي؟.

٣- هناك قضيّة أخرى جديرة بالتأمّل، وهي: أنّ العراق يضمّ بعض مراقد أئمة المسلمين، ولا سيّما الشيعة منهم، وفي مقدمة تلك المراقد؛ مرقد الإمام علي بالنجف، والإمام الحسين بن علي عليه السلام بكربلاء[1]، وحركة الزائرين الشيعة، علماءً وعامةً، متوقفة إلى تلك المراقد، فلِمَ لمْ يحدّثنا التاريخ عن لقاء ما أو طلب ما أو حوارٍ ما، جرى بين شيعة لبنان، وعلماء المدن المقدسة أو عامّتهم؟.

٤- كما يجب ألّا يغيب عنا، ونحن بصدد دراسة الأسباب، التي حالت دون الاتصال الفقهي والمعرفي، بالمراكز الشيعيّة بالعراق آنذاك، حدث بالغ الأهميّة، أدّى إلى انهيار دولة بني عمّار الشيعية بطرابلس، ونزوح شيعي من طرابلس الى بقية نواحي لبنان. وهو ما تمثل بالهجمة الصليبيّة على طرابلس، حتى سقوطها بيد الصليبيّين عام ٥٠٢هـ والذي أحدث ولا ريب – إرباكاً في الحياة العامة ومنها

١- كربلاء : " بالمد، وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي، رضي الله عنه في طرف البريّة عند الكوفة فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين ... فيجوز على هذا، أن تكون أرض هذا الموضع رخوة... ويقال : كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها... فيجوز على هذا، أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى،... وروي أن الحسين قال : ما اسم هذه الأرض التي نحن فيها ؟ قالوا : كربلاء فقال : أرض كرب وبلاء " (الحموي، ياقوت: معجم البلدان ، ٤/٤٤٥). وتبعد ١٠٠ كيلو متر عن بغداد جنوباً (الباحث).

الناحية الفقهيّة العلميّة. والذي قد يكون سبباً مهمّاً حال دون تواصل شيعة لبنان مع مرجعيّة النجف.

٥- لا يعقل أنّ الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني، ينبع من الأرض، بلا مقدّمات ولا وجود علمائي – ولو على نطاق ضيّق – يشكلّ الاتصال التاريخي والمعرفي، بينه وبين مبعوثي مرجعيّة بغداد، إلى لبنان؛ الشيخين الكراجكي وابن البرّاج. فأين أولئك العلماء، الذين كانوا يشكّلون حلقات الاتصال، بين الشيخ العودي، وبين الشيخين الكراجكي وابن البرّاج[١].

ومن هنا تبرز أهمية الشخصيّة العلميّة الشيعيّة ، التي اكتشفناها، وهو الشيخ أبو الفتح الصيداوي.

والذي قد جاء في ترجمته: " أنّه من أعاظم تلامذة بعض تلاميذ السيد المرتضى". وبعض تلاميذ السيد المرتضى هنا، هو الشيخ ابن البرّاج، مما قد يؤشّر، على وجود تلامذة آخرين، للشيخ ابن البرّاج، كانوا أقراناً لأبي الفتح الصيداوي.

ولعلّ من الجدير ذكره هنا: أنّ نشاطاً علميّاً بارزاً، قد سُجّل بحلب، كان المبرز هناك من علماء الشيعة، السيد أبو المكارم حمزة بن علي الحسيني، المعروف بـ (ابن زُهرة الحلبي)[٢] (٥١١–٥٨٥هـ)، والذي كان له مرتبة علميّة كبيرة، عند علماء الشيعة، ولا تزال بعض آرائه تدرّس الى الآن. ويكتسب هذا المركز، أهمية في بحثنا، نظراً للتقارب الجغرافي، وللتعاطف المذهبي، بين حلب وشيعة لبنان، خاصّة مع ترجيحنا فرضيّة أن التشيّع،

١- لم تجب عن هذا التساؤل حتى آخر البحوث والدراسات، التي نشرت مثل: كتاب(تاريخ المرجعية الشيعية، لمؤلّفه د.جودت القزويني)، أو كتابا (التاسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية) و (جبل عامل بين الشهيدين) لمؤلفهما د. الشيخ جعفر المهاجر. (الباحث) .

٢ - "السيد حمزة بن علي الحسيني: أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، العالم الفاضل الجليل الفقيه، صاحب المصنّفات الكثيرة في الإمامة والفقه والنحو وغير ذلك. وهو وأبوه وجدّه وأخوه أبو القاسم عبد الله بن علي، وابنه محمد بن عبد الله، كلهم من أكابر فقهائنا، وبيتهم بيت جليل بحلب، وقبره بحلب بسفح جبل جوشن عند مشهد السقط" (القميّ، عباس: الكنى والألقاب، ١/٢٩٩) .

إنما انتقل أساساً إلى جبل عامل، من حلب مروراً بطرابلس، وكذلك كان مسير النشاط العلمي، وحركته.

هذه هي أهم الأسباب المتصوّرة، لتلك الفجوة العلمية، التي مرّت بتاريخ الحركة الفقهيّة الشيعيّة بلبنان، منذ عهد مبعوثي المرجعية إليهم، حتى بروز الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزّيني.

ثالثا: مركز الحِلّة:(٥٧٥ – ٨٦٢ هـ)

لقد انتقلت المرجعيّة الشيعيّة، ومركز حوزتها العلميّة، إلى مقرّها الثالث، بعد بغداد، والنجف. وستبرز في عالم الفقهاء والعلماء ألقاب (الحلّي) نسبة إلى هذه المدينة، التي احتضنت الحركة العلميّة الشيعيّة. وكان لوجود الأمراء المزيديّين الشيعة[1]، أبلغ الأثر في توفير أجواء الاستقرار الأمني والسياسي، الذي لا بد منه لانطلاقة العلم وبروز العلماء...

ومن أهم ميّزات حوزة الحلّة ومركزها العلمي، بالنسبة لموضوعنا، أنّ مركز الحلّة شهد أوّل تبادل علمي ومرجعيّ، بين شيعة لبنان وعلمائهم من جهة، والمرجعيّة الشيعيّة من جهة أخرى. فقد ازدهرت الحركة العلميّة والتواصل المعرفي، بين مدارس جبل عامل وحوزاته وفقهائه، وبين الحلّة وحوزتها وفقهائها المراجع.

وفي ظلّ هذه الفترة، سنبدأ بمتابعة الحركة العلميّة الشيعيّة بجبل عامل خاصة، بعد أن تركّز النشاط الشيعي به، دون بقيّة أقاليم لبنان لأسباب مرّت بنا. ولتسليط الضوء – بصورة مختصرة – على مركز الحلّة المرجعيّ والعلميّ، سنعرض بإيجاز أبرز فقهائه، وأبرز أدوارهم:

١- المزيديون: أُمراء الحلّة منهم الأمير صدقة بن دبيس الأسدي (ت:٥٠١هـ) صاحب الحلّة السيفيّة المنسوبة إليه، وابنه دبيس وأخوه بدران بن صدقة. حكموا الحلة ومناطق أُخرى في العراق من (٣٨٧ – ٥٥٨هـ) وكان أغلب امرائها من الأدباء، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة ٢٧٤/١)، (القزويني، جودت: المؤسسة الدينيّة الشيعيّة، ص ٧٣) و(زميزم، سعيد رشيد: دول الشيعة عبر التاريخ، ص ٢١٥).

أ – الشيخ ابن ادريس الحلّي بن أحمد العجلي (٥٤٣–٥٩٨هـ). وهو سبط الشيخ الطوسي، وقد تبنّى نقد آراء جدّه، ليُخرج فقهاء الشيعة من حالة الجمود الفكري والاجتهادي، حيث كانوا يتحرّجون من مخالفته. وهو الذي نقل المرجعيّة من النجف الأشرف الى الحلّة.

ب – المحقّق الحلّي: الشيخ جعفر بن الحسن بن يحيى الهُذلي[١] (٦٠٢–٦٧٦هـ). حيث تبرز أهمية مرجعيّته، بحضوره العلمي الكبير من جهة، وما شهده عصره، من هجرة عامليّة علميّة، بدأت ببضعة علماء مهاجرين إلى الحلة. ففي عصر المحقّق الحلّي، كان التواصل واضحاً، بين فقهاء لبنان الشيعة وبين مركز الحلّة. ومن تلامذته العامليين: الشيخ يوسف بن حاتم المشغري، (كان حياً سنة ٦٦٤هـ).

ج – السيد ابن طاوس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر الحسني، (ت:٦٦٤هـ). كان من المعاصرين للمحقّق الحلّي، وتولى منصب نقابة الأشراف [٢]. ومن التطوّرات اللافتة في هذه الفترة، بروز فقيه من حمص، وهو الشيخ أحمد بن علي بن معقل الأزدي الغساني (٥٦٧–٦٤٤هـ)، إذ قرأ في الحلّة، ثم عاد إلى حمص، ثم تركها وسكن بعلبك [٣].

وكان من نتائج ذلك؛ بروز " أول فقيه بعلبكي، كان تلميذاً لابن معقل الحمصي، وهو أحمد بن محسّن بن عليّ الأنصاري البعلبكي (٦١٧–٦٩٩ هـ)[٤].

د – العلاّمة الحلّي: الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسدي (٦٤٨–٧٢٦هـ). ازدهرت حوزة الحلّة في عهده، فبلغ عدد المجتهين فيها أربعمائة وأربعون[٥]. والعلّامة الحلّي هو الذي شيّع السلطان محمد خدا بنده (ت ٧١٦هـ)[٦] وذلك

١- (القمي، عباس: الكنى والألقاب: الكنى والألقاب ١٥٤/٣)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ٤٨/٢)، (الأفندي ،الميرز عبد اللّه: رياض العلماء ١٠٣/١).

٢- (القمي، عباس: الكنى والألقاب، ٣٣٩/١)، (الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢٠٥/٢)، (الأفندي، الميرزا عبد اللّه: رياض العلماء، ٢٤/٦).

٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بُغية الوعاة، ٣٤٨/١.

٤- المهاجر ، جعفر : التأسيس لتاريخ الشيعة ، ص١١١.

٥- الأفندي، الميزار عبد اللّه: رياض العلماء، ٣٦١/١.

٦- السلطان محمد خدا بنده: السلطان محمد اولجايتوخان، خدا بنده، بن أرغون بن ابقاخان بن=

سنة (٧٠٨هـ) [١]. ومن تلامذته العامليّين: الشيخ صالح بن مشرف الطلّوسي (كان حيّاً أوائل ق٨هـ).

هـ - فخر المحقّقين: الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف (ابن العلاّمة) الحلّي (٦٨٢-٧٧١). عالم نابه، قيل أنّه بلغ مرحلة الاجتهاد قبل بلوغه [٢]، أوصاه أبوه بإكمال كتبه الناقصة، كثير التأليف [٣]. وأهم ما يلاقينا في تراجم تلامذته، الشيخ محمد بن مكي الجزّيني العاملي، المعروف بالشهيد أو الشهيد الأول (ت٧٨٦هـ)، والذي سوف يُحدث نقلةً نوعيةً كبرى، في وضع جبل عامل، وشيعة لبنان عامّة، في الجانب العلمي الفقهي الإجتهادي، بل وفي المرجعيّة الشيعيّة الدينيّة، وبعض الأطاريح الفقهيّة، التي ما تزال الآراء محتدمة حولها؛ مثل أُطروحة (ولاية الفقيه)، التي تبنّاها الشهيد الأول، كما سيأتي في ترجمته. وبلغ من مكانته العلميّة، أن تحوّلت قريته(جزّين) الى أول مركز علميّ كبير للشيعة بلبنان، حتى صار مقصداً للعلماء، ومنهم بعضُ أفاضل علماء الحلة نفسها وفقهائها.

وبرز (جبل عامل) مركزاً علميّاً، فراح يمشي بموازاة مركز الحلّة، وربّما يسبقه أحياناً، وبقي متألقاً حتى بعد اضمحلال مركز الحلّة، وانتقال حوزتها ومرجعيّتها، الى مناطق عراقيّة أخرى؛ كالنجف الأشرف وكربلاء. حيث ستكون لعلماء جبل عامل، وفقهائهِ، أدواراً كبيرةً، في هاتين الحوزتين، وحوزات شيعيّة أخرى، داخل العراق وخارجه.

إن البروز الفقهيّ والمرجعيّ للشهيد الأول بالحلّة، جعل من (جزّين)

= هولاكو بن تولي بن جنكيز خان المغولي: (اولجايتو) لقب له ومعناه السلطان الكبير المبارك و(خدابنده) معناه عبد الله عاش بين ٦٨٠ - ٧١٦ هـ ودفن بمدينة سلطانية، حكم اثنتي عشرة سنة تشيع على يد العلّامة الحلّي سنة ٧٠٨هـ، بعد مضي خمس سنوات من سلطنته. (الأمين، محسن: أعيان الشيعة ،١٣/٣٤٢).

١- (الأفندي، الميرزا عبد الله، رياض العلماء، ١/٣٦١)، (اللواتي، محمد بن إبراهيم: رحلة ابن بطوطة، ص٢٠٤).

٢- القمي، عباس :الكنى والألقاب، ٣/١٦.

٣- (الأفندي، الميرزا عبد الله : رياض العلماء، ٥/٧٧)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/٢٦٠).

بعد عودته إليها، مركزاً علميّاً كبيراً، يُعتبر المنطلق للنشاط الفقهي الشيعيّ بلبنان، وواضع أسس الدراسات الحوزوية اللبنانيّة؛ ومنها الحوزات المعاصرة – عنوان البحث –.

وسنترك حوزة الحلّة ومركزها، لنُيَمِّمْ وجه دراستنا نحو عنوانها الأساسي، أي نحو الحوزات الشيعيّة بلبنان، وقد كنّا بدأنا بحثنا حول المراكز الحوزيّة الشيعيّة أساساً؛ لرصد موقع حوزات لبنان منها، ومتى برزت، واحتلّت موقعها اللافت، ضمن السياق التاريخي، في عالم الحوزات الشيعيّة العالميّة.

رابعاً: مركز جبل عامل:(٧٦٠ – ١١٩٥ هـ)

سبق بروز جزّين، كأول مركز حوزوي بجبل عامل، – كما سياتي بيانه – هجرة ثمانية علماء عامليّين، إلى مركز الحلّة.

وسنذكر أسماءهم مقرونة باسماء فقهاء بارزين، من مركز الحلّة، كانوا قد درسوا عليهم، وهم:

١– الشيخ إسماعيل بن الحسين العَودي الجزّيني (ت:٨٥٠هـ) ← ابن إدريس الحلي (احتمالًا).

٢– الشيخ يوسف بن حاتم المشغري (ت: بعد ٦٦٤هـ) ← المحقّق الحلّي، وابن طاوس.

٣– الشيخ طومان بن أحمد المناري (ت: ٧٢٨هـ) ← المحقّق الحلّي، وابن طاوس.

٤– الشيخ صالح الطلّوسي بن مشرف الجبعي (ت: أواخر ق٨هـ) ← العلّامة الحلّي.

٥– الشيخ مكّي بن محمد بن حامد الجزيني (ت: أواخر ق ٨هـ) ← فخر المحقّقين.

٦– الشيخ أسد الله الصائغ الجزيني (ت: أواخر ق٨هـ) ← لم يصرّح بدراسته بالحلّة.

٧– الشيخ إبراهيم بن أبي الحسام العاملي (ت: بعد ٦٦٩هـ) ← فخر المحقّقين.

٨- الشيخ حسن بن الحسام ← فخر المحقّقين .

وإذا أضفنا الى القائمة:

٩- الشيخ محمد بن مكي الجزيني (الشهيد) ← فخر المحقّقين.

يكون عددهم (تسعة) شكلّوا أوائل الفقهاء اللبنانيين الشيعة الّذين درسوا بالحلة، وعادوا إلى بلداتهم بجبل عامل.

وبذلك نجد:

أ- أنّ أربعة منهم درسوا، على الشيخ فخر المحقّقين ابن العلّامة الحلّي، وإذا احتملنا أن الشيخ الصائغ قصد الحلّة، فلا بد أن يدرس عنده أيضاً، لأنّ من قبله ومن بعده درس عليه، فيكون العدد خمسة. وهذا يدلّ على بوادر نهضة علميّة، تميّزت بكثرة الطلبة العلماء اللبنانيّين، الدارسين على أُستاذ واحد، فيما كان عددهم لا يتجاوز الواحد أو الاثنين مع أساتذة حليّين سابقين.

ب- كانت بداية التحرّك العلمي نحو الحلّة، قد بدأت من فقيهٍ شيعيّ ،ينتمي الى أسرة شيعية حلبيّة، لجأت الى جزين مهاجرة.وهو الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت:٠٨٥٠هـ).

ج- من المحتمل أن الرائد الأول الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي، إنما قصد العراق زائراً لمشاهدها، ثم عرّج بعد ذلك على الحلّة وحوزتها. ويزداد هذا الترجيح لدينا إذا أضفنا؛ أن الحلَّة لم تكن قد بلغت آنذاك، تلك المنزلة العلميّة البارزة، التي ستكون عليها بعدئذ، أيام أبرز قممها؛ كالمحقّق، والعلّامة الحليّين، وغيرهما. وقد احتملنا أن الشيخ العَودي، قد أدرك ابن إدريس الحلّي مؤسّس حوزة الحلة، وناقل مركز المرجعيّة من النجف إلى الحلّة.

د- بروز قرى عامليّة، وهي تحتضن أوائل الدارسين، في بواكير ظهور المدارس الفقهيّة الشيعيّة بها. وأبرز هذه القرى هي (جزّين). والتي احتضنت مرجع

جبل عامل الأول، الشيخ محمد بن مكّي الجزّيني (الشهيد الأول)، حيث جاء في ترجمته، أنه " قرأ على علماء جبل عامل ثم هاجر الى العراق " [1].

ولا بُدّ من التأكيد هنا؛ أن النقاط الأربع أعلاه، وربّما غيرها، إنّما استقيناها من المعلومات التي وصلت إلينا، ولا بُدّ أن تكون الصورة آنذاك - بسعتها وتنوعها - غير هذه الصورة التي عرضت. فماذا كان يفعل أولئك العلماء الفقهاء، الذين عادوا إلى جبل عامل، وأين تأثيرهم المعرفي العام أو الفقهي الخاص؟ وهي عين النقطة التي أثيرت من قبل، مع مبعوثَي مرجعيّة بغداد إلى لبنان (ابن البرّاج والكراجكي)، وكيف أنهما لم يتركا بعدهما من يُكمل طريقهما ويواصل التخاطب، مع مراجع الشيعة وكبار فقهائها آنذاك، سواء في بغداد أو بعد انتقال مركزهم العلميّ الى النجف الأشرف. لأن ذلك يُعتبر من صميم عمل الفقيه، في أن يبثّ العلم، ويعلّم الناس أحكام دينهم. إضافة الى تأثير خاصّ على بعض المُريدين؛ في أن يتبوأوا بأنفسهم، مهمّة التفقّه والتعمّق في الدراسات الدينيّة.هذا في الحالات الطبيعية، فكيف يكون الأمر في أهمّيته على ما رجّحناه؛ من كون التشيع بلبنان غضّاً آنذاك، مما يستدعي مزيد اهتمام ورعاية، بإعداد فقهاء ينهضون بمهمة التثقيف العقدي والتبليغ الفقهي.

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧١.ولكنّه يقول في كتاب آخر له: إنّ سلسلة مشائخ الإجازة للشهيد ليست من العامليّين" (الأمين،محسن : خطط جبل عامل، ص٦٧) مما يدل على أن دراسته بجبل عامل كانت تشكلّ البدايات ولم تصل الى مستوى منح الأجازة.

إنّ قرى (جبل عامل) لم تكن لترضى، أن تظلّ إسهاماتها العلميّة منحصرة، في إيفاد طلبة العلم والدارسين، الى مركز الحلّة وحوزتها ومرجعيّتها، بل كانت تنتظر أن تتبوأ هي موقع الدراسة الفقهية أولًا، وموقع المرجعيّة الشيعيّة بعد ذلك، وتستقطب – بدورها – العلماء وطلبة العلم إليها، بعد أن كانت ترسلهم.

لقد كان لتلك الهجرة العلميّة إلى الحلّة وفقهائها، أثرٌ كبيرٌ في تحفيز القدرات العلميّة، وإبراز الأستعدادات الكامنة عند العامليّين، حتى نال بعضهم لقب (الإمام) أو (الفقيه). ولكن الشوط لمّا يكتمل بعد.

إنّ المرجعيّة الشيعيّة بالحلة، كانت في موعد مع شابٍّ عامليٍّ يافعٍ، حباهُ الله تعالى بمؤهلات وقابليات، تمكّنه أن يكون المرجع الشيعي اللبناني الأول، وينطلق بجبل عامل وحركته الفقهيّة العلميّة انطلاقة كبرى، ذلك هو الشيخ محمد بن مكي الجزّينيّ الذي سيُعرف لاحقاً بالشهيد أو الشهيد الأول، والذي سيعود إلى (جزّين)، ليلحق به بعض فقهاء الحلة أنفُسهم، إلى بلدته الصغيرة، التي ستتحوّل الى منارة علم. فمن هو الشيخ محمد بن مكي الجزيني؟

الشهيد الأول والمرجعية الشيعيّة اللبنانيّة:

هو الشيخ محمد بن مكّي بن محمد بن حامد العاملي الجزّيني النباطي (الشهيد) أو (الشهيد الأول). الشخصيّة العلمائيّة اللبنانية الشيعيّة المتميّزة. ولكي لا نغرق في تفصيلات قد تكون بعيدة عن سياق موضوعنا، فإننا نحاول أن نقف على أبرز النقاط في هذه الشخصية الكبيرة :

١- التألّق العلميّ: حينما نقف، على ترجمة الشيخ محمد بن مكي

الجزّيني، فإننا نفاجأ بأوصاف المدح، وألوان الثناء، على ما بلغه من مستوى علميّ فريد، فهو "فريد دهره عديم النظير في زمانه" [١] وشيخ الطائفة وثقتها، نقي الكلام جيّد التصانيف" و"رئيس المذهب والملّة، ورأس المحقّقين الأجلّة، شيخ الطائفة بغير جاحد، وواحد هذه الفرقة وأيُّ واحد، كان رحمه الله تعالى بعد مولانا المحقّق على الإطلاق، أفقه جميع فقهاء الآفاق" [٢].

ونظراً لهذه المنزلة العلميّة المتفردة، فقد جاء البعض بحكايات، قد لا يؤيدّها الواقع، مثل ما قيل: أنه التقى بكربلاء [٣]، حينما جاء زائراً لمشاهدها، بالعلّامة الحلّي وسأله مسائل فأجاب عنها دون أن يعرفه العلّامة، ثم قال: إن كان ولا بُد فأنت الشيخ محمد بن مكي الجزيني [٤]... مع العلم، أنّ ولادة الشيخ الجزّيني على الأشهر، كانت سنة (٧٣٤هـ) بينما كانت وفاة العلّامة الحلّي سنة (٧٢٦هـ)، أي قبل ولادة الشهيد بثمان سنين!.أو أنه "قصد الحلّة ليقرأ على العلامّة فوجده ميتاً!، فقرأ على ولده فخر المحقّقين تيمُّناً، من غير حاجة منه الى القراءة عليه" [٥]!.

وُلد الشيخ محمد بن مكي الجزيني، بجزين سنة ٧٣٤هـ ،وهاجر الى الحلّة وله من العمر ستة عشر سنة، في عام (٧٥٠هـ)، وقد أجازهُ فخر المحقّقين بعد سنةٍ من هذا التاريخ، أي (٧٥١هـ)، وهذا ما استبعدهُ بعض المحقّقين [٦]. ثم جاءت إجازات عديدة من فقهاء الحلّة وكبار علمائها آنذاك.

١- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٨١.

٢- (القمي، عباس: الكنى والألقاب، ٢/٣٧٧)، لمزيد من أقوال العلماء في الشهيد الأول يمكن مراجعة:(الأمين،محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧٠).

٣- بمدينة كربلاء مسجد يُنسب للشهيد الأول، في حي قديم من أحياء المدينة يسمى (العكيسة)بمنطقة باب السلالمة، مكتوب على بابه أنه أسس سنة ٧٥١هـ. صليت فيه يوم الجمعة ٢٣ جمادى الثانية ١٤٢٩هـ / ٢٧ حزيران ٢٠٠٨م (الباحث). وجاء اسمه بمسجد الشهيد ضمن مساجد مدينة كربلاء القديمة (الطعمة ، سلمان هادي : كربلاء في الذاكرة ، ص١٧٨)(الصورة رقم ٥).

٤- حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ١/١٨١.

٥- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧١.

٦- (المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين ص١١٠)، (القزويني، جودت: تاريخ المؤسسة،=

ومكث الشهيد الأول بالحلّة خمس الى ست سنين.

٢- الانفتاح المذهبي: من الأُمور المتميّزة في شخصيّة الشهيد الأول العلميّة، عدم اقتصاره في قراءته على علماء الشيعة، بل نجده قد شدّ الرحال، بعد الحلّة الى بغداد، ودمشق، والخليل [١]، والقاهرة، ومكة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، ثمّ عاد بعدها الى جبل عامل. وقد سنّ بذلك لعلماء جبل عامل، هذه السُّنة العلميّة الحسنة، التي بقيت مستمرّة فيهم، الى انْ قُتل الشهيد الثاني [٢]. وبذا يكون الشهيد الأول، من أوائل من كسر حالة الجمود الفقهي بين المذاهب آنذاك. وكان قد قرأ على أربعين شيخاً من علماء السنّة" [٣]، صارت سمة الأنفتاح المذهبي من أهم ما يميّز علماء الشيعة.

٣- الموقع المرجعي: لم يبق الشيخ محمد بن مكي الجزّيني مجرد فقيه، قرأ على علماء الحلّة وغيرها، ثمّ عاد الى قريته ليمارس دوره كعالم فيها، أو مدرّس لبعض طلّابها، بل راح الشيخ الجزّيني، يتصرّف كقائدٍ ميدانيّ شرعيّ لعموم أهل جبل عامل. فقد أخذ يوزّع العلماء والوكلاء، على القرى العامليّة، ويرعى حياتهم الشرعيّة والمعاشيّة، بل حتى السياسيّة منها. وعمله هذا يُعتبر عملًا تأسيسياً، في تأريخ المؤسسة المرجعيّة الشيعيّة، فهو أول فقيهٍ يقوم بأعمال المرجعيّة [٤]، التي غدت طريقةً لمن بعده من المراجع.

٤- التواصل المباشر: والتقارب المكاني، مع مركز القرار السياسي،

= الشيعية ص١٧٨)، وقبلهما (ابن الجزري، محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القرّاء، ٢/ ٢٦٥).

١- مدينة الخليل: اسم موضع وبلدة، فيها حصن وعمارة وسوق، بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم فيه قبر الخليل إبراهيم(عليه السلام)، في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام... وبالخليل سمّي الموضع...(الحموي، ياقوت: معجم البلدان،٢/٣٨٧).

٢- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١١٢ ،(والشهيد الثاني هو الشيخ زين الدين بن علي الجباعي العاملي المقتول سنة ٩٦٥هـ، وسياتي مزيد تفصيل عنه).

٣- (المجلسي، محمد باقر: البحار،١٩٨/٤٣)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/ ١٨١). (الأميني، عبدالحسين: شهداء الفضيلة، ص٨٢).

٤- الصدر، محمد باقر: المحنة، ص٤٢.

والموقع الفقهي آنذاك [1]، عبر سفرهِ المتكرّر الى دمشق، حتى يقال أنه كان قد اتّخذها سكناً مدة يُعتدُّ بها[2]. كما وينقل: أنَّ مجلسه بدمشق، كان حاشداً بعلماء المذاهب الإسلاميّة المختلفة، بل كان يدرّس كتبها أيضاً [3]. لقد كانت شخصيّة الشهيد الأول، متعدّدة الآفاق، كثيرة الصُعُد.

٥- **ولاية الفقيه**: يعتبر البعض أنّ الشهيد الأول،هو الفقيه الشيعيّ الأول، بل الأول من كل المسلمين [4] ،الذي يذهب الى هذه الأطروحة. حيث يُعطى الفقيه صلاحيات واسعة، تتعدّى الأشراف الدينيّ، الى مهمّات أكبر، أي الولاية المطلقة في كل مناحي الحياة، فهو أول فقيه شيعيّ، يقوم بجمع الأخماس والزكوات، عبر وكلائه الذين بثّهم بقرى لبنان وسوريا [5]، حتى قيل أنّه أول فقيه شيعي يطلق مصطلح (نائب الإمام) [6]، أي الإمام المعصوم الذي ترى الشيعة الإماميّة أنه يقوم بمهمّات النبي ﷺ في قيادة المجتمع المسلم، والقيام بمصالح المسلمين.

٦- **العامليّون والحكّام الشيعة بإيران**: في عهد الشهيد الأول، بدرت أول علاقة بين فقيهٍ شيعيّ لبناني، وأحد الملوك الشيعة بإيران، تلك العلاقة التي تجذرت واتسعت بعد ذاك في عهد الدولة الصفويّة، وستستمرّ – بأنحاء متباينة – الى عصرنا هذا.

١- الآصفي، محمد مهدي: تاريخ الفقه الشيعي، ص١٣٦.

٢- الحرّ العاملي، محمد حسن: أمل الآمل، ١/١٨٣.

٣- الأفندي، الميزار عبدالله: رياض العلماء، ١/١٨٩-١٩١.

٤- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٢٩. وقد يكون الأصح أنه أوّل فقيه مارسها فعلياً، وأمّا كونه أول من ذهب إلى هذه الأطروحة، فمسألة غير دقيقة. (الباحث)

٥- الصدر، محمد باقر: المحنة، ص٤٣.

٦- (المهاجر،جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٣٠)، (القزويني، جودت: المرجعية الدينية العليا ص١٣١) (القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص١٨٨). وهو قول غير دقيق كما سنثبت ذلك في الفصل الرابع وسيأتي مزيد بحث حول مصطلح (نائب الإمام) في فصل المرجعيّة وولاية الفقيه، إن شاء الله تعالى (الباحث).

لقد طلب سلطان خراسان علي بن المؤيّد [1] ،من الشهيد الأول، أن يوافيه ليقوم بالإشراف الديني على دولته، واعتذر الشهيد منه، وكتب له – بديلًا عن ذهابه –، كتاباً مختصراً في الفقه عُرف بـ (اللُّمعة الدمشقيّة)[2] كتبُه له وهُو بدمشق. ورغم احتياط الشهيد الأول، بالإبتعاد عن أي علاقة سياسيّة، بجهات قد لا تنسجم مع الجوّ السياسي، الحاكم بالشام آنذاك، يمكن أن تسبّب إرباكاً لموقعه، فإنّ ذلك لم يحلْ دون قتله، كما سيأتي.

٧– وأخيراً، فإن الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزّيني، إنما لُقّب بالشهيد أولًا ثم أضيف إليه الأول، لأنه أول فقيه شيعيّ كبير [3]، تنتهي حياته بالقتل، وهو بهذه المنزلة العلميّة الكبيرة. "فهو أول من اشتهر بهذا اللقب عند الإمامية" [4]. وقد "قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أُحرق بالنار بدمشق" [5].

لماذا قتل الشهيد الأول؟

إن الإنسان كلّما اتسعت آفاق شخصيّته، وتعدّدت ساحات تحرّكه،

١- علي بن المؤيّد: "وكان بالحلّة مع الشهيد الأول يدرسان عند فخر المحقّقين، وهو آخر حاكم في خراسان من الأُسرة السرابدريّة، التي حكمت خراسان من سنة ٧٣٨–٧٨٣هـ. وكان مهتمّاً بنشر المعارف الإسلامية، حكم بين (٧٦٦–٧٨٣هـ) حيث عزله تيمورلنك ومات سنة ٧٩٥هـ، أي بعد شهادة الشهيد بتسع سنوات." (الأمين، حسن: مستدركات أعيان الشيعة، ١/٢٣٧).

٢- الأفندي، الميرزا عبد الله : رياض العلماء ، ٥/١٩٠.

٣- وإلا فإن هناك علماء شيعة قتلوا قبله، فقد ذكر المحدّث الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب الغدير في كتابه (شهداء الفضيلة) أسماء واحد وأربعين فاضلًا كان مقتلهم قبله. والشيعة اللبنانيون يفخرون بقولهم : " إذ على رغم كثرة العلماء الشهداء من الشيعة فلم يُسَّمَ أحد منهم (بالشهيد) فقط أو الأول ثم الثاني إلا من علماء جبل عامل" . الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٦٧) (الباحث).

٤- الأميني، عبد الحسين أحمد: شهداء الفضيلة، ص٨٣.

٥- (الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص٥٣)، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧١) ،(الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ١/١٨٦) ،(الأفندي، الميرزا عبدالله: رياض العلماء، ٥/١٨٧)، كما وذكرته مصادر غير شيعية منها: (ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨/٥٠٥)، (العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر،=

وتنوّعت مجالات تأثيره، فإن احتمالات ما يحلّ به – ومنها القتل – تتعدّد وتزداد، بكثرة احتمال توقعات تدخّل عامل أو أكثر، في هذا الموقف أو ذاك.

وبعد أن عرفنا، بعض جوانب شخصية الشيخ محمد بن مكي العاملي المتعدّدة، واهتماماته الكبيرة، فلا غرابة أنْ نجدَ الآراء مختلفةً، والتصوّرات متباينةً، في بيان سبب قتله. وكلٌّ ينطلق من فهمه، أو بيئته، أو ما توافر له من معلومة، وإذا حاولنا أن نستعرض تلك الآراء، فإننا نجدها كما يلي:

١– الأحقاد الشخصيّة : تُرجع بعضُ الآراء سبب مقتل الشهيد الأول الى أحقادٍ شخصيّة وعداوةٍ وبغضاءَ ذاتيين، فقد "كان سببُ حبسهِ وقتله؛ أنه وشى به رجلٌ من أعدائه، وكتب محضراً يشتمل على مقالات شنيعة عند العامة، من مقالات الشيعة وغيرهم" [1].

٢– حسدُ العلماء : إنّ أكثر الناس حُسّاداً، هم الناجحون والمتميّزون، ولهذا فإن من الطبيعي، أن يكون للشهيد الأول حُسّادٌ، بعد أنْ عرفنا تنوّع نشاطاتِه، وتميّز مشروعاته وآرائهِ. وقد نُقل: "أنّ قاضي دمشق، وهو ابن جماعة (ت:٧٩٠هـ)، كان في أيام الشباب، شريكاً في مجالس الدرس مع الشهيد، فلمّا شاهد أن الشهيد قد برع بين أقرانه، وامتاز بينهم بمزيد الفضل والكمال، غلبهُ الحسد ونسب إليه الرفض، وحصّل حكم قتل الشهيد، من والي الشام، فقتله في قلعة دمشق" [2].

٣– التعصّب المذهبي: في حين قد نسبت مصادر أخرى، أنّ السبب في قتله هو التعصّب المذهبيّ، الذي يبيح لمن ابتلي به، إتهام الآخر باتهامات شتّى، قد تصل الى إباحة دمه. فقد "اتُّهم بانحلال العقيدة، فسجن في قلعة دمشق سنة، ثم ضُربت عنقه" [3]. وكان السبب في قتله "ما شهد به عليه من الإنحلال، واعتقاد مذهب

= ٢/١٨١)، (ابن تغري بردي ،يوسف بن عبدالله:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١/ ٣٠٣).

١ -(الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٨٣) (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧٣) ولم يوضح المصدران محتوى هذه المقالات، لكنّ مصادر أُخرى ذكرت اتهامات بالرفض وإطلاق عبارات منكرة بل مكفرة في بعض الصحابة. (الشهبي،أبو بكر بن أحمد: تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٣/١٣٠).

٢- الأفندي، الميرزا عبدالله : رياض العلماء، ٥/١٨٩.

٣- الزركلي، خير الدين: الأعلام ٧/١٠٩.

النصيريّة [1]. واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح " [2]. ومنها " اتهامهُ بالرفض " [3] ،و" تعصّب جماعة كثيرة في ذلك " [4]. ومن الغريب؛ أنّ تصدر اتهامات، مثل استحلال الخمر، بحق فقيه كبير من فقهاء المسلمين!.

٤ – نزاع داخليّ: حدث بين الشهيد وجماعته من جهة، وجماعة رجل، من أهل جبل عامل نفسِه، من قرية تدعى(برج يالوش) [5]، بإقليم التفّاح، واسمه محمد اليالوش، وذكرت بعض المصادر الشيعيّة: أنّه كان تلميذاً للشهيد، ثمّ انحرف عنهُ وادّعى النبوّة، وعمل بالسحر والشعوذة [6]. وقام الشهيد الأول بمواجهته فحدثت معركة في النبطيّة الفوقا سمّيت بعدئذٍ بـ (معركة الشهداء)، سنة (٧٨٥هـ) [7]. ولم ينتهِ الأمرُ عند هذه المعركة، حيث تنامى الخطُّ المناوئُ للشهيد، حتى ظهَر خليفة لليالوش واسمُه تقيّ الدين الجبليّ الخياميّ، (يوسف بن يحيى)، وأنه ارتدَّ عن مذهب الإماميّة، وهو الذي شنَّ عليه حملةً، جمع فيها توقيعات ما يقارب الألف شخص، أو أكثر، من أهل جبل عامل والسواحل، ورُفعَت الى قاضي بيروت، وقيل: قاضي صيدا، حتى وصلوا الى دمشق، ثم حصل ما حصل للشهيد.

ومن هنا نكتشف؛ أن جبل عامل، لم يكن بلا مشكلات، بالنسبة لنشاط الشهيد الأول وحركته. ويلاحظ أنّ بعض الكتّاب والمؤرّخين،

١- النصيرية: نسبة الى محمد بن نصير البصري النميري الذي شغل وظيفة الباب للإمامين العاشر والحادي عشر؛ أي على الهادي والحسن العسكري في زعامة فريق من العلويّن، ولهذا ذهب بعض الدارسين الى أن اسم (النصيريّة) يعود إليه. ويرى العلويّون أن اطلاق اسم النصيرية عليه كان بفعل العداوة المذهبية. (رستم، سعد: الفرق والمذهب الإسلامية ص٢٦٤–٢٦٥)، وهم " من غلاة الشيعة، وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الالهيّة على الأئمة من أهل البيت، وقالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمرٌ لا ينكره عاقل ". (الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، ١٣٩/٢).

٢- أحمد بن علي، ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ٣١١/١.

٣- الشهبي، أبو بكر بن أحمد: تاريخ ابن قاضي شهبة، ١٣٠/٣، (ترجمته بأعلام الزركلي، ٦١/٢).

٤- البحراني، سليمان بن عبد الله: لؤلؤة البحرين، ص٩٥ .

٥- يالوش، برج يالوش " قرية قرب بريقع في اقليم التفاح على ميل من الزويريّة، وهي الآن خراب وفيها برج لا يزال قسم منه ماثلًا... "(الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢١١).

٦- الخوانساري، محمد باقر: روضات الجنّات ٤/٧.

٧- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢١١.

يسعون لنفي هذا السبب، أو تخفيف أثرِه ما أمكن [1]، ويجهدون لإبراز بقية الأسباب.

٥ – اتهامات بالتعاون مع دولة مُعادية:

ذكرتْ بعضُ الدراسات، سبباً خامساً لقتل الشهيد، وهو علاقته بسلطان خراسان؛ علي بن المؤيَّد، " مما حدى بالظاهر برقوق [2]، أن يظهر غيرته على الدين، بعد أن اكتشف العلاقة، بين ابن المؤيّد والشهيد، فتخلّص من خصمٍ كان يؤلّب القوى عليه، وأرضى بعض الفقهاء السُّنة، بإعدام رجل كانوا يعتبرونه عدوّاً، هادماً لعقيدتهم " [3]. أي أنّ الشهيد الأول، صار ضحية لمؤامرة سياسيّة، قامت بها السلطة، التي حاولت إعطاءها صفة دينيّة مذهبيّة [4].

٦ – القضاء على سلطة الشهيد الأول وأطروحته في (ولاية الفقيه):

من الجلي، لكلٍّ من يدرس حياة الشهيد الأول، ومشروعاته، ومواقفه، لا سيّما بعد رجوعه من رحلته الدراسيّة، التي استمرت لسبع سنين، أنه لم يكن مجرد فقيهٍ، يقوم بمهمّات الفقهاء العاديّين، بل نجده قد تحوّل إلى شبِه حاكم في جبل عامل، أو هو حاكم بالفعل؛ فقد وزّع الوكلاء، وجبى الأموال، بل استطاع إعداد جيش، واجه به أعداءه، حتى كانت معركة الشهداء، بالنبطيّة الفوقا.

ولا شكَّ أنَّ نشاطاتٍ كهذه، إضافةً الى أنّها نشاطات غير مألوفة، فهي

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٣٧٢.

٢- الظاهر برقوق: برقوق بن أنص – أو أنس – العثماني، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة، جلبه إليها أحد تجّار الرقيق فباعه، ثم أعتق وذهب الى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد الى مصر. وتقدّم في دولة المنصور القلاووني، وانتزع السلطة من آخر بني قلاوون، سنة ٧٨٤هـ ولقّب بالملك (الظاهر)، وانقادت إليه مصر والشام، خلع سنة ٧٩١هـ ثم عاد سنة ٧٩٢هـ، الى مصر ومات بالقاهرة سنة ٨٠١هـ. (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢/٤٨).

٣- الشيبي،كامل مصطفى: الصلة بين التصوّف والتشيّع، ٢/١٤١.

٤- (الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوّف والتشيّع، ٢/١٣٣)، (المهاجر، جعفر: الهجرة العامليّة الى إيران في العصر الصفوي، ص٧٠).

بحدّ ذاتها، تثير حفيظة الذين تقع منطقة جبل عامل، ضمن إدارتهم السياسيّة، حكاماً، أو عمّالًا. وقد ذكرنا في النقطة الخامسة، من جوانب شخصيّة الشهيد الأول؛ من قال أنّه أول فقيهٍ إماميّ دعا إلى مبدأ (ولاية الفقيه) وأنزله منزلة الواقع العملي.

ولهذا فقد أوردت بعض المصادر: أنّه كان للشهيد أعوان، وأنّ أحد أعوانه ضُربت عنقُه بطرابلس، يوم قتله بدمشق [1].

وجاء؛ أنّ من التهم التي على أساسها قُتل الشهيد الأول، أنه كان (عاملًا). ولعلّ أقرب معانيها؛ أنه كان يقوم بتصرّفاتٍ وكأنه عاملٌ للسلطان هناك، أي كأنّه أخذ موقع السُلطة الفعليّة آنذاك [2]، ويُستبعد ما ذهب إليه أحد الباحثين من أنه كان حاكماً في جبل عامل، وجزّين خصوصاً، نيابة عن ولاة دمشق ؛ من المماليك الأتراك[3].

ولهذا يترجّح أنّ السبب الأخير (ولاية الفقيه)، قد يكون هو أقوى الأسباب، إن لم يكن السبب الرئيس، في قتل الشيخ محمد بن مكي الجزيني. ويؤيّد ذلك؛ ما ذهب إليه المرجع السيد محمد باقر الصدر، الذي يرى أنّ الشهيد الأول دفع حياته، ثمناً لتصدّيه لموقع المرجعيّة[4]، التي يراها الصدر، قيادة علمائيّة للمجتمع.

ولا ننفي وجود الأحقاد، أو حتى التعصّب المذهبيّ، وهو ما ابتُلي به المسلمون قديماً وحديثاً – والمشتكى إلى الله تعالى–.

ولكنّ الذي يترجّح، أنّ السبب في قتله كان سياسيّاً، قبل أن يكون مذهبيّاً، فضلًا عن أن يكون تنفيساً عن أحقاد شخصيّة ذاتيّة. نعم يمكن للسلطة السياسية آنذاك، أن توظّف تلك الحزازات الشخصيّة، أو المذهبيّة

١- ابن حجر، أحمد بن يحيى العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر، ٣١١/١.

٢- البحراني، علي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ١٤٦.

٣- القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص٢١٥ .

٤- الصدر، محمد باقر: المحنة، ص ٤٢

ضمن هدفها السياسي الكبير هذا، بالتخلص من الشهيد الأول، وأطروحة ولاية الفقيه.

والشيء نفسه يُقال، عن الاختلاف داخل الصفّ الشيعيّ بجبل عامل، فإنه يمكن توجيهه، بما يخدم مصلحة السلطة السياسيّة آنذاك، ولعلّها تجعله من ضمن التبريرات التي تُطرح لعامّة الناس، كما يمكنها توظيف مناوئي الشهيد، ببث ما يبرّر خطوة قتله هذه في الأوساط الشيعيّة.

أمّا مسألة الاتصال المدّعى، بين الشهيد الأول وبين سلطان خراسان، فإنه لم يثبت أنّ لقاءاً حصل بين الرجلين، بعد رجوع الشهيد الى لبنان. (وعلاقتهما كانت قديمة، بدأت بالحلّة، في سني دراسة الشهيد هناك) [١]، نعم بعث إليه السلطان ابن المؤيّد، رجلًا من قِبَلِهِ، ومعهُ رسالة، وهديته المعروفة (نسخة فاخرة من القرآن الكريم). وعلى فرض وصول أخبار ذلك الاتصال، إلى أسماع سلطة دمشق آنذاك، فإنّه لا يُعتبر تبريراً مقبولًا، لقتل رجل كان له حضور كبير، في مجالس دمشق؛ من علماء ورجال حكومة [٢]. إنّ الذي حفّز السلطة للانتقام من هذا الفقيه؛ هو ما اعتبرته – من خلال تصرفاته الاقتصادية والسياسية، بل العسكريّة– أمراً لم يكن متوقّعاً أو معروفاً من الفقهاء آنذاك. وأنّ معركة الشهداء، نبّهت السلطة وأقلقتها. من تنامي قوّة الشهيد بجبل عامل. ولهذا ورد أنّ الاعتقال تمّ بعد هذه المعركة [٣]!.

وأمّا الأسباب الأخرى، إذا لم يمكن إلغاؤها أو تضعيفها – على الأقلّ – فهي تندرج ضمن هذا السبب الكبير، ويمكن أن تُعتبر حجّة ظاهريّة لعامّة الناس، وإرضاءً لبعض المتعصّبين من أعدائه، وشفاء لغيظ آخرين، من

١- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١٧٨/٥.

٢- (كان له تردد كثير الى دمشق، ويدرّس بها وقد ألف بعضاً من كتبه هناك–، بتصرّف عن (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣٧١/١٤). ومجلسه بدمشق ذلك الوقت، مما كان لا يخلو غالباً،عن علماء الجمهور؛ لاختلاطه بهم وصحبته لهم..– (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء ١٩١/٥) ونذّكر هنا بمعلومة دراسته (كما مرّ بنا) على أكثر من أربعين عالماً من المسلمين السنّة. (الباحث)

٣- القمي،عباس: الكنى والألقاب، ٣٧٩/٢.

المناوئين له.

لقد أسّس الشهيد الأول، عبر تبّنيه أُطروحة ولاية الفقيه، لانفتاح الدول الشيعيّة على الفقهاء الذين يذهبون إلى تلك الأطروحة، كما سيمرّ بنا، في الفصل الرابع، والأهمّ – فيما يتعلق بدراستنا – تأسيسه لانفتاح الدولة الصفوية بإيران على علماء جبل عامل.

وإنّ من أبلغ الآثار التي تركها الشهيد الأول – ضمن موضوع دراستنا كذلك – تلك النقلة النوعيّة الكُبرى، التي أحدثها في الحوزات الشيعيّة بلبنان،حيث أسّس لأولى مراحلها.

مراحل الحوزات الشيعيّة اللبنانيّة

كانت حوزة جزّين أيام الشهيد الأول، هي البداية الأولى لهذه الحوزات، وبذا تكون رأساً لبقيّة المراحل، التي نقسّم بها تاريخ الحوزات الشيعيّة بلبنان.

ولعلّ أول من أشار الى هذه المراحل، هو السيد حسن الصدر الكاظمي (ت: ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م)، في نهاية كتابه (تكملة أمل الآمل)، حيث قسّمها الى أدوار ثلاثة: "من أول زمنهم الى القرن الحادي عشر، ومنه الى آخر القرن الثالث عشر، ومنه الى هذا الأوان" [١]. ثمّ السيد محسن الأمين في خططه، حيث قال: "أُنشئت في جبل عامل من عهد قديم عدّة مدارس... ثم أُنشئت فيها بعد القرن العاشر، عدة مدارس، استمرّت الى ما قبل هذا العصر" [٢].

و"أمّا اليوم، فلم يبق في جبل عامل، من أدناه الى أقصاه، ما يقال له: مدرسة دينيّة، ولم يبق فيه طالب واحد من طلّاب العلوم الدينيّة! ومن يريد

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٤٦٠.

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦١.

طلب العلم الدّيني من أهله، عليه أن يذهب الى النجف بالعراق.

كأن لم يكن بين الحجونِ إلى الصفا   انيسٌ ولم يسمرْ بمكّة سامرُ[1]

ولا ندري بعد هذا، ما تأتي به حوادث الأيام، والله وحده هو المطّلع على مغيّبات الأمور. وأُنشئ في جبل عامل، مدارس عصريّة وكتاتيب، بعضها أهليّة، وبعضها على نفقة الحكومة"[2].

وبما أنّ تقسيم السيد الأمين، أكثر دقة في تحديد هذه المراحل، فقد عوّل عليه دون أن يُغلق باب الاستفادة من المعلومات، التي أوردها السيد حسن الصدر الكاظمي[3]. وقد دأبنا بحثاً في محاولة اكتشاف، تأريخ المعلومة، التي ذكرها الأمين؛ وهو العالم الخبير بوطنه ومدارسه وعلمائه. فأيُّ زمن ذلك الذي، لم يبق فيه أثرٌ للحوزات العلميّة الشيعيّة، بجبل عامل (ولبنان عامة)؟ ولأنّ الرجل لا يعلم، أنّه قد جاءت بعده مرحلة أخرى، انتعشت فيها الحوزات مرّة ثالثة، في زمننا هذا (الحوزات المعاصرة).

لقد حاولنا الحصول، على تاريخ الطبعة الأولى، لكتاب (خطط جبل عامل)، كسبيل لمعرفة تاريخ وضع تلك المعلومة. ولكنّ قد يكون طبع الكتاب، جاء بعد سنين ربّما كثيرة من تاريخ كتابته، فلا ملازمة زمنيّة، بين كتابة مسودّة كتاب، وبين طبعهِ. ثمّ وجدنا أنّ الكتاب نفسه حينما يتحدّث عن جزّين، وعن خروج المسلمين الشيعة منها، يتحدّث بما يلي: "ثمّ هاجر

١- البيت هو لمضاض بن عمرو الجرهمي (الحموي، ياقوت:معجم البلدان، ٢/ ٢٢٥)، والحجون جبل بمكة، والصفا جبل ملاصق للمسجد الحرام بها، والبيت يستشهد به في حالات تفرّق الأحبّة، وتبدد الشمل، بعد الألفة والمحبّة، وهو مناسب لمقتضى الحال؛ حيث خلا جبل عامل من الحوزات، بعدما كانت عامرة بها قراه ومدنه. (الباحث).

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦٤.

٣- من المرجِحات في أخذ تقسيم السيد الأمين: لأنه أكثر دقة كما سيأتي، حيث حدّد لنا بداية فترة الحوزات المعاصرة. ولكونهِ مولوداً وناشئاً بجبل عامل، عكس السيد حسن الصدر الذي ولد ونشأ بالعراق، وإن كان البحث التاريخي لا يعرف المقيم من المهاجر. ولعلّ من الطريف ذكره هنا: أن السيد محسن الأمين من أسرة علميّة حلّية عراقيّة، هاجرت الى جبل عامل، فيما كان السيد حسن الصدر، من أسرة علمية عامليّة هاجرت الى العراق.(الباحث).

منها أهلها، وتفرّقوا في البلدان، وذلك قبل قرن واحد تقريباً" [١]. وفي موضع آخر يذكر، وهو يتحدث عن الموضوع نفسه: "وابتداء هجرتهم منها، لا يتجاوز خمساً وتسعين سنة، أي لم يكن قبل سنة ١٢٥٥هـ" [٢]. فذكر رقماً دقيقاً: (٩٥ سنة)، وهي الفترة الزمنيّة الفاصلة بين تاريخ الكتابة و"ابتداء هجرتهم" أي سنة (١٢٥٥هـ)، فإذا أضفنا تلك السنين الى هذا التاريخ، نتج سنة (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م)، وهي سنة كتابة المعلومة موضع البحث. والتي هي تاريخ نهاية مرحلة بين مراحل حوزات لبنان، وعليه يمكن أن نقسّم تلك المراحل إلى ما يلي:

المرحلة الأولى: منذ سنة عودة الشهيد الأول من الحلّة الى جزّين، سنة ٧٦٠هـ وتنتهي بسنة ١١٩٥هـ [٣]؛ وهي السنة التي شهدت ما عرف بـ (حادثة الجزّار) [٤]. وهو تاريخ أدق، من التاريخ الذي ذكره الأمين في خططه، وأجملهُ بقوله: (بعد القرن العاشر)، أو السيد حسن الصدر بقوله (القرن الحادي عشر).

المرحلة الثانية: منذ سنة ١٢١٩هـ وهي السنة التي قامت فيها حوزة الكوثريّة (وليس سنة ١٢٤٠هـ كما قالت بعض المصادر) [٥]. ومن مقارنة التاريخيَن، فان هناك فترة ركود؛ بين نهاية المرحلة الأولى ١١٩٥هـ وبداية

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٨.

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٧٧.

٣- عمرو، يوسف محمد: صفحات من ماضي الشيعة، ص٩٥.

٤- نسبة الى الوالي العثماني أحمد باشا المشهور بالجزّار " الجزّار، أحمد باشا (نحو ١١٣٢-١٢١٩هـ)(١٧٢٠-١٨٠٤م) والي عكّا في فلسطين الذي صمد أمام حصار نابليون بونابرت الشهير، أصله من البوسنة، عمل عند أوغلو علي باشا بمصر سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م، قتل سبعين من أعراب البحيرة بمصر خدعة وغيلة، ولذلك لقّب بالجزّار. اقام حصن عكّا وعمّر أسوارها وقلاعها. وكان السلطان العثماني يراه ثائراً على الدولة، توفي بالشام..." (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع: الموسوعة العربيّة العالمية، ٣٢٦/٨).

٥- مكي، محمد كاظم: الحياة الفكريّة والأدبية في جبل عامل، ص٣٣. والصحيح ما ثبّتناه هنا من تاريخ، أي ١٢١٩هـ، وهي سنة وفاة الوالي أحمد باشا الجزّار، وسيأتي عند بحثنا عن حوزة الكوثرية في حوزات المرحلة الثانية، في الفصل الثاني، إن شاء الله تعالى (الباحث).

المرحلة الثانية ١٢١٩هـ وهي (فترة الركود الأولى). وستنتهي هذه المرحلة، بعد مائة وثلاثين عاماً تقريباً، أي عام ١٣٥٠هـ /١٩٣١م.

المرحلة الثالثة؛ (المعاصرة): أي منذ عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م والى الآن.

وبهذا نستطيع القول: إنّ المرحلة الأولى حينما انتهت، لم تشرع بعدها المرحلة الثانية رأساً، بل مرّت بمرحلة ركود واختفاء (أُولى)؛ أملتها الظروف القاسية آنذاك، ولمّا انتهى دور المرحلة الثانية، مرّت بفترة ركود أُخرى ثانية، منذ ١٣٥٠هـ –١٣٨٠هـ / ١٩٣١م– ١٩٦١م، فبين كل مرحلتين، فترةُ ركود وضمور، ولله في خلقه شؤون.

وبعد هذا التقسيم، لمراحل الحوزات الشيعيّة بلبنان، نبدأ بالمرحلة الأولى منها.

المبحث الثاني:

المرحلة الأولى لحوزات لبنان الشيعيّة (منذ ٧٦٠هـ - ١١٩٥هـ)، (المرحلة التأسيسيّة):

إنَّ هذه المرحلة، بدأت بجزين، بعد عودة الشهيد الأول إليها، وبذا تكون أولى حوزات هذه المرحلة هي حوزة جزين:

١- حوزة جزّين: (٧٦٠هـ - حوالي ٩٠٠هـ)

كان من المرجّح، أنْ تكون بداية النهضة العلميّة الشيعيّة في لبنان، من (جزّين)، حيث كان منها، أول من أمّ الحلّة دارساً؛ هو الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت ٥٨٠هـ) ولا بد أن يترك هذا الرائد السبّاق، أثراً في قريته وبيئته، "ولعلّ من الأمور، التي شجّعت على النهوض العلمي بها، أنها بلدة، لم تخضع لسلطان الغزو الصليبي" [(١)].

ثم تبع ذلك الشيخ الأقدم بعض العلماء الذين ساروا على مسار رحلته العلمية الى الحلّة، ومنطلقين – في غالبيتهم – من جزّين.

لكن الأنطلاقة الفعليّة لجزّين وحوزتها، كانت عند عودة فقيهها، الشاب الطموح، الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني، في سنة ٧٦٠هـ وهي سنة "مبدأ البعث العلمي والأدبي في جبل عامل" [(٢)]، وأنّ "تأسيس الدراسة المنتظمة فيها، لم يكن إلّا على يدي الشهيد الأول" [(٣)]، وبذلك فـ "إنّ جبل

١- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٥١.

٢- الأمين، حسن: عصر حمد الحمود، ص١٥.

٣- مكي، محمد كاظم: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل ص٣٠، والغريب ما ذكر هذا المصدر بقوله: "لما عاد (الشهيد) من النجف، بعد تعطل واضطراب الجامعة العلمية فيها، إثر غارات التتار والنكبة ببغداد، فبات أمر الهجرة الى النجف عسيراً، فأنشأ الشهيد الأول مدرسة جزين". وتبعه بالقول نفسه (درويش، علي إبراهيم: جبل عامل بين ١٥١٦ – ١٦٩٧م، ص١٢٧). وهو=

عامل، قد خطا الخطوة، التي طال انتظارها، بعد أن حاول أكثر من مرة"[1]. وذهب بعض الباحثين إلى أنّ العزلة التي كان يعيشها أهل جبل عامل، كانت وراء إنشاء حوزة جزّين، أو أن ذلك يعود إلى خطورة السفر إلى العراق[2]. وهما أمران لا يؤيدهما الواقع آنذاك،فأي عزلة وأي خطورة في السفر، والأمور كانت ممهدة وسليمة!.

ويمكن أن نجمل أهم ميّزات حوزة جزّين بما يلي:

١– تأسيس الدراسة الحوزوية المنتظمة الأولى، بجبل عامل، وعموم لبنان.

٢– بروز أول مكوِّن علمائي إسلامي شيعي. وقدْ عدَّ بعض الباحثين، طلبة الشهيد المباشرين، فكانوا اثني عشر [3].

واستقصاهم آخر فبلغوا "أربعة وعشرين فقيهاً"[4]. وهي أعداد لم تشهدها جزّين، فضلا عن سواها، من المناطق اللبنانيّة، قبل عصر الشهيد الأول.

٣– لم يكن العدد الكبير، هو الأمر اللافت فقط، بل إن امرأ آخر، قد يكون أبلغ تميّزاً من عددهم، ألا وهو: أنهم قد وفدوا من أماكن وبقاع مختلفة، لم تنحصر بلبنان، بل امتدّت خارجه، والذي يهمنا في هذا الامتداد، وجود علماء حلّيين (أي من حوزة الحِلّة بالعراق)، ضمن طلبتها. وهي الحالة الأولى التي تسجّل، لا لجزّين فقط، بل لكلّ بلدات الشيعة بلبنان وحوزاتهم. فقد كان هناك ثلاثة فقهاء حلّيين بجزّين، وهم: الحسن بن سليمان بن محمد بن خالد الحلّي[5]، وعلي بن الخازن

= اشتباه تاريخي واضح، ذكره الأول وتبعه الثاني، دون تمحيص. فأين النجف التي لم تكن فيها أي حوزة آنذاك، بل كانت الحوزة بالحلّة، ثم أين غارات التتار وهي لم تصل لا إلى الحلّة ولا الى النجف. (الباحث).

١- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٥٩.

٢- رزق، رامز: ميس الجبل لؤلؤة جبل عامل،ص ٤١،ص١٥٦.

٣- (مكي، محمد كاظم: الحياة الفكرية الأدبية في جبل عامل، ص٣٠ – بدون ذكر أسمائهم)، (الحسيني، محمد: الفقه في جنوب لبنان، ص٢١–٣٧، مع ذكر الأسماء).

٤-المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٥٤. (ذكرت أسماؤهم وصنفوا حسب بلدانهم).

٥- الحسن بن سليمان بن محمد بن خالد الحلي: "من أجلة تلامذة الشهيد، ويروي عنه وعن السيد=

الحائري[1] (والحائر من أسماء موضع قبر الإمام الحسينعليه السلام بكربلاء)، ثمّ المقداد بن عبد الله بن محمد السيوري الحلّي [2] وهو أبرزهم.

٤- لم تكن حوزة جزين، مجرد مدرسة فقهيّة كبيرة، سابقة بعدد طلابها وأوطانهم، بل إنها كانت تمثّل حضوراً مرجعيّاً فقهيّاً. فقد استطاع الشهيد الأول – ولأولّ مرة – أن يتبوأ مركز المرجعية العليا للشيعة، بعد وفاة أستاذه فخر المحققّين(ت:٧٧١هـ)، حتى اعتبره السيد محمد باقر الصدر أول مجسّد حقيقي للمرجعية الدينيّة الشيعية [3] .

٥- ومما ميّز حوزة جزّين، بروز العنصر النسائي متفقّهاً ومدرّساً، في أول حالة تسجل، للحوزات الشيعيّة بلبنان، فلم تكن هناك معلومات عن هذا الجانب، حتى عرفت زوجة الشهيد الأول (أمّ علي) [4]، وابنته الفقيهة (فاطمة أمّ الحسن)، التي لقبت بـ (ست المشايخ)، وبلغ من شغفها بالعلم، أنها تنازلت عن إرثها من أبيها، لاخوتها، في مقابل بعض كتب الفقه [5].

= بهاء الدين الحسيني وأمثالهما"، محدّث جليل وفقيه نبيل، له مختصر بصائر الدرجات، وكتب أخرى، كان حيّاً سنة ٨٠٢هـ". (الأفندي، الميرزا عبد اللّه: رياض العلماء، ١/١٩٣)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ٢/٦٦)، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٨/١٥٧).

١- علي بن الخازن الحائري: "كان عالماً فاضلًا عابداً صالحاً، من تلامذة الشهيد، يروي عنه أحمد بن فهد الحلّي، كان ووالده، بل وجده، من افاضل علماء عصرهم، له إجازة من الشهيد، وأجاز بدوره ابن فهد الحلّي، وذلك سنة ٧٩١هـ". (الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/١٨٦) (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣/٤١٣)، وكما جاء ذكر هؤلاء الثلاثة في: (الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٣٦٧).

٢- المقداد السيوري الحلي: "كان متكلماً محققاً مدققاً، عالماً فاضلًا، له كتاب شرح نهج المسترشدين في أصول الدين وكنز العرفان في فقه القرآن وغيرهما. وينسب الى (سيور) قرية من نواحي الحلّة، توفي سنة ٨٤١هـ". (الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/٣٢٥)، (الأفندي، الميرزا عبد اللّه: رياض العلماء، ٥/٢١٧). والغريب أن صاحب أعيان الشيعة لم يذكر شيئاً عن تلمذته على الشهيد :(الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٤٧٨).

٣-الصدر، محمد باقر : المحنة ، ص٤٢ .

٤ - "كانت فاضلة تقيّة فقيهة عابدة، وكان الشهيد يثني عليها، ويأمر النساء بالرجوع اليها". (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٩٣).

٥-وكانت عالمة فاضلة، فقيهة صالحة عابدة، سمعت من المشائخ مدحها، والثناء عليها، تروي عن أبيها، وعن ابن معية شيخهُ إجازة، وكان ابوها يثني عليها، ويأمر النساء بالاقتداء بها، =

٦– أحدثت حوزة جزين وشيخها، حركة علميّة غير مسبوقة، شملت الكثير من بلدات جبل عامل. فإذا كانت الأجواء العلميّة، قد استقطبت علماء وفقهاء، من العراق، وإيران، الى تلك القرية، فإنها أحرى بأن تحدث حركة علميّة، في الوسط القريب منها، حتى ذكر: "أنّه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل، سبعون مجتهداً في عصر الشهيد، وما قاربه"!(١). وهو عدد ليس بالقليل يجتمع في جنازة بقرية عامليّة!. ولهذا فقد "تعدّدت المدارس، بعد وفاة الشهيد الأول" (٢).

٧– رغم الضربة العنيفة، التي وجّهت الى حوزة جزّين، بقتل مرجعها وبتلك الصورة المريعة، التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية (٣)، فإن شمسها لم تغب، حيث استمرّت بعطائها العلميّ، الذي استدعى فقيهاً حليّاً كبيراً آخر، وهو الشيخ أحمد بن فهد الحلّي (ت: ٨٤١هـ) (٤) للدراسة بها، على ابن الشهيد الشيخ علي بن محمد بن مكي الجزّيني(٥)، وصار أحد مراجع حوزة الحلّة البارزين، بعد عصر الشهيد وابنه.

٨– ورغم ما تفرّدت به حوزة جزّين من ميّزات – ذكرنا بعضها – فإنّها لم

= والرجوع اليها". (الحرّ العاملي ،محمد بن الحسن:أمل الآمل،، ١/١٩٣). ويمكن كذلك مراجعة نصّ وثيقة التنازل عن تركتها.

١- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل،١/١٥ .

٢- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، ص٢٣٦.

٣ -"سجن في قلعة دمشق سنة، ثم ضربت عنقُه". (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٧/١٠٩). "قتل بالسيف ثم صلب، ثم رجم، ثم أُحرق، بدمشق، بعد ما حبس سنة كاملة، في قلعة الشام". (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٨٢) (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٥/ ١٨٦)، (الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٢٦٩).

٤ -"جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد الحلي الأسدي، من تلامذة الشيخ علي ابن الشهيد الأول، له مؤلفات عدة منها: المهذّب في شرح المختصر النافع (فقه)، عدّة الداعي، شرح الألفية للشهيد، والدر الفريد في التوحيد وغيرها. ممن يروي عنه بعض أهل القطيف، (في شرق الجزيرة العربية حالياً)، له إجازة من ابن الشهيد بجزّين سنة ٨٢٤هـ". (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١/٦٤)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٢/٢١).

٥- الشيخ علي بن محمد بن مكي الجزّيني العاملي، كان فاضلًا محققاً صالحاً ورعاً جليل القدر ثقة، يروي عن أبيه وعن بعض مشائخه" (الحر العاملي: محمد بن الحسن، أمل الآمل، ١/١٣٤)، (الأفندي، الميرزا عبد الله؛ رياض العلماء، ٤/٢١٩).

تسجّل حضوراً، في تاريخ الحوزات اللبنانيّة، إلّا في هذه المرحلة، وستغيب في بقية المراحل، لأسباب قهريّة تمثّلت في التغيّر السكّاني، الذي ألمّ بها؛ حيث نزح عنها أهلها من المسلمين الشيعة، على أثر معارك بينهم وبين من جاورهم من الدروز ثم النصارى[١].

واندرست الآثار، التي تركها الشهيد الأول بجزين؛ "فمسجده الذي نسب إليه تحوّل الى كنيسة، ومدرسته وداره، صارا طريقاً عاماً، يعرف اليوم بالساحة [٢]. وغابت صورة جزّين التي وصفت ذات يوم بأنها "كانت منبع علماء جبل عامل الشيعة الاوائل" [٣]!.

ولقد حفّزنا ما ذكر عن جزّين، الى زيارتها، محاولين الوقوف على شيء من آثارها، فعلمنا أنّ مسجد الشهيد الأول يقع اليوم في (ساحة المطران سليمان الحجّار)، ثم انحدرنا في شارع، كان يجتمع على جانبيه طلاب العلوم آنذاك، وفيها مساحة صغيرة ينتصب فيها تمثال ينسب للسيدة مريم بن عمران عليها السلام، بعدها انتهينا الى (ثانوية جزّين الرسميّة)، وهي تحتل موقع مدرسة جزين الأولى أيام الشهيد[٤].

٢- حوزة عيناثا[٥] (حوالي ٨٠٠هـ - ١٠٥٠هـ).

تُعدّ (حوزة عيناثا) في مقدمة تلك الحوزات، التي برزت بعد الشهيد

١- ولقد كان بدء خروج (المتاولة) من جزّين، إثر معركة قامت بينهم وبين الدروز سنة ١١٧١هـ-١٧٥٧م، (أبو شقرا، يوسف: الحركات في لبنان، ص١٥٣).

٢- (القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص٢٣٣) وقبله نقل: انه "لم يبق من آثار ماضيها العلمي غير جبّانة وقد درست اليوم؛ وجامع خراب كان بعضه باقياً ثم درس كله، وقد كان ما يزال قائماً عام ١٩١٢م. وكان قرب جزّين قرية تسمى (خرايب صباح) نزح عنها أهلها الى النبطية) (مكي، محمد كاظم: الحياة الفكريّة في جبل عامل، ص٣١) (الصباح، سعيد: العرفان، ٩٥١/٤٩).

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٨.

٤- كانت الزيارة في يوم الإثنين ٢٧ ربيع ٢ ١٤٢٧هـ / ١٤أيار ٢٠٠٧ من الساعة ١٠- ١٥، ١١ صباحاً. (الباحث). (انظر الملاحق، الصورة رقم ٤).

٥- عيناثا: بعين مهملة مفتوحة ومثنّاة تحتية ونون والف وثاء مثلثة وألف، بلدة قرب بنت جبيل في=

الأول، "وعيناثا كانت منبع العلماء" [1]. وبرزت فيها أُسرٌ علمائيّة. وسيكون لها أكثر من نصيب، في مراحل الحوزات اللبنانية. فقد "أنشأ آل خاتون حوزة عيناثا، في أواخر القرن التاسع الهجري" [2]. ومن العلماء البارزين بعيناثا الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام العيناثي [3]. وأقدم ممن ذكرنا؛ هو الشيخ حسين العيناثي، له إجازة عن الشهيد الأول، (وكان حميّه) [4]، فهو صهر الشهيد على ابنته. وقد علمنا أنّ الشهيد لم يترك من البنات الّا بنتاً واحدة، وهي فاطمة المعروفة بـ (ست المشايخ).

والشيء الأهم هنا، هجرةُ فقيه من خارج لبنان الى عيناثا، للدراسة على الشيخ أحمد بن الحاج علي؛ وهو الشيخ ناصر بن ابراهيم الأحسائي البويهي (ت: ٨٥٣هـ) [5]. – والأحساء تقع شرق الجزيرة العربيّة– ولها دلالة مهمة ،على الشأو الذي بلغتْه حوزة عيناثا، بحيث راحت تستقطب فقهاء من بلاد بعيدة.

إنّ ناصر البويهيّ، هو الشخصيّة العلميّة الثامنة التي تهاجر الى الحوزات اللبنانيّة، بعد هجرة سبعة فقهاء من حلب والحلّة ومدن إيرانية، الى حوزة جزّين أيام الشهيد، وابنه الشيخ علي.

وأما ناصر البويهيّ فقد قرأ على الشيخ ظهير الدين بن الحسام

= شمالها... خرج منها الكثير من العلماء، وإليها انتقل من مكّة المكرّمة أشراف آل فضل الله الحسنيّون، كانت مقرّ أسرة خاتون المعروفة بالعلم". (الأمين، محسن؛ خطط جبل عامل، ص٢٧٩.)

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص ١٧٩.

٢- شرف الدين، جعفر: من دفتر الذكريات الجنوبية، مجلة العرفان م٧١ ع١٠ ص٧٥.

٣- (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن : أمل الآمل، ١/ ٤٥)، (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١٠٣/١).

٤- المجلسي، محمد باقر: البحار،٢٤٨/٤٣. وفي الإجازة لقب (العقابي) بدلًا عن (العيناثي)، كما جاء لقب آخر، وهو (الفقعاني)، (الأمين،محسن:أعيان الشيعة،٣٩٢/١٢).

٥- الأفندي، الميرزا عبد الله؛ رياض العلماء، ٢٣٣/٥. وجاء في ألقابه: " الشيخ الجليل ناصر بن إبراهيم البويهي الأحسائي ثم العاملي العيناثي".

العيناثي، حتى توفّي بعيناثا ودفن بها سنة ٨٣٢هـ .

ولكن أسرة آل الحسام العيناثية لم تستمر طويلًا في زعامة حوزة عيناثا، فقد كان لبروز الشيخ محمد بن علي بن محمد بن خاتون العيناثي (شمس الدين)، أثر في امتداد زعامتها في أسرته من آل خاتون، الذين ذاع صيتُهم في أوساط الحوزات العلميّة، وانتشر ذكرهم في الأماكن الشيعيّة، حتى تجاوزت البلدان العربية وإيران، ووصلوا الى بعض ملوك الشيعة بالهند، حيث بلغ الشيخ محمد بن علي بن خاتون [1] (كان حيّاً ١٠٣٨هـ) مرتبة أمير الأمراء، في الدولة القطبشاهيّة بالهند[2].

وللشيخ شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن خاتون، امتداد علميّ مهم سينبع في قرية لبنانيّة أُخرى وهي الكرك، التي سيكون لها دور مهمّ في الحوزات العلميّة اللبنانيّة، حيث إن محقّقها (الكركي) وهو الشيخ علي بن عبد العالي (ت: ٩٤٠هـ)، هو أحد تلامذة ابن خاتون، وقد أجازه (سنة ٩٠٠هـ) بعيناثا. وبرز كذلك بعيناثا الشيخ زين الدين بن علي الجباعي (المعروف بالشهيد الثاني) (ت: ٩٦٥)، ودرس على الشيخ أحمد بن محمد ابن خاتون المتقدّم.

وشهدت عيناثا هجرة عالم من إيران إليها ؛ هو الشيخ عبد الله التستري[3] ليدرس على الشيخ أحمد بن نعمة الله خاتون.

١- الشيخ محمد بن علي بن خاتون (ابن اخت الشيخ البهائي): " نزيل حيدر آباد الدكن المشهور بابن خاتون، من أهل القرن ١١هـ وكان من العامليين الذين هاجروا الى إيران ونالوا بها مقامات سامية، ثمّ رحل الى بلاد الهند وتولى وزارة السلاطين القطب شاهيّة الشيعة، وكانت عادتهم آنذاك توليتها لأعاظم العلماء سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٨، وله صورة فريدة في المتحف البريطاني بلندن (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٢٩٩).

٢- الدولة القطبشاهية: "دولة أسسها السلطان قطبشاه الأول ملك حيدر آباد والدكن وحواليها ٨٤٩–٩٥٠هـ ثم استمرت أكثر من قرن. وهم يعودون إلى عائلة (قرة يوسف) من التركمان. وكلهم من الشيعة الإماميّة، كانت بداية ملكهم سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م. (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٣/١٣٦).

٣ -"المولى عبد الله بن الحسين التستري، كان من كبار علماء الشيعة بأصفهان، وصلها وطلبة=

ويمكن إجمال أهمّ ميزات حوزة عيناثا بما يلي:

١- انها كانت من إشعاعات حوزة جزّين الرائدة.

٢- نجحت في استقطاب شخصيّات علميّة شيعيّة مرموقة، من خارج لبنان.

٣- شهدت أشهرُ أُسرها العلميّة (آل خاتون)، هجرةً باتجاه إيران ثم الهند.

٤- هيأت لبزوغ نجمي حوزتين لبنانيّتين في الكرك وجبع، هما الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، والشيخ زين الدين بن علي الجباعي.

٥- اكتفت ذاتيّاً، فلم تحتج الى الدراسة بالحلّة طلباً للاستجازة من فقهائها، بل أخذت تمنح إجازات للفقهاء بدورها.

٦- ومع كلّ ذلك، فلم يصل أحد فقهائها، الى مستوى الشهيد الأول، الذي يُعدّ أحد كبار مراجع حوزة الحلّة، إضافة الى موقعه المرجعيّ بلبنان.

٧- لم تشهد أطروحة (ولاية الفقيه)، أرضية في حوزتها وعلمائها. ولم يثبت أن مراجعها، كان لهم وكلاء في قرى عامليّة أُخرى.

٨- عاشت وضعاً أمنيّاً مستقرّاً، ولم يشهد تاريخها نشاطاً عسكرياً، او قتلًا، لأحد رموزها.

٣- حوزة ميس الجبل[١]: (٨٨٥ - ٩٣٨هـ)

وهي المكان الثالث بجبل عامل، الذي نبعت فيه حوزة علميّة، استطاعت استقطاب أفضل العلماء، وأخيار الفقهاء، من اللبنانيّين الشيعة آنذاك، وذكرت بعض المصادر؛ أن عدد طلّابها بلغ أربعمائة طالب[٢]. وكان أوج عظمتها أيام المحقّق الميسي، وهو الشيخ علي بن عبد العالي ابن مفلح (ت

= حوزتها لا يتجاوزون خمسين طالباً، وبلغوا سنة وفاته (١٠٢١هـ) ألف طالب! حج سنة ٩٨٧هـ، ثم عرّج بعد مكة المكرمة على عيناثا وبعد إجازته عاد الى أصفهان، وهو أستاذ المجلسي الأول توفي يوم عاشوراء، وصلى عليه جمع بلغوا مائة ألف". (القمّي، عباس: الكنى والألقاب، ١١٩/٢).

١- ميس: مرّت ترجمتها في الفصل التمهيدي، ص١٣ .

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠٥.

٩٣٣هـ) وقيل (٩٣٨هـ). وكان الشهيد الثاني؛ الشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ) قد وصفه بأنه: "شيخ فضلاء الزمان، ومربّي العلماء"[١].

وقلنا في أوج عظمتها للتأكيد على أنّ بداية هذه الحوزة، كانت سابقة على عهد المحقّق الميسي، ولعلّ من الأدلة على ذلك، أنّ الشيخ علي ابن عبد العالي الكركي (ت: ٩٤٠هـ)، الملقّب بالمحقّق الكركي، أو المحقّق الثاني، كان قد أجاز الشيخ الميسي علي بن عبد العالي بميس، وأقام بها مدّة، وليس من المتعارف، أنْ يقصد أستاذٌ كبير كالمحقّق الكركي، الى ميس ليجيز المحقّق الميسي، دون أن يكون لميس مستوى علمياً لافتاً، يستدعي مجيء المحقّق الكركي إليها[٢]. فالأستاذ لا يقصد الى بلد تلميذه، والعكس هو الصحيح.

وعلى ضوء هذا الاستنتاج، قدّمنا بروز حوزة ميس تاريخياً، على بروز حوزة الكرك أولًا، ولعلّ مما يؤيّد هذا الاستنتاج في التقديم، أن الشهيد الثاني، اتجه نحو ميس أولًا، قبل مصيره الى الكرك، بعد وفاة المحقق الميسي، ثانياً.

وبالعودة للشيخ علي بن عبد العالي الميسي، فإننا نجد في ترجمته أنه تتلمذ على عَلَمين، من أكابر علماء حوزة عيناثا السالفة، وهما الشيخ محمد بن محمد بن المؤذن الجزّيني، والشيخ محمد بن أحمد الصهيوني[٣]، وهذا دليل ثالث، على أنّ حوزة ميس، كانت أول وريث لحوزة عيناثا، وليس حوزة الكرك. كما كان من أبرز تلامذة المحقّق الميسي، السيد حسن بن جعفر بن

١- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١٢٣/١.

٢- زرق، رامز: ميس الجبل جوهرة جبل عامل، ص١٥٨.

٣- وقد أجازه في سنة ٨٨٤هـ. وأنه عاد الى ميس بعد سنة من الإجازة. (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١١٨/٤). و" صهيون: قلعة متينة في طرف جبل، خنادقها أودية واسعة، هائلة عميقة.. كانت بيد الأفرنج، استرجعها المسلمون، سنة ٥٨٤هـ" (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٤٣٦/٣).

الأعرج الكركي [1] (ت: ٩٣٣هـ). والذي بلغ مرتبة عالية في شيوخ حوزة الكرك، ولعلّ هذا يصلح أن يكون دليلاً رابعاً، على أسبقيّة ميس على كرك حوزوياً.

والغريب في الأمر، أنّ الحوزة انتهت، والمحقّق الميسي ما يزال حيّاً، إذ إن أمراً ما حدث، دعاهُ الى ترك ميس الى قرية صدّيق، حيث مات هناك. فالبعض أرجع ذلك الى ضعف قواه البدنيّة [2] ،فيما حاول أحد الباحثين ربط ذلك بامتداد الحكم العثماني إلى جبل عامل، وتغيّر أوضاعه [3]، ولكن لا نملك تفسيراً مقنعاً لمغادرة حوزة في أوجّ قدرتها؛ وتركها تضمحل وتموت بوقت قصير، إذا قيست ببقيّة فترات حوزات جبل عامل آنذاك.

وسجّلت بعض كتب التراجم هذه المعلومة، التي تعكس صعوبة الحياة آنذاك، وما كان يكابده حتى الفقهاء فيها، إذ كان المحقّق الميسي، على رغم مسؤولياته العلميّة، وإشرافه على حوزة، فيها أربعمائة طالب، "كان ينقل الحطب ليلًا على حماره، في قريته ميس لتلامذته وعياله" [4].

ولهذا فقد يترجّح، أن سبب اختفاء المحقق الميسي، ومن ثمّ حوزة ميس، إلى سبب خاص يتعلّق به، من ضعف إمكاناته الماديّة، التي لا تقوى على القيام بأعباء أربعمائة طالب، وسيأتي مثيل لما ذكر في حوزات المرحلة الثانية عند الحديث عن حوزة شقراء.

ويمكن تلخيص أهم ميزات حوزة ميس بما يلي:

١- السيد حسن بن جعفر بن الأعرج الكركي: "كان فاضلًا جليل القدر من جملة مشائخ الشهيد الثاني، له كتاب العمدة الجليّة في الأصول الفقهيّة وقرأه عليه في الكرك، وهو ابن خالة الشيخ علي بن عبد العالي الميسي...". (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/ ٥٦).

٢- مما يدل عليه ويؤيّده، اعتذار الشيخ حسين عبد الصمد العاملي (ت:٩٨٤هـ)، والد الشيخ البهائي عن عدم دراسته على المحقّق الميسي رغم معاصرته له "لانقطاعه وكبره" ،(الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/ ٣٤٩).

٣- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٢٠٦. استنتاج لا دليل عليه، وحتى لو ثبت خضوع المنطقة للحكم العثماني، فلم يردنا دليل على مضايقات تعرّضت لها حوزة ميس آنذاك (الباحث).

٤- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/ ٣٤٩.

١ – اعتمدت في بروزها وزوالها، على شخص زعيمها، المحقّق علي بن عبد العالي الميسي، وهي ظاهرة سنجد مثيلاتها، في حوزات لبنانيّة أخرى، وفي مقاطع زمنيّة مختلفة[١].

٢ – لم يتبنَّ المحقق الميسي أُطروحة ولاية الفقيه، ولم يعهد له وكلاء، في قرى أخرى.

٣ – مبادرة ابنه بالهجرة إلى الدولة الصفويّة بإيران، ليكون من علمائها (الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي) – رغم مروره بالنجف الأشرف، في فترة رجعت الحوزة إليها، بعد انتقالها من الحلّة – بما سيشكّل ظاهرة، تحتاج إلى دراسة، في أبعاد علاقة علماء لبنان الشيعة، بالدولة الصفويّة وهجرتهم إلى إيران.

٤ – لم تستقطب حوزة ميس – ولعله بسبب قصر عمرها – علماء من خارج جبل عامل، على عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين [٢].

٥ – يبدو أن ما حلّ بالشهيد الأول انعكس على الحوزات بعده، فلم نشهد لها نشاطاً سياسياً أو آراء فقهية، تمتُّ إلى السياسة والحكم بصلة.

٤- حوزة كرك[٣]:(٨٢٠-٩٥٠هـ)

كان لحوزة كرك أبعاد، تجسّدت على أكثر من صعيد. لعلّ من أوضحها؛ البُعد الجغرافي، حيث انتقلت الحوزات الشيعيّة، من جبل عامل (الجنوب

١- وأما ما ذكره بعض الباحثين "أن هذه المدرسة بقيت بعد وفاة مؤسسها ردحاً من الزمن"! راجع ما كتبه محمد كاظم مكي في: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص٣١. فليس عليه دليل، بل الدليل على عكسه (الباحث).

٢- (مكي، محمد كاظم: الحركة الفكريّة والأدبية في جبل عامل، ص٣١) ،(درويش، علي إبراهيم: جبل عامل الحياة السياسية والثقافيّة ، ص١٢٩).

٣- كرك نوح: بكاف وراء مفتوحتين وكاف، قيل أنها لفظة سريانيّة أصلها كركو بمعنى حصن أو معقل، اسم قرية بأسفل جبل عامل من جهة الجنوب، تنسب الى نوح عليه السلام لوجود قبر ومشهد فيها منسوبين إليه، وتتميز بذلك عن قرية كرك الشوبك، (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٨٨).

اللبناني حالياً)، إلى منطقة البقاع، مما يعني بدايةً لمشروع توسّع الحوزة جغرافياً. "ويبدو أن المنطقة احتضنت بعض الطاقات العلميّة، في القرن السادس الهجري. وقد بلغ مركز كرك نوح فترة ازدهاره، في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريّين، عندما استقطب شخصيّاتٍ شيعيّةً كبيرة، حتى من خارج لبنان، من أمثال الشيخ علي بن هلال الجزائري (ت: بعد سنة ٩٠٩هـ)" [١]، ومن قبله الشيخ ابن فهد الحلّي (ت : ٨٤١هـ) فقيه الحلّة الكبير.

فقد "كانت قرية الكرك في أوائل القرن العاشر رحلة العلماء وطلّاب العلم، حتى أن الشهيد الثاني، ارتحل اليها لطلب العلم، كما أخبر هو عن نفسه، مع كثرة المدارس العلميّة في ذلك العهد" [٢]. "كما تخرج منها الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي (ت ٩٨٤)، وعلماء غيرهما من كبار الزعماء"[٣]. وقد أحصى الشيخ الحرُّ العاملي، في المجلّد الأول، من أمل الآمل، ما يقارب من ثلاثين فقيهاً كركيّاً.

وكانت المنطقة تحمل إرثاً فقهيّاً شيعيّاً، يمتد إلى زمان متقدم على ما ذكرنا. وقد يكون الشيخ أحمد بن طارق الكركي (٥٢٧ – ٥٩٢هـ) أول عالم ينسب لهذه القرية والذي يقول فيه الذهبي: "أحمد بن طارق بن سنان المحدّث العالم، أبو الرضا الكركي" [٤] ،وفيه يقول صاحب معجم البلدان: "كان ثقة في الحديث، تاجراً كثير المال، وكان رافضياً" [٥] ، (٥٢٩– ٥٩٢هـ) [٦] .

١- القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص٢٨٠.

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٨٩.

٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣/٤٤٢.

٤- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ٢١/٢٧٠.

٥- الحموي، ياقوت: معجم البلدان ٤/٤٥٢، ويعلّق ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني) في لسان الميزان على ما قال الحموي بقوله: "وياقوت متهم بالنصب، فالشيعي عنده رافضي" ١/١٨٨. "والنصب هو العداء ينبز به أعداء الشيعة"، أو النواصب: قوم يتديّنون ببغضة علي" (ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب ١/٧٦).

٦- (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤/٢٨١).

ومن جهة أخرى، فقد شهدت (الكرك) لقاءً بين أحد فقهائها، وهو الشيخ الحسن بن يوسف المعروف بابن العشرة الكسرواني، وفقيه حلّي هو مرجعٍ من مراجع حوزة الحلّة، وهو الشيخ أحمد بن فهد الحلّي (٧٥٦-٨٤١هـ)، الذي ألجأته الظروف الأمنية الخطيرة التي ألمّت بالحلّة الى تركها، بعد سيطرة الأمراء التركمان عليها ٨٣٦هـ[١]. وتمخّض عن ذلك اللقاء بالكرك، صدور إجازة من ابن فهد الحلّي لابن العشرة في ٨٤٠هـ .

وبذلك يسجّل حضور لحوزة الحلّة، تمثّل في إعطاء حوزة كرك جرعة علميّة كبيرة، بوفود ابن فهد الحلّي إليها، وسيكون لتلميذه ابن العشرة الكركي بضعة تلامذة، قد يكون من أبرزهم، فقيه عراقي آخر، وهو علي بن هلال الجزائري[٢] (ت: ٨٦٢هـ)، والذي أخذ عن ابن موطنه ابن فهد أيضاً، ثم أقام مدّة تقارب الخمسين سنة[٣] بالكرك، وترك أثراً بالغاً في تقوية حوزتها، وإعداد أبرز الفقهاء الذين تجاوزت شهرتهم ونشاطاتهم لا الكرك فحسب، بل ولبنان إلى خارجه، وهو الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، المعروف بالمحقّق الكركي، أو المحقق الثاني(ت:٩٤٠هـ)، أبرز فقهاء حوزة الكرك على الإطلاق.

وجاءت هجرة الشيخ علي بن أبي جمهور الأحسائي، الذي قصد ابن هلال الجزائري إلى الكرك؛ طلباً لإجازته في الرواية سنة ٨٧٧هـ ، وكلّ ذلك يقوّي موقع كرك الحوزوي.

ثم لابدّ من التوقف عند شخصيّة :

١- العزّاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، ٣/٩٥.

٢- الشيخ علي بن هلال الجزائري: نسبة الى الجزائر، وهي مناطق في جنوب العراق تكثر فيها البطائح والأهوار وتغمرها المياه. (الباحث)

٣- فقد أجاز ابن هلال تلميذه الكركي (المحقق) سنة ٩٠٩هـ بكرك، و كان ابن هلال قد بدأ دراسته على الشيخ ابن العشرة المتوفى سنة ٨٦٢هـ بكرك أيضاً، فما بين وفاة أستاذه والذي لا ريب أنه درس عنده قبل وفاته، أي قبل ٨٦٢هـ ثم إلى منح إجازته للمحقق الكركي عام ٩٠٩هـ دليل على بقائه طوال هذه المدّة بكرك، دارساً ومدرّساً.(الباحث).

الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (٨٧٠-٩٤٠هـ).

ولد الشيخ علي بقريته الكرك، في عائلة من عامة الناس، لم يعرف من قبله، أنّ فيها من يشدّ الأنظار نحوه. وتتلمذ بها على يد العالم العراقي، المهاجر اليها؛ الشيخ علي بن هلال الجزائري (ت:٩٠٩هـ)، الذي يذكره في إجازاته بكلّ إجلال وإكرام. كما درس وأُجيز على فقيه حوزة عيناثا، الشيخ محمد بن علي بن خاتون سنة ٩٠٠هـ [١]. وله مؤلفات جليلة لعلّ من أبرزها على الإطلاق كتابُهُ (جامع المقاصد في شرح القواعد)؛ والقواعد: كتاب فقهيّ للعلّامة الحلّي؛ الشيخ حسن بن يوسف بن المطهّر(ت:٧٢٦هـ) المتقدّم، ولا يزال هذا الكتاب، الى الآن، محل دراسة واستفادة.

وكان له طلاب في جبل عامل، وفي خارجها، حيث سكن في الثلاثين سنة الأخيرة من عمره، بين العراق وإيران، فتخرّج العديد من العلماء على يديه في حوزة النجف؛ التي أعاد وجوده بها، القوة الى كيانها؛ فاستقطبت كثيراً من الطلبة والعلماء إليها، وكان قد هاجر إليها سنة ٩٠٩هـ [٢]. وكما كان قد قرأ على بعض العلماء السنّة، ويروي الصحاح الستّة وخاصة الجامع الصحيح للبخاري [٣]. وبذلك توسعت دائرة نشاطاته العلميّة، ومنح الإجازات لتلامذته من الكرك الى النجف وبغداد وأصفهان [٤]. وكان وجوده ممهّداً ومشجّعاً، لطبقة من العلماء العامليّين؛ الذين شاركوا بإعادة الحوزة المركزيّة إلى النجف مرة أخرى، بعد بقائها بالحلّة، لما يقارب ثلاثة قرون [٥].

والمحقّق الكركي، فقيهٌ فريد من نوعه، في الفقهاء الشيعة، فهو قد بلغ شأواً مهماً في الفقه، كما أنه خاض عالم السياسة وإدارة شؤون الدولة، بما يذكّرنا بسلفه بجبل عامل؛ وهو الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزّيني

١- المجلسي، محمد باقر: البحار، ٤٣/٢٣٧-٢٤٣.
٢- المجلسي، محمد باقر: البحار،٤٣/٢٤٦.
٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣/٤٤٨.
٤- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣/٤٤٤.
٥- القزويني، جودت: المؤسسة الشيعية، ص٢٨٣.

(ت: ٧٨٦هـ). ففي سني هجرته الى النجف الأشرف، منذ سنة ٩٠٩هـ حتى – وفاته بها مسموماً [١] – سنة ٩٤٠هـ . والتي تخلّلتها هجرتان إلى بلاد فارس؛ الأولى الى هراة [٢]، وخراسان [٣]، في عهد الشاه إسماعيل الصفوي [٤] منذ (٩١٦–٩١٩هـ)، ولم يتضح دوره في هذه المرحلة كثيراً، من الناحية السياسية، وإن كان محسوباً، على علماء الدولة الصفوية آنذاك [٥]، لكنه ألّف مصنّفات فقهيّة وأُخرى كلاميّة.

لكنّ بروز المحقّق الكركي، كان كبيراً، في رحلته الثانية (٩٣٥–٩٣٩هـ)، أيام الشاه طهماسب الصفوي ابن الشاه إسماعيل [٦]، حيث أصدر بحقه مرسوماً حكومياً، يأمر جميع مسؤولي الدولة بإطاعة أمره [٧]، وقد قال له الشاه طهماسب: "أنت أحق بالملك لأنك النائب عن الإمام عليه السلام وإنّما أكون من عمّالك أقوم بأوامرك ونواهيك" [٨]. مما يعني أن مصطلح

١- الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص١١٤. (يُراجع الهامش (٢) ص ١١٥ حول سمّه).

٢- هراة: "مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة محشوّة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء، خربها التتار سنة ٦١٨هـ " (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٣٩٦/٥)

٣ -خراسان: "بلاد واسعة وتشتمل على أمهات من البلاد منها: نيسابور وهراة وبلخ ومرو (وهي كانت قصبتها) وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس والمدن التي دون نهر جيحون، فتحت سنة ٣١هـ..." (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٣٥٠/٢).

٤- الشاه إسماعيل: "الشاه إسماعيل الأول ابن السلطان حيدر الحسيني الموسوي الصفوي، ولد في ٨٩٢هـ وتوفي في ٩٣١هـ بأردبيل. حكم سنة ٩٠٦هـ لمدة ٢٤ سنة. أول ملوك الصفويّة وموطّد دولتهم، أباؤه من مشائخ الصفويّة، حارب السلطانين العثمانيين بايزيد الثاني وولده سليم الأول..." .(الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٠٠/٥). والملاحظ أن الأمين لم يذكر في ترجمته هذه مجيء الشيخ الكركي أو دوره في ملك الشاه إسماعيل الصفوي. (الباحث).

٥- الأفندي، الميرزا عبد اللّه: رياض العلماء، ٤٤٤/٣.

٦- الشاه طهماسب بن الشاه إسماعيل الصفوي: ثاني الملوك الصفوية قام بأمر الدولة سنة ٩٣٠هـ، أخضع القبائل الاوزبكيّة والتركيّة، توفي ٩٨٤هـ كان معاصراً للمحقّق الكركي والشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي" .(القمّي، عباس الكنى والألقاب، ٤٢٤/٢).

٧- يمكن مراجعة نصّه بالفارسية في: (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء ٤٥٥/٣)، (الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة ص١١٠–١١٣).

٨- (البحراني، يوسف: لؤلؤة البحرين، ص١٥٣)، (الخونساري، محمد باقر: روضات =

(نائب الامام)، كان قد وجد له أرضيّة واسعة، في الثقافة الشيعية آنذاك.

وقد طرح أحد الباحثين، رأياً مفاده: أن الصفويّين، إنّما كانوا محتاجين للفقهاء الشيعة العرب، من جبل عامل، وكان استدعاؤهم، من أجل نشر التشيّع بإيران، وتعبئة الإيرانيين، مقابل الخطر العثماني، ذي الاتجاه الفقهي السنّي [١].

في حين يشكّك آخرون، فيقولون: إنّ استدعاء الفقهاء العرب الشيعة، لم يكن أيام الشاه إسماعيل، وانما تمّ في مراحل متأخرة، في فترة الشاه عباس الصفوي الكبير[٢]، [٣].

وكأنَّ صاحب الرأي الثاني، نظر إلى العلماء العامليّين، المهاجرين إلى إيران، وخصوصاً أصفهان، وإلى كثرتهم حينما صارت ظاهرة، ولم ينظر إلى روّاد هذا الحضور الكبير، ولذلك فإن الرأي الأول قد يكون الأرجح. فما أشدّ حاجة أهل السياسة والحكم – في حالات كثيرة – الى غطاء ديني، وربما مذهبي، من أجل تحقيق طموحاتهم العسكرية والسياسية، باعتقاد منهم، أو بما يسد حاجتهم إليه. "إنّ حروب الصفويين والعثمانيين، كانت للملك والاستقلال به، حيث اتخذ كلّ منهما الدين والمذهب ذريعة، بل آلة للوقيعة بالآخر، والقضاء على سطوته..." [٤].

ومهما يكن من أمر، فقد ثنيت الوسادة للمحقق الكركيّ، و" أخذ يقيم صلاة الجمعة، ويبثّ العلماء وأئمة الجمعة، ويهيىء رواتب الأئمة والمؤذنين، وأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة المنكرات، وإقامة الحدود

= الجنات، ٤/٣٦٣)، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة ١٢/٢٦٥). والإمام هنا هو الإمام المعصوم، اي آخر الأئمة الاثني عشر، المهدي المنتظر.(الباحث).

١- الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، ١/٦٠.

٢- الشاه عباس الصفوي الكبير:الشاه عباس الأول، وهو الخامس من ملوك الدولة الصفويّة،حكم نيفاً واربعين سنة حتى وفاته سنة ١٠٣٨هـ– اشتهر باهتمامه بالبناء وكثرة المبرّات، نقل العاصمة من قزوين إلى أصفهان. (القمّي، عباس: الكنى والألقاب، ٢/٤٢٤).

٣- القزويني، جودت: المؤسسة الشيعية، ص٢٨٤.

٤- العزاوي، عباس: العراق بين احتلالين، ٣٢/٣٤٤.

والتعزيرات[١]، [٢].

لقد كان لحضور المحقّق الكركي الفاعل في الدولة الصفويّة، ومن تبعه من علماء جبل عامل أثران كبيران؛ أولهما عقدي؛ إذ منعوا من تحوّل إيران، الى دولة تتبنّى المذهب العلويّ، والغلوّ في التشيّع [٣]. وثانيهما؛ تمثّل في بروز دور الفقهاء، في مجريات السياسة في إيران. ومنذ ذلك الوقت، أصبح الفقيه من الأرقام، التي لها ثقلها في السياسة الإيرانيّة؛ سواء أكان داخل جهاز الدولة، أم خارجه'[٤]. وهذا ما جعل الجوانب السياسيّة في الحوزة الإيرانيّة، (قم، أصفهان، مشهد)، أشدّ حضوراً منها في الحوزات العراقيّة؛ (الحلّة، النجف، كربلاء وسامراء)، وما يترتب على هذا الحضور من رؤىً فقهية، والمثل الأبرز أُطروحة (ولاية الفقيه).

والملاحظ أنّ هجرة المحقّق الكركي إلى النجف، ثم هجرتيه إلى بلاد العجم، كانت قد حفّزت علماء حوزة الكرك للالتحقاق به، ومن ثَمَّ تبوّء مراكز مهمّة، في الدولة الصفويّة. فالعلماء المعاصرون للمحقق الكركي، كانوا بالكرك، وأمّا الذين جاؤوا بعدهم، ومنهم ولدا المحقق الكركي نفسه؛الشيخ عبد العالي (ت: ٩٩٣هـ)، والشيخ حسن (كان حيّاً سنة ٩٧٢هـ). فقد يمّموا وجوههم تجاه أصفهان عاصمة الصفويّين آنذاك. ولهذا اعتبرنا وفاة المحقّق الكركي بالنجف سنة ٩٤٠هـ، أو بعيدها بقليل، نهاية لحوزة كرك، التي لم تر النور بعد ذلك.

---

١ -' كلّ ما له عقوبة مقدّرة، يُسَمى حدّاً، وما ليس كذلك يُسمَى تعزيراً، وأسباب الأول ستة: الزنى وما يتبعه، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة وقطع الطريق. والثاني أربعة : البغي، الردّة، إتيان البهيمة، ارتكاب ما سوى ذلك من المحارم' . (الحلّي،جعفر بن الحسن المحقّق: شرائع الإسلام ، ١٤٧/٤).

٢- (الأفندي، الميرزا عبد اللّه: : رياض العلماء، ٣/ ٤٥١)، (الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص١٠٩)، (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/ ٢٦٥).

٣- مطهري، مرتضى: الإسلام وإيران، ص٣٢٩.

٤- القزويني، جودت: المؤسسة الشيعية، ص٣١٥.

وهكذا هي الحوزات اللبنانية، إن لم تنهها ظروف قاهرة، أنهتها طاقاتها المهاجرة.

وأما أهم ميزات حوزة الكرك، فيمكن إجمالها في النقاط أدناه:

١ – تعتبر حوزة الكرك، امتداداً لحوزتي جزين وعيناثا، معاصرة لحوزة ميس؛ حيث صارت الكرك تستقطب علماء ميس، وطلّابها، بعد وفاة المحقق الميسي.

٢– أول حوزة شيعية في البقاع، تكسر احتكار بلدات جبل عامل، للحوزات الشيعية.

٣– أسست لحوزة جبع، حيث قرأ فيها أبرز فقهائها الشهيد الثاني؛ الشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ)، الآتي ذكره.

٤– استقطبت حوزة الكرك، هجرة علمائية من خارج لبنان، ومن الحلّة بالخصوص، وقد أمضى فيها ابن هلال الجزائري، أغلب عمره حتى مات بها. كما شهدت ذلك قبلها؛ حوزتا جزين وعيناثا، فيما غابت عن ميس.

٥– ارتبطت حوزة كرك، بمرجعها الفذّ، الشيخ المحقق الكركي علي بن عبد العالي، فما تكاد تُذكر حتى يُذكر. على رغم وجود فقهاء كبار، سبقوه بها، ورغم أنه لم يكن مؤسسّها؛ مثل الشهيد الأول، أو المحقق الميسي.

٦– أسهمت – عبر المحقق الكركي بإعادة الحياة العلميّة الى حوزة النجف، في مرحلتها الثانية [١]، وهي أول حوزة لبنانية تنهض بهذه المهمّة الجليلة.

٧– أسّست لهجرة علماء جبل عامل، الى إيران الصفويّة، ونال علماؤها مناصب في دولتها، وحظوا بأرفع الألقاب.

٨– أعاد المحقّق الكركي، أطروحة ولاية الفقيه، التي لم تجدْ لها مؤيّداً بجبل

١- في النجف الأشرف مسجد قديم يعرف الآن بـ (مسجد الشيخ الطريحي) "ربما ينسب الى الشيخ علي المحقق الكركي، المشهور، والمتوفى سنة ٩٤٦هـ" (محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها، ١/١٢٤). راجع الملاحق، الصورة رقم (٥).

عامل منذ الشهيد الأول.

نقاط الاختلاف أو التوافق بين الشهيد الأول والمحقّق الكركي :

١– كل منهما بلغ مرحلة علمية متقدمة جداً، وتركا آثاراً فقهيّة مهمّة، لا تزال حيّة، في الحوزات الشيعيّة في العالم.

٢– تبنّي الشهيد الأول مصطلح (نائب الإمام)، واستثمار المحقّق الكركي لهُ، في مشيخة الإسلام، في الدولة الصفوية.

٣– كانت مرجعيّة الشهيد الأول محصورة بشيعة لبنان، في حين شملت مرجعيّة المحقّق الكركي، العراق وإيران.

٤– جهد الشهيد الأول، أن ينأى بنفسه، عن أي ارتباط بدولة ابن المؤيّد الشيعيّة بخراسان، في حين أن المحقّق الكركي، صار مفصلًا أساسياً في الدولة الصفويّة.

٥– طلّاب الشهيد الأول ظلّوا بلبنان، بينما هاجر طلاب المحقّق الكركي، إلى إيران.

٦– كانت للشهيد الأول بدولة المماليك بالشام علاقة جيّدة [١]، ولم تثبت علاقة للمحقق الكركي، مع عثماني الشام.

٧– درس الشهيد الأول، على علماء من مذاهب إسلامية أخرى، وكذلك فعل المحقّق الكركي.

٨– انتهت حياة الشهيد الأول قتلًا بدمشق، وانتهت حياة المحقّق الكركي سمّاً بالنجف! [٢].

١- كانت للشهيد الأول محمد بن مكي الجزّيني (ت:٧٨٦هـ) علاقات قوية بدمشق، حيث كان يحضر مجلسةُ علماء المذاهب الإسلامية الأربعة ومع الحكم المملوكي التركي، حتى كان للشيعة بلبنان (مرسوم سلطاني)، وكان للشهيد قد أقام بدمشق، مدة طويلة في سنيّه الأخيرة. (الأفندي، الميرزا عبد الله، رياض العلماء، ٥/١٨٩)، (ابن يحيى، صالح التنوخي: تاريخ بيروت، ص١٩٥).

٢- ذكرت بعض المصادر : "أن بعض رجال الدولة (الصفويّة) كان ينصب العداء للشيخ، ويتحرّى الغوائل لقتله، ويتربّص به الدوائر". (الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص١١٥).

٥ – حوزة جُبَع (جُباع)[1] (منتصف ق ٨هـ – ١١١٥هـ)

ثم جاء دور حوزة لبنانيّة أخرى، وهي حوزة جُبع، التي وإن جاءت متأخرة تاريخيّاً بعض الشيء عن الحوزات التي سبقتها، ولكنها استطاعت أن تثبت حضوراً ما يزال عطاؤه باقياً، فكم ترك الأول للآخر [٢]، فهي الحوزة اللبنانيّة، الأطول عمراً والأثرى إنتاجاً على الإطلاق؛ حيث استمرّت بضعة قرون، وإن تخللتها فترات ركود.

والأمر اللافت في علماء جُبع، ذلك التواصل العلميّ، المتميّز بين السلف والخلف، في عائلاتها العلميّة؛ فإن أبرز علمائها الشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ)، المعروف بالشهيد الثاني، هو الحفيد السادس – من الفقهاء، الذين امتدوا قرنين من الزمان – لأحد روّاد الحركة العلميّة بجبل عامل؛ وهو الشيخ صالح بن مشرف الطلّوسي الجبعي (راجع ص٨٠). وفي الوقت نفسه ، فقد كان للشهيد الثاني، أكثر من اثني عشر عالماً فقيهاً من ذريّته وأحفاده، عرفوا بـ 'سلسلة الذهب' [٣].

ومن جهة أخرى، فقد برز من جبع؛ عالم فذّ، تجاوز تفوّقه ما اعتاد الفقهاء على دراسته، والغوص فيه، الى علوم غريبة، واكتشافات علميّة عجيبة، ما يزال بعضها ماثلًا؛ في أبنية ومساجد مدينة أصفهان بإيران [٤]. وفي بطون الكتب، وعلى ألسنة الناس كثير من أشعاره وعلومه؛ إنه الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجبعي الحارثي (٩٥٣–١٠٣١هـ) [٥]، والمعروف بالشيخ البهائي.

١- جُبع بالجيم المضمومة والباء الموحّدة المفتوحة، والعين المهملة. ويقال: جُباع بالمدّ، وتعرف بجبع الحلاوة تمييزاً لها عن جبع الشوف في جبل لبنان، وجبع بنيامين في فلسطين. قيل انّ اسم جبع عبراني معناه التلّ، وهي من أعمال الشومر في جهات صيدا، وجبع من أنزه البلاد وأطيبها هواءً وأعذبها ماءً وأكثرها وألذها ثماراً ...'. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٣).

٢- مثل يُضرب لبيان وفرة الفرص لنجاح التالين.(الباحث).

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٥.

٤- مغنية، محمد جواد: الشيعة في الميزان، ص١٨٤.

٥- القمّي، عباس: الكنى والألقاب، ٢/١٠٠.

إنّ جبع "كانت هي، وجزين، ومشغرى، مجمع علماء جبل عامل وطلّابها" [(١)]. وقد ذكر السيد محسن الأمين، أسماء واحد وثلاثين عالماً، من علماء جبع، بعدما قال: "وقد خرج منها، جملة من العلماء، يعسر إحصاؤهم" [(٢)].

وقد استمرّت حوزة جبع خلال ثلاثة أدوار هي:

الدور الأول

وهو الدور الذي بدأهُ الرائد؛ الشيخ صالح بن مشرف الجبعي، وتبعه نبوغ نخبة من فقهاء جبع، بعد قرن من ذلك الزمان. وأبرزهم الشيخ علي بن حسن الجباعي (ت: ٨٦١هـ)، الذي جاء بعد انقطاع علميّ طويل، والذي أنجب بدوره علماء ثلاثة من أبنائه وهم:

١- إبراهيم بن علي بن حسن (المشهور بالكفعمي) (ت٩٠٥هـ)، نسبة الى قرية مندرسة بجبل عامل تدعى (كفر عيما) [(٣)]. وله مصنّفات كثيرة ومتنوعة وله أشعار معروفة.

٢- أحمد بن علي بن حسن، والمعلومات عنه قليلة ولكن اسمهُ ورد في بعض الإجازات.

٣- محمد بن علي بن الحسين (ت ٨٨٦هـ)، وقد "كان من أعاظم العلماء" [(٤)].

وقد قدّر لهذا الأخير؛ والذي كان من تلامذة الشيخ ابن فهد الحلّي [(٥)]

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٢ .

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٢-٢٢٤.

٣- كفر عيما بعين مهملة ساكنة وميم وألف، قرية خراب من ناحية الشقيف، قرب جبشيت، وإليها يُنسب الشيخ إبراهيم الكفعمي صاحب (الجنّة الواقية) المعروف بـ (المصباح)، فرغ منه سنة ٨٩٥هـ وكتاب (البلد الأمين). وفيها قبره ظاهر معروف" .(الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٩٤).

٤- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ص٣٥٦.

٥- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ١/١٩٣.

(ت:٨٤١هـ) – الذي أخذنا نكتشف آثار حضوره العلميّ في أكثر من حوزة لبنانيّة في تلك المرحلة – أن يُرسي الدعائم المهمة لقيام حوزة جُبع.

إن النهضة الحقيقيّة لحوزة جبع اعتمدت على ثلاثة علماء؛ أوّلهم الشيخ عبد الصمد بن محمد بن علي الجبعي (ت: ٩٣٥هـ). وهو جد الشيخ البهائي. وثانيهما السيد حسين بن أبي الحسن الجباعي (ت:٩٦٣هـ). وهو الجدّ الأعلى لأسر علميّة كبيرة بلبنان وخارجه؛ وهم آل نور الدين وشرف الدين والصدر. والثالث هو الشيخ علي بن أحمد بن الحجة النحاريري الجبعي (ت: ٩٢٥هـ). وهو والد الشهيد الثاني.

الدور الثاني

فترة الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد بن الحجة النحاريري الجبعي (الشهيد الثاني)، الذي ولد في (٩١١هـ)، ثم عُرف شاباً يافعاً مهاجراً لطلب العلم، من قريته جبع الى ميس، بعدما توفي والده (سنة ٩٢٥هـ)، ثمّ الكرك سنة ٩٣٣هـ.

بعدها عاد الى جبع في سنة ٩٣٦هـ، ليُعلن عن نهضة علميّة كبيرة، ولكننا نجدهُ يبدأ رحلة علميّة جديدة، وهذه المرّة باتجاه مراكز الدراسات الفقهيّة السنيّة، وليقرأ على أشهر علمائها آنذاك، ففي دمشق حضر على الفيلسوف شمس الدين بن مكي (ت٩٣٨هـ)، في علوم الطب والهيئة وحكمة الإشراق سنة ٩٣٧هـ، والقراءات على الشيخ أحمد بن جابر ثم عاد الى جبع. وفي سنة (٩٤٢هـ)، رحل الى مصر ودرس على ستة عشر رجلًا من أكابر علمائها [1]، وشمّر عن ساعد الجهاد العلميّ، حتى صارت جبع، كعبة لطلبة العلم، وبنى لنفسه بيتاً ومسجداً [2] بيده، وقد تخرج من هذا المسجد أفواجٌ

١- (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٢/٣٧٣) وكذلك (الجباعي،علي بن محمد: الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، ٢/١٤٩–١٩٨ – ففيه أوصاف لحياة الشهيد الثاني بقلم تلميذه، (القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعيّة، ٣٣٢).

٢- وقد بني مسجد حديث على موضع بيته ومدرسته، ولا يزال جزء منهما خارج المسجد، يعرف الآن بمسجد الشهيد الثاني، وهناك صخرة قديمة عليها كتابة، صليت فيه الاثنين ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ/ ١٤ أيار٢٠٠٧م. (الباحث). (راجع الملاحق، الصورة رقم: ٦).

من العلماء الفقهاء. ترك الشهيد الثاني مؤلفات قيّمة وافرة في آن واحد حتى بلغت الستين، وما يزال بعضها موضع دراسة الحوزات الشيعيّة بالعالم، ولا يمكن لطالب العلم الشيعي تجاوزها. والشهيد الثاني "هو أول فقيه شيعيّ يستعمل طريقة المزج في الشروح [1]، وأول فقيه شيعي كتب في علم دراية الحديث[2] " [3].

وقد ترك ذلك التألق العلميّ، وكثرة قراءاته وأساتذته، وتنوّع مشاربهم، آثاراً واقعية؛ انعكست في كثرة تلامذته والآخذين عنه والدارسين عليه.

ومن جهة أُخرى، فقد كان الشهيد الثاني يتبوأ مرجعيّة دينيّة وفتوائيّة، تجاوزت لبنان، بل والبلاد العربية، إذ كانت تَرِده مسائل شرعية من جهات مختلفة، انعكست في رسائله التي تركها في تراثه العلمي، ومنها على سبيل المثال: (جواب المباحث النجفيّة)، و(جواب المسائل الهنديّة)، و(جواب المسائل الشاميّة) و(جواب المسائل الخراسانيّة)، إضافة إلى (أجوبة مسائل جبل عامل) [4].

والأمر اللافت في موضوع الجانب العلمي للشهيد الثاني، أن بعض العلماء الشيعة، اعتبروه أحد ثلاثة من فقهاء الشيعة، كانوا قد تأثروا بالمنهج الفقهي السنّي، وأسلوب طرحه. ومن هؤلاء المتّهمين؛ أحد أحفاد الشهيد الثاني، وسمّيه؛ الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن الشهيد الثاني (ت: ١٠٩٤هـ)، الذي كان يتعجّب من دراسة جدّه الشهيد الثاني، والشهيد الأول، والعلّامة الحلّي، على علماء من السّنة [5]. وكأنّ أجواء الإنفتاح المذهبي، كانت مستغربة في تلك الفترة الزمنيّة.

١- الشرح المزجي:إنّ شرح متون الكتب يمكن أن يكون، ببيان معنى الكلمة المطلوبة في الهامش، ويمكن أن يكون الشرح ممزوجاً مع المتن. فتذكر الكلمة بين قوسين وشرحها بعدها في سياق واحد، وهي طريقة الشرح المزجي. (الباحث).

٢- علم الدراية: "الدراية لغة هي العلم، وأما اصطلاحاً فهي: علم يبحث فيه عن سند الحديث، ومتنه، وكيفيّة تحمّله، وآداب نقله". (وهبي، مالك مصطفى: بحوث في علم الدراية والرواية، ص٢٥).

٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣٦٨/٢.

٤- العاملي،علي بن محمد:الدر المنثور، ١٨٩/٢.

٥- الحرالعاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ٨٩/١.

نشاطات الشهيد الثاني ومقتله

لم يكن في الحسبان، على الأقل في تلك الأجواء، التي مرّت بها الحوزات الشيعية بلبنان، أن فجيعة أخرى، ستحلّ برمز من رموزها العلميّة الكبيرة، بعد فجيعة قتل الشهيد الأول، ومن خلال ما مرّ بنا، من سيرة الشيخ زين الدين الجبعي (الشهيد الثاني)، وجدناه توّاقاً للانفتاح العلميّ والمعرفيّ، على بقيّة علماء المذاهب الإسلامية، حتى هاجر الى مضانّ علومها ومراكز علمائها. والرجل لم يكتف بذلك، بل قام بخطوة ما خطاها عالم شيعي قبله، حينما قصد عاصمة الخلافة العثمانيّة، ليلتقي بعلمائها ووجهائها.

فبعد ثلاث سنين، من نهاية جولته العلميّة، وإشرافه على حوزته بجبع، نجده متوجّهاً إلى القسطنطينية[١] في عام ٩٥٢هـ . وقد بيّن أسباب سفره بقوله: "الاجتماع بمن فيها من أهل الفضل والعلوم، والمتعلّقين بسلطان الوقت والزمان، سليمان بن عثمان [٢]" [٣]. ولم يعد من سفرته تلك التي طالت أشهراً ثلاثة، إلّا بتخويل رسميّ بمشيخة (المدرسة النّوريّة) ببعلبك، بما يعني اعترافاً بقدراته العلميّة من جهة، وانفتاحاً مذهبياً رائداً آنذاك، من جهة أخرى، والأهمّ - بنظرنا - ما يعنيه ذلك من رضا الدولة عنه واطمئنانها إليه، ولم يكن هو الوحيد الذي عاد بهذا التخويل، فقد عاد تلميذه ورفيق دربه؛ الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي (ت:٩٨٤هـ)،

١- القسطنطينيّة: " ويقال لها قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة، كانت رومية دار ملك الروم، وأصلها بزنطة ثم بنى عليها قسطنطين سوراً فسماها القسطنطينيّة. لها خليج من البحر يطيف بها من وجهين؛ مما يلي الشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي من البرّ". (الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ٣٤٧/٤).

٢- سليمان بن سليم الأول القانوني عاشر سلاطين آل عثمان، تولّى العرش إثر وفاة والده سليم الأول عام ٩٢٦هـ وعمره ٢٦سنة، امتدّ حكمهُ ٤٦ سنة، والدته سورية تدعى (أولغا) التي زوّجته بدورها من فتاة يهوديّة سمّيت خرّم بعد ذلك. بدأ حكمه بالعفو، كان محباً للعلم والعلماء وشجع الأدباء والفنون، فتح بغداد سنة ٩٤١هـ مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا، توفي سنة ٩٧٤هـ (مؤسسة أعمال الموسوعة: الموسوعة العربية، ١٢٢/١١).

٣- العاملي، علي بن محمد: الدّر المنثور، ١٧٠/٢.

بوثيقة أُخرى للتدريس في المدرسة النظاميّة ببغداد.

وقد قام الشهيد الثاني بتدريس الفقه على المذاهب الخمسة، وأمضى ببعلبك ما يقارب السنتين، كانت من أفضل سني حياته: "ثم أقمنا ببعلبك، ودرّسنا فيها مدّة في المذاهب الخمسة، وكثير من الفنون، وصاحبنا أهلها، على اختلاف آرائهم، أحسن صحبة، وعاشرناهم أحسن عشرة، وكانت أياماً ميمونة وأوقاتاً بهيجة، ما رأى أصحابنا في الأعصار مثلها! "[1].

وفي سنة (٩٥٥هـ) نجده يترك بعلبك فجأة، ويعود إلى قريته جبع، ويمضي العشر سنين الأخيرة من عمره متخفّياً، ومطارداً في قرى جبل عامل، حتى مقتله!! فما الذي تغيّر أولّا ، ولماذا انتهت حياته بالقتل ثانياً؟.

لا تسعفنا المعلومات التي جاءتنا عن تلك الفترة، بالأسباب الحقيقيّة وراء هذا التحوّل الغريب، والتبدّل العجيب في أحوال الشهيد الثاني، وموقف السلطة العثمانية منه. ويدّعي بعض الباحثين: "أنّ المماليك لم يكونوا يحملون همّاً ثقافيّاً، بل كان الذي يهمهم بقاء ملكهم، عكس العثمانيين؛ الذين يراعون الجوانب الثقافية ولا سيّما المذهبيّة منها، ويولونها عناية خاصّة "[2].

ويضاف إلى هذا، أجواء النزاع ؛ حيث كانت تحتدم الصراعات والحروب المدمّرة، بين العثمانيين والصفويّين. فكلما توتّرت الأجواء واحتدمت المعارك، فإن جبل عامل تصيبه، بعض الضغوطات، على أرضية تشيّع أهله. ويمكن أن نسجّل ما يلي من النقاط:

١- إنّ الشهيد الثاني كان مدركاً لهذا التحوّل الكبير، في خارطة العالم الإسلامي آنذاك، فلعله كان يهدف، إلى توثيق علاقاته، مع علماء المسلمين السنّة، ومساحات تأثيراتهم الحكوميّة والشعبيّة، في رحلاته العلميّة، ولم يكن الأمر مقتصراً على البعد المعرفي فقط.

٢- خطوته الجريئة، بالسفر إلى العاصمة العثمانيّة، ولقاؤه أرفع المستويات

١- العاملي، علي بن محمد: الدّر المنثور ، ١٨٢/٢.

٢- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٢١٨.

العلميّة، والحكوميّة بها، لمحاولة دفع أي تصوّر سلبي عنه، وعن ولائه السياسي.

٣- قدراته الاجتماعية الفائقة، وأساليب علاقاته الهادفة، التي مكّنته من أن يعيش، أفضل سنيّ حياته - كما صرّح بنفسه - في مجتمع، يختلف عن قرى جبل عامل. فقد كان معروفاً بـ "قضاء حوائج المحتاجين، وتلقي الأضياف، بوجه مسفر وكرم وبشاشة"[1] فـ "صار أهل البلد كلهم في انقياده"[2].

٤- نأيُهُ بنفسه، عن أي علاقة تربطهُ بالدولة الصفويّة ورجالاتها. بل حتى بعلماء جبل عامل، الذين تبوأوا مناصب فيها، من حوزتي الكرك وعيناثا، وربّما غيرهما، بل لمْ نشهد له نشاطاً، حتى في الحوزة النجفيّة الناهضة آنذاك! لمزيد من الاحتياط.

٥- سريّته المفرطة، واحتياطه الملفت، بعدم ظهوره بمظهر المجتهد المرجع، مما قد يشكّل دليلًا يؤخذ بجريرته، ويُشنّع من خلاله على وضعه. وامتدّ هذا الاحتياط وتلك السريّة، حتى خارج لبنان، ففي سفرته إلى العراق لزيارة مراقد الأئمة هناك، التقى به أحد تلامذة المحقق الكركي؛ وهو السيّد شرف الدين السّماك العجمي (كان حيّاً في ٩٥٢هـ)، وأخذ عليه العهد عند قبر الإمام علي عليه السلام بالنجف، إلّا ما أخبره إن كان قد بلغ مرحلة الاجتهاد أم لا[3].

وقد وُصِف الشهيد الثاني على لسان تلميذه "أنه بالغ في كتمان أمره"[4].

٦- محاولاته للانفتاح على علماء بقية المذاهب الإسلامية، بطرح مفاهيم تدعو الى الانفتاح على الآخر، ونبذ الجمود. كما في ذلك الحوار، الذي جرى بينه وبين أحد أساتذته المصريّين، وهو الشيخ علي بن محمد البكري الشافعي. (مراجعة نصّ الحوار في الملحق رقم: ١).

١- الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/٨٨.

٢- العاملي، علي بن محمد: الدر المنثور، ٢/١٨٢.

٣- الخوانساري، محمد باقر: روضات الجنات، ٣/٣٦٤.

٤- العاملي، علي بن محمد: الدر المنثور، ٢/١٦٨.

٧– لم ينقل عنه، أنه بثّ الوكلاء، أو جبى الأموال الشرعيّة؛ من أخماس أو زكوات، من قرى جبل عامل، كما فعل سلفه الشهيد الأول.فضلًا عن موضوع (ولاية الفقيه) ونتائجه.

٨– آثر ترك بعلبك بهدوء، وراح يتخفّى بقرى جبل عامل، فلم يواجه، ولم يغادر الى بلاد أخرى، مثل إيران والعراق أو الحجاز. في وقت استطاعت فيه الدولة الصفويّة جذب فقهاء عامليّين آخرين اليها. نعم ذكر أنه في آخر سني اختفائه وهي سنة مقتله، شدّ رحاله الى مكة المكرّمة، بنيّة مجاورة البيت الحرام، ولم يتم له الأمر، حيث أُخذ من هناك.

ورغم كل النقاط التي ذكرت سابقاً، وربّما كان هناك غيرها، فقد انتهت حياة الشيخ زين الدين الجبعي بالقتل [١].

أسباب قتل الشهيد الثاني

ذكرت أسباب عدة لمقتل الشيخ زين الدين بن علي الجبعي، أبرزها:

١– إحنٌ وأضغان شخصيّة، حيث ترافع للشيخ الجبعي متخاصمان، فحكم لأحدهما على الآخر، فغضب المحكوم عليه [٢]، وذهب الى قاضي صيدا، وأوغر قلبه عليه، فبعث خلفه من يطلبه، فاضطر للهرب إلى مكة المكرّمة، كما مرّ بنا.

٢– تطوّرات أمنيّة خطيرة ألمّت بأقرب الناس إليه، حيث قتل أهمّ المموّلين الأساسيّين له، (من وجهاء الشيعة). فقد وجد الحاج شمس الدين محمد بن هلال، مقتولًا في داره مع ولديه وزوجته [٣]، مما أربك وضع الشيخ نفسه، وربّما يكون القاتل واحداً في الحالتين.

١- زرت قرية جبع يوم الإثنين ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ، ١٤آيار ٢٠٠٨ من الساعة ١٢–١:٣٠ ظهراً، وسألت كثيراً عن البستان محل اختفائه حتى وصلت إليه، في أعلى جباع (القبتي) من أملاك ورثة الحاج حسين الجزّيني حالياً، راجع الملاحق، صورة رقم (٧) (واستفدت من المعلومات التي قدمها السيد عبد الهادي عبد الله نور الدين، من مواليد جباع١٩٢٤م). (الباحث)

٢- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ١/ ٩٠.

٣- (العاملي: الدّر المنثور، ٢٥/١٦٢) ،(الخونساري، محمد باقر: روضات الجنّات، ٣/٣٥٥).

٣- رغم تكتّمه وتستّره على وضعه العلمي، فقد ذاع صيته، وانتشر فضله، فخيف منه، وحُسد فبُغي عليه، حتى قُتل. وكيف لا وقد وُصف بأنه " المرجع العام للأنام "[١].

٤- اتهامه بادعاء الاجتهاد في مقابل المذاهب الأربعة، المعتمدة عند الدولة العثمانية، وأن ذلك يدعو الى: "إشاعة الرفض الذي هو بعينه الكفر المحض "[٢]، فصدر الأمر من الوزير رستم باشا بقتله[٣].

٥- النعصّب المذهبي: حيث ذهبت آراء بعض الباحثين، أنّ الدولة العثمانية، كانت تولي المسائل المذهبيّة اهتماماً بالغاً، حتى قيل "إن الشعوب التركيّة عموماً، حملت منذ دخولها في الإسلام، لوناً مذهبياً حادّاً جدّاً" [٤]. ومن شأن الأجواء المذهبية المتوترة – من أي مذهب كانت – أن تكون في حسّاسية مفرطة، مع أي لون مذهبي آخر، وقد ينتهي الأمر حتى بالقتل. وقد جاء صريحاً، في بعض التواريخ باللغة الفارسية، لفظ " وقتلوه تعصّباً لمذهبهم "[٥].

٦- إن الشهيد الثاني، راح ضحيّة الصراع السياسي – العسكري، المحتدم بين الدولتين العثمانيّة والصفويّة، وإن زمن الحروب؛ زمن يُبتلى بتفاقم نظرات الشك والريبة، وتضخيم العدو المُفترض أو المتوقّع.

٧- الشيعة في لبنان، جزيرة في وسط سنّي كبير، وإنّ من غير المستبعد – بل هو المتوقع بمستوى كبير أنّ العثمانيّين، لا ينظرون اليهم بعين الارتياح، ولا يشعرون من جهتهم بولاء مطلق لدولتهم. خاصّة وإن هناك فقهاء شيعة، جاؤوا من هذا البلد، وهم الآن يباشرون مهمّات دينيّة وحكوميّة كبرى، في الجهة المناوئة (الدولة الصفويّة).

لقد كانت مرحلة الشهيد الثاني، قد شهدت أكثر من صراع، بين الصفويّين والعثمانيّين، أوائل عام (٩٥٥هـ)، حينما هاجم الشاه طهماسب

١- الصدر الكاظمي، حسن : تكملة أمل الآمل، ص٢١٤ .

٢- روملو، حسن بيك: أحسن التواريخ، ص٥٢٠.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة ٩١/١١.

٤- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٢١٨.

٥- نقلًا عن تاريخ (جهان آرا) الوارد في (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣٦٨/٢).

الدولة العثمانية، وهو الوقت نفسه، الذي شهد أيضاً، اختفاء الشهيد الثاني عن مدرسته ببعلبك...

إن ما ذكر من أسباب لمقتل الشهيد الثاني، كلّها في مكان الإحتمال، وقد يكون بعضها في تداخل مع البعض الآخر، لكنّ السببان الأخيران، قد يكونان أوجه الأسباب المتصوّرة والمحتملة؛ فإن ظروف الحروب القاسية، ولا سيّما تلك التي تأخذ طابعاً دينيّاً، أو مذهبيّاً معيّناً، تؤدي الى نتائج، مثل ما نحن بصدده.

وهناك معلومة، تجعل الشك يتسرّب، الى بعض الأسباب السابقة، وهي أن شخصيّة بارزة، في الدولة العثمانية؛ وهو السيّد عبد الرّحيم العبّاسي [١]، قد سعى بكلّ جهده للاقتصاص من قاتل الشهيد الثاني، حتى تمكّن من ذلك [٢].

وكان العباسي هذا قد التقى الشهيد الثاني، في سفرته الأولى الى العاصمة العثمانيّة، وعرف فضله [٣]. فإن كان للشهيد الثاني مثل هذا الموقع عند بعض علماء العثمانيين، فكيف يمكن أن يقتل في هذا الصراع؟ إلّا اذا قلنا إن هناك مراكز قرار متعدّدة، فليس من الضرورة، أن يكون قرار المسؤول العسكري، أو الأمني، في دولة ما، منسجماً مع رأي فقيه، حتى لو كان يُحسب على الدولة نفسها، أو الاتجاه السياسي نفسه!.

ولكن برجوعنا الى ترجمة العباسي، نجد أن وفاته كانت في (٩٦٣هـ)، أي قبل سنتين من قتل الشهيد الثاني، مما يجعلنا في شك من كلّ عملية القصاص هذه. واعتماداً على هذا، واذا نفينا سعي العباسي للاقتصاص من

١- عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي: عالم بالأدب من المشتغلين بالحديث، ولد ونشأ بمصر وذهب الى القسطنطينيّة مع رسول من قبل السلطان الغوري الى السلطان بايزيد، الذي عرض عليه تدريس الحديث في عاصمته... له (معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص) و(فيض الباري بشرح غريب البخاري) وغيرها، (٨٦٧-٩٦٣هـ). (الزركلي، خير الدين: الأعلام ٣/٣٤٥).

٢- (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/٩١)، (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٢/٣٧٥).

٣- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٢١٤.

قاتل الشهيد الثاني، ترجّح السبب السابع بصورة واضحة، حيث تكون الصورة هكذا: إن الدولة العثمانيّة وبحكم صراعها المرير، مع الصفويّين، قامت بقتل الشهيد الثاني، في خضمّ ذلك الصراع والتحارب. ولم يصدر عن أي جهة مرتبطة بالعثمانيين، ما يقلّل من أرجحية هذا السبب.

ولكن هذا السبب حتى لو تمّ – فرضاً – فإن هناك سبباً مهماً، قد يكون من كتب في مقتل الشهيد الثاني – من الشيعة أو السنّة – كان قد أغفله، أو لم يلتفت إليه أساساً.

فالشهيد الثاني لم يكن أول فقيه – من السنّة أو الشيعة – ، يقتل في تلك الفترة، إذ إن طرفي النزاع – على حدّ سواء – ، لم يتورعا عن محاولة إيذاء متبادل، والسعي للإجهاز على كل ما يمثل الطرف الآخر في الأقاليم التابعة لسلطته. وبما أن الشعار المذهبي، كان هو الشعار الواضح، للعثمانيّين والصفويّين معاً، فقد كان كل منهما دائب الجهد؛ لإثبات مصداقيته في الدفاع عن مذهبهِ من جهة، ومحاربة المذهب الآخر من جهة أخرى. ولعلّ رموز علماء المذاهب الإسلامية هم من أوضح مصاديق كل لون مذهبي، ولهذا كان الفقهاء هم أول ضحايا التحارب الطائفي أو المذهبي.

يقول الشاعر:

والغيثُ تلقى الشمّ قبل هضابها   فلتخشَ مُعضلة الخطوب عظامها [1]

من نتائج مقتل الشهيد الثاني

يلاحظ أن علماء جبل عامل، بعد الشهيد الأول، كانوا في منأى عن

١- الغيثُ: المطر، الشمّ: الجبال، معضلة: المصيبة، والبيت يقول: إنّ عظماء المجتمع وساداته، يتلقون المصائب والمحن قبل غيرهم. لأن ذلك من ضرائب الوعي. تماماً مثل الجبال العالية حيث تكون الأمطار إليها أسبق من الهضاب التي هي دونها في العلو والارتفاع (الباحث).
والبيت للشاعر العراقي الشيخ محمد رضا الأزري (١١٦٢هـ – ١٢٤٠هـ). (البحراني، حسين علي البلادي: رياض المدح والرثاء، ص١١٧).

التحوّلات السياسيّة بالمنطقة، وكانوا متحفظين ممّا كان يجري بإيران، وتحرك الصفويين هناك، بل "إنّ الموقف المتحفّظ لهؤلاء الفقهاء بدأ يتغيّر منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بشكل واضح الى تأييد العثمانيين، ومحاولة الظهور بمظهر الاستقلال، في ربط الشيعة في بلاد الشام وغيرها من المناطق العربيّة، بسياسة الدولة الصفويّة"[١].

وقد مرّ بنا، شيء من تحفّظات الشهيد الثاني وحذره، في علاقاته وتحركاته، ومدى سعيه للتقارب الذي من شأنه إزالة الشبهات ودرء الشكوك، حتى اتهمه بعض الشيعة بـ (التسنّن)[٢] أي أنه صار سنّياً.

ومع كل هذا فقد قتل الرجل، وكان لمقتله وقع شديدٌ على شيعة لبنان خاصة، وعلى علمائهم بشكل أخص، حيث شهد بعدها جبل عامل، هجرة علمائية واسعة باتجاه النجف الأشرف بالعراق أولًا، ثم الى إيران في حالات كثيرة.

بين الشهيدين الأول والثاني

عرف فقيهان من جبل عامل، بلقبي الشهيدين الأول والثاني، دون بقيّة فقهاء الشيعة المقتولين في العالم. ونحاول إجراء مقارنة بين الشهيدين، في نهاية الحديث عن الثاني لمزيد من إغناء البحث:

١ – إنّ هذين اللقبين إنما برزا لمكانتهما العلميّة من جهة، ولغرابة القتل في زمنهما من جهة أخرى، ولأسبقيتهما به من جهة ثالثة.

٢ – هناك علاقة غريبة، نشأت بين الشهيد الثاني، وسلفه الأول، بما انعكس على شروح لمؤلفاته، واهتمام بتراثه، حتى ذكر ذلك مترجموه.

٣ – الشهيد الأول، "افقه وأدق نظراً، وابعد غوراً، وأكثر وأمتن تحقيقاً"[٣]، من

١- القزويني، جودت: المؤسسة الدينيّة الشيعيّة، ص٣٢٩.

٢- الأحسائي، محمد بن علي بن جمهور: عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينيّة، (مقدمة الكتاب، ١/١٠).

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١١١/٧٤.

الثاني.

٤– كان كل منهما يحاول أن ينأى بنفسه، عن الدول الشيعية، التي قامت بإيران، دولة ابن المؤيد بخراسان، والصفويّين بأصفهان. فلم يدفعها ذلك عن القتل.

٥– درس الشهيد الأول، وأخذ علومه بحوزة الحلّة، وعاد منها مجتهداً، ولم يخرج الثاني عن جبل عامل، في دراسته حتى اجتهاده، وهو يعكس مدى ما بلغه جبل عامل وحوزاته من ثقل علميّ، حتى خرّجت فقيهاً، مثل الشهيد الثاني.

٦– برز الأول كمرجع؛ يوزّع الوكلاء الشرعيّين، ويجبي الأموال، بل ويحارب مناوئيه. ولم يبرز الثاني كذلك، إلّا في حدود ضيقة.

٧– برزت محاولة تطبيق أطروحة ولاية الفقيه لأول مرة مع الأول، ولم يظهر من الثاني ما يؤيدها.

٨– درس كل منهما، على علماء من المذاهب الإسلامية الأُخرى، ولم يقتصر على الفقه الشيعي.

٩– اختلفت الآراء في أسباب مقتليهما، كما جُهل قبراهما. وقتل الأول بدمشق، والثاني على ساحل البحر من بلاد الشام.

١٠– لم يترتب على قتل الأول، هجرة علمائية من لبنان الى العراق وإيران، وهو ما حدث بعد قتل الثاني، الذي كانت قضية قتله، "قد أثارت حالة ذعر حقيقيّة"[١]، في علماء لبنان الشيعة.

الدور الثالث

لقد قلنا: إن هناك هجرة لعلماء جبل عامل، كانت قد تفاقمت، بعد قتل الشهيد الثاني، حتى هاجر من لم يكن يفكّر فيها، قبل ذلك. وهذا الكلام قد يفهم منه، أن حوزة جبع، وربّما بقيّة الحوزات اللبنانيّة، قد أفل نجمها، ولن تقوم لها بعد ذلك الحدث قائمة، ولكنّنا لو تأملنا، تراجم تلامذة الشهيد الثاني، ومن جاء بعدهم، ولا سيّما ولده الشيخ حسن بن زين الدين

١- المهاجر، جعفر: الهجرة العاملية الى إيران، ص٩٥.

الجبعي[١] وسبطه[٢] السيد محمد بن علي الجبعي[٣]، لوقفنا أمام مرحلة أخرى، من مراحل الحركة العلميّة، لا بجبع فحسب، بل وبكلّ الحوزات اللبنانية، حيث بادر هذان العالمان الجبعيّان، إلى أشدّ الرّحال نحو النجف الأشرف وحوزتها، بعد أخذهما العلم بجبل عامل، على أربعة فقهاء كلهم كانوا من تلامذة الشهيد الثاني.

ثمّ بلغا درجة علميّة كبيرة بمركز النجف الأشرف الحوزوي، حيث درسا على المولى أحمد الأردبيلي المعروف بالمقدّس[٤]، انعكست في كثرة تلاميذهما، وما تركاه من مؤلّفات، ولا تزال مؤلّفاتهما موضع دراسة واستفادة طلاب الحوزات العلمية إلى عصرنا هذا[٥].

ويمكن التوقّف عند بعض النقاط المتعلّقة بهجرتهما الى حوزة النجف الأشرف، وكما يلي:

١ – إنّ هجرة الشيخ حسن وابن اخته السيد محمد، يمكن اعتبارها أول هجرة لبنانيّة موثّقة، لطلب العلم باتجاه حوزة النجف الأشرف، بعد انتهاء مرحلة

١- الشيخ حسن بن زين الدين بن علي الجبعي النحاريري (صاحب المعالم): (٩٥٩-١٠١١هـ).

٢- السبط واحد الأسباط وهو ولد الولد، وهو ولد الابن والابنة، وفي الحديث: الحسن والحسين سبطا رسول الله، صلى الله عليه وسلم ورضي عنهما... " (ابن منظور، محمد بن كرم: لسان العرب ٣١٠/٧) وهو هنا ابن البنت.
وكان السيد علي بن أبي الحسن الموسوي الجبعي، قد تزوج من ابنة أستاذه الشهيد الثاني، فأولدها ولده محمداً فهو سبط الشهيد الثاني، وهو رفيق درب العلم والهجرة، مع الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (خال محمد هذا). (الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص١٣٨).

٣- السيد محمد بن علي بن أبي الحسن الجبعي (صاحب المدارك): (٩٤٦-١٠٠٩هـ).

٤- الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي(المقدس) (ت٩٩٣هـ) "كان عالماً فاضلًا مدقّقاً عابداً وربما كان معاصراً للشيخ البهائي. له مصنفات منها: كتاب آيات الأحكام، شرح الإرشاد، (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٥٦/١)، دفن بالنجف وقبره مشهور. ولعله أول فقيه من إيران يبرز في الحوزة النجفيّة. (الباحث).

٥- وقفت على قبريهما المتجاورين في مقبرة بأعلى بلدة جبع، وبالكاد استطعت أن أقرأ الكتابة على قبريهما لأميّز قبر الشيخ حسن عن قبر ابن اخته السيد محمد. (الإثنين، ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ / ١٤ أيار ٢٠٠٧م، الساعة ١٢.٣٠ ظهراً)، راجع الملاحق، الصورة رقم:٨، (الباحث).

حوزة الحلّة.

٢– مدى الحرص الكبير والاهتمام البالغ بعنصر الوقت، حينما اقترح الشيخ حسن والسيد محمد على استاذهما المقدّس الأردبيلي، اتّباع أُسلوب خاصّ في الدراسة عليه، بأن يدرسا بنفسيهما الكتب المطلوبة علميّاً، وإذا توقفا عند مسألة تحتاج الى بحث وبيان رجعا اليه، فاعجب بذلك. كان هذا الاقتراح بعد أن قالا له: "نحن ما يمكننا الإقامة مدة طويلة"[١].

٣– وصف ابن الشهيد وسبطه بانهما كانا "كفرسيّ رهان[٢]، شريكين في الدرس"[٣] و"كانا مدة حياتهما، إذا اتفق سبق أحدهما الى المسجد، ثم جاء الآخر، فإنه يقتدي به في الصلاة، وإذا رجّح أحدهما مسألة، وسُئل عنها الآخر، يقول: ارجعوا إليه فقد كفاني مؤنتها"[٤].

٤– ومن جهة أخرى، فقد كانا حذرين، لئلا يحسبان على الدولة الصفويّة، فيكون ذلك سبباً إما في قتلهما أو في هجرتهما، وبالتالي انتهاء حوزة جبع وعطائها[٥]. ولهذا نجدهما، يمتنعان حتى عن زيارة الإمام الرضا عليه السلام[٦]، المدفون بخراسان "خوفاً من أن يكلّفهما الشاه عباس الأول بالدخول عليه". وقد فهم السيد محسن الأمين في الأعيان: أنّ عدم دخولهما على الشاه عباس تورّعاً، فقال بعد أن شكّك بصحة الرواية: "وليس شيء من الورع يوجب ذلك ويقتضيه، وقد صاحب الشاه عباس، من لم يكن دونهما في التقوى والورع"[٧]. ولكن مع ما ذُكر من الحذر، يكون عدم سفرهما الى إيران راجحاً بل ومطلوباً.

٥– شهدت فترة رجوعهما من النجف الى جبع، سنة (٩٨٦هـ) الى سنة وفاة الشيخ حسن (١٠١١هـ) – التي كانت بعد وفاة السيد محمد – عودة الحياة العلميّة الى جبع وجبل عامل بشكل عام.

١- الصدر الكاظمي ، حسن: تكملة أمل الآمل، ص١٤٢.
٢- مثل يُضرب لبيان شدة التنافس (الباحث).
٣- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل ٥٨/١.
٤- الأمين،محسن: أعيان الشيعة، ١٤١/٨.
٥- مطهري، مرتضى: الإسلام وإيران، ص٣٢٣.
٦- راجع ترجمته (ص ١٥).
٧- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤١/٨.

ولكن حوزة جبع لم تدم طويلًا، بعد وفاة الشيخ حسن، حيث تغيّرت الأمور وأُحرقت مكتبته، وهاجر أولاده الى إيران مرغمين.

وبهذا ينتهي الحديث عن حوزة جبع التي استأثرت بدراسة أكثر؛ لما أمضته من مدّة وبرز فيها من أعلام.

٦ – حوزة مشغرة[١]: (النصف الثاني القرن ١١هـ)

وهي الحوزة السادسة تاريخيّاً بلبنان، وتعتبر من أواخر حوزات المرحلة الأولى، من مراحل الحوزات الشيعية بلبنان، وكانت نتاجاً علميّاً، وامتداداً فقهيّاً، لحوزتي الكرك وجبع، وقد ارتبطت نهضتها العلميّة بأُسرة (آل الحُرّ). واعتبرها الأمين بأنها "كانت هي وجبع وجزّين منبع علماء جبل عامل" [٢].

ويبدو أنّ التشيّع بمشغرة ومن ثمّ الوجود العلمائي الشيعي، كان من نتائج هجرة الشيعة، من جزّين وغيرها، والى نهاية هذه المرحلة، من مراحل الحوزات اللبنانيّة، فقد جاء: أن المشائخ المتاولة من آل علي الصغير، كانوا قد لجأوا الى مشغرة، فقضى عليهم الجزّار وأعدمهم [٣]، حتى قال أحد الباحثين أن آل الحر، كانوا قد استوطنوا جبع قبل مشغرة [٤].

ويُعد الشيخ محمد بن الحسن الحرّ المشغري (١٠٣٣–١١٠٤هـ) أشهر آل الحرّ، وصاحب كتاب (أمل الآمل) في التراجم، المصدر الأول للعلماء اللبنانيين الشيعة، وكتاب (وسائل الشيعة الى تحصيل أصول الشريعة)، في

١- مشغرى: بميم مفتوحة وشين معجمة ساكنة وغين معجمة مفتوحة وراء مهملة وألف، من عمل البقاع غربيّه وغربي نهر الليطاني، في سفح جبل تنبع منه مياه غزيرة، فيها مقبرة لآل الحرّ ومقبرة لآل الصغير مندرستان، وفيها مطحنة تنسب لآل الحر الى اليوم. والتشيع فيها قديم. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠١).

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠١

٣- الشهابي، حيدر: الغررالحسان في اخبار أبناء الزمان، ٢/١٤١.

٤- الأمين، حسن، مجلّة الدراسات الأدبية ،١٤/٣٢.

علم الحديث، وكان قد كتب ثلثيه بمشغرى[١]، التي كانت تضمّ في عهده، مجموعة بارزة من العلماء الصلحاء [٢]، وارتبطت حوزة مشغرة بعائلة آل الحرّ، في ظاهرة فريدة في الحوزات اللبنانية [٣].

ميّزات حوزة مشغرة

١- قصر مدتها، التي لم تستمرّ إلّا بضعة عقود، في نهاية القرن الحادي عشر الهجري.

٢- ظاهرة الهجرة الواسعة، التي طالت أغلب علمائها، وأذنت لشمسها بسرعة الأفول.

٣- لم تعتمد في نشأتها، على علماء حوزة النجف، أو تلامذة علماء حوزة الحلّة.

٤- زوالها كان من أواخر الدلالات، على نهاية مرحلة الحوزات لبنان الأولى، وبذلك كان تاريخاً لنهاية مرحلة وبداية أخرى.

٥- هناك أمر غريب، خالفت فيه حوزة مشغرة وعلماء آل الحرّ، كافة حوزات لبنان، وعلماء لبنان، بل وكلّ شيعة الشام، عبر اختيارهم الاتجاه الأخباري [٤]، في

١- الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة ٤٦٨/٣٠.

٢- الحر العاملي، محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ٧١٢/٣.

٣- المهاجر، جعفر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٢٣٨. وأبرز أفراد هذه الأسرة العلمية هو الشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي، الذي عاش بمشغرة أربعين سنة ثم أمّ العراق زائراً قبور الأئمة، بعدها توجه الى مدينة مشهد بخراسان، فأسند إليه منصب (شيخ الإسلام) وقلّد منصب القضاء، وصار من أعاظم علمان خراسان حتى مات بها ودفن وقبره مشهور يزار سنة (١١٠٤هـ)، (القمي، عباس: الكنى والألقاب، ١٧٧/٢).

٤- الأخباريون (بالفتح) من الخبر، وهو هنا الحديث الشريف. وهم مدرسة فقهية إمامية في مقابل الأصوليين نسبة الى علم الأصول أي علم أصول الفقه، ونقطة الخلاف بينهما: أن الأخباريين يقولون: إن الفقه ليس شيئاً غير الأخبار (الأحاديث) وليس هناك من فقيه إلّا المعصوم وكل الناس مقلّدون له. ويمكن لأي إنسان الرجوع الى كتب الأحاديث ومعرفة الحكم الشرعي مباشرة. فلا حجة إلا للأخبار، ولا حجيّة للقرآن الكريم ولا للعقل ولا للإجماع (الذي يقول بحجيتها الأصوليون) وبالتالي فلا حاجة لعلم الإجتهاد ولا حاجة لدراسة علم أصول الفقه (نقلًا عن: البحراني، يوسف بن أحمد، الحدائق الناضرة، ١٦٨/١). والشيعة الإمامية من الأخباريين، ينتشرون حالياً في بلدان الخليج العربية، ومنهم عدد ضئيل في البصرة جنـــوب العـــراق.=

الفقه الإمامي، فيما اتبع الآخرون على الأطلاق الإتجاه الأُصولي.

٦ – ارتباطها بأسرة علميّة واحدة، نهوضاً وزوالاً، وهي أسرة آل الحرّ، ولا يوجد أحد منهم اليوم في مشغرة [١].

٧ – وهناك ملاحظة عن مشغرة المعاصرة، لا ينبغي تغافلها، لعلّها تعطينا سبباً ما، في انتهاج علماء حوزتها، نهجاً مخالفاً لنهج كافة علماء الحوزات اللبنانية قديماً وحديثاً. فإنّ قرية مشغرة، قد تكون هي القرية اللبنانيّة الوحيدة، التي يوجد فيها أتباع للدّيانة البهائية[٢]. و "مؤسّس البهائية بمشغرة، رجل اسمه جعفر الطحّان، جاء من العراق مروراً بسوريا، حيث استقرّ بمشغرة ١٨٨٠م. وكان يتقن اللغتين الفارسيّة والتركيّة إضافة للعربيّة، وكان صوته جميلاً، فأخذ

= (الباحث) . "وهم يرون أن الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة المشهورة عند فقهاء الشيعة كلها أحاديث صحاح فلا يحتاج الى البحث عن سندها، ولا يرون تقسيمها الى أقسام الحديث المعروفة من الصحيح والحسن والموثق والضعيف... ويسقطون دليل العقل والأجماع ويقتصرون على الكتاب والخبر... وأول من أثار المقالة الأخبارية هو الملّا محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي صاحب (الفوائد المدنيّة) المتوفى سنة ١٠٣٦هـ " (الأمين، محسن: أعيان الشعية ٤/٦٢٨–٦٢٩). ومن الجدير ذكره أنّ العالم الذي واجه المحقق الكركي مواجهة عنيفة، كان قطيفيّاً من المدرسة الأخبارية هذه. (الباحث).

١- الخشن، حسين: مشغرة في التاريخ، ص٥٨.
زرت بلدة مشغرة يوم الأحد ٧ جمادي الأولى ١٤٢٧هـ – ٤ حزيران ٢٠٠٦م وسألت عن آثار لمدرستها فلم أقف إلّا على مسجد يُنسب الى الشيخ الحرّ العاملي ويحمل اسمه وقد جدّد. وبقايا خربة يقال أنها كانت مطحنة لآل الحرّ تعود الى الشيخ محمد بن الحسن العاملي. (الباحث).

٢- البهائيون: "دين متفرع عن البابيّة التي أسسها محمد علي الشيرازي (١٢٣٠–١٢٦٦هـ/١٨١٩–١٨٥٠م) المتولد بشيراز بإيران، حيث ادّعى أنه هو الامام المهدي المنتظر، وفسّر آيات القرآن الكريم تفسيراً غريباً، أو أنه (الباب) الى الإمام... حكم العلماء بكفره وارتداده فاعدمته السلطات الإيرانية. وجاء بعده تلميذه (حسين علي المازندراني) المعروف بـ (بهاء الله) وإليه تنسب البهائية، الذي قال: إن الباب لم يكن إلّا ممهّداً للبهاء، انتقل أتباعه الى بغداد. وأخيراً اتفقت الحكومتان الإيرانيّة والتركيّة على نفيه مع اتباعه خارج العراق، فنقل الى سجن عكّا حتى مات هناك في ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م، وقبره صار قبلة للبهائيين. خلّفه ابنه عباس أفندي الذي مات سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، ثم ابن بنته شوقي افندي المتوفى سنة ١٣٧٨هـ /١٩٥٧م. والآن يدير أمر البهائية مجلس يلقّبون "أيادي الله" والبهائيون يعتقدون أنّ البهاء هو نبيّ وكتابه (البيان)، ويسقطون حتى الجهاد الدفاعي ولهم أفكار ضالّة أخرى". (سحمراني، أسعد: البهائية والقاديانيّة، مواضع مختلفة).

يعتاش من قراءة مجالس عزاء رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فأطلق عليه لقب (الشيخ). تزّوج ثلاث نسوة، وأنجب منهن بنين وبنات، اعتنق بعضهم البهائيّة، ولم يتجاهر بالبهائية إلّا بعد وفاته التي كانت عام ١٩٢٠م. واليوم فإنَّ أولاد جعفر وأحفاده، يصل عددهم الى سبعين نسمة. ونشط بعده صهر ابنته المدعو (علي الزيّات)، الذي قتل بظهر البيدر عام ١٩٨٥، بعد الإنسحاب الإسرائيلي، ومرشد البهائية اليوم هو سامي زين الطحّان" [١].

هذه بعض المعلومات الحديثة، ذُكرت في تاريخ حوزة مشغرة القديمة، لمزيد توضيح وإضاءة.

٧- حوزة شحور: (١٠٦٣ - ١٢١١هـ)

تعتبر هذه الحوزة، ضمن ثلاث حوزات هي آخر حوزات المرحلة الأولى، من مراحل الحوزات اللبنانية، وهي حوزة مرّت بمرحلتين؛ حيث أفلت، ثم عادت بعد مدة لتكون ضمن حوزات المرحلة الثانية.

ولقد برزت أسرتان علميّتان بهذه الحوزة هما: آل الزين وآل شرف الدين. وبرز منهما في فترة قصيرة عالمان، انتهت حياة أحدهما قتلًا والآخر هجرة. وانحسر العلم بهما لا عن حوزة شحور فحسب بل، عن جبل عامل كلّه، إثر تطوّر أمني وسياسي خطير، بما عُرف من واقعة (الجزّار)، تلك الواقعة التي تركت آثاراً لا تكاد تمحى، من ذاكرة جبل عامل، سكّاناً وعلماء وحَوزات [٢].

١- الخشن، حسين: مشغرة في التاريخ، ص٤٨-٥٠ (بتصرف).

٢- أما ما أحدثه الجزار في جبل عامل بلبنان، فإننا نذكره مختصراً:

" فتن الجزار:

هناك ثلاث نكبات للجزّار بحق جبل عامل، هي:

أ - المواجهة بين جيوش الجزار، التي استولى على عكا وما حولها، سنة ١١٩١هـ وبين جيش العامليين، بقيادة ناصيف النصّار سنة ١١٩٥، المعروفة بواقعة يارون، حيث قُتل هناك. فانهزم جيش العامليّن وعاث الجزار وجيشه في جبل عامل فساداً وتدميراً، حتى هرب شيوخ البلاد الى الشام والعراق، وبعض لجأ الى عكّا فأمنهم الجزار، فلما وثقوا به استسلموا له، فقتلهم شرّ قتلة.

ب - ومع ازدياد إمعان الجزّار بظلمه، ثار الشيخ حمزة بن محمد النصّار، في مجموعة من زعماء=

"ولو قدّر لهذه المدرسة البقاء، لكانت من أبرز مدارس جبل عامل، ومعاهده العلميّة، إلا أنها تعرّضت لهجمة شرسة، عصفت بها وأعاقت مسيرتها" [1].

وبالعودة الى الأسرتين العلميّتين بشحور، فقد برز من آل زين الدين: "الشيخ زين الدين بن خليل بن موسى الزيني العاملي، الذي ولد بشحور سنة ١١٦٠هـ ، ثم رحل قبل أن يبلغ الحلم، الى النجف الأشرف، مغترفاً من نمير علوم حوزتها العريقة، وأمضى بها خمس عشرة سنة، حتى بلغ مرتبة علميّة كبيرة، وعلى أثر طلب أهل شحور من مراجع النجف آنذاك، ولا سيّما من أستاذه السيد محمد مهدي بحر العلوم[2]، فقد عاد الى بلدته واستقبل بمواكب لم يشهد لها جبل عامل مثيلًا، وصار مسجده بشحور، محجّة القصّاد، من طلبة العلم وذوي الحاجات، حتى قتله الحاكم التركي، أحمد الجزار سنة ١٢١١هـ ، وأحرق جثته، واستولى على مكتبته، التي كانت تنيف على ثلاثة آلاف مجلّد" [3].

= جبل عامل وفي مقدمتهم الشيخ علي الزين من شحور، حيث ثاروا على حاكم تبنين من قبل الجزار وقتلوه سنة ١١٩٧هـ. وتحصنوا في شحور، فجاءتهم جيوش الجزار الذي كان بصيدا – فقتلوا منهم مائتين، ومثّلوا بهم ورفعوا رؤوسهم، ونكبت شحور ثم بقية مدن جبل عامل وقراه، ونال العلماء نصيباً وافراً من الأذى.

جـ – وفي سنة ١٢٠٩ احتل نابليون مصر ثم زحف نحو عكّا سنة ١٢١٢هـ فحاصرها. فتيقّن العامليون أن الغلبة ستكون له، فمالؤوه تخلصاً من عسف الجزار، ولكنه انسحب سنة ١٢١٣هـ وبقي الجزار في عكّا فازداد لهم ظلماً وتعسفاً حتى وفاته سنة ١٢١٩هـ." (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/١٣١–١٣٥).

١- الحسيني، محمد: الفقه في جنوب لبنان، ص٨٥.

٢- السيد محمد مهدي بن مرتضى الطباطبائي الحسني (الملقب ببحر العلوم): "سيد العلماء والفقهاء جامع العلوم ومولى الفضلاء، علّامة دهره ووحيد عصره، باني مجد أسرة آل بحر العلوم في النجف ورافع كيانها التليد، ت سنة ١٢١٢ دفن في مقبرة الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ ، له أكثر من عشرين مصنّفاً وشعر كثير" (الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ٢٠٥–٢١٠) وفيما يتعلّق ببحثنا فإنه سيكون حضور كبير للسيد بحر العلوم مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٧هـ) في الحوزات اللبنانية بمرحلتها الثانية وسيذكران كثيراً (الباحث).

٣- الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص٢٨٥.

وقد ترك الشيخ زين الدين، ولده الشيخ علي، المتوفى بشحور سنة ١٢٣٢هـ، بعد هجرة الى العراق، والهند، على أثر مواجهة مع أحمد باشا الجزار، ثم عاد الى بلده. وكان الى الاتجاه السياسي والقيادة الاجتماعية أبرز منه في الجانب العلمي. وبذا فقدت حوزة شحور عالمها، ولم يتأت لأحد من ذرّيته العودة الى شحور مستقبلًا. على عكس ما حدث، مع الزعيم الثاني لهذه الحوزة وهو؛ السيد صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين الموسوي الجبعي العاملي. وقبل التوقف معه، لا بد أن نشير الى أن أسرته كانت أسرة علميّة مرموقة عرفت بحوزة جبع، بشخص السيد حسين بن محمد بن الحسين الموسوي (٩٠٦-٩٦٣هـ)، الذي كان معاصراً للشهيد الثاني، وتزوّج الشهيد الثاني بنته، كما كان السيّد حسين تلميذاً، عند والد الشهيد الثاني؛ علي بن الحجة الجبعي. وهو جدّ السيّد محمد بن علي بن الحسين (صاحب المدارك)، الذي عرفناه في حوزة جبع.

ثم كان لهذه الأسرة مهاجر عديدة، بالعراق، وإيران، والحجاز، والهند. حتى جاء السيد محمد بن إبراهيم (المعروف بشرف الدين) الموسوي الجبعي العاملي [١]، مهاجراً الى شحور عام ١١٠١هـ ، ليهيىء الرصيد العلمي، لبروز حوزة شحور، من خلال شخصيّته العلميّة الكبيرة. رغم ما جاء في ترجمته من أنه آثر العزلة. ولكن وجود عالم كبير بهذا المستوى، من شأنه أن يمهّد لجوٍّ علمي، ربما يكون بعض جوانبه؛ تربيته لولديه العالمين، السيد صالح، والسيد محمد. والمهم في بحثنا هذا هو السيد صالح

١- هو السيد محمد بن إبراهيم بن زين العابدين بن علي بن الحسين الموسوي الجبعي، ولد بجبع سنة ١٠٤٩هـ تتلمذ على ابيه وعلى الشيخ أحمد بن الحسين النباطي. ثم هاجر الى النجف عام ١٠٨٠هـ وبعد مدة هاجر الى أصفهان طلباً للعلم في حوزتها سنة ١٠٨٣هـ، ومن ضمن من درس عليهم الشيخ علي بن الشيخ محمد بن حسن بن الشهيد الثاني الذي استوطن أصفهان (١٠١٦-١١٠٤هـ). وهكذا نجد أن علماء جبل عامل المهاجرين صاروا أساتذه في حوزات إيران وهم يستقبلون أبناء وطنهم المهاجرين بدورهم إليهم. ثم رحل الى مشهد ونزل بدار الشيخ محمد بن الشيخ الحر العاملي (صاحب الوسائل) وزوّجه ابنته. ثم عاد الى شحور سنة ١١٠١هـ وله اثنتان وخمسون سنة وأقام ثمانياً وثلاثين سنة حتى وفاته بشحور (سنة ١١٣٩هـ). (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/١٢٧).

(الأكبر)، لأن أخاه السيد محمد وإن كان قد ولد بجبل عامل سنة ١١٩٣هـ، إلّا أنه هاجر بعمر ست سنين، ولم يعد الى لبنان، حيث أخذ علومه بالعراق، ثم استقر أخيراً بأصفهان [١].

السيد صالح بن محمد بن ابراهيم شرف الدين الموسوي الجبعي

وهو من جهابذة الفقه، كثير الاطلاع على السنن والروايات، ذو اهتمام بالعبادات وقضاء حوائج المحتاجين. ولد بشحور سنة ١١٢٢هـ، وكان له يوم وفاة أبيه سبعة عشر عاماً، رحل إلى الأزهر أيام شبابه عشرة أشهر يأخذ عن شيوخه، ثم الى مكة لسنتين يأخذ عن فقهاء الحرمين الشريفين، حتى أجازه بعضهم ثم هاجر الى العراق سنة ١١٥٥هـ، وله ثلاث وثلاثون سنة، فأقام في كربلاء والنجف، الى سنة ١١٦٣هـ، ورجع الى عاملة وشحور، حتى فتنة الجزار، حيث خرج في أثنائها الى العراق ١١٩٩هـ، خائفاً يترقب. ثم جاء أخوه محمد، بولديه وزوجته خلفه الى العراق. واستقر ببغداد والكاظمية [٢]، كانت وفاته بالنجف سنة ١٢١٧، قبل هلاك الجزار بأقل من سنتين"[٣].

وبذا نعرف أَنّ فترة نشاطه العلمي بشحور كان محصوراً بين سنتي ١١٦٣ و١١٩٩هـ إن هذه الفترة (ستٌّ وثلاثون سنة)، تعتبر أفضل فترات حوزة شحور، حيث كان مع الشيخ زين الدين الزين، ينهضان بمهماتها ويعلّمان طلبتها، ويديران

١- وهو جد أسرة آل الصدر واليه ينسبون، وجلّهم في الكاظميّة وأصفهان، (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/١٤٧).

٢- الكاظمية: نسبة الى الإمام الكاظم موسى بن جعفر، وهو الإمام السابع من أئمة أهل البيت، وهي الضاحية الشمالية لبغداد وقضاء تابع له. وقد دفن الإمام الجواد محمد بن علي بن موسى حفيد الكاظم في ظهر قبر جدّه. ويعرفان بالكاظمين أو الجوادين. وفي الكاظمية مراقد لعديد من علماء الشيعة وغيرهم مثل الشيخ المفيد، والشريفين المرتضى والرضي، والقاضي أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة، ومسجده مشهور بها قديماً وحديثاً. وفيها حوزة علمية، وأسر علمية كثيرة منهم آل الصدر. (الباحث).

٣- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/١٤٥.

أمرها. ولكن ما أحدثه أحمد باشا الجزّار، آدّى الى تبدّد أمر هذه الحوزة، بعد قتل الشيخ زين الدين، وسجن السيد صالح بعده، والذي شهد مقتل ولده، السيد هبة الله، أمامه بشحور، ثم فرّج الله عنه سجنه فهاجر الى العراق.

وسيكون لنا وقفة أخرى مع حوزة شحور، في المرحلة الثانية، من مراحل الحوزات اللبنانية، إن شاء الله تعالى، ويمكن أن نعطي حوزة شحور، بعض أوصاف، أهمها:

١- إن هذه الحوزة عاشت فترة قصيرة، شهدت خلالها حركة علمية، بين (١١٦٣- ١٢١١هـ)، وكان منشأ أجوائها العلمية، هجرة أسرة آل شرف الدين إليها، من جبع، الأُسرة ذات البعد التاريخي العريق، في الدراسات الحوزوية.

٢- حوزة شحور تعتبر مثالًا واضحاً جداً، على مدى تأثير الأجواء الأمنية والسياسية، على بقاء الحوزات أو زوالها.

٣- أخذت النجف الأشرف وحوزتها المركزيّة، تؤثر تأثيراً بالغاً في إعداد علماء جبل عامل، وفقهائه، وسوف لن تستغني الحوزات اللبنانيّة، عن حوزة النجف بعد هذا التاريخ، أو تعود لتلكم الحوزات مواقعها المركزية، التي كانت تستقطب فقهاء من خارج لبنان، فضلًا عن استغنائها عن الخارج.

٤- بروز أسرة آل شرف الدين، ثم فرعها آل الصدر، كأسرتين علميّتين كبيرتين، كان لهما انتشار واسع، في حوزات العراق وإيران ومدنهما. وقد برز من هاتين الأسرتين، من وصل الى موقع المرجعيّة الدينيّة، وحتى السياسيّة، في قرون لاحقة، متصلة بعصرنا هذا.

٥- لم تكن النهاية المأساوية لحوزة شحور، تقتصر على قتل علمائها، وتهجيرهم، بل امتد الخسف، الى مكتبتها العامرة، الغنيّة بآلاف المخطوطات ومختلف المؤلّفات، وقد كانت ضمن مكتبات جبل عامل، التي نقلت الى أفران عكّا، التي بقيت تتقدُ بها أسبوعاً كاملًا[١].

١- (الأميني، عبد الحسين أحمد: شهداء الفضيلة، ص ٢٦٣)، (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/١٣٢)، (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦٩).

٨- حوزة شقراء[١] (١١٣٨-١١٩٤هـ).

تبرز لنا في هذه الحوزة ظاهرة جديدة، حيث أنها تأسست وقامت بجهود علماء مهاجرين من الحلّة، وقد هاجرت أسرة آل الأمين إليها، ولا يزال وجودهم معروفاً بجبل عامل. وكان أول المهاجرين منها، هو والد السيد حيدر بن أحمد بن إبراهيم الحليّ العاملي أو جدّه، ويظن أنه توفي سنة ١٠٨٠هـ [٢]. وإن كان هذا لا يعني، أن شقراء لم تشهد علماء سابقين، كانوا قد عرفوا منها، حيث برز منها في "المائة الثامنة من العلماء قبل مجيء آل قشاقش (الأمين) من الحلّة بالعراق؛ الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي الشقراوي الحفّاظ، وكان من أجلّة تلامذة الشهيد، حضر عليه وأجازه الشهيد الأول، وكان ذلك بالحلّة سنة ٧٠٧هـ"[٣].

وكانت بداية حوزة شقراء، مع السيد أبي الحسن كما مرّ، وأنّ هذه الحوزة ستقمع في فتنة الجزّار، أسوةً ببقية الحوزات اللبنانيّة في هذه الفترة، ولكن سيكتب لها الحياة مرة أخرى، مع حفيده السيد علي (ت١٣٤٨هـ)، وقد تحدث عنها بما لا مزيد عليه، حفيده السيد محسن الأمين في خططه بقوله: "أنشأها جدّنا السيّد أبو الحسن موسى، في أواخر القرن الثاني عشر، وكانت من أعظم مدارس جبل عامل، في فسيح من الأرض، وبنى فيها ما يزيد على أربعين حجرة، وحفر في وسطها بئراً، يكفي ماؤها طلبتها [٤]. ويقال: إن أصواتهم عند المذاكرة ليلاً كانت تسمع الى مجدل

١- شقره: بشين معجمة تلفظ مفتوحة، وقاف معجمة مثناة ساكنة وراء مفتوحة بعدها هاء، قرية كبيرة من قرى جنوبي جبل عامل، وهي من أعمال مرجعيون. وعلى أربعة أميال (٧كلم) شرقاً من تبنين. وهي مقر السادة الأشراف الحسينيين من آل قشاقش المعروفين، قديماً وحديثاً، بالعلم والجاه. وفيها آثار قديمة تدلّ على أنها كانت معمورة... وهي من مراكز جبل عامل العلميّة.. (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ١/ ٤٠١).

٢- (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٠/ ١٦)، (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ١/ص٤٠١- ٤٠٣).

٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٣/ ٣٧٤

٤- زرت شقراء يوم الجمعة ١٤ شوّال ١٤٢٨/ ٢٦ تشرين الأول ٢٠٠٧، ٤-٦ بعد الظهر، وسألت عن تلك المدرسة أو آثارها، فأُرشدت الى حي بها، لا يزال يعرف بحيّ المدارس، فيه بعض من=

سُلم، وكانت دارُه بجانبها من جهة القبلة، بينهما الطريق، ووقف لها أرضاً وزيتوناً، في وادي الحجير، لا يزال باقياً إلى اليوم، ولا تنتفع منه المدرسة بتعمير، وداراً وفرناً في صور، بيعا في هذا الزمان، وهي أول مدرسة لها أوقاف في جبل عامل، فيما نعلم... وبعد موته (السيد أبو الحسن) خمد ضوؤها [١]، سنة ١١٩٤هـ [٢].

وبعد وفاته، لم يقم ولده السيد محمد الأمين بمهمّات أبيه، في رعاية حوزته، حيث شغله منصب الرئاسة عنها، في حين تفرّغ للعلم أخوه [٣] السيد حسين [٤]. ورغم تفرّغه للعلم ونبوغه فيه، كما في ترجمته أدناه، لكنه لم يعد الى شقراء ليحيي مدرستها، بل بقي في النجف، وكذلك فعل آخرون من خريجي مدرسة شقراء، كالسيد محمد جواد الشقرائي [٥] (صاحب كتاب مفتاح الكرامة المشهور). ولو أنهم عادوا الى حوزة شقراء، لكان لها دور

= آثارها، وبيت السيد محسن الأمين العاملي، راجع الملاحق، الصورة رقم: ٩، (الباحث).

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٦١.

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/٦٥. وكانت ولادته سنة ١١٣٨ فيكون عمره نحواً من ست وخمسن سنة.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٣/٢٥٦.

٤- السيد حسين بن أبي الحسن موسى بن العاملي الشقرائي النجفي: هاجر بعد وفاة أبيه إلى العراق مع مجموعة من مدرسة شقراء منهم صاحب مفتاح الكرامة وهو ابن ابن عمه، وابن اخيه السيد علي الأمين، وكان قد ترك مالاً كثيراً لأخيه السيد محمد بن أبي الحسن، درسا أولًا في كربلاء ثم الى النجف، حيث حضر على السيد بحر العلوم، وصار استاذ الشيخ صاحب الجواهر، ويقال أنه أعلم من صاحب مفتاح الكرامة وزميله في درسه،كان يصلي بمسجد الطوسي بالنجف وله منبر يعظ الناس عليه بعد الصلاة توفي بالنجف ١٢٣٠هـ. (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٩/٤٣٤).

٥- السيد محمد جواد (أو جواد) بن محمد الحسيني العاملي الشقرائي ولد بشقراء سنة ١١٥٠هـ. وبعد حضوره على السيد أبي الحسن موسى هاجر الى العراق، فحضر أولًا على علماء حوزة كربلاء وأجازوه ثم استقرّ بالنجف، حيث حضر على السيد بحر العلوم حتى وفاته، ثم حضر على الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وهو الذي رغّبهُ بكتابة هذا الكتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة)وهو كتاب فقهي للعلامة الحلّي، بأن يكتب في كلّ مسألة واختلاف أقوال العلماء فيها ومصادر ذلك، وكان من أكثر الكتب شهرة. توفي السيد محمد جواد بالنجف سنة ١٢٢٦هـ ودفن بها وقبرة معروف، وله مؤلفات أُخرى (الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص ١٢٧)، (الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكروالأدب في النجف، ٢/١٧٣).

كبير، غير هذا الدور الذي عرفت به. إذاً، قد تخرّج من هذه الحوزة، مجموعة من العلماء المبرّزين في حوزة، كانت تضمّ ما بين الثلاثمائة الى الأربعمائة طالب!.

وبالعودة الى السيّد محمد (الأمين)، ابن السيد أبي الحسن، والذي عيّن بمنصب (مفتي بلاد بشارة)، وبعد أحداث الجزّار وخراب البلاد، أشير على الجزار، أن يؤمّن السيد محمد الأمين، على أن يتكفل للجزّار، أن لا يهجم أُمراء جبل عامل على أعماله، وترك ولده السيد علي، رهينة عند الجزّار، فاستقرت البلاد نسبيّاً، ومع ذلك، فقد حُبس السيد محمد الأمين، لسنتين، أو أكثر، حتى توفى سنة (١٢٢٤ هـ) [1]. وأمّا ولده السيد علي الأمين، معيد أمجاد هذه الحوزة، فسيأتي الحديث عنه في المرحلة الثانية من مراحل حوزات لبنان إن شاء الله تعالى.

الملاحظات على حوزة شقراء:

١– حوزة أنشأتها أسرة علميّة مهاجرة من العراق.

٢– لم يكن لمؤسسها علاقة واضحة، بعلماء جبل عامل، في تلك المرحلة درساً أو تدريساً.

٣– حوزة جذبت أعدادا غفيرة نسبياً، وصلت إلى الأربعمائة طالب.

٤– لها بناء خاص، وأوقاف خاصة، في سابقة هي الأولى، في حوزات جبل عامل.

٥– كان خراب هذه الحوزة، وتفرق طلابها بسبب وفاة مؤسّسها من جهة، وفتنة الجزّار من أُخرى، وهجرة المبرّزين من طلابها، وعدم عودتهم الى جبل عامل من جهة ثالثة، اذ لم يرجع منهم؛ إلّا السيد علي بن محمد بن أبي الحسن، وهو الذي سيعيد مجدها في المرحلة الثانية القادمة.

١- الأمين، محسن : أعيان الشيعة، ١٣/٢٥٦.

٩- حوزة جويّا [١] (١٠١٩ - ١٢٢٠هـ).

وهي الحوزة الثالثة، المتقاربة زمنياً مع حوزة شحور المتقدمة، التي أُقفلت، في زمن إقفال حوزتي شحور وشقراء نفسه، لاتّحاد السبب، وهو ما عُرف بحوادث الجزّار.

وحوزة جويّا "لآل خاتون، وهي مدرسة قديمة، عاشت زماناً طويلًا، وتخرّج منها جماعة من العلماء، وهي الآن طلل دارس، كانت محطّ رحال طلاب العلم في السابق" [٢].

ولكن إن كانت قد عاشت فترة طويلة فأين علماؤها ؟ وأين طلّابها؟ ولماذا لم يكن لها حضور علميّ معروف، كتلك الحوزات السابقة والتي عاشت زمناً بعضه ليس بالطويل، ولكانت قد تركت لنا معالم واضحة؛ من حيث شخصيّة مؤسّسها، وأبرز تلامذته ونتاجهم العلمي، وما إليها من المعلومات، التي تبين أوصاف كل حوزة. مثل حوزة ميس التي لم تعش الّا فترة يسيرة، وهي عمر مؤسّسها، المحقّق الميسي، وقد تركت آثاراً علميّة معروفة وموثقة! أو حوزة شقراء السالفة!.

امّا بالنسبة لآل خاتون، فقد عرفناهم أسرةً علمية مرموقة، كانوا بحوزة عيناثا، كما مرّ بنا، ثمّ منها إلى جويّا. ولا شك أن حظّ جويّا العلمي، قد بدأ مع انتقال هذه الأسرة العلميّة اليها. وتصوّر بعض الكتّاب انّ آل خاتون انطلقوا مهاجرين إلى العراق وإيران والهند انطلاقاً من جويّا [٣]. ولم يذكر

١- جويّا: جيم مضمومة وواو مفتوحة مثنّاة تحتية مشددة مفتوحة وألف، بلد في ساحل صور فيها سوق أسبوعي يوم السبت، فيها عدة مساجد (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٣١). زرتها أكثر من مرّة وسمعت أن الكثير من أبنائها مغتربون، ويقال عنها انها كانت تعرف ببلدة الألف مليونير ذات يوم (الباحث).

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٢٥٦/١٣.

٣- (نور الدين، عبد الرضا : جويّا بين الماضي والحاضر، ٨٥/٢) كما ذهب الكاتب الى أن الشيخ نعمة بن خاتون هو مؤسّس حوزة جويّا(٨٦/٢)، بينما كان هذا الشيخ بعيناثا وقد أجاز عبد الله التستري في (سنة ٩٨٨ هـ) وقد أجازه وأباه وأخاه المحقق الكركي ببغداد. (الحرّ العاملي: محمد بن الحسن، أمل الآمل، ١٨٨/١) (الأمين،محسن: أعيان الشيعة، ١٩٤/١٢). فهجرة=

صاحب الخطط ، إلّا أسماء علماء متأخرين نسبيّاً، انتهت حياتهم في سجون عكا، أيام الجزّار؛ منهم الشيخ علي بن خاتون العاملي، المتوفى قتلًا في حبس الجزار، بعد (سنة ١٢٢٠هـ) [١]، وكان للشيخ علي إبنٌ؛ وهو الشيخ محمد، وكان منصرفاً لعلم الطب، وحفيد وهو الشيخ يوسف، سيأتي الكلام عنه في حوزات المرحلة الثانية، إن شاء الله تعالى.

وممن درّس بحوزة جويّا، الشيخ إبراهيم الحاريصي المتوفى سنة (١١٨٥هـ)، أي قبل وفاة الجزّار بعشر سنين، ولم يُعرف أستاذه، ولهذا نجد أن صاحب الأعيان، لم يورد دليلًا على كونه قد درس في جويّا، إلّا بيتين قالهما ضمن قصيدة له يقول فيهما:

فتى حاريص مغناة ولكن تلقّى العلم وفرا من جويّا

وكان له بها شيخ جليل جميل حاز علماً أحمديّا [٢]

وقد أورد الأمينُ في أعيانه الكثير من شعر الحاريصي، ولكنه لم يتبين لنامتى درس بجويّا، فضلًا عن أسماء أساتذته بها [٣]. ولهذا يترجّح الميل الى عدم وجود حوزة بمستوى علمي واضح في جويّا، وإلّا لعُرف هذا الوجود الفقهي بأساتذته وتلامذته، نعم سيكون لحوزة جويّا، حضور في المرحلة الثانية القادمة، ولكن النقطة المهمة هنا، أن أيام الجزّار، كانت قد أنهت الوجود العلمائي بجبل عامل تقريباً، ومنه ما حل بعلماء جويّا.

= آل خاتون كانت من عيناثا لا من جويّا كما توهّم الكاتب.(الباحث).

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣٠٦/١٢.

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٥١/٣.

والأمين نفسه يذكر البيتين في خططه باختلاف يسير .

فتى حاريص منشؤه ولكن تلقّى العلم عفوا في جويّا

وكان له بها شيخ تقي نقيٌ حاز علما أحمديا

(الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص ٢٣١)

٣- الامين، محسن: أعيان الشيعة، ٥١/٣.

وكان من نتائج حملة جيش الجزّار على جويّا، إضافة الى قتل من فيها من العلماء، الاستيلاء على مكتبتها الكبيرة، التي كانت تضمّ آلاف المخطوطات الثمينة (مكتبة آل خاتون)، وقد أرسلت إلى أفران عكّا [1]. أُسوة ببقيّة مكتبات جبل عامل آنذاك [2].

إن حكم أحمد باشا الجزّار، قد حدّد لنا تاريخاً واضحاً لنهاية المرحلة الأولى (التأسيسيّة)، من مراحل حوزات لبنان، كما أن النشاط العلميّ، عاد لجبل عامل بعد وفاته (المرحلة الثانية)، وهذا ما سنصبّ عليه بحثنا، في الفصل الثاني من هذه الدراسة، إن شاء الله تعالى.

١- نور الدين، عبد الرضا: جويّا بين الماضي والحاضر، ٢/٨٥.

٢- ولا أثر اليوم لمكتبة آل خاتون أو مدارسهم هناك. (الباحث). وسألت عبد الرضا نور الدين، مؤلف كتاب (جوّيا بين الماضي والحاضر، عن هذه الآثار، فأفاد: أن موقع الحوزة هو موقع دائرة بلدية جوّيا حالياً، والمكتبة تقع في داره التي يسكنها حالياً. بيروت، الأربعاء ٨ جمادى الثانية ١٤٢٩هـ / ١١حزيران ٢٠٠٨م، ٦ مساءً).

الفصل الثاني
الحوزة النجفيّة وحوزات لبنان

تمهيد:

تُعتبر حوزة النجف الأشرف، أعرق الحوزات الشيعيّة القائمة في العالم، وأكثرها عطاءً، وأوفرها إنتاجاً، علماءً ومؤلفات ورؤىً. وهي الحوزة التي ورثت علميّاً وجغرافيّاً، الحوزة الشيعية الأولى ببغداد، ثمّ حوزة الحلّة، التي استمرّ عطاؤها قروناً ثلاثة، ونبغ منها فقهاء كبار، لا يزال حضورهم العلميّ فاعلًا، وبشكل لافت.

ولقد مرّت حوزة النجف الأشرف، بطورين؛ الأول: منذ هجرة الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، من بغداد إليها سنة (٤٤٨هـ)، وحتى عهد سبط الشيخ ابن إدريس الحلّي (٥٤٣–٥٩٨هـ)، الذي نقل الحوزة إلى الحلّة. والثاني حيث دبّ فيها النشاط العلميّ مرّة أخرى، عام ٩٠٩هـ مع هجرة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠هـ) إليها ، فاستقطبت أواخر علماء حوزة الحلّة، وهاجر إليها طلبة العلم.

وإنّ ممّا يزيد في قوة الحوزة النجفيّة، وعميق تأثيرها، ما يشكّله العراق، من هيبةٍ، وقدسيّة، لدى المسلمين من شيعة العالم. العراق الذي احتضن تجربة الإمام علي عليه السلام بالكوفة (من ٣٦–٤٠هـ)، وشهادة الإمام الحسين بكربلاء (٦١هـ)، ثمّ صارت أرض العراق، مثوىً لأربعة أئمة آخرين؛ من الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، عند المسلمين الشيعة [1].

هذا بالنسبة لعامّة الشيعة في العالم. وهناك خصوصيّة لشيعة لبنان، حيث ارتبطوا منذ بدايات نشأتهم، بحوزات العراق، ومراجعه. كما مرّ بنا في الفصلين التمهيدي والأول، من إرسال بغداد فقيهين كبيرين إلى طرابلس وصور وصيدا، ثمّ هجرة طلبة لبنان وعلمائهِ من جبل عامل إلى حوزة الحلّة.

---

١ -قبور الأئمة الستة تتوزع بالعراق كالتالي١: الإمام علي بن أبي طالب (الإمام الأول) النجف الأشرف.٢: الإمام الحسين بن علي (الإمام الثالث) كربلاء المقدسة .٣و٤: الإمامان موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد (السابع والتاسع) الكاظمية (بغداد) .٥و٦: الإمامان علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري (العاشر والحادي عشر) سامراء. يمكن مراجعة مصادر، ومراجع عدة، منها: موسوعة العتبات المقدسة/ جعفر الخليلي، الأجزاء(٦،٧، ٨، ٩، ١٠،١٢).

ثمّ هجرة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (المحقق الثاني)، أو المحقّق الكركي (ت:٩٤٠هـ)، واستقراره بالنجف، ولفترات متقطّعة، بلغت خمساً وعشرين سنةً. وكانت هجرته إلى النجف الأشرف، إيذاناً بتطّور جديد، في علاقة حوزات لبنان بالنجف وحوزتها. حيث شهدت النجف، إعداد علماءٍ أفذاذٍ، من الطلبة اللبنانييّن المهاجرين، حتى استوطنت بعض الأسر العلمائيّة اللبنانيّة النجف الأشرف، فأسهمت بدورها، في رفع رصيد حوزتها، علميّاً وثقافيّاً وأدبيّاً.

ورغم بروز الدولة الصفويّة الشيعيّة بإيران، التي استعانت ـ بدورها ـ بعلماء جبل عامل، بما شكّل ظاهرة هجرة علمائية، استقطبت مشاهير علماء الشيعة اللبنانييّن. فإنّ النجف بقيت قطب الرحى، في الموقعيّة المرجعيّة والروحيّة، لشيعة العالم ومنهم اللبنانييّن. حيث لم تشهد إيران آنذاك، حوزات علميّة، تقوى على منافسة حوزة النجف الأشرف، في هجرة العلماء، وطلبة العلم. فبقيت النجف وحوزتها، مركز الاستقطاب الشيعيّ من جهة، وموطن إشباع غريزة الانتماء الشيعي؛ حيث يكون الشيعي اللبناني، بأمس الحاجة إليها من جهة أخرى. نعم شهدت حوزة قم في السنين الأخيرة، ظاهرة فريدة، في تاريخ الحوزات الشيعيّة، حيث كادت أن تحلّ مكان حوزة النجف الأشرف ؛ بما سنتعرّض له في نهاية هذا الفصل، وفي أبحاث فصول تالية، إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الفصل، الذي وُضع له عنوان حوزة النجف الأشرف وحوزات لبنان ضمن السياق التاريخي، لتطوّر حوزات لبنان، سنتوقف عند مبحثين، الأول حول تأثير الحوزة النجفيّة في الحوزات اللبنانيّة (المرحلة الثانية) تأسيساً وتدريساً، حيث ستبدو الصورة، في نهاية الارتباط، بما لم نعهده، حتى في حوزات المرحلة الأولى، التي ربّما استقلّت عن حوزات العراق (الحلّة آنذاك). والمبحث الثاني، الذي له امتداد تاريخي ومعرفي، بالمبحث الأول، حيث يتناول دراسة العلماء اللّبنانيين في النجف الأشرف؛ من حيث ثقلهم العلميّ، وجوانب من تأثرهم، أو تأثيرهم، في حوزتها، ومجتمعها.

المبحث الأول

المرحلة الثانية لحوزات لبنان (النجفيّة)

مرّ بنا في الفصل الأول، أن حوزات لبنان في المرحلة الأولى (التأسيسيّة)، كانت قد أفلت على إثر النكبات، التي نزلت بجبل عامل، وعلمائه، وزعمائه، حتى انتهت الحوزات العلميّة، وغاب نشاطها الفقهي. وكان من جرّاء تلك الحوادث الشديدة الوطأة، هجرة واسعة بإتجاه العراق، وخاصّة النجف الأشرف، من قبل علماء جبل عامل، وطلّاب العلوم الدينيّة آنذاك.

لقد فقدت الحوزات اللّبنانية في مرحلتها الأولى، مستويات علميّة كبيرة، كانت قد هاجرت إلى إيران والهند، خاصّة بعد مقتل الشهيد الأول، ثم مقتل الشهيد الثاني. وكان نصيب النجف من هذه الهجرة قليلًا. على عكس المهاجرين اللبنانيّن، في المرحلة الثانية، حيث اتجه أغلبهم نحو النجف، كما سبقت الإشارة إليه[1].

ويبرز دور فقهاء النجف، وحوزتها، واضحاً جليّاً في حوزات لبنان، حيث كان كلّ مؤسسي حوزات هذه المرحلة، هم من خريجي الحوزة النجفيّة، وكان هؤلاء العلماء المؤسّسون، دائمي الصلّة بالنجف وأوضاعها، ونشاطات حوزتها، وأُطروحات فقهائها ومراجعها.

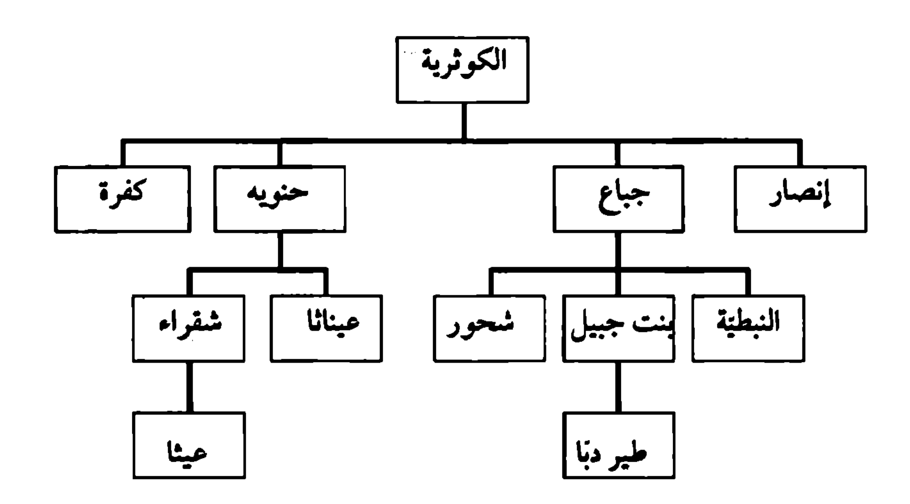
وبعد موت الجزّار سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، وزوال الخطر الذي كان يحول، دون قيام العلماء اللّبنانيين، بأدوارهم العلميّة، بادرت حوزة النجف الأشرف، إلى تشجيع العلماء اللّبنانيين المقيمين بالنجف، على العودة إلى

١- كانت هجرة العلماء العامليّن في المرحلة الأولى– عموماً– هرباً من الوضع الأمني الخطير، ولهذا توجّهوا إلى إيران، حيث الدولة الشيعيّة الصفوية، التي توفّر لهم الأمن. أما في مرحلتهم الثانية، فهي هجرة لطلب العلم، ولهذا اتجهوا نحو النجف (الباحث).

لبنان، واستئناف النشاط الحوزوي، والتواصل العلمي، ليعود لجبل عامل ومن ثَمّ للبنان موقعه العلميّ المتميّز، وليُسهم في العطاء الفقهي. وإذا بنشاط حوزوي لافت، تزدهرُ به قرى جبل عامل ومدنه، بعد طول غياب.

وكانت أولى هذه الحوزات – في هذه المرحلة – هي حوزة الكوثريّة، ومؤسّسها الشيخ حسن القبيسي العاملي (ت:١٢٥٨هـ). و"قد كان تأسيس هذه المدرسة، في العقد الرابع، من القرن الثالث عشر الهجري، وأن إنشاءَها كان بإيعاز، من علماء جامعة النجف الأشرف"[١].

وبلغ عدد الحوزات اللبنانيّة في هذه المرحلة، أربع عشرة حوزة، تركّزت بقرى جبل عامل – حسب ما استطعت إحصاءه –. وكانت اثنتي عشرة حوزة منها تشكّل هيكلًا خاصاً. يبدأ من حوزة الكوثريّة على رأس الهرم، ثم تتفرع عنه إحدى عشرة حوزة أخرى.



كما يبدو في المخطّط أعلاه، وحوزة الكوثرّية في قمّته، إذ إنها الأولى في هذه المرحلة من مراحل الحوزات اللبنانيّة، ثم تتفرع عنها أربعُ حوزات

١- مكي، محمد كاظم: الحركة الفكريّة والأدبيّة في جبل عامل، ص٣٣.

أُخر، ونعني بذلك: أنّ مؤسسي هذه الحوزات الأربع، (إنصار، جباع، حنويه، كفرة) كانوا من طلّاب حوزة الكوثريّة، ثم كانت حوزة حنويه منطلقاً، لتأسيس حوزتين أُخريين هما (شقراء وعيناثا). وفي حوزة شقراء، درس مؤسس حوزة عيثا. كما أنّ حوزة جبع، أسهمت بدورها في تأسيس حوزات النبطيّة، وشحور، وبنت جبيل، والأخيرة أعدّت مؤسس حوزة طيردبّا.

ولا بدّ من التأكيد، أن هذا التأسيس والإعداد، كان في بداية الحياة العلميّة، لأولئك الفقهاء الكبار، الذين انطلقوا بعدها إلى حوزة النجف الأشرف، وعادوا مجتهدين. (إذ كانت العادة المتّبعة لعلماء جبل عامل، المهاجرين إلى النجف الأشرف، أن لايعودوا إلى بلدهم، إلّا وهم يحملون إجازات إجتهاد في الفقه والأصول، من كبار أساتذة حوزة النجف الأشرف، ومراجعها).

اي أَن هذه الحوزات اللبنانيّة، أسهمت في وضع اللبنات الأولى علميّاً، وقامت بدور الإعداد لما سيتلقّاه خريجوها، من العلوم الدينيّة العالية، عند هجرتهم إلى النجف الأشرف. وستتضح هذه المعلومات، أثناء التوقّف عند أول حوزة من هذه الحوزات، بما يتناسب مع خطة البحث.

وهناك حوزتان اثنتان من بين أربع عشرة حوزة، كان تأسيسهما على يديّ عالم عراقي، وآخر لبناني، كان قد استوطن النجف، حيث جاءا من النجف مباشرة إلى جبل عامل. أي أنهما لم يدرسا مقدّمات الدرس الحوزوي، بجبل عامل، ثم هاجرا إلى النجف مثل بقيّة العلماء. وهاتان الحوزتان هما: حوزة جويّا، وحوزة الخيام. لأن مؤسس الأولى، عالم شيعي عراقي مهاجر إلى جويّا، وهو الشيخ عبد النبي الكاظميّ (ت:١٢٥٦هـ)، ومؤسس الثانية، عالم شيعي لبناني، كانت ولادته بالنجف الأشرف، وهو من أُسرة عامليّة مهاجرة، ذلك هو الشيخ عبد الحسين صادق (ت:١٣٦١هـ/ ١٩٤٠م).

وهذه الحوزات، حسب تاريخ تأسيسها وأسبقيتها كالتالي:

١. حوزة الكوثريّة[١]:(١٢١٩-١٢٦٠هـ)

وهي الحوزة الأولى في المرحلة الثانية، والتي أنشأها الشيخ حسن القبيسي، بإيعاز مباشر من مراجع النجف الأشرف، كما أسلفنا. بعد انتهاء حكم الجزّار، حيث هدأت البلاد "وعمّرت عمراناً زائداً، وفُتحت مدرسة الكوثريّة.. فقام فيها العلم وتربّى فيها الفضل[٢]". وكان الشيخ حسن "عالماً فاضلًا، مشهوراً بالعلم والفضل والتقوى، من تلاميذ السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي" [٣]. ويعتبر السيد بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ / ١٧٩٧ م) مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت:١٢٢٧هـ /١٨١٣م)؛ أشهر علماء النجف الأشرف في هذه المرحلة، وعلى أيديهما تخرّج أبرز علماء جبل عامل وفقهاؤه[٤].

ولا يُعرف أين ولد الشيخ حسن، إلّا أنه ورد في ترجمته "أنه جاء من العراق، إلى بلاد الشقيف من جبل عامل سنة ١٢١٣هـ" [٥]. ولم يرِد: رجع من العراق، ممّا قد يُفهم منه، أنه كان من المقيمين بالنجف، وهذا ما يعزّز الرأي، الذي يؤيّد كون حوزة النجف، هي التي أسهمت مباشرةً في إعادة الحياة العلميّة، إلى جبل عامل وحوزاته. كما رفدت النجف فقيهاً عراقياً، وهو الشيخ إبراهيم بن حسين البلاغي (ت: ١٢٤٦هـ /١٨٣١م)، الذي استقرّ بالكوثرية سنين عدّة[٦]. والتاريخ أعلاه يوضّح أنّ رجوع الشيخ، كان قبل

١- الكوثريّة: "كوثرية السيّاد: جزؤها الأول، بلفظ النسبة إلى الكوثر، والثاني: سين مكسورة ،وياء تحتيّة مثناة مشدّدة، وألف ودال معجمة، أي: السادة، سميت بذلك؛ لأن سكانها أشراف حسينيّون. وهي قرية في ساحل صيدا، من عمل الشومر، وفيها كانت مدرسة دينيّة للشيخ حسن القبيسي.." (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٩). وسمعت من بين سكان القرية، حين زيارتي لها، (الأحد ٣ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠ آيار ٢٠٠٧م، ٤ – ٥.٣٠ بعد الظهر) أن الإسم ارتبط بوجود الحوزة، وتكاثر العلماء فيها فقال سكّانها: كثر السادة (أي العلماء)، فهي كوثرية السيّاد، وأنا أميل إلى هذا المعنى (الباحث).

٢- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمال، ص١٣٤.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٨/٣٣٤.

٤- سنورد في هذا الفصل، أسماء طلبة هذين الفقيهين، من العلماء اللبنانيّين.

٥- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣/٧٧.

٦- وهو جد أُسرة البلاغي الموجودين بلبنان قاطبةً.(الباحث)

موت الجزّار بست سنين، ولهذا يرجّح أن بدء حوزته كان بعد وفاة الجزار مباشرة.

كُتب لهذه الحوزة مزيد بقاء، عبر نبوغ أحد خرّيجيها، وعودته إلى الكوثريّة، وهو السيد علي إبراهيم الكوثراني (ت١٢٦٠هـ /١٨٤٥م)؛ الذي "صار مرجعاً من المراجع في البلاد[١] وكان قد رجع سنة ١٢٤٨هـ.. ثم "أُسند إليه منصب الإفتاء من قبل الدولة العثمانيّة، على المذهب الجعفري، في القسم الشمالي من جبل عامل" [٢]. وإلّا فإن الظاهرة العامّة لحوزات جبل عامل، أنها تموت بموت مؤسسها.

وتخرّج من حوزة الكوثريّة، علماء عدّة منهم من شيّد حوزات علميّة أُخرى، بعد عودته من النجف الأشرف. إنّ اهتمام مرجعيّة النجف المباشر بهذه الحوزة، سوف ينعكس على بقية حوزات هذه المرحلة، وهو أمر لم يُعهد في حوزات لبنان في المرحلة الأولى، التي كانت قائمة بذاتها، وخاصّة الحوزات الأولى منها. وما دمنا في بحثنا عن حوزة الكوثريّة، رائدة حوزات لبنان في المرحلة الثانية، فعلينا أن نذكر رأياً قيل فيه: "إنّ أول مؤسّس حوزة دينيّة في جبل عامل، بعد عام (١١٩٥هـ)، هو العلّامة الكبير آية الله [٣] الشيخ حسن القبيسي العاملي، في قريته (إنصار)" [٤]، وهي معلومة تفرّد بها صاحبها، ولا دليل يؤيّدها.

٢. حوزة جباع: (١٢٦٢ ـ ١٣٠٢هـ)

التي أنشأها الشيخ عبد الله نعمة (١٢١٩-١٣٠٢هـ) – بعد وفاة

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٢٧٠.

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/١٧٩.

٣- (آية الله) لقب علميّ حوزويّ شيعيّ، يطلق على كل من بلغ مرحلة الإجتهاد في الفقه، ثم هناك لقب (آية الله العظمى) الذي يختصّ بمراجع الدين، من المجتهدين الكبار. وقد نال لقب (آية الله) شهرة كبيرة، بعد أحداث الثورة الإسلامية بإيران عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (الباحث).

٤- الأمين، حسن: جبل عامل السيف والقلم، ص٥١١.

الشيخ حسن القبيسي سنة ١٢٥٨هـ – وكان قد تخرّج بدورهِ من حوزة الكوثريّة[١] ،ثم رحل إلى النجف الأشرف، وحضر على أعاظم مجتهديها، "حتى استقلّ بالتدريس [٢]"، أي أنه صار مجتهداً ناهضاً بمهمّة تدريس طلّاب مؤهّلين للإجتهاد، وقد صرّح باجتهاده المرجع الشيخ محمد حسن النجفي (١٢٠٢ـ ١٢٦٦هـ) (صاحب الجواهر) [٣].

وكان الشيخ عبد لله، مرشحاً لاستلام موقع المرجعيّة بالنجف، ولكنّه تركها ليستقرّ بإحدى المدن الإيرانيّة، مبلّغاً وعالماً، فانقطع عن دروسه. حتى أن المرجع الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤ ـــ ١٢٨١هـ)، الذي خلف الشيخ صاحب الجواهر، أبى أن يتبوأ موقع المرجعيّة الدينيّة، وهناك عالم كان أفقه منه في سنيّ دراسته الأولى، وهو الشيخ عبد الله نعمة، حتى التقاه فاعتذر له الشيخ عبد الله: بأنه قد ترك الدرس مدة طويلة، وأن الشيخ الأنصاري صار هو الأعلم بلا شك [٤]. (وسنعود للشيخ عبد الله نعمة في فصل المرجعيّة إن شاء لله). قلنا ذلك؛ لندرك أهميّة حوزة جباع وموقعها بعد عودة الشيخ عبد الله نعمة إليها، حيث هيأ الله له رجلًا محسناً [٥] ، كان ينفق على الطلبة، فشدّ طلبة العلم، من قرى جبل عامل، رحالهم باتجاه جباع وفيهم "فلول مدرسة الكوثرية" [٦]. وقد خرّجت هذه الحوزة، شخصيّات علميّة مرموقة، أسهم بعضها بإشادة حوزات علميّة بمناطق أُخرى من جبل عامل. إن حوزة جباع، قد "أوجدت نهضةً علميَة في البلاد واسعة النطاق" [٧]. وانتهت بوفاة الشيخ عبد الله نعمة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٣م). بعد ما يقارب من أربعين سنة، من العطاء العلمي [٨]. ولا بدّ من ذكر بعض النقاط المهمّة هنا:

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٢٧٠.
٢- الأميني، هادي: معجم رجال الفكر في النجف، ٣٠/ ١٢٩٤.
٣- (حرز الدين، محمد: معارف الرجال٢٢/(الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل/٢٣٤)
٤- عمرو يوسف: صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم، ص١٠١.
٥- هو الحاج سليمان ابن الشيخ علي العاملي (٢٢٧ – ١٢٧٢هـ) " وكان من أهل الخير والصلاح والمبرّات الكثيرة" (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١١/٣٠٧).
٦- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، ص٢٤٢.
٧- آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، ص ٢٤٢.
٨- الصدر الكاظمي، حسن : تكملة أمل الآمل، ص٤٦٤.

١– كان الشيخ عبد الله نعمة قد "صار شيخ البلاد الشاميّة والمرجع العام في البلاد"[١]. فعملهُ لم يكُ مقتصراً، على التدريس في حوزته، بل كان أحد مراجع جبل عامل، وشيعة البقاع، وسورية.

٢– تميّز الشيخ عبد الله، بالقيام بجولات سنويّة ،على شيعة لبنان وسورية، وكان يصوم شهر رمضان الفضيل، كل سنة بدمشق[٢] ؛ مما هيأ له الاطّلاع على شؤون شيعة بلاد الشام، والإسهام في إبراز دور المرجعيّة الدينيّة.

٣– كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يهابهُ الظالمون، والإقطاعيون، وأصحاب المعاصي[٣].

٤– أعاد لجبل عامل عامة، و لـ(جباع) خاصّة، موقعها العلمي الغابر. في حين لمْ يعد هذا المجد العلمي، لبلدات مثل: جزين وميس وكرك ومشغرة، لكنّه عاد وبقوّة إلى جباع.

٥– هو أول فقيه لبناني، كاد أن يصل إلى موقع المرجعيّة الدينيّة العليا للشيعة، وكان انشغاله بالوعظ والإرشاد، سبباً لانقطاعهِ عن الدرس والمباحثة، مما أثّر سلباً على موقعه العلمي. ولهذا نجد أنّ العلماء في غاية الحرص، على الالتزام بدروسهم الحوزوية، وعدم إغفالها، والانشغال بمهمّات العالم الديني الأُخرى. ولعل هذه النقطة – بالذات – من أهم الأسباب، التي حدت بالعلماء اللبنانيّن، العائدين من المراكز الحوزوية الكبرى، (النجف الأشرف، ثم قم لاحقاً)، أن يبادروا لإنشاء حوزات؛ حتى لا يبتعدوا عن الأجواء العلمية، درساً وتدريساً.

٦– بلغ صيته بقية اللبنانيّن – من غير الشيعة – فلمّا حدثت فتنة في سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، بين الدروز والنصارى، لجأ النصارى إلى جباع فآواهم الشيخ في بيته، ولمّا علم بذلك الدروز اتجهوا إلى جباع، واقتحموا

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ص٢٧٠.

٢- الأمين، محسن: اعيان الشيعة،٧١/١٢.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٧١/١٢.

على الشيخ داره، حتى فتكوا بمن فيها ونهبوها[١].

٣- حوزة كفْرة[٢]: (١٢٥٤ ـ ١٢٥٨هـ)

حيث عاشت فترة قصيرة، حينما أخذ الشيخ علي بن محمد السبيتي [٣] (١٢٣٦ ـــ ١٣٠٣هـ) – وهو أحد خريجيّ حوزة الكوثريّة– بالتدريس فيها مع الشيخ محمد علي عز الدين[٤](١٢١٣ ـــ ١٣٠١هـ)، فترة وجيزة، ثم انتقل إلى النميريّة، حيث كان يدرّس السيد علي إبراهيم الكوثراني (ت: ١٢٦٠هـ)، (المتقدم في حوزة الكوثريّة)، ولما أصيب ببعض العوارض، يمّم الشيخ السبيتي والشيخ عز الدين وطلّاب آخرون كانوا معهما، وجوههم باتجاه حوزة الشيخ عبد الله نعمة[٥]بجباع، التي راحت تستقطب الحوزات الصغيرة، المتناثرة بجبل عامل. وفي تلك المدّة القصيرة كانت "قرية كفرة روضة العرفان، وابتدر الطلّاب ينثالون إليها، حتى امتلأت بالطلّاب، والروّاد، مجتمعين من جميع فسحاتها "[٦]. وتعتبر حوزة كفرة، الحوزة الثانية المتفرعة عن حوزة الكوثرية.

٤- حوزة حنويه[٧]: (١٢٦٧ ـ ١٣٠١هـ) و (١٣٣٣هـ)

ارتبطت هذه الحوزة بمؤسسها الشيخ محمد علي عز الدين، الذي

١- (الأمين ، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/٧٣) نقلًا عن كتاب (مجمع المسرّات) لمؤلفهِ د. شاكر الخوري، (دون ذكر الصفحة).

٢ -كفرة " بسكون الحرف الثاني، من قرى جنوب جبل عامل الكبيرة، وهي مساكن أسرة آل السبيتي وآل عز الدين العلميتين المرموقتين.. من أعمال قضاء بنت جبيل. أسس فيها الشيخ محمد علي عز الدين مدرسة دينية في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة، الثامن عشر الميلادي ثم نقلها الى حنويه، كما درّس في هذه المدرسة رفيقه المؤرّخ الشيخ علي سبيتي واشتهرت أيضاً بمكتبة آل سبيتي وقد ضاعت..." (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٢/٢٢٣، ٢٢٤).

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/٣٩٩.

٤- ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٢/٢٢٤.

٥- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠٨.

٦- ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل،١/٢٥٣.

٧- حنويه: قرية في ساحل صور، فيها مشهد يُنسب ليحيى (عليه السلام). وفيها قبر حيرام ملك=

عرفناه بحوزة كفرة، الذي غادرها إلى جباع، وبعد ست سنين، دراسة على الشيخ عبد الله نعمة، هاجر إلى حوزة النجف الأشرف[١]، وقد منحه الشيخ عبد الله نعمة، إجازة الاجتهاد، وأرجع الناس إلى تقليده[٢]، فلمع نجمه كثيراً، وكانت حوزته بحنويه منبعاً لعدد من حوزات أُخرى، تخرّج مؤسّسوها من حنويه. وكان يتجوّل بين القرى، ومعه كيس فيه بعض الكتب الفقهيّة، وأوراقه، وأقلامه. فإذا وجد فرصة، أخرج ما فيه، وانشغل بالتأليف، عن الناس [٣].

وانعكس الحضور العلمي البارز، وعدد طلاب حوزة حنويه، على بعض مذكّرات الأوروبيّين الموجودين آنذاك بجبل عامل[٤]. أغلقت هذه الحوزة أبوابها، بوفاة مؤسسها(١٣٠١هـ)، وترك أولاداً علماء، وليس المهمّ أن يترك مؤسسو الحوزات أبناءً علماء، بل المهمّ قيام بعضهم، بإكمال مهمّة الدراسات الحوزويّة. وكان الذي أحيا هذه الحوزة بعد طول سبات، هو حفيده الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد علي، بعد عودته من دراسته بالنجف الأشرف [٥]. حتى وفاته (١٣٣٣هـ /١٩١٤م).

إن حوزة حنويه، كانت ثمرة من ثمار حوزة الكوثرية، ثم حوزة جباع،

= صرر في تابوت من الصخر" وفيها آثار وقبور قديمة" (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٣٦).

١- الغروي، محمد: مع علماء النجف الأشرف: ٢/٤٤٤.

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/ ٢٨٨.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/٢٨٨. ويقول: الشيخ محمد علي عز الدين، عن كيسه هذا:

خمسٌ وخمسون من عمري مضت حججاً	أفنيت أيامها بحثاً وتدريساً
ما إن أقمت نهاراً نضو بلقعةٍ	ولا رأيت بدار الجهل تعريساً
أطوف بالكيس أبواب الأولى ملكوا	روض العلى لعلّي أملأ الكيسا

(آل صفا، جابر: تاريخ جبل عامل، ص ٢٤٤).

الحجّة: السنة، النضو: المهزول من الأبل وغيرها، بلقعة: الأرض القفر، التعريس: النزول في آخر الليل للإستراحة. (الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مواضع متفرقة).

٤- حيث زارها د.لوته– عميد كلية الطب بليون فرنسا وأبدى اعجابه بها. (مكي، محمد كاظم: الحياة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص٣٤).

٥- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٣٨١.

ثم صارت منطلقاً لحوزات أُخرى. وإن من الأمور اللافتة فيها، أن المستوى العلمي بجبل عامل، وصل إلى موقع متقدم، يقوى على منح إجازات الإجتهاد في الفقه، مذكّراً ببعض مجد حوزات لبنان، في مرحلتها الأولى؛ حيث كانت تمنح الأجتهاد، بجزّين، وميس، وكرك وغيرها. ترك الشيخ محمد علي عز الدين، مجموعة من المصنَّفات منها: (رسالة عمليّة لمقلديه)، (تحيّة القاري الى صحيح البخاري)، (كتاب في الرجال)، و(منظومة في المواريث) [١].

٥ ـ حوزة شقراء: (بعد ١٢٢٧ [٢] ـ ١٢٤٦هـ) و(١٣١١ ـ ١٣٢٨هـ)

كان لشقراء وحوزتها، حضور في حوزات المرحلة الأولى، المتقدّمة في الفصل الأول. وأما في هذه الفترة، فقد نهض بحوزة شقراء، السيّد علي بن محمد الأمين، الذي تلقّى العلوم مبكراً، ثم حدث أن أحمد باشا الجزّار، رأى خراب البلاد، فأراد أن يعيد الحياة إليها، بعودة العلماء والأمراء الهاربين. فاتّصل بالسيد محمد بن أبي الحسن موسى الأمين، الذي تكفّل بالعمل على ذلك، ولكنّ الجزّار طلب ابن السيد محمد ليبقى رهينة عنده، فترك ولده (علياً) هذا عنده. وفي قصر الوالي تعرّف السيد علي على شاب من حاشية الوالي اسمه (عبد الله بك بن علي باشا الخزندار)، الذي كان له شغف بالعلم، فدرس على السيّد علي بعض الدروس، منها شرح حاشية الملّا عبد الله في المنطق، على تهذيب التفتازاني [٣]. ولمّا عاد أبوه فُك رهنُه، فاتجه إلى النجف الأشرف، ولم يرجع من هناك، إلّا وقد بلغ مرحلة الإجتهاد. ثم إنّ

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٢١/١٢، (نقل باختصار).

٢- في هذا التاريخ كان لا يزال بالعراق، (الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص٢٨٤).

٣- التفتازاني: "مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان من بلاد خراسان– وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي بها، ودفن في سرخس، كانت في لسانه لكنة. من كتبه: تهذيب المنطق، المطوّل في البلاغة، والمختصر شرح التصريف العزي، شرح الشمسيّة في المنطق، وشرح الأربعين النوويّة وغيرها، عاش بين (٧١٢ – ٧٩٣هـ) (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٢١٩/٧).

ذلك الشاب، كان قد استلم منصب والي عكّا، بعد وفاة أحمد الجزّار، وسليمان باشا الذي جاء بعده. فقويت علاقة السيد علي، بالوالي عبد الله وتوثقت عراها، بما لم يعهد بمثلها بين عالم عاملي ووالٍ عثماني [١].

ولمّا عاد السيد علي من النجف، أنشأ حوزة كبيرة، قصدها الكثير من طلبة العلم[٢]، إلّا أنها انتهت في حياته، بعد أن أنف السيد علي، أن يأخذ زكوات كان يستعين بها على حاجات حوزته وطلّابها، على أثر مقالة أحد دافعي الزكاة: " نريد أن نكفي خيّالة حمد بك وطلبة السيد علي الأمين". فقال للطّلبة: من قدر على كفاية نفسه فليبق وإلّا فليذهب حيث شاء، فتفرّق أمر الطلبة[٣]، وتوفي السيد علي سمّاً سنة ١٢٤٩هـ [٤]. وأغلقت أبواب هذه الحوزة لستيّن سنة، حتى عاد من النجف الأشرف ابن عمّ السيد علي وسميُّه، السيد علي بن محمود الأمين، عام ١٣١١هـ، واستمرت لثمان عشرة سنة حتى وفاته سنة ١٣٢٨هـ. وكان قد سمّى حوزته بـ (المدرسة العلويّة)[٥]، وكان السيد علي بن محمود، قد درس قبل ذهابه إلى النجف في حوزة حنويه، وأستاذها الشيخ محمد علي عزّ الدين.

وهناك ملاحظة، على ما أورده السيد محسن الأمين العاملي – الشخصيّة العلميّة الشيعيّة المشهورة (ت١٣٧٢هـ /١٩٥٢م)، وهو حفيد السيد علي بن محمود الأمين–: أنّ والي عكّا عبد الله باشا، كان قد قصد تبنين، وبها زاره السيد علي بن محمد الأمين، حيث منحه الوالي، أراضٍ ذات ثمر له ولذريّته من بعده، وكتب له صكّاً بقرية (الصوّانة) سنة ١٢٣٧هـ[٦].

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٢١/١٢.

٢- لا يزال الموضع الذي كانت تشغله الحوزة موجوداً يعرف اليوم بحيّ المدارس، وبعض آثارها لا يزال شاخصاً، وهناك بيت للسيد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة، وقد زرت المنطقة يوم الجمعة ١٤ شوال ١٤٢٨هـ / ٢٦ تشرين١ ٢٠٠٧ الساعة ٤–٦ عصراً(الباحث).

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٢٦.

٤- الأميني: عبد الحسين: شهداء الفضيلة، ص٣٢٠.

٥- (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٤٠٣/١)،(الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٥٣/١٢)، (الأمين، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف،١٧٣/١).

٦- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٢١/١٢.

والملاحظة: ألمْ يستطع السيد علي بن محمد الأمين، أن يستعين بهذه العلاقة المميزّة مع والي عكا ــ وهو الشغوف بالعلم ــ على إعادة الحياة إلى حوزته، التي أُغلقت أبوابُها لأسباب ماليّة؟ وهو الذي لم يرض بمال قدّمه والي عكّا له، إلّا بأرض ثابتة تدرّ رزقها عليه وعلى ذريّته من بعده؟ إن السيد محسن الأمين قال في (خططه) أن السيد علي بن محمد (أنف) من جمع الزكوات التي كانت تنهض بأعباء مدرسته بعد سماعه كلمة من أحد وجهاء جبل عامل آنذاك، وها هو يهتم بمستقبل ذريته فلم لم يهتم بمستقبل حوزته وطلابها؟ وهي ملاحظة تكتسب أهميّتها، من إشكاليّة لا تزال قائمة في الحوزات المعاصرة، في كونها مشروعات خاصّة، بعيدة عن العمل المؤسساتي المطلوب. إلّا ان نتصوّر أنف السيّد علي من الوالي نفسه كذلك.

وقد أورد الأمين في أعيانه أبياتاً من قصيدة، بعث بها العالم العراقي، الذي أقام بالكوثريّة، وهو الشيخ إبراهيم بن حسين البلاغي، إلى السيد علي الأمين حول قراره بإغلاق مدرسته[1].

أمّا حوزة شقراء فلم تعد لها الحياة، بعد وفاة السيد علي بن محمود الأمين. وكان أبرز علماء هذه الأسرة المتأخرين السيّد محسن الأمين، الذي سكن دمشق الشام، بعد عودته من النجف مجتهداً، حتى دفن هناك، وسمي الشارع الذي كان يسكنه، والحي، باسم (الأمين)[2].

٦. حوزة جويّا: (١٢٤٤– بعد ١٢٥٦هـ)

كان لأسرة آل خاتون العلميّة، الدور الأبرز في حوزة جويّا، في مرحلتها الأولى. ولكن الصورة لم تكن بهذا الوضوح، في هذه المرحلة. فقد جاء عنوان (المدرسة الخاتونيّة في جويّا)، في بعض تراجم علماء جبل عامل، وبفترة تاريخية سابقة على حوزتي جباع وحنويه[3]. وجاء اسم الشيخ

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣/٧٧.

٢- الباحث.

٣- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/٦٥.

مهدي الخاتوني، كأحد أساتذة هذه الحوزة، درس عليه بعض الفضلاء، قبل توجههم إلى حوزة النجف الأشرف، وكانت وفاة الشيخ مهدي خلال الحرب العالمية الأولى[١]. وكان انتقال أُسرة آل خاتون، من عيناثا إلى جويّا، في القرن الحادي عشر الهجري [٢].

نعم توافرت المصادر الرجاليّة، على ذكر هجرة فقيه عراقي كبير، إلى جويّا، وهو الشيخ عبد النبي الكاظمي الشيبي (١١٩٨ــ١٢٥٦هـ) سنة(١٢٤٢هـ) [٣]. ووصف هذا الفقيه، بأنه "كان أعلم علماء جبل عامل، وله اليد الطولى في جميع العلوم والفنون، وله تصانيف في علوم شتى[٤] حتّى فاقت شهرته، شهرة الشيخ محمد علي الخاتوني، المعاصر له"[٥]. ولم يعرف الشيء الكثير عن خريجي هذه الحوزة، أو المبرّزين من أساتذتها. وفي كتب التراجم يمرّ ذكر (المدرسة الخاتونيّة) إجمالًا، دون معلومات يمكن الاستعانة بها، فقد جاء: أنّ "السيّد محمد شرف الدين بن الحسن بن هاشم (ت:١٨١٩هـ)، قرأ العربيّة على الشيخ جعفر مغنية (ت: بعد ١٢٣٨هـ)، ثم ارتحل إلى المدرسة الخاتونيّة في جويّا، واتصل بعدها بالشيخ عبد الله نعمة، «والشيخ محمد علي عز الدين»[٦]. ودون أن يذكر النصّ أعلاه، أي معلومة عن هذه المدرسة. وجاء في (أعيان الشيعة): أن السيّد علي بن محمود الأمين، اجتمع بالشيخ عبد النبي الكاظمي بجويّا، فاعجب بفضله ونوّه باسمه فزادت شهرته على الخاتوني "ولم يكن الخاتوني يدانيه في الفضل"[٧] والخاتوني هنا هو الشيخ محمد علي (ت: ١٢٨٦هـ)، الذي

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤٧١/١٤.

٢- ظاهر سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٢١٢/١.

٣- الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر في النجف، ٧٠٩/٢. وقد وقفت على قبره الذي لا يزال معروفاً هناك. (الباحث).

٤- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤٦/١٢.

٥- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤٧/١٢.

٦- شرف الدين، عبد الحسين: بُغية الراغبين، ٦٥/١.

٧- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤٦/١٢–١٤٧

وصف بأنه كان عالماً فاضلاً طبيباً ماهراً، مهاباً جليل القدر، قوي الجسم يضرب به المثل..."[1] حيث تتضح صفته الجسمانية، على صفاته العلميّة وغيرها.

إن حوزة جويّا في هذه المرحلة، لم ترتبط بأي من حوزات لبنان، لأن مؤسّسها كان عالماً عراقياً مهاجراً إليها. ترك الشيخ عبد النبي الكاظمي ولدين عالمين، ولا تزال ذريته معروفة بصور وما حولها[2]. وله مؤلفات منها: (فصل الخطاب) في الأصول. (شرح قواعد العلّامة)، (العقود المنشورة) في الفقه و (تكملة نقد الرجال) وهو أشهرها، وغيرها[3].

٧-حوزة بنت جبيل[4]: (١٢٩٧ ـ ١٣٠٤هـ)

وهنا تبدو الصورة واضحة، على عكس ما وجدناه في حوزة جويّا السابقة. فإن مؤسّس هذه الحوزة، الفقيه الكبير الشيخ موسى شرارة بن الشيخ أمين العاملي (١٢٦٧ ــ ١٣٠٤هـ). كان من خريجي حوزة جباع ثم هاجر إلى النجف (١٢٨٨ ــ ١٢٩٧هـ). وبلغ مرتبة علميّة متقدمة، علماً وأدباً وملك قلوب الناس[5] ثم رجع إلى جبل عامل، وأنشأ حوزة بنت جبيل (١٢٩٧ ــ ١٣٠٤هـ)، حيث قامت حوزته بدور كبير في احتواء طلبة حوزة حنويه، بعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد علي عز الدين (١٣٠١هـ) وجمعت

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣١٢/١٤
٢- رسالة من الدكتور: كامل مصطفى الشيبي، (الأحد ٢٦ ربيع الأول ١٤١٧هـ/١١ آب ١٩٩٦م، صور).
٣- حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ٧٣/٢ .
٤- بنت جبيل: " مركّبة من أنثى ابن ومصغّر جبل، من أمهات بلاد جبل عامل، على حدود فلسطين، فيها سوق يوم الخميس، كانت مركز الناحية أيام الأمراء آل علي الصغير.. وفيها جامع عظيم بناه الحاج سلمان البزّي بوصاية أخيه الحاج محمد بزّي من مالهما المشترك بعناية المصلح الشيخ موسى شرارة وتم بناؤه سنة ١٣٠٠هـ من علمائها الشيخ موسى بن أمين شرارة والسيد مهدي الحكيم النجفي. (الأمين،محسن: خطط جبل عامل،ص ٢١٤ و٢١٥).
٥- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل،ص٤٠٣.

عدداً وافراً من طلبة العلم[1]. وكان الشيخ موسى، يتابع مستويات الطلبة العلميّة شخصيّاً ويناقشهم في دروسهم، وكانت دراسته تركّز على المادة المطلوبة دون تطويل[2]. وتميّز الشيخ موسى شرارة، إضافة إلى المستوى العلمي الرفيع لحوزته بما يلي:

١– اهتّم بتحسين أداء خطباء المنبر الحسيني، الذين كانوا يعتمدون آنذاك، على كتب "بعض البحارنة، المشتملة على الغثّ إلّا ما ندر" [3].وحاول أن ينقل تجربة خطباء المنبر العراقيّين المتقدّمة، وأحضر معه مجموعة من كتب تلك المجالس[4].

٢– ترك أثراً مهمّاً في الأدب العاملي، وأدخل ألفاظاً وأساليب لم تكن متداولة، حيث تأثر بالأدب النجفي كثيراً. وفتح باب الانتقاد لغيره، وسنّ للأدباء طريقة جديدة[5].

٣– كان من دعاة الوحدة بين المسلمين، وكان حديثه داعياً إلى التأليف، بين الطائفتين المسلمتين[6].

ولكن حوزته لم تعمّر طويلًا بعد وفاته، ثم عاد ولده الشيخ عبد الكريم من النجف، ولكنّ المرض الذي أخذ أباه لم يمهله كثيراً. فتوفي سنة ١٣٣٢هـ، بعد عودته إلى بنت جبيل، وسعيه لأحياء حوزة أبيه.

وكان أهل بنت جبيل، قد طلبوا أحد فقهاء العراق آنذاك، وهو السيد مهدي الحكيم[7]؛ الذي كان أحد المختصّين بالشيخ موسى شرارة بالنجف

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦٣.

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/٥٣.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/٥٤. وخطيب المنبر الحسيني هو: من يعتلي المنابر أيام عاشوراء مؤكداً على سيرة الإمام الحسين في واقعة كربلاء (الخالدي، فيصل: المنبر الحسيني نشوؤة وحاضره وأفاق المستقبل). و(البحارنة) نسبة الى البحرين (الباحث).

٤- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/٥٤.

٥- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/٥٤.

٦- الأمين، محسن: اعيان الشيعة، ١٥/٥٣.

٧- السيد مهدي بن صالح الطباطبائي الحكيم النجفي، عالم فقيه محقق مجتهد، كان يحفظ الخطب الأخلاقية، ويتلوها في مجالس العلماء، ولما سأل أهل بنت جبيل الشيخ موسى شرارة عن عالم=

الأشرف، وكان قد تزوج من أخت الشيخ موسى وله ذريّة. ويقال: أنه لم ينهض بهذه الحوزة كما كان يتوقع بعض الطلبة آنذاك[1].

٨- حوزة النَبَطيَّة: (١٣٠٩ ـ ١٣٦١هـ)

"هي منبع علماء جبل عامل، تضاهي جباع، وجزّين، ومشغرى، وعيناثا"، ومع ذلك فلم يكتب لها حضور في المرحلة الأولى للحوزات اللبنانيّة، لا لقلّة علمائها، وإنّما لهجرتهم إلى حوزات عامليّة أُخرى، فلم تشهد النبطيّة قيام حوزة، في تلك المرحلة -على ما يبدو- إذ لا دليل على ذلك (وما ذكر إنّما يختصّ بالنبطيّة الفوقا، دون التحتا، حين كانتا منفصلتين مكانياً)[2]. وذُكرت أسماءُ ثلاثة عشر فقيهاً كبيراً، من أُصول نباطيّة، منهم الشيخ زين الدين الجباعي المشهور بالشهيد الثاني(ت:٩٦٥هـ) وحوزة النبطيّة في هذه المرحلة، هي إحدى الحوزات المنبثقة من حوزة جباع، حيث تخرّج مؤسسها السيّد حسن يوسف الحسيني العاملي، المعروف بمكّي (١٢٦٩-١٣٢٤هـ)، على يد الشيخ عبد الله نعمة، ثم هاجر إلى الحوزة النجفيّة (١٢٨٧- ١٣٠٩هـ)، ليعود فقيهاً كبيراً إلى النبطيّة [3]. ويؤسس

= يحلّ محله، أشار إليه وإلى السيد إسماعيل الصدر (ت: ١٣٣٨هـ) فوقع اختيارهم على السيد مهدي، مات ببنت جبيل سنة ١٣١٢هـ ودفن بها. (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/ ٢٣)، (حرز الدين، محمد، معارف الرجال ٣/ ١٢١)، وقبره معروف ببنت جبيل، وهو والد المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم (ت:١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) وجدّ شخصيات علمائية وسياسية عراقية مرموقة مثل السيد محمد باقر الحكيم والسيد عبد العزيز الحكيم وغيرهما.(الباحث).

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، /٣١٤.

٢- النبطيّة: وهي على اسمين، التحتا والفوقا...النبطيّة: "النباطية التحتا، قصبة الشقيف ومحل تجارته، من أمهات بلاد جبل عامل، فيها الدارات الشامخة والحدائق الناضرة، بسبب الماء العذب، الذي جلبه إليها يوسف بك الزين، من نبع الطاسة سنة ١٣٤٣هـ، فيها قبر يقال أنه قبر الشيخ علي بن يونس النبّاطي الشهير، صاحب الصراط المستقيم. سكنها من العلماء السيد حسن ابن السيد يوسف الحبوشي، وانشأ بها مدرسة بناها له الحاج حيدر جابر، انتهت بوفاته...

والنبطيّة الفوقا: في مكان أعلى من التحتا، وبينهما مسافة يسيرة، واليوم قد اتصل البناء وهي نبع علماء جبل عامل...(الأمين، محسن:، خطط جبل عامل، ص٣٠٦/ ٣٠٧). وكانتا تسميّا قديماً بالنباطيّة العليا والسفلى (البحراني، يوسف: كشكول البحراني،١/ ٤٢٩).

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٩/ ١٠.

فيها حوزته، التي أُطلق عليها اسم (المدرسة الحميديّة)، "وقد لمع اسمها، وذاعت شهرتها، فقصدها طالبوا العلم من سائر البلدان، وضمت ما يزيد على ثلاثمائة طالب"[١].

ولم تمتْ هذه الحوزة بموت مؤسّسها، بل إنها استمرّت سنين أُخرى، حينما انتقل الشيخ عبد الحسين آل صادق (ت: ١٣٦١هـ/١٩٤٠م) إليها. وهي حالة تكاد تكون فريدة، أن يغادر مؤسِّسُ حوزةٍ إلى حوزة أُخرى، ليعيد إليها النشاط العلمي، بعد وفاة مؤسّسها الأول. "وكان انتقال الشيخ عبد الحسين، بوصيّة من السيد يوسف حسن مكي، وطلب من أهلها"[٢].

وبعد وفاة الشيخ عبد الحسين، قُيِّض لهذه الحوزة أُستاذان فقيهان آخران هما: السيد محمد آل إبراهيم[٣] ،والسيد نور الدين الموسوي، وهذه سابقة أخرى تسجّل لحوزة النبطية[٤]، في استمرارها لمدّة زمنية ثالثة، بعد وفاة الشيخ عبد الحسين آل صادق، ومجيء هاذين العالمين لإدامة نشاطها المعرفي. ولهذا عاشت هذه الحوزة ما يقارب من خمسين عاماً.

ويلاحظ ان اسم هذه الحوزة مشتق، من اسم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (ت:١٣٣٧هـ/١٩١٨م) وهي ظاهرة لافتة في أسماء الحوزات الشيعيّة، "وكان يطلب في ذلك الوقت إجازة، لفتح المدارس الدينيّة، فاستحصلت الإجازة باسم السلطان العثماني آنذاك"[٥]، ثم تغيّر اسمها إلى (المدرسة الدينيّة العامليّة) [٦]، وكانت قد أدخلت بعض المقررات الحديثة

١- مكي، محمد كاظم: الحياة الفكريّة والأدبية في جبل عامل، ص٣٦.

٢- مقابلة شخصيّة مع الشيخ أحمد صادق، الأحد في ١٠ جمادى الأولى١٤٢٨/ ٢٧ أيار ٢٠٠٧ الساعة ١١ صباحاً. وقيل اجتمع رأي العلماء آنذاك على دعوته.

٣- من طلاب حوزة حنويه ثم هاجر إلى النجف وعاد فقيهاً، وله الفضل في بقاء حوزة ابيه بقرية أنصار (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٤/ ٢٨٣).

٤- لم يعتبرها السيد محسن الأمين مرتبطة بحوزة النبطية، (الأمين، محسن: خطط جبل عامل ص٣٠٧).

٥- مقابلة شخصية مع السيد علي مكي الحبوشي، الخميس ٢١ شوال ١٤٢٨هـ، ١ تشرين الثاني ٢٠٠٧، اللويزة، جبل عامل، الساعة ٤ عصراً.

٦- مكي، محمد كاظم: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص٣٧.

إلى دروسها، كما اعتنت بدراسة بعض اللغات الأجنبيّة، وكان طلّابها معفون من الخدمة العسكريّة[١]. وهي تكون بذلك، قد شكّلت سابقة للحوزات الشيعيّة في العالم، بإدخالها المناهج الحديثة في دروسها.

وقد أفلحت هذه الحوزة بتخريج نخبة رائعة من؛ رجال الفقه واللغة والتاريخ والأدب. ومن تلك الأسماء الكبيرة، كان: الشيخ محمد علي نعمة (١٣٠٠–١٣٨١هـ /١٨٨٣–١٩٦٢م)، والشيخ علي حلاوة، والشيخ أحمد رضا (١٢٨٩–١٣٧٢هـ /١٨٧٢–١٩٥٣م)، والشيخ سليمان الظاهر (١٢٩٠–١٣٨٠هـ/١٨٧٣–١٩٦٠م)، والمؤرخ محمد جابر صفا (١٢٩٠–١٣٦٤هـ/ ١٨٧٣–١٩٤٥م)، والشيخ أحمد عارف الزين (١٢٩٨–١٣٨٠هـ/١٨٨١–١٩٦٠م). ومن القضاة أسد الله صفا، والسيد علي فحص، ورضا الزين، والسيد علي الزين، والشاعر محمد علي حوماني (١٣١٦–١٣٨٣هـ/١٨٧٣–١٩٦٤م) [٢]، وغيرهم من الذين عرفتهم الساحة اللبنانية خاصّة، والعربيّة عامة، بمواقف عدّة. وتميز طلابها بالوعي، وتجلّى بعض ذلك؛ بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلاميّة، من قبل الشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان الظاهر، والشيخ أحمد جابر آل صفا، لمواجهة الغزو الثقافي الغربي.

والجدير ذكره هنا، أن السيد محسن الأمين في خططه، وهو يتحدّث عن حوزة النبطية التحتا، واستاذها السيد حسن يوسف مكي الحبوشي، لم يذكر أنّ أحداً أكمل مهمته بعده، وحتى حينما ذكر الشيخ عبد الحسين صادق، فإنّه لم يذكر أنه قام بمهمة إعادة الحياة العلمية لحوزة النبطية. لكنّ السّيّد الأمين، ذكر العلماء من آل نور الدين، وأنّ السيد محمد نور الدين، "أنشأ مدرسة تحوي عدداً وافراً من الطلاب"[٣]، بل إنه (الأمين) يؤكد نهاية

١- ستكون للخدمة العسكرية الأجبارية، مزيد تدخّل في أوضاع حوزات لبنان المعاصرة، وقد بدأ تأثيرها في الحوزات الأخيرة، من المرحلة الثانية، حيث سيق بعض فضلاء الحوزات وطلابها إلى الخدمة العسكرية كما سيأتي ذكره. (الباحث).

٢- التواريخ مأخوذة، من: الزركلي، خير الدين: الأعلام، في مواضع مختلفة.

٣- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٣٠٧.

الحياة العلميّة بالنبطيّة، بعد وفاة السيد حسن يوسف بقوله: "تخرّبت المدرسة شأن مدارس جبل عامل، التي كثيراً ما يكون عمرها مقروناً بعمر صاحبها، فجدّد بناءها الحاج حسين، وأخوه يوسف، أولاد الحاج إسماعيل ابن سليمان الزين، وصرفا عليها مبلغاً وافراً من المال، رجاء أن يعود إليها الطلّاب، فلم يتمّ ذلك، لأن المدارس الدينيّة في جبل عامل، أصبحت أثراً بعد عين"[1]. وهذا الرأي من السيد محسن الأمين يمكن أن يكون منشؤه ما يلي:

١ - إنّ السيد الأمين لم يعتبر (المدرسة الحميديّة) ـــ حوزة دينيّة، لأنها راحت تأخذ بمناهج العلوم الحديثة، ولم تبق على منهج الدراسات المألوفة، في الحوزات العلمية (بعد وفاة السيد حسن يوسف).

٢- تلقّي الحوزة (المدرسة)، بعض المساعدات الماليّة، من جهات غير مرجعيّة أو دينيّة، للتشجيع على تدريس اللغات الأجنبيّة[2]..

٣- لم يقم عنده دليل، على عودة النشاط العلمي لحوزة النبطيّة، بعد وفاة السيد حسن يوسف مكي.

وأهم النقاط في حوزة النبطيّة ما يلي:

١- تناوب أكثر من فقيه، متخرج من النجف الأشرف، على إدارتها.

٢- مدتها الطويلة نسبياً التي امتدت إلى خمسين عاماً.

٣- مناهجها التي أخذت ببعض العلوم الحديثة، وتطوّر في أساليب رعاية طلابها.

٤- أنتجت مجموعة مهمة؛ من حملة الأقلام والعلماء والسياسيين المشهورين.

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٩/ ١٠.

٢- ظاهر سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٢٢/ ٣٢٨.

٩. حوزة الخيام[1]: (١٣١٥ ـ ١٣٢٣هـ/ ١٨٩٦ ـ ١٩٠٤م)

ارتبطت هذه الحوزة، بوجود مؤسسّها الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم صادق العاملي، المولود بالنجف الأشرف سنة ١٢٧٩هـ، حينما كان أبوه الشيخ إبراهيم صادق (وهو حفيد الشيخ إبراهيم بن يحيى (ت: ١٢١٤هـ) العالم والشاعر المشهور الذي هرب من جور الجزّار) مقيماً بها طلباً للعلم، ثم عاد مع أبيه إلى جبل عامل [2] ولما توفي أبوه عاد إلى النجف عام ١٣٠٠هـ، ليعود منها إلى الخيام سنة ١٣١٥هـ حيث أشاد حوزته العلميّة بها، وقصده طلبة العلوم[3]. ولم تدم حوزته هذه إلّا ثمان سنوات، حيث قرر مغادرة الخيام إلى النبطيّة سنة ١٣٢٣هـ؛ لأكمال الشوط العلميّ بحوزتها الكبيرة، بعد وفاة السيد حسن يوسف، كما أسلفنا. وبقي يدير تلك الحوزة حتى وفاته بالنبطيّة، سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٠م). ولم تتضح معالم هذه الحوزة: من حيث من درّس فيها أو تخرّج منها. ولعلّ حوزة النبطيّة المزامنة لها، كانت قد استقطبت أغلب طلبة العلم إليها..

١٠. حوزة عيناثا (١٣٢٠ ـ ١٣٣٦هـ / ١٩٠٠-٩١٦م)

كان لحوزة عيناثا في المرحلة الأولى، موقعاً متقدماً؛ في كثرة العلماء، ونوعيتهم، حتى صارت مقصداً لفقهاء جاؤوا إليها من خارج لبنان. أمّا في هذه المرحلة، فإنّ حوزتها، تعدّ امتداداً لحوزة حنويه، إذ إنّ مؤسّسها السيد نجيب الدين بن محيي الدين فضل الله الحسني (١٢٨٠ ــ ١٣٣٦هـ)،[4] كان أحد خريجي تلك الحوزة، على يد الشيخ محمد علي عز الدين، ثم درس بحوزة بنت جبيل، ثمّ هاجر إلى النجف، وعاد فقيهاً كبيراً. فثُنيت له وسادةُ

١- الخيام: من كبرى البلاد العامليّة، من أعمال مرجعيون، وهي قائمة على هضبة عالية ينبسط غربها السهل المنسوب إليها، فيها مقر أسرة (آل عبدالله). وأصل الاسم: الخيام بلفظ جمع الخيمة. (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ١/ ٢٨١) .

٢- الصدر الكاظمي حسن: تكملة أمل الآمل، ص٧٣.

٣- حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ٢٢/ ٤١.

٤- (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/ ١٠٤)، (حرز الدين محمد: معارف الرجال، ٣/١٨٥).

المرجعيّة بجبل عامل، وخاصة في بنت جبيل[1]. "فقد رجع إليه معظم المؤمنين بجبل عامل، وسائر البلاد الشاميّة بعد وفاة السيد علي محمود الأمين سنة ١٣٢٠هـ، كما وقف في وجه رجالات الإقطاع، وحدّ من تجاوزاتهم"[2].

وما قيل عن حوزة الخيام، يقال هنا عن حوزة عيناثا، من حيث قلة معلوماتنا عن طلّابها، وخرّيجيها، وأسلوب دراستها، وتأثّرها ببقية حوزات لبنان. وهو مؤشّر على حالة احتضار هذه الحوزات، في دلالة نهاية مرحلة، وبداية أخرى بعد حين.

١١. حوزة إنصار[3] (١٢٤٨ ـ ١٣٥٠هـ/ ١٨٢٨ ـ ١٩٣١م)

شهدت إنصار حضوراً علمياً استمرّ لأجيال أربعة، كما كانت الحياة تعود إليها بعد كل فترة انقطاع. وإليها انتقلت حوزة النميريّة – أساتذة وطلاباً –، وكان مؤسّسها الأول؛ السيد علي إبراهيم الحسيني الكوثراني. الذي كان قد "قرأ على الشيخ حسن القبيسي في الكوثريّة.. ثم توجه إلى العراق"[4]، ولهذا فهذه الحوزة تستحق أن تكون في مقدمة هذه الحوزات تاريخياً، لأنها ارتبطت بحوزة (الكوثريّة)؛ الحوزة الأولى بجبل عامل في هذه المرحلة، ولكنّ امتدادها إلى مدة طويلة نسبياً، جعلنا نؤخّرها إلى هذا الموضع.

وكان السيد علي إبراهيم، شريك درس بالنجف مع الشيخ عبد الله

١- الحسيني، محمد : الفقه في جنوب لبنان ، ص ٦٥

٢- عمرو، يوسف: صفحات من ماضي الشيعة، ص١٠٣.

٣- إنصار: بكسر الهمزة، وسكون النون، بعدها صاد مهملة، وألف وراء: من أعمال الشقيف، وكانت قاعدة أعمال الشومر، وإحدى مراكز الحكّام، خرج منها العلماء: السيد بدر الدين بن أحمد العاملي الأنصاري سكن طوس، وصار أحد المدرسين بها.. وأنشأ بها السيد علي إبراهيم العاملي المشهور، مدرسة دينيّة ثم ولده السيد حسن ثم ولده السيد محمد. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٠٩).

٤- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢١/ ١٧٩.

نعمة [1] ،ثمّ عاد إلى إنصار سنة ١٢٤٨هـ ليؤسس حوزته [2]، والتي كان من طلّابها الشيخ محمد علي عز الدين، مؤسس حوزة حنويه، وبعد وفاة السيد علي إبراهيم (١٢٦٠هـ) عادت الحياة إلى الحوزة مع الشيخ سلمان العسيلي[3]،الذي عاد من العراق سنة ١٢٧٠هـ (بعد عشر سنوات من وفاة السيد علي)، وبعد وفاة الشيخ سلمان، عاد إلى هذه الحوزة ابن السيد علي، وهو السيّد حسن، الذي أحيا حوزة أبيه، حتى وفاته سنة ١٣٢٩هـ. (وكان مقيماً بقريّة النميريّة خمس عشرة سنة). والشيخ سلمان، هو والد زوجة السيد حسن بن السيد علي إبراهيم[4]. وكان انتقال السيد حسن إلى إنصار، قد تمّ مع طلبته الذين كانوا معه بالنميريّة. وللسيد حسن ابنٌ، وهو السيد محمد إبراهيم،الذي أكمل مهمة أبيه[5] ،ثم كان أحد علماء حوزة النبطيّة المتقدمة. إنّ ممّا يميّز هذه الحوزة الفترة الزمنيّة الطويلة نسبياً، وإن كانت قد مرّت بفترة انقطاع، لعشر سنين..

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ص٢٧٤.

٢- إن السيد محسن الأمين يذكر في (خططه ص٢٠٩): أنّ رجوع المترجم له، كان إلى إنصار، حيث أسس حوزة هناك، لكنه في (أعيان الشيعة، ١٢٢/ ١٧٩) يقول: " ثم رجع إلى جبل عامل سنة ١٢٤٨، وسكن في وطنه الكوثريّة فقرأ عليه.. " مما يعني أن نشاطه التدريسي كان في الكوثرية ، في حين أنه صرّح في الخطط، أن المترجم أنشأ مدرسة بإنصار، فاعتمدنا قوله في الخطط، لاحتمال سبق قلمه بذكر (الكوثريّة) وطن المترجم له، أمّا أن يذكر قرية (إنصار) فهي بعيدة عن احتماليّة الاسترسال، فهي بخلاف ذلك. إلّا أن نقول إنه سكن أول عودته بقريته، ثم انتقل منها إلى إنصار في وقت لاحق، جمعاً بين القولين. (الباحث).

٣- الشيخ سلمان العسيلي "كان عالماً فاضلًا ورعاً تقيّاً، قرأ في جبل عامل، ثم سافر إلى العراق، لم يخلّف سوى بنتاً واحدة، تزوجها السيد حسن ابن السيد علي إبراهيم، فولدت له السيد محمد والسيد جواد" (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١١/ ٢٦٥).

٤- الأمين محسن: أعيان الشيعة، ٨/ ٢٢٩.

٥- الأمين محسن: خطط جبل عامل، ص٢٠٩. يقول السيد الأمين عن السيد محمد بن حسن: أنه كان (معاصراً)(الخطط، ص٢٠٩) وكانت وفاة السيد الأمين في ١٣٧١هـ. ولهذا توقعنا، وخاصة أنّ السيد محمد انتقل إلى حوزة النبطيّة، أن ١٣٥٠هـ هو تاريخ موت هذه الحوزة .

١٢. حوزة عيثا [1]: (١٢٩٧ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٨٧٩ ـ ١٩١٧م)

تميزت هذه الحوزة، وهي حوزة منبثقة عن حوزة شقراء، أن مؤسّسَيها هما أخوان عالمان فاضلان، أخذا قسطاً من العلم من حوزة شقراء في هذه المرحلة، ثم شدّا ركابيهما إلى حوزة النجف المركزيّة، حيث اعتنى بهما الشيخ موسى شرارة [2] هناك، وبعد تسع سنين من الدراسة المتواصلة، عاد أحدهما؛ وهو السيد جواد مرتضى العاملي العيثاوي، في سنة ١٣٢٧هـ ،فاجتمع عنده عدد وافر من الطلبة، على العادة المألوفة في تلك الأعصار، من كثرة طلّاب العلوم الدينيّة، واجتماعهم عند كلّ عالم يحضر من العراق [3].

واستمرّت هذه الحوزة سنين أربع، وكان ممن حضر دروسها؛ السيد محسن الأمين العاملي المشهور، وعمره ثلاث عشرة سنة، ولكنّ السيد جواد غادرها عائداً إلى النجف عام ١٣٠١هـ وبعد انقطاع بضع سنين، عاد الأخ الثاني؛ وهو السيد حيدر مرتضى، ليُعيد هذه الحوزة، ويُطلق عليها اسم (المدرسة الحيدريّة). ثم عاد السيد جواد عام ١٣١٠هـ إلى عيثا، لينهض مع أخيه بمهمّات الحوزة، بعدها أغلقت أبوابها بوفاة السيد حيدر سنة ١٣٣٦هـ، وانتقال السيد جواد إلى بعلبك. ولكنّ الواقع، أنّ الحوزة هذه، قد أفِل نجمها قبل ذلك، حينما حلّت الحرب العالميّة الأولى، واستدعي طلّابها للخدمة العسكرية، حيث تفرّق جمعهم، ولم يعودوا مرّة أخرى.

١- عيثا الزطّ: عيثا بعين مهملة مفتوحة، وياء مثناة تحتية ساكنة، وثاء مثلثة، بعدها ألف، الزطّ بالزاي المضمومة والطاء المهملة المشدّدة: قرية قبلي تبنين، أول تعليمي للعلم كان فيها، كان فيها من أهل العلم: السيد جواد مرتضى، وأخوه السيد حيدر مرتضى، وهناك أيضاً قرية، باسم "عيتا الشعب" والشِعب لغة ،ما انفرج بين جبلين"، وأبدل اسم الأولى إلى (عيتا الجبل). (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٧١)، (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ٢/ ١٠٩).

٢- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ص١٩٤.

٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٦/٣٧٢.

١٣. حوزة طير دِبّا[١]: (١٣١٩ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧م)

لم تبق هذه الحوزة إلّا فترةَ سنينَ يسيرة ثم ماتت بموت مؤسّسها[٢].وذُكرت هنا–مع ذلك– في محاولة إعطاء صورة كاملة ـ ما أمكن ـ عن النشاط الحوزوي في هذه المرحلة، ولهذا أخذنا نستقصي كلّ حوزاتها، ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا. ومن جهة أُخرى، فقد تميّز مؤسّس هذه الحوزة، الشيخ حسين مغنية (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٠م) بالنهج المؤسّساتي، حيث ظهر نهجهُ هذا واضحاً، في تشكيله: (جمعيّة العلماء العامليّن)، والتي كانت تسعى لإنشاء كليّة علميّة عامليّة. وهي تبدو الخطوة الأولى والسابقة بجبل عامل، ولعلّها كانت متأثرة، بأفكار مؤسّسي جمعية منتدى النشر[٣] بالنجف الأشرف، في نفس الفترة الزمنية. والتي سعت بدورها إلى إنشاء أوّل كليّة فقهيّة جامعيّة، بالنجف الأشرف، وتمّ ذلك سنة ١٣٧٨ / ١٩٥٨م [٤] ؛ فكانت (كلية الفقه). وكان قد بلغ عدد أعضاء (جمعية العلماء العامليّن)، ثلاثين عضواً من العلماء العاملين وذلك سنة ١٩٣٠م[٥].

ولا بد أن نذكر؛ أنّ الشيخ حسين مغنية، هو من خريجي حوزة حنويه، ثم حوزة بنت جبيل، وكان رفيق السيد محسن الأمين العاملي، في هجرته

١- طير دبّا: بالدّال المهملة المكسورة، والباء الموحّدة المشدّدة، والألف: قرية على فرسخ من صور إلى الشرق، سكنها آل مغنية الكرام، وهم أهل بيت علم وفضل قديماً وحديثاً، فيها جامع جَدّد بناءه بطرز جميل في هذا العصر، العالم الجليل الفقيه الشيخ حسين مغنية". (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٧٤).

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٦٤.

٣- جمعية منتدى النشر: "من الجمعيات العاملة، لها أثر بيّن في التربية والتهذيب، عميدها الأستاذ الفاضل الشيخ محمد رضا المظفّر.. أصبحت مدرسة أهلية دينيّة، جمعت في دراستها بين القديم والحديث ... أسسّت سنة ١٣٥٤هـ " (محبوبة جعفر: ماضي النجف وحاضرها، ١/ ٣٩٨). وتعدّ رائدة الجمعيات الإصلاحية في النجف الأشرف (الباحث).

٤- البهادلي، علي: الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ص٣٢٣.

٥- مكي، محمد كاظم :الحركة الفكرية والأدبيّة في جبل عامل، ص٢١١.

إلى النجف، لعشر سنين ونصف السنة[1]. وحوزته من أواخر حوزات هذه المرحلة .

١٤. حوزة شحور: (١٢٩٨ ـ ١٣٠٨هـ)

إن ما جرى على رموز هذه الحوزة العامليّة، نموذج لما لقيتُه الحوزات اللبنانية عامّة، في أيام ما عرف بفتنة الجزّار. فبعد أن قُتل السيّد هبة الله شرف الدين الموسوي، أمام عيني أبيه، سُجِنَ أبوه السيد صالح في سجن الجزّار، ثم تمكّن من الهرب منه إلى العراق، حتى مات هناك سنة ١١٢٢هـ . وكان للسيد صالح أبناء من العلماء، ولكنّهم لم يعودوا إلى جبل عامل. كما كان للسيّد صالح، أخ اسمه السيّد محمد، له أبناء عدّة، كلهم من العلماء الأفاضل كذلك، منهم السيّد يوسف؛ وهو الذي أعاد الحياة العلميّة إلى حوزة شحور، بعد غياب قاسٍ، أملته الظروف الأمنية الصعبة، التي ألمّت بجبل عامل ، ولهذا لا بدّ من التوقف، عند أبرز محطّات حياته.

ولد السيد يوسف بن محمد شرف الدين، بجبل عامل سنة ١٢٦١هـ، ثم التحق بحوزة جباع، فدرس على الشيخ عبد الله نعمة، ثم هاجر إلى النجف، والكاظمية، وسامراء [2]، ثم عاد إلى شحور، بعد حصوله على درجات علميّة متقدّمة، ليُنشيء فيها حوزته منذ سنة ١٢٩٨ حتى سنة ١٣٠١هـ، وهي السنة التي قَدِم فيها الشيخ موسى شرارة من النجف، وكان رفيق درسه، فدعاه إلى حوزته ببنت جبيل، حتى وفاته سنة ١٣٠٥هـ[3]، حيث عاد السيّد يوسف إلى شحور، وفتح حوزته مرة أخرى، من سنة ١٣٠٥ ــــ ١٣٠٨هـ. وأغلق حوزته، بعد أن أوصل طلّابها إلى مرحلة، لا بدّ بعدها من إكمال تحصيلهم الحوزوي بالنجف. "وكان السيد يوسف، قد بنى لطلّابهِ حجرات تليق بهم، حتى برع منهم جماعة، فأرسلهم إلى العراق، فعني بأمرهم واهتمّ

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٩/ ٣١٤، الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الآمل، ص١٨٩.
٢- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ص٤٣٣.
٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٥/ ٢٨٠.

بشؤونهم، وكفاهم وهم في النجف الأشرف، ما استكفوه من نفقاتهم، حتى رجعوا علماء أجلّاء"[1].

فهذهِ الحوزة أُقفلت، في حياة مؤسسّها السيد يوسف، الذي توفي سنة ١٣٣٤هـ، أي قبل ست وعشرين سنة من وفاته، ولهذا قيل عن هذه الحوزة: أنها "استمرت مدّة وذهبت" [2] ولم يكتب لها الاستمرار حتى بعد وفاته، ونبوغ ولده السيد عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ ــ ١٣٧٧هـ /١٨٧٣ ــ ١٩٥٧م)، الشخصيّة العلميّة والجهاديّة المرموقة، لأن السيد عبد الحسين كان قد انتقل ــ قبل ست سنين من وفاة أبيه ١٣٢٨هـ ــ إلى صور بطلب من أهلها، وكان مشغولاً بها، في مواجهة التحدّيات التي كانت تهدّد أجيال المسلمين، حيث رأى كثرة المدارس التبشيرية، وخلوّ صور من مدرسة، تولي التربية الإسلامية اهتمامها، فسعى إلى إنشاء مدرسة عصريّة، باسم (المدرسة الجعفرية)، وأُخرى باسم (الزهراء) للبنات، كما رعى الشؤون الدينيّة، والاجتماعية، لصور وما حولها، بل وكلّ جبل عامل. ولهذا لم يتسنّ للسيد عبد الحسين شرف الدين، أن يؤسّس حوزة علميّة[3]. نعم كان ذلك التأسيس، قد بدأ بعد ذلك ببضع سنين، مع السيد موسى الصدر، لتبدأ مرحلة ثالثة، في حياة الحوزات الشيعيّة اللبنانية، وهي المرحلة المعاصرة. التي ستكون موضع بحثنا في الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى.

وبالحديث عن حوزة شحور، تكون نهاية استقصائنا، عن حوزات لبنان في مرحلتها الثانية.

أبرز ميّزات المرحلة الثانية لحوزات لبنان الشيعيّة:

في نهاية هذا المبحث، نذكر أهم ميزات الحوزات اللبنانية، في المرحلة

١- شرف الدين، عبد الحسين: بُغية الراغبين، ١/٤٥٩.

٢- الأمين محسن: خطط جبل عامل، ص١٦٣.

٣- مقابلة شخصية مع السيد حسين بن محمد جواد بن عبد الحسين شرف الدين، بصور في يوم السبت ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٨ / ٦ نيسان ٢٠٠٧م الساعة ١٠ صباحاً. (الباحث).

الثانية التي نحن بصددها، والتي بدأت منذ نهاية عهد الجزّار وإلى منتصف القرن الرابع عشر هجري، الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي، ، وأبرز هذه الميّزات هي:

١- الحضور الكبير لحوزة النجف الأشرف، تأسيساً لأولى حوزات هذه المرحلة، وهي حوزة الكوثريّة، وإعداداً، حيث لم تخل ترجمة أي فقيهٍ لبناني، من هجرة إلى النجف الأشرف، ودراسة عند كبار مجتهديها، ومن ثمّ حصولهم على إجازات اجتهاد؛ في الفقه وأصوله. وعاشت هذه الفترة، غياباً تامّاً للحوزات الإيرانية. ولهذا يمكن أن نطلق عليها مصطلح: (مرحلة الحضور النجفي) أو (المرحلة النجفيّة).

٢- كانت مهمة هذه الحوزات، القيام بتهيأة طلاب العلم، وإنجاز دروس المقدّمات، حتى يكون الطالب مؤهّلًا، لإكمال الدروس الحوزويّة العليا في النجف الأشرف، وربّما في حوزات عراقية أخرى، مثل حوزات كربلاء، والكاظمية، وسامراء.

٣- علميّاً شهدت حوزات هذه المرحلة، انحساراً واضحاً في إنجاب مجتهدين كباراً، كالذين نبغوا في المرحلة الأولى، مثل الشهيدين الأول الشيخ محمد بن مكي (ت:٧٨٦هـ) والثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ)، والمحقّقين الميسي الشيخ علي بن عبد العالي (ت:٩٣٣هـ)، والكركي الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت:٩٤٠هـ)، وغيرهم: كالحرّ العاملي محمد بن الحسن (ت:١١٠٤هـ)، والشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي، المعروف بالبهائي (ت:١٠٣١هـ).

ووجهٌ آخر لهذا الانحسار العلميّ؛ يتجسد في غياب ظاهرة استقطاب الفقهاء غير اللبنانيين، إلى حوزات لبنان، والأخذ عن أساتذتها، كما كان في حوزات المرحلة الأولى، من أمثال؛ هجرة المقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ) إلى جزّين، وابن فهد الحلّي (ت: ٨٤١هـ)، وعلي بن هلال الجزائري (٩٣٧هـ)، إلى حوزة الكرك، والشيخ ناصر البويهي (ت: ٨٥٣هـ)، والمولى عبد الله

التستري (ت: ١٠٢١هـ)، إلى حوزة عيناثا. حيث كانت حوزات لبنان، تمثّل ثقلاً علميّاً كبيراً. استغنت به عن الحوزات الأخرى، بل كانت الأخرى محتاجة إليها، بينما لم تشهد حوزات هذه المرحلة، إلّا هجرة عالمين عراقيَين هما: الشيخ عبد النبي الكاظمي (ت: ١٢٥٦هـ)، إلى حوزة جويّا، والشيخ إبراهيم بن حسين البلاغي (ت: ١٢٤٦هـ)، إلى حوزة الكوثريّة، وكان قد جاءا عالمَين أحيا حوزاتها، واستقطبا طلّابها، ولم يهاجرا إليها مسترفدين لعلم أو طالبين لفقه.

ومن جهة ثالثة: غابت المؤلفات والمصنفات الحوزويّة الكبيرة، عن حوزات هذه المرحلة، على عكس ما كانت عليه حوزات الفترة السابقة، التي أنتجت مؤلفاتٍ لا يمكن للطالب الحوزوي أن يتجاوزها، في تحصيله العلميّ. فأيّ طالب يمكن أن يستغني، عن دراسة كتاب (اللمعة الدمشقية) و(شرح الروضة البهيّة) للشهيدين الأول والثاني، أو (جامع المقاصد في شرح القواعد) للمحقّق الكركي، أو (المعالم) في الأصول للشيخ حسن بن الشهيد الثاني (ت: ١١٠١هـ)، أو (مدارك الأحكام) للسيد محمد بن علي الموسوي (ت: ١٠٠٩هـ) أو (وسائل الشيعة الى تحصيل أصول الشريعة) للحرّ العاملي وانتهاءً بـ (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة)، للسيد محمد جواد الشقرائي (ت: ١٢٢٦هـ).

٤– تذبذب المستوى العلميّ لبعض حوزات هذه المرحلة، بعد أن استقرّ العديد من فقهاء جبل عامل بالنجف الأشرف، وخاصّة في أواخر هذه المرحلة، فبعض الفقهاء، لم يعد إلى جبل عامل إلّا لسبب صحّي[1]، وكان طلبة العلم ينتقلون من قرية إلى أخرى، سعياً وراء مدرّسي المناهج الحوزوية، وقد مرّت فترة، "لم يكن في جبل عامل في ذلك الوقت، من يصلح لإقامة التدريس، فطلبوا من العراق من يقوم بذلك"[2]..

١- حرز الدين ،محمد: معارف الرجال، ٣/ ٥٩.
٢- الأمين ، محسن: أعيان الشيعة، ٩/ ٣١٤.

٥- وجدنا عدّة من رموز الحوزات اللبنانيّة، في مرحلتها الأولى، منفتحين على بقيّة المذاهب والمدارس الفقهيّة الإسلامية: مثل الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني (ت: ٧٨٦هـ)،والشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)، فكانوا يقصدون الحرمين الشريفين، والقدس، ودمشق، والقاهرة، قراءةً وأخذاً لإجازة رواية الحديث عن علمائها. لكنّنا لم نجد لذلك نظيراً، في فقهاء ومؤسسي حوزات المرحلة الثانية، لقد كان الانفتاح الفقهي والمذهبي، سمة إيجابية غابت عن المرحلة الثانية هذه.

٦- برزت ألقاب (الشهيد الأول) و(الشهيد الثاني)، في فقهاء المرحلة الأولى، حيث انتهت حياتهما بالقتل - على ما فصّل في حينه - كما وانتهت حياة فقيه حوزة كرك الشيخ علي بن عبد العالي (المحقق الثاني) المحقق الكركي، سمّاً.. أي أنّ رموز تلك الحوزات، كانوا يُقصدون شخصياً بالقتل، ولم نجد لهذا الأمر نظيراً، في رموز حوزات المرحلة الثانية، نعم تعرّض علماء جبل عامل لنكبة عامّة، لم تكن موجهة لشخص دون آخر، فيما عرف بمحنة (الجزّار).

٧- غابت أطروحة (ولاية الفقيه)، عن فقهاء لبنان وحوزاته في هذه المرحلة، وقد يكون من أسباب ذلك ، انصهار هذه الحوزات بحوزة النجف الأشرف المركزيّة، التي قيل عنها أنها لم تشجّع بشكل واسع هذه الأطروحة تاريخياً، أو في تلك المرحلة على الأقل بينما كانت الحوزات اللبنانية، في المرحلة السابقة، تتميّز بآراء واجتهادات خاصّة، لا تقوى جهة حوزوية أخرى على مواجهتها. حتى يمكننا القول: أن حوزات لبنان في المرحلة الأولى، كانت (مجتهدة) لها أراؤها الخاصّة، وأما في مرحلتها الثانية، فهي (مقلّدة) متأثرة، بأجواء الحوزة النجفية.

٨- وتفريعاً على النقطة السابقة، أو غيرها، فقد غابت كذلك ظاهرة (الهجرة السياسية)، التي كانت من السمات البارزة لفقهاء لبنان، في المرحلة الأولى، خاصّة باتجاه الدولة الصفويّة، حتى وصلوا بعض الدول الشيعيّة، ببلاد الهند. بينما تركّزت الهجرة في هذه المرحلة، على (الهجرة العلميّة)، وباتجاه واحد، نحو النجف، وربما حوزات عراقيّة أخرى.

٩- كان المهاجرون من الفقهاء اللبنانيين، مُعْرضين عن العودة إلى بلادهم، في المرحلة الأولى، بعد أن تبوأوا مراكز مهمّة، في الدولة الصفويّة. فاستقروا واستوطنوا. وقد يكون في عودتهم لأوطانهم، نوع مجازفة، خاصة وأنّها تخضع للدولة العثمانية. بينما كانت ظاهرة عودة الفقهاء اللبنانيّن إلى بلادهم، هي الظاهرة الأوضح في هذه المرحلة، لزوال أي معوّق يحول دون عودتهم، حيث الأوضاع السياسية هادئة مستقرة. (تفرّدت أسرة آل شرف الدين بهجرتها نحو حوزة أصفهان، وإعراضها عموماً عن العودة إلى جبل عامل). على رغم استقرار بعض الفقهاء اللبنانيين، بالنجف آنذاك.

١٠- ما تميّزت به حوزات هذه المرحلة، قصر أعمارها، واعتمادها عموماً على حياة مؤسّسها، حيث كانت عادة تنتهي بانتهاء حياته. وكانت حركة الطلاب نظراً لذلك، تتجّه من حوزة إلى أخرى، طلباً للعلم وابتغاءً للمعرفة، وكانوا يهبّون نحو أول عالم لبناني، عائد من النجف.

١١- رغم الظروف الاقتصاديّة، وربّما السياسيّة الصعبة، فقد شهدت قرى جبل عامل، حركة علميّة، وحبّاً للعلم، واهتماماً بالعلماء، وكان أهالي الطلاب يتكبّدون ما يثقل كواهلهم ماديّاً، من أجل إرسال أبنائهم إلى النجف، لإكمال دراساتهم الفقهية. إن شغف شيعة جبل عامل بالعلم، قلّما يشابهه شغف شيعة قطرٍ آخر.

ولهذا فإننا قد رجّحنا ـــ في الفصل التمهيدي ـــ أن التشيّع بدأ متأخراً في لبنان، عن تلك التواريخ المشهورة، اعتماداً على ما عُرف به جبل عامل، أو شيعتهُ، من إيلاء العلم ومدارسته اهتماماً كبيراً، فلو كان التشيّع قديماً، لما تأخر علماء لبنان الشيعة، وضاعوا لستة قرون، عن تاريخ الحوزات الشيعيّة القديمة.

١٢- بدأت بعض حالات التأثّر، بالموجات الفكرية الوافدة، إلى بلاد المسلمين، تظهر على بعض طلبة العلوم اللبنانيين بالنجف، (وربّما شاركهم آخرون من غير اللبنانيّين) مثل الأفكار الاشتراكية أو الشيوعيّة، في نهايات

هذه المرحلة.

١٣- حدوث تغيّرات كبيرة، في جبل عامل، ومناطق لبنانيّة وعربيّة أخرى، فقد انعكست حالات التجنيد العثماني للشبان، على انهيار بعض المدارس، والحوزات اللبنانية، بعدما سيق بعض طلّابها للحرب [(١)]، كما أنّ ظاهرة الهجرة إلى أصقاع الأرض البعيدة، كالقارتين الأمريكيتين، والقارة الأفريقية قد أخذت أعداداً كبيرة، من سكنة جبل عامل، فهذه النقطة إذا أضيفت إلى نقطة انتشار بعض الأفكار الوافدة، إلى بلدان المسلمين، وافتتاح عدة من المدارس الرسمية، التي كانت تخلو منها قرى جبل عامل، ومدنه، سابقاً كنقطة ثالثة، فقد أدّى كل ذلك إلى: عزوف واضح، وضمور بيّن، في عديد طلبة الحوزات اللبنانية، في نهاية هذه المرحلة، وبدايات المرحلة المعاصرة، حتى حدوث التغيّر الكبير، بعد نجاح الثورة الإسلامية بإيران، في بداية ١٩٧٩م، وما سبقه من فكر إسلاميّ حركي، تسرّب من النجف الأشرف، إلى شيعة لبنان عبر أفكار حزب الدعوة الإسلامية ، ومؤسسه المفكّر الإسلامي السيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م)، ذي الأصول اللبنانية الجليّة، وسيتضح الأمر بصورة أوضح في الفصل القادم، إن شاء الله تعالى.

وتعليقاً على ما ورد في هذه النقطة، من ظهور للمدارس الرسمية والذي أدّى – ضمن أسباب أُخرى – إلى تضاؤل عدد طلبة الحوزات اللبنانية، فلو تصوّر وجود مثل تلك المدارس، في أزمنة سابقة، فإنّ تأثيرها سينعكس سلبيّاً على مجمل الحركة الحوزويّة، وعدد طلابها آنذاك كذلك.

١٤- بلغ عدد حوزات لبنان في مرحلتها الأولى، تسع حوزات، في حين

١- ففي سنة ١٣٠٤هـ ساقت السلطات العثمانية، في جيشها إلى مقدونيا، جماعة من أهل الفضل مثل السيد محمود بن إسماعيل شرف الدين، والشيخ محمد دبوق. والشيخ طالب بن محمد سليمان البياضي، والسيد محمد بن السيد عبد المطلب نور الدين الموسوي وغيرهم' (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/ ٤٥٢).

ازداد عددها في مرحلتها الثانية، ليصل إلى أربع عشرة حوزة، وقد وجدنا بعض القرى، وقد شهدت نشاطاً حوزوياً، في المرحلتين معاً مثل؛ جباع، جويّا، شقراء، شحور، والملاحظة الجديرة بالتوقف هنا، غياب (جزّين) المنطلق الأول للحوزات اللبنانية تأريخياً عن المرحلة الثانية، بعد نزوح المسلمين الشيعة عنها.

١٥- انحسرت حوزات المرحلة الثانية، عن قرىً بقاعية، شهدت فترة علمية فقهية مؤثرة، في المرحلة الأولى، مثل حوزة كرك وحوزة مشغرة. وقد تكون حوزات هذه المرحلة، أقل الحوزات اللبنانية اتساعاً جغرافياً، بعد أن امتدت حوزات لبنان المعاصرة - كما سيأتي إن شاء الله في الفصل الثالث - لا لتشمل بعض مناطق البقاع فحسب، بل لتصل إلى بيروت كذلك.

المبحث الثاني

العلماء اللبنانيّون في الحوزة النجفيّة

باتت صورة تأثير الحوزة النجفية في حوزات لبنان، علماءً وطلاباً، ومبتنَيات فقهيّة واضحة، بعد المعلومات التي وقفنا عليها في المبحث الأول من هذا الفصل. وكانت جوانب هذا التأثير متعددة؛ منها ما انعكس في توطّن عدد وافر من علماء لبنان وفقهائه، بالنجف الأشرف وفي مناطق عراقية مقدّسة أخرى، أبرزها مدينة الكاظميّة التي تشكّل الضاحية الشمالية لبغداد. ولم يكن التوطّن في حالات كثيرة، إلّا إعراضاً عن لبنان، واتخاذ بعض المدن العراقية بشكل دائم، مستقراً ومقاماً.

ولهذا سنعرض في هذا المبحث، أسماء أبرز العلماء اللبنانيين، في الحوزة النجفيّة (من الدارسين والمقيمين)، ثم نحاول التوقف عند أبرز الأسر العامليّة، التي تحوّلت إلى أسر عراقية، ضمن محور يبحث: الحضور النجفي في المجتمع اللبناني(عامّة).

كما أن من المفيد بيانُه هنا، أن مدناً عراقية تحظى باحترام لدى المسلمين عامة، والشيعة خاصة، وهي؛ النجف الأشرف (وتضم الكوفة إلى النجف الأشرف الملاصقة لها) وكربلاء والكاظمية وسامراء، والتي تُتخذ مواطن للعديد من شيعة العالم. وإن استقرار الجاليات الإسلامية، ذات الأصول الأفغانية والهنديّة ــ الباكستانية، والإيرانية، من عامة الشيعة ظاهرة معروفة في مدن العراق المقدّسة[1].

ولكن الذي يميّز الأُسر اللبنانيّة المقيمة في مدن العراق، أنها تعود إلى علماء وفقهاء لبنانيين مهاجرين تحديداً، بينما نجد نسبة العلماء في بقية

١- وهي ظاهرة تلازم المدن المقدسة عادة، فكم من جاليات المسلمين من شتى بقاع الأرض، قد استوطنت مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف. (الباحث).

الجاليات الشيعيّة المقيمة بمدن العراق المقدّسة، قليلة جداً، والغالبيّة هم من عامّة المجتمع، وأصحاب المهن المختلفة. وهذا لا يعني أن هذه المدن، لم تكن مقصودة إلّا من قبل العلماء اللبنانيّين، بل إن عامّة شيعة لبنان، أسوة ببقيّة شيعة العالم يؤمونها للزيارة، بل نعني أنّ الأسر اللبنانيّة المستقرّة، هي في الأساس أسرٌ علمائية هاجرت طلباً للعلم، أو هروباً من أوضاع حرجة، ثم اتخذت من بعض مدن العراق وطناً.

والنجف لم تشهد توطّن أحدٍ من العلماء اللبنانيّين، أيام الحوزة الحليّة، لأن الحوزة لم تكن حينها هناك بل لم نعرف أن عاملياً استوطن الحلّة، التي امتدت فيها الحركة العلميّة الفقهية، لما يقارب قروناً ثلاثة. ومما لا شك فيه؛ أنّ أولئك العلماء اللبنانيين المهاجرين، إلى حوزة الحلّة، كانوا قد أمّوا النجف الأشرف للزيارة، كما أمّوا مدناً مقدسة أخرى مثل كربلاء وسامراء والكاظمية، خاصة وأن النجف لا يبتعد عن الحلّة، أكثر من ستين كيلو متراً، لكننا لا نجد في الحلة حالياً أسراً تعود إلى أصول لبنانيّة.

أوائل الفقهاء اللبنانيين بالنجف الأشرف

أما أبرز العلماء والفقهاء اللبنانيين، في الحوزة النجفية (من القاطنين بها أو الدارسين فيها تاريخيّاً) فهم:

١ـ الشيخ علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي، المعروف بالمحقّق الكركي (أو المحقّق الثاني) (ت: ٩٤٠هـ) . وكنا قد توقّفنا عنده، في بحثنا حول حوزة كرك في الفصل الأول، حيث ذُكر أنه درس بكرك، على فقيه عراقي كبير مهاجر إليها، وهو الشيخ علي بن هلال الجزائري (ت: ٩٣٧هـ)، وقد أجازه بها سنة (٩٠٩هـ). وفي هذه السنة شدّ المحقق الكركي رحاله إلى النجف الأشرف واستقرّ بها، ولعلّه أول من لُقّب بالنجفي بعد لقب العاملي[1]، وكانت وفاته بالنجف كذلك. وخلال سنيّ إقامته من (٩٠٩هـ ـــ

١- محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها، ٢/ ٢٤٠.

٩٤٠هـ). كان قد غادر النجف إلى أصفهان، (حيث كان من أقوى العلماء العامليّين، تأييداً للدولة الصفويّة آنذاك) مرتين: الأولى من (٩١٦ ـ ٩١٩هـ) والثانية من (٩٣٥ ـ ٩٣٩هـ)[1]. وكان لبقاء المحقّق الكركي طوال هذه المدّة بالنجف، والتي استغرقت خمساً وعشرين سنة، ومن ثمّ اتخاذها مقراً له – حيث أنه كان يعود إليها من إيران، ولا يعود إلى بلدته الكرك ـ أثرٌ كبير في إعادة النشاط العلميّ إلى النجف الأشرف، وعودة الحوزة الشيعيّة المركزيّة إليها، بعد أن كانت بها أيام الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، واستمرت بعده لقرن، ثم ارتحلت عنها إلى الحلّة لثلاثة قرون. وكان لانتقال الفقيه أحمد بن فهد الحلّي إلى كربلاء، (بعد عودته من رحلته العلميّة إلى جزين وكرك) ووفاته بها سنة٨٤١هـ. إيذاناً بنهاية الحوزة الحليّة.

ومن خلال الإجازات التي منحها المحقّق الكركي، لعدة من الفقهاء بالنجف الأشرف من العامليّين وغيرهم، نعلم أنه كان يمارس نشاطاً علميّاً مهمّاً. مما أسهم في استقطاب فقهاء الشيعة وعلمائهم، نحو النجف الأشرف مرة أخرى. ومن أكبر الأدلة على نشاطه العلمي بالنجف، تأليفه لأشهر كتبه: (جامع المقاصد في شرح القواعد) ابتداءً وانتهاءً[2]. إن عهد المحقق الكركي، سابق على عهد المولى أحمد بن محمد الأردبيلي، المعروف بالمقدّس (ت: ٩٩٣هـ)، الذي أرجعت آراءٌ عدّة نهضة حوزة النجف الأشرف

١- القزويني، جودت: المؤسسة الدينية الشيعية، ص٢٨١.

٢- ومن المستغرب ما قاله الشيخ جعفر المهاجر في كتابه (الكرك حاضرة علميّة) أنه لا يعرف لا كثيراً ولا قليلًا عن سيرة المحقّق الكركي وأعماله في النجف. ولو أنه راجع كتاب (جامع المقاصد) لوجد أن الكركي ذكر: أنه بدأ تأليفه وإنشاءه، ثم فرغ من تسويده "بالمشهد المقدّس الغروي" (الكركي، علي بن عبد العالي: جامع المقاصد، ١٢/ ٦٧، ١٣/٤١٣ . وامتدت فترة التأليف من "فترة قبل سنة ٩٢٤ هـ وانتهى منه بعد سنة ٩٣٥هـ بقليل." (الحسون، محمد: حياة المحقق الكركي وآثاره، ٢٢٥/ ٣٤٤). مع العلم أن الكتاب لم يكتمل تأليفه، لأن المحقّق الكركي غادر النجف الأشرف في رحلته الثانية إلى أصفهان، أيام الشاه طهماسب الصفوي (ت: ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) من سنة ٩٦٣/ ٩٣٩هـ. (الخفّاف، حامد: جامع المقاصد قمة النتاج الفقهي في المرحلة النجفية من حياة المحقق الكركي)، (من بحث ألقي في المؤتمر الدولي حول المحقق الكركي– بيروت ١٥ – ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٣).

الثانية إليه[١]. لكنّ المرجّح أنّ حضور المحقّق الكركي العلمي، هو الأسبق بل هو المؤسس، لعهد المقدّس الأردبيلي، فضلًا عن الآراء التي تُرجع ذلك إلى زمن أقرب[٢]. ومن آثار المحقق الكركي الباقية بالنجف مسجده المشهور، وكان يعرف بمسجد المحقق الكركي، وبعده عرف بمسجد الطريحي، وهو من المساجد المشهورة المعظّمة بالنجف[٣].

لقد كان استقرار المحقّق الكركي بالنجف الأشرف، عاملًا محفزّاً لمجموعة من علماء جبل عامل، على شدّ الرحال إلى النجف للدرس، وطلب الأجازة الفقهيّة والروائيّة عنه. ومن الذين هاجروا:

أبرز العلماء المهاجرين إلى النجف للدراسة على المحقّق الكركي:

أ) الشيخ أحمد بن محمد آل أبي جامع العاملي، حيث أجازه المحقق الكركي بالنجف سنة ٩٢٨هـ، وكتب في الأجازة: "ورد إلينا إلى المشهد المقدّس الغرويّ، على مشرّفه الصلاة والسلام، وانتظم في سلك المجاورين بتلك البقعة المقدّسة، برهة من الزمن". وهذا يوحي بتجمّع من العلماء وقد برز بالنجف. وهو أول فقيه من أسرة آل أبي جامع يهاجر إلى النجف للتفقّه ثم يعود إلى جبل عامل[٤].

ب) الشيخ علي بن عبد الصمد الجبعي العاملي، حيث أجازه المحقق الكركي بالنجف سنة ٩٣٥هـ

ج) الشيخ علي (نعمة الله) بن أحمد خاتون العاملي مع ولديه، حيث أجازهم

١- (الفقيه، أحمد جواد: أدوار جامعة النجف / موسوعة النجف الأشرف، ٦/ ١٢٣)،(شمس الدين، محمد رضا: الأدوار العلمية لجامعة النجف) (موسوعة النجف الأشرف ٦/ ١٦٦)، (البهادلي، علي: الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، ص٧٥).

٢- القزويني: جودت، المرجعية الدينية العليا، ص١٨٧. حيث أرجعها إلى عهد السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء. (ت: ١٢٢٧هـ) (ت: ١٢١٢هـ).

٣- محبوبة، باقر: ماضي النجف وحاضرها، ٢/ ٢٤٣.

٤- محيي الدين، عبد الرزّاق: الحالي والعاطل، ص٣٧.

الكركي سنة ٩٣١هـ بالنجف.

د) الشيخ نعمة الله بن علي بن أحمد خاتون، له إجازة من الكركي سنة ٩٣١هـ بالنجف.

هـ) الشيخ جعفر بن علي بن أحمد خاتون،له إجازة من الكركي سنة ٩٣١هـ بالنجف.

و) الشيخ درويش بن محمد بن الحسن العاملي، إذ أجازه المحقق الكركي سنة ٩٣٩هـ بالنجف.

ز) الشيخ علي بن هلال العاملي الكركي، كان من تلامذة المحقق الكركي، توفي سنة ٩٨٤هـ.

ح) الشيخ علي المنشار العاملي (والد زوجة الشيخ البهائي)، من تلامذة الكركي بالنجف، مات بعد ٩٨٤هـ.

ط) الشيخ عبد العال بن المحقق الكركي، ولد بالنجف ودرس على والده، توفي سنة ٩٩٣هـ.

ي) الشيخ علي بن يوسف العاملي، من تلامذة المحقّق الكركي بالنجف، مات بعد سنة ٩٩٣هـ.

هذه قائمة بأسماء فقهاء عامليين، عرُفوا بالنجف الأشرف بعد هجرة المحقق الكركي إليها، وهناك آخرون من لبنانيين وغيرهم، لم تذكر أسماؤهم. وهذا دليل مهم، على أن بداية الحركة العلمية في حوزة النجف الأشرف، كانت على يد المحقّق الكركي. نعم قد يكون وقت الازدهار، قد تمَّ في عهد المقدّس الأردبيلي. وقد ذكرنا أسماء طلبة المحقّق الكركي من العامليين فقط ـ تمشياً مع موضوع البحث ـ وهناك أسماء آخرين،من العراقيين، والإيرانيين، درسوا على يديه، بالنجف كذلك.

وبالعودة إلى موضوعنا: حول أبرز الفقهاء اللبنانيين الدارسين بالنجف وحوزتها نذكر تاريخيّاً، بعد الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، كُلّاً من:

١– الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن أبي جامع الحارثي العاملي (ت:

١٠٠٥هـ). أول من هاجر بأسرته إلى العراق للإقامة به[١].

٢- السيّد محمد بن علي الموسوي العاملي (٩٦٤ ـ ١٠٠٩هـ).

٣- الشيخ حسن بن زين الدين الجبعي (ابن الشهيد الثاني) (٩٥٩- ١٠١١هـ)[٢].

وقد مرّا بنا في الفصل الأول، حينما بحثنا موضوع حوزة جباع، فالشيخ حسن هو خال السيد محمد (أعلاه). حيث شدا رحليهما من جبع نحو النجف الأشرف؛ ليدرسا عند المقدّس أحمد بن محمد الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ) . وليعودا بعدها إلى جباع فقيهين كبيرين؛ حيث ألّفا مصنّفين، يُعتبران من أُمهات الكتب الحوزويّة. أما السيد محمد فقد ألّف: (مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام)، والشيخ حسن ألّف: (معالم الدين وملاذ المجتهدين) في علمي الفقه والأصول على التوالي.

وقد افتتحا عهداً جديداً، يتمثل في ضرورة التواصل العلمي، مع حوزة النجف الأشرف، والأخذ من مستواها الفقهيّ المتفرّد. مع العلم أن الشهيد الثاني، مرّ بالنجف مرّتين سنتي (٩٤٦هـ [٣] و٩٥٢هـ[٤]) حتى اجتمع عليه بعض تلامذة المحقق الكركي، ومنهم ابن السمّاك العجمي[٥]، ولكنّه مرّ زائراً فحسب.

٤- الشيخ محمد بن جابر بن عباس العاملي النجفي (كان حياً سنة ١٠٣٠هـ)، من تلامذة الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني (زين الدين الجبعي). كان من فحول العلماء، وله إجازات للعديد من طلبته[٦].

١- محيي الدين، عبد الرزّاق: الحالي والعاطل ص٤٢. وهو الجد الأكبر لهذه الأسرة التي كان لها حضور واضح في المجتمع النجفي، ثم ستعرف بعد ذلك بأسرة آل محيي الدين. (الباحث).

٢- يمكن مراجعة موضوع حوزة جباع في (حوزات المرحلة الأولى) في الفصل الأول.

٣- الأفندي، الميرزا عبد الله: الرياض، ٢/ ٣٧٣.

٤- القمّي، عبّاس/ الكنى والألقاب، ٢/ ٣٨٣.

٥- الخونساري، محمد باقر : روضة الجنات ، ٣/ ٣٦٤.

٦- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل ١/ ٣٠٥ (تحقيق د. حسين محفوظ).

٥ – الشيخ محمد المهدي الفتوني العاملي النجفي (ت: ١١٨٣هـ).

وهو من علماء جبل عامل، المهاجرين على إثر فتنة الجزّار، وكان له دور كبير في رفع مستوى الدراسة بحوزة النجف الأشرف، حتى صار أستاذ علَمَيّ الحوزة النجفية البارزَين[١]: السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٧هـ)[٢]. وكان قد سبقه للسكن بالنجف الأشرف، عالم آخر من آل الفتوني، وهو الشيخ شريف بن محمد طاهر الفتوني النباطي الغروي الأصفهاني العاملي (ت: ١١٣٩هـ)، وكان أستاذ الشيخ محمد المهدي الفتوني، وصاحب الإجازة في الحوزة النجفيّة. وهكذا صارت حوزة النجف تتكامل علميّاً وتتعمّق فقهيّاً بهجرة فقهاء كبارٍ من لبنان، ثم لاحظ الألقاب: (العاملي الغروي) و(العاملي النجفي)، وهي تشير إلى هذه الفترة، ثم ستنتهي هذه المصاحبة بين اللقبين، حتى يبقى العاملي وحده، أو الغروي وحده، حينما يستوطن بعضهم النجف، أو مدناً عراقيّة أخرى. وهي الإشارات الأولى، لاجتماع اللقبين (النجفي والغروي) مع (العاملي)، في كتب التراجم والرجال. (ذكرنا في أول البحث:

---

١ - (حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ٣/٧٩)، (الأمين محسن: أعيان الشيعة، ٢٤/٣٨٢). ولم يكن الشيخ الفتوني هو الأستاذ اللبناني الوحيد لبحر العلوم وكاشف الغطاء، بل هناك لبنانيون آخرون من آل أبي جامع وشرف الدين وغيرهم، ومن هنا ندرك – لربما بعض أسباب – اهتمام بحر العلوم وكاشف الغطاء بإرجاع نشاط الحوزات العلمية إلى جبل عامل كما تقدم. (الباحث).

٢ -الشيخ جعفر بن خضر المالكي الجناجي النجفي فقيه إمامي كان شيخ مشائخ النجف والحلّة في زمنه، وهو أبو الأسرة الجعفرية من آل كاشف الغطاء، والجناجي نسبة إلى (جناجة) إحدى قرى العذار بالحلّة. بلغ من مكانته العلمية أن قيل فيه: 'من عاصره ولم يحضر عليه فلا يقلّد!'. له مؤلفات كثيرة منها (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء)، (الزركلي خير الدين: الأعلام، ٢/ ١٢٤) (الأمين، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب، ٣/ ١٠٨٣). ولقبت أُسرته بعده بلقب (كاشف الغطاء) لما لقيه كتابه من شهرة، وهي ظاهرة اجتماعية في النجف الأشرف، حيث يطغى عنوان كتاب على لقب أسرة المؤلف من بعده. وتزداد الظاهرة غرابة في مجتمع وأُسر عربيّة تهتمّ بأُصرلها. ومثل هذا القول يقال لأسرة (الجواهري) ومنها الشاعر المعروف مهدي الجواهري (ت: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) حيث ألف جده الأعلى كتاباً فقهياً اسماه: (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، ولشهرته فقد غدا (الجواهري) لقباً لذريته وأسرته من بعده. (الباحث).

لعلّ الشيخ علي بن العالي الكركي، هو أول من لقب بالغروي بعد العاملي، ولكن لم ينعكس ذلك في كتب الرجال، بينما انعكس اللقبان، على فقهاء لبنان المهاجرين إلى النجف في هذه الفترة).

٦- الشيخ محمد بن يوسف آل أبي جامع (ت: ١٢١٩هـ).

من أسرة آل أبي جامع الّذين اتخذوا النجف موطناً، وسيتغيّر لقبهم بعد مدّة إلى (آل محيي الدين). وللشيخ محمد هذا فضل، في إرجاع الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى النجف الأشرف، بعد أن رحل عنها إلى بغداد على أثر دعوة من بعض وجهائها، وقد بعث إليه أبياتاً منها:

تبغدَدْتَ حتى قيل إنك قاطنٌ
وجانبت أهلَ العلم والنسك والزهد[١]

والشيخ محمد آل أبي جامع، كان زميلًا للعَلَمين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، وتقاسم معهما مسؤولية إدارة شؤون الحوزة النجفية[٢]. وهناك عشرون عالماً، من آل أبي جامع، بين الشيخ محمد، وجدّهم الأعلى الشيخ أحمد بن محمد بن أبي جامع، وكلّهم كانوا من سكنة النجف الأشرف، أو المدرّسين فيه[٣]. ولكننا اقتصرنا على ذكر أهم ما يرتبط ببحثنا.

١- الأمين،محسن: أعيان الشيعة، ١٤/ ٤٢٩. جانب: ابتعد عن، تبغدد أي صار بغدادياً. (الباحث).

٢- محيي الدين، عبد الرازق: الحالي والعاطل، ص١٠٢-، وبذا صار الحضور اللبناني فاعلًا ومؤثراً، على مستوى المرجعية الدينيّة.

٣- محيّي الدين، عبد الرزّاق : الحالي والعاطل، (من ص٤ - ص١٠١). كما أن هناك تسعة وعشرون عالماً آخر من ذريته. فأسرة آل ابي جامع (آل محيي الدين لاحقاً)، من أكثر الأسر اللبنانية التي توطنت العراق والنجف الأشرف شهرة. ومن الطرائف أن أحد علماء هذه الأسرة وهو الشيخ قاسم بن حسن محيي الدين (ت: ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م)، قد زار بعض أرحامه بجبل عامل فأكرموه، وعند رجوعه إلى النجف الأشرف، بعث إليهم قصيدة فيها بعض الألفاظ الغريبة، المستخدمة بجبل عامل، فردوا عليه بقصيدة، تحوي ألفاظ النجف الغريبة. وسنورد كلتا القصيدتين في الملحق رقم(٢). (الباحث).

٧- السيد جواد (محمد جواد) بن السيد محمد العاملي الغروي الشقرائي: (١١٦٠ ــ ١٢٢٦هـ)[١].

من أواخر فطاحل العلم والفقه اللبنانيّين ، حيث يذكر مع فطاحل الحرزات اللبنانية بمرحلتها الأولى، علماً، وتأليفاً. اشتهر بكتابه الفقهي الكبير: (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة). فبعد أن درس بحوزة شقراء، هاجر إلى النجف الأشرف ـ بعد مدّة قضاها بحوزة كربلاء ـ ليدرس على العلَمَين: الشيخ كاشف الغطاء، والسيد بحر العلوم، حتى صار من أبرز تلامذتهما، ثم صار أستاذاً لأبرز فقهاء النجف، بعد ذلك، وهو الشيخ محمد حسن النجفي المعروف بـ (صاحب الجواهر). لقد غدى العلماء اللبنانيون، مفاصل أساسيّة في الحوزة النجفيّة، طلّاباً لأبرز فقهائها، وأساتذة لخيرة مجتهديها، والمبرّزين من مراجعها.

وعند وصولنا إلى هذه الفترة الزمنيّة، حيث كان المرجعان النجفيّان البارزان؛ بحر العلوم وكاشف الغطاء، فإننا سنتصل تاريخياً، بتراجم الفقهاء اللبنانييّن في حوزات المرحلة الثانية، وأبرز طلابها ـ الذين مرّوا بنا في مبحثنا الأول، من هذا الفصل ـ ثم لنصل بدورنا بعد ذلك، إلى العلماء اللبنانييّن المعاصرين، الذين درسوا بالنجف الأشرف.

أبرز العلماء اللبنانيين الدارسين على السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء

وأما أبرز العلماء اللبنانيين، الذين درسوا على المرجعين؛ بحر العلوم وكاشف الغطاء، أو على أحدهما، إضافة إلى السيد محمد جواد العاملي، فهم:

أ) الشيخ زين العابدين الأسدي العاملي (ت: ١٢٠٠هـ).

ب) السيد محمد آل شكر العاملي (ت: ١٢٠٧هـ).

١- يمكن مراجعة ترجمته، في مبحث حوزات لبنان بمرحلتها الأولى، (حوزة شقراء) الفصل الأول، ص ١٢١.

ج) الشيخ زين الدين العاملي الشهيد (ت: ١٢١١هـ) (أحد علمي حوزة شحور).

د) الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي (ت: ١٢١٤هـ) (جدّ أسرة آل صادق بالنبطيّة).

هـ) الشيخ جعفر القبيسي العاملي (ت: بعد ١٢٢٣هـ).

و) الشيخ محمد حسين شرارة (ت: بعد ١٢٢٧هـ) .

ز) الشيخ حسن شرارة (ت: ١٢٢٧هـ).

ح) السيد جواد الأمين العاملي (ت: بعد ١٢٢٩هـ) (صاحب كتاب مفتاح الكرامة).

ط) السيد حسين الشقرائي العاملي (ت: ١٢٣٠هـ).

ي) الشيخ علي زيني العاملي (ت: ١٢٣٠هـ).

ك) الشيخ قاسم محيي الدين (ت: ١٢٣٧هـ).

ل) السيد علي العاملي (ت: بعد ٢٤٦هـ).

م) السيد محمد (صدر الدين) بن صالح شرف الدين (ت: ١٢٤٨هـ) (جدّ أُسرة آل الصدر بالعراق وإيران).

ن) السيد علي محمد الأمين العاملي (ت: ١٢٤٩هـ) (من مؤسسي حوزة شقراء).

س) الشيخ حسن القبيسي الكوثراني (ت: ١٢٥٨هـ)[1] (مؤسس حوزة الكوثرية).

فهؤلاء ستة عشر فقيهاً لبنانياً كانوا قد تخرجوا من حوزة النجف الأشرف، وكان قد ذكر: أنّ حوزات لبنان في تلك المرحلة، صارت بمثابة

١- تواريخ وفيات العلماء المذكورين في هذه القائمة من: (الدجيلي، جعفر: موسوعة النجف الأشرف، ١٤/ ١١٥-١٥٢) (حرز الدين، محمد: معارف الرجال، (١-٣). وغرضنا من سرد أسمائهم، مزيد توضيح للعلاقة العلميّة، بين النجف وحوزات جبل عامل في تلك المرحلة (الباحث).

معاهد لإعداد الطلّاب، ريثما يُكملوا المستويات العلميّة العالية، التي تنتهي بالحصول على إجازة الاجتهاد، من مراجع النجف الأشرف. وهذا ما اتّضح لنا، في تراجم مؤسسي هذه الحوزات، وتراجم أبرز طلّابها على حدٍّ سواء.

إن هؤلاء العلماء، يمثّلون المرحلة السابقة لمرحلتنا المعاصرة، التي عَرَفت أسماءً علميّة كبيرة، حتى كانت نهاية الوجود العلمي اللبناني بالنجف الأشرف، في أواخر السبعينيات، من القرن العشرين الميلادي/ تسعينيات القرن الرابع عشر الهجري[١]. حيث ازدادت الظروف الأمنية في العراق، قسوةً وشدةً، حتى شُرّد العلماء والطلبة، وقتل بعضهم، وكادت حوزة النجف أن تموت، بعد قرون من العطاء العلمي والأدبي الثريين[٢].

وبالعودة إلى القائمة الأخيرة، التي ضمت ستة عشر فقيهاً لبنانياً، كانوا قد تتلمذوا على المرجعين الكبيرين السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، حيث كان في آخر تلك القائمة: الشيخ حسن القبيسي الكوثراني، وهو الذي بدأ المرحلة الثانية من مراحل الحوزات اللبنانية. وكنا قد أشرنا فيما مضى إلى أنه مؤسس حوزة الكوثريّة؛ الحوزة الأم لبقية الحوزات اللبنانية – في المرحلة الثانية – وأن ذلك كان بإيعاز من هاذين العلمين المرجعين. ولهذا فلا أجد من حاجة، إلى سرد أسماء مؤسسي حوزات هذه المرحلة وأبرز خرّيجيها بعدما ذكرنا جملة منهم، في المبحث الأول. حيث صار العرفُ العلميُّ، في كل حوزات جبل عامل، منذ ذلك الحين، أن إكمال الدرجات العلميّة العُليا، إنّما يتم في حوزة النجف الأشرف. وكانت بين انتهاء حوزات هذه المرحلة [٣]، ونشأة الحوزات اللبنانيّة المعاصرة، فترة

١- وكان لإعدام المرجع السيد محمد باقر الصدر في ٩/ ٤/ ١٩٨٠م / ٩ جمادي الأولى/ ١٤٠٠هـ. إنهاء للوجود العلمي اللبناني بالنجف الأشرف خاصة، بحكم علاقة العلماء اللبنانيين بالسيد الصدر، وضربة قوية للحوزة النجفية عامّة، وكانوا هم آخر الوجودات غير العراقية، الباقية بحوزة النجف. (الباحث).

٢- البهادلي، علي: الحوزة العلمية في النجف، ص٣٦٢.

٣- والتي حدّدناها في الفصل الأول، في حدود سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م .

شهدت فيها النجف وحوزتها، هجرة علميّة لافتة، بعدما ضمرت حوزات لبنان.

لقد شهدت النجف في الفترة؛ بين المرحلة الثانية والمرحلة المعاصرة، من الحوزات اللبنانية (١٣٥٠ ــ ١٣٨٨هـ/ ١٩٣١ ــ ١٩٦٠م)، هجرة طلّاب علم من بعض قرى البقاع ومدنه. وهذا التوسّع سينسحب بعدئذ، على خارطة الحوزات المعاصرة، التي امتدّت من جبل عامل إلى بيروت، (وهي منطقة جديدة أخرى، لم تشهد نشاطاً حوزوياً شيعياً من قبل)، وصولاً إلى البقاع.

وعودة إلى أبرز خريجي حوزات لبنان (في المرحلة الثانية) المتأخرين، حيث نجد: أن هناك إعراضاً جليّاً، عن فكرة إنشاء حوزات أخرى، فقد توجّهوا لمهمّات غيرها، مثل القيام بالوظيفة التبليغية، أو القضاء، أو مواجهة تحدّيات المرحلة.

إن مجتهدين كباراً من علماء لبنان الشيعة، في بداية القرن العشرين الميلادي وما بعده، مثل السيد عبد الحسين شرف الدين (ت: ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م)، والسيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧٢هـ ـــ ١٩٥١ م)، لم يمارسا نشاطاً حوزوياً عند عودتهما إلى لبنان. ولعلّ من أسباب ذلك، ما سبق أن ذُكر من افتتاح المدارس الرسميّة، التي أخذت تحلّ محلّ الحوزات القديمة، التي لم تكن تألف قرى جبل عامل غيرها، طوال قرون. إضافة إلى التغيّرات السياسية العالميّة الكبرى، كالحربين العالميتين الأولى والثانية، وظاهرة الهجرة التي استفحلت في لبنان نحو أصقاع العالم، واستغناء طلبة العلم والعلماء، بحوزة النجف الأشرف عما سواها، فلم تعد هناك حاجة ملحّة، لحوزات لبنانية آنذاك، لقد كانت الحوزة النجفية حاضرة وبقوة في الساحة اللبنانية الشيعيّة، على أكثر من صعيد.

وبعد ما مرّ بنا من العلاقة التاريخية المعرفيّة، بين النجف الأشرف وشيعة لبنان (خاصة) فإننا يمكن أن نتلمّس أوجهاً متعددة أخرى لتلكم

العلاقة، نحاول أن نتوقف عند الأبرز والأهم منها.

جوانب من حضور الحوزة النجفية في المجتمع اللبناني (الشيعي خاصة)

١- استمرار حضور الحوزة النجفية العلمي، في المجتمع اللبناني والشيعي منه بخاصة، عبر رفده بالعلماء والفقهاء، الذين نهضوا بمسؤولياتهم الدينيّة، والاجتماعية، والوطنية، إذ كانت الحوزة الشيعيّة الوحيدة، التي نهضت بتلك المهمة، ولم يكن في العالم الشيعي حوزة أخرى تقاربها. فبعد ما ذكرنا من أسماء بارزة، للعلماء اللبنانيين، نذكر المعاصرين للسيّدين شرف الدين والأمين. أو الذين جاؤوا بعدهما، حتى اتصلوا ببعض العلماء المعاصرين لمرحلتنا، ولا يمكن ذكرهم جميعاً، لأن ذلك يخرجنا عن بحثنا، في إعطاء صورة عن الحضور النجفي، وليس استقصاء هذا الحضور، ومنهم:

١- الشيخ محسن شرارة (ت: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) فقيه وأديب من أسرة علمية مرموقة.

٢- الشيخ عبد الله الحرّ (ت: ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) قاض شرعي وعالم كبير.

٣- السيد عبد الحسين نور الدين (ت: ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) من مشاهير علماء النبطيّة أديب وشاعر.

٤- الشيخ حسين الكوثراني (ت: ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٥م) من علماء بلدة الغسانيّة المبرّزين.

٥- الشيخ يوسف الفقيه الكبير (ت: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) أول رئيس لمحكمة التمييز في الفقه الجعفري.

٦- السيد علي مهدي الأمين (ت: ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) من أكابر مجتهدي شقراء.

٧- الشيخ محمد علي نعمة العاملي (ت: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) مجتهد من أبرز علماء حبوّش.

٨- الشيخ حبيب آل إبراهيم (ت: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) معتمد مرجعية النجف في

محافظات عراقيّة عدّة.

٩- السيد حسين الحسيني (ت: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) رئيس المحاكم الجعفرية الأسبق.

١٠- السيد عباس أبو الحسن (ت: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) عالم منطقة الغازيّة.

١١- السيد محمد حسن فضل الله (ت: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) مجتهد وعالم منطقة برج البراجنة.

١٢- الشيخ جعفر آل صادق (ت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م) مجتهد إمام بلدة النبطيّة.

١٣- السيد موسى الصدر (اختفى: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) القائد والسياسي والعالم المشهور.

١٤- الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) المجتهد وصاحب المؤلفات الكثيرة.

١٥- الشيخ حسين معتوق (ت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م) مجتهد وإمام مسجد الإمام المهدي بالغبيري.

١٦- السيد عبد الرؤوف فضل الله (ت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) مجتهد وإمام بلدة بنت جبيل[١].

هؤلاء علماء لبنانيون كبار، تخرّجوا من حوزة النجف الأشرف، يضاف إليهم أعلام علميّة وسياسيّة بارزة معاصرة، كانوا قد اغترفوا من معين الحوزة النجفية، نذكر بعض الأسماء المشهورة فقط، مرتبة أبجدياً:

١- الشيخ حسن طراد (ولد ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) أحد المجتهدين المعاصرين.

٢- السيد حسن نصرالله (ولد ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) الأمين العام لحزب الله.

٣- الشيخ راغب حرب (١٣٧٢/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٥٢-١٩٨٤م)، الشهيد المعروف

١- الدجيلي، جعفر: موسوعة النجف الأشرف، ج١٣، ج١٤. (مواضع مختلفة) و (الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام ج١، ج٢). (مواضع مختلفة).
وهناك أسماء علمائية أخرى، سترد ضمن الفصل الثالث في بحث (حوزات لبنان المعاصرة)، إن شاء الله تعالى.

وإمام بلدة جبشيت.

٤- الشيخ صبحي الطفيلي (ولد ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)، أول أمين عام لحزب الله.

٥- السيد عباس الموسوي (١٣٧٢ ــ ١٤١٣هـ/ ١٩٥٢ ــ ١٩٩٢م)، الشهيد والأمين العام الثاني لحزب الله.

٦- الشيخ عبد الأمير قبلان (ولد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٦م)، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

٧- الشيخ عبد الحسين صادق (ولد ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م)، عالم مدينة النبطية ومفتيها.

٨- الشيخ عفيف النابلسي (ولد ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) ،إمام جمعة صيدا / تجمع علماء جبل عامل.

٩- السيد علي الأمين (ولد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م)، مفتي جبل عامل.

١٠- الشيخ محمد تقي الفقيه (١٣٢٩ ــ ١٤١٩هـ/ ١٩١١ ــ ١٩٩٩م)، مرجع ديني معاصر.

١١- السيد محمد حسن الأمين (ولد ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م)، مفتي صيدا أديب وشاعر.

١٢- السيد محمد حسين فضل الله (ولد ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م)، مرجع ديني معاصر.

١٣- الشيخ محمد مهدي شمس الدين (١٣٥٤ ــ ١٤٢١هـ/ ١٩٣٦ ــ ٢٠٠٠م)، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

١٤- الشيخ محمد يزبك (ولد ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)، من قيادات حزب الله، وإمام جمعة بعلبك.

١٥- السيد هاشم معروف الحسني (١٣٣٣ ــ ٤٠٠هـ/ ١٩١٤ ــ ١٩٨٣م)، القاضي والمؤلف المعروف، ومسؤول حوزة صور.

١٦- السيد هاني فحص (ولد ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م)، عالم وسياسي بارز.

ونذكّر ثانية أن هذه أسماء علمائية اختِيرت كنماذج، لعلماء لبنانيين معاصرين وبارزين من خريجي الحوزة النجفيّة، لمزيد من تأكيد العلاقة

النجفيّة– العامليّة، ولسنا في صدد إحصاء كلّ العلماء اللبنانيين المتخرجين منها.

ولو تأملنا القائمة العلمائية أعلاه، وبما تحتله هذه الشخصيات من مواقع مختلفة، فإننا سوف ندرك، أهمية ما تركته الثقافة النجفيّة، من رؤى وتصورات ومواقف شرعيّة، وربّما سياسيّة، مرتبطة بحوزة النجف ومرجعيّتها، وامتداد ذلك إلى حوزة قم الإيرانية، ومرجعيتها لاحقاً.

وكل ما ذكرناه، كان النقطة الأولى في موضوع: (الحضور العلمائي للحوزة النجفيّة).

٢ ـ هجرة الأسر العلمائية المتبادلة بين لبنان والعراق

هذا موضوع قد يحتاج إلى بحث خاص، في تعيين هذه الأسر، وبيان مبرّرات هجرتها، ودراسة ظروف تلك الهجرة، ثمّ تأثيراتها المختلفة، وما إلى غير ذلك من تفريعات متصوَّرة. وهو أمر قد يكون طبيعياً، مع قِدَمِ تلك العلاقة، وتظافر الظروف والأواصر العلميّة الدينية، التي تشدّ لبنانَ إلى العراق. وسنعتمد في بيان الأسر العراقية، ذات الأصول اللبنانية على مرجعين: الأول (ماضي النجف وحاضرها) [١]، والثاني (موسوعة العتبات المقدسة)[٢] لمؤلفين عراقييّن، حيث سنذكر من الأول أسماء الأسر العراقية النجفيّة، من الأصول اللبنانيّة، ومن الثاني الأسر العراقيّة الكاظميّة (البغدادية)، من الأصول اللبنانية.

أسماء الأسر العراقية النجفيّة من أُصول لبنانية:

١– آل زين العابدين، ٢/ ٣١٦ .

٢– بيت زيني، ٢/ ٣٢٤ .

٣– آل شرارة، ٢/ ٣٨٤ .

١- المؤلف الشيخ جعفر باقر محبوبة النجفي (ت: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)

٢- لمؤلفه الأستاذ جعفر الخليلي (ت: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

٤– آل فتوني، ٣/ ٤٢ .

٥– آل القرملي، ٣/ ٦٩ .

٦– آل الكركي، ٣/ ٢٣٧ .

٧– آل الكاظمي، ٢/ ٢١٦ (من جبل عامل فالكاظمية ثم النجف).

٨– آل محيي الدين، ٣/ ٣٠٠ .

٩– بيت يحيى العاملي، ٣/ ٥٣٥ .

مع ملاحظة أنّ هذا الكتاب، لم يتعرّض إلى الأسر العلوية الشريفة. وإلّا لازداد عدد هذه الأسر. بينما أورد الكتاب الثاني (موسوعة العتبات المقدسة)، في مجلده العاشر، الخاصّ بمدينة الكاظمية (شمال بغداد) ، وفي قسمه الثاني؛ حول الأسر الكاظمية، ومنها أسر من أُصول عاملية وهي:

١– بيت زوايد، ١٠ ـــ ٣/٦٨ .

٢– العاملي الصولي، ١٠ ـــ ٣/ ٧٠ .

٣– العاملي من بني زهرة، ١٠ ـــ ٣/ ٧٠، ٣/ ١٠٣ .

٤– بيت الصدر، ١٠ ـــ ٣/ ٧٤ ، ٣/ ١٠١ .

٥– آل شرف الدين، ١٠ ـــ ٣/ ٧٤ .

٦– العاملي (أسرة السيد علي)، ١٠ ـــ ٣/ ٧٤ .

٧– بيت السيّد رضا العاملي، ١٠ ـــ ٣/ ٩٤ .

٨– بيت الشيخ زين العابدين، ١٠ ـــ ٣/ ٩٤ .

٩– بيت السُّبيتي، ١٠ ـــ ٣/ ٩٥ .

١٠– بيت الكاظمي، ١٠ ـــ ٣/ ١٠٨ .

١١– بيت الكركي، ١٠ ـــ ٣/ ١١٠ .

١٢– بيت محفوظ، ١٠ ـــ ٣/ ١١١ .

١٣- بيت معتوق، ١٠ ــ ٣/ ١١٥ .

١٤- بيت الحلبي، (نسل الشهيد الأول) ١٠ ــ ٣/ ١٣٧ .

١٥- بيت زيني، ١٠ ــ ٣/ ١٣٩ .

وهناك ملاحظة، أجد أنّ من المهمّ التذكير بها؛ وهي أن هذه الأسر ترجع جميعها، إلى علماء وفقهاء لبنانييّن، كانوا قد هاجروا الى العراق، لأسباب وظروف مختلفة، وإن كان أغلبها، قد هاجر أجدادها هرباً من محنة الجزّار، وقد أشرنا إلى هذه النقطة سابقاً.

كما كان من آثار هذا التواصل العلميّ والمعرفي، بين العراق (وخاصة مُدنه المقدسة) ولبنان (جبل عامل) ــ من جهة أخرى ــ استقرار بعض العلماء العراقيّين، ببعض القرى اللبنانية، وإن كان بنسبة أقلّ من اللبنانيين المهاجرين إلى العراق. وذراريهم اليوم يشكلون أسراً لبنانية معروفة، مثل: آل الأمين وهم من "أسرةٍ حليّة هاجر أحد أعلامها إلى جبل عامل سنة ١٠٨٠هـ /١٦٦٩م"[١]. وآل البلاغي، حيث هاجر الفقيه النجفي الشيخ إبراهيم بن حسين البلاغي (ت: ١٢٤٦هـ)، إلى بلدة الكوثرية[٢]، كما أن ذراري الشيخ عبد النبي الكاظمي (ت: ١٢٥٦هـ)، المهاجر إلى جويّا قد استوطنوا مدينة صور. وهم يُعرفون بالشيبي أو بآل حبيب، نسبة إلى حبيب ابن أخ الشيخ عبد النبي[٣].

ولكنها تبقى أقل بكثير، من تلك الأسر العراقية، التي تعود أصولها إلى لبنان وأسره. وكلّ هذه العلاقات التاريخية المتبادلة، تشكل بمجموعها تراكمات إرثيّة متعددة الأوجه تشد طالب العلم اللبناني الشيعي، إلى معاهد العراق العلميّة، لا سيّما حوزة النجف الأشرف، حيث قدسيّة الجوار، وعبق التاريخ، وعمق العلاقة، وآثار الماضين من العلماء، بما لا تقوى حوزة أخرى

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٤/ ٥١ .

٢- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٣/ ٧٧.

٣- مقابلة شخصية مع السيد حسين شرف الدين العاملي، بيروت، السبت ٢١ جمادى الثاني ١٤٢٨هـ / ٧ تموز ٢٠٠٧م الساعة ١١ صباحاً. ورسالة كتبها له د. كامل مصطفى الشيبي بيروت في ١١/ ٨/ ١٩٩٦ . (احتفظ بنسخةٍ منها).

أو مكان آخر، في داخل العراق، فضلًا عن خارجه، من أن تُدانيها، فضلًا عن منافستها، وحتى إذا حالت عوائق دون الوصول، فإن العودة إلى الحوزة النجفية، والحنين إليها، يشكّلان عاملَي شدّ، تتفّق عليهما كلّ المشارب اللبنانية الشيعيّة، حتى المختلفة بينها، وهذا ما سنوثقه في الفصل القادم ـــ إن شاء الله ـــ في مقابلات شخصية، مع عدة من العلماء اللبنانيين المعاصرين، من فرعي حوزة النجف، وحوزة قمّ،على حدٍّ سواء.

٣. العلماء اللبنانيون وكلاء[١] المرجعيّة في المدن العراقية

ان من مظاهر العلاقة وأوجهها المتميزة، التي شدّت العلماء اللبنانيّين إلى المجتمع العراقي ككلّ، والحوزة النجفية بشكل خاص، وعزّزت ـــ في الوقت نفسه ـــ من مكانة العلماء اللبنانيين في المجتمع العراقي، اختيار بعضٍ منهم لشغل مراكز ربط بعض شرائح المجتمع العراقي، في داخل العراق بمرجعيّة النجف الأشرف. حيث نجد ظاهرة تميّز بها علماء لبنان الشيعة، دون سواهم من الطلبة والعلماء الشيعة، الوافدين إلى حوزة النجف من خارج العراق، من طلبة العلوم الدينيّة العرب. كعلماء المنطقة الشرقيّة بالمملكة العربية السعوديّة، أو علماء البحرين (حيث يشكلّون مع اللبنانيين العدد الأكبر من العلماء العرب) فضلًا عن غيرهم، من الطلبة والعلماء غير العرب في الحوزة النجفية. ولعلّ ذلك يعود إلى أسباب عدّة؛ منها ما تميّز به العلماء اللبنانيّون،، من رغبة في حقل التبليغ الإسلامي، ولما تختصّ به الشخصية اللبنانية من سرعة التكيّف مع المجتمعات والأفراد[٢]، كما يلعب الوضع السياسي المنفتح في لبنان دوراً في هذه المسألة، حيث لا تنتظر

١- مُفردةُ (وكيل): وهو عالم قطع شوطاً مهمّاً من دراساته الفقهية، بحيث صار مؤهلًا لإيصال وبيان الأحكام الشرعيّة، بين المجتهد المرجع ومقلّديه، ويزوّد بإجازة وكالةٍ إلى تلك المنطقة، التي يكون فيها إماماً للصلاة، وموضحاً للأحكام الشرعية، ومساهماً في النشاطات الاجتماعية، وقد يكون وكيلًا عن مراجع عدّة. وسيأتي مزيد من البيان في فصل (المرجعيّة). (الباحث).

٢- مقابلة شخصية مع السيد حسن النوري (أحد العلماء الواعدين بحوزة النجف الأشرف)، اوصاف طالب العلم اللبناني بحوزة النجف، النجف الأشرف (مدرسة المصطفى(ص)، الأحد ٢٦ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ/١٣ آيار ٢٠٠٧م، ٩ صباحاً).

العلماء اللبنانيين مساءلات أمنية وسياسية عند عودتهم لبلادهم، على عكس ما يتوقع من أنظمة عربيّة أخرى.

فلم يُسمع إلا نادراً؛ أن عالماً سعوديّاً، أو بحرانيّاً أو من جنسيات عربيّة أخرى، كان مُعتمداً من قِبل مراجع النجف الأشرف (كوكلاء عنهم في الأمور الشرعية) بمدن العراق أو نواحيه، عكس ما نجده في اللبنانييّن. وقد تحتاج هذه النقطة بالذات، إلى بحث خاص كذلك، أُسوةً بسابقتها، ولكن الذي نريد هنا بيانه، أن ظاهرة الوكلاء اللبنانيّين المُعتمدين، من مرجعيّات النجف الأشرف، في نواحي عدّة من العراق، كانت ظاهرة تميّز بها هؤلاء دون سواهم من الطلبة والعلماء غير العراقيين[١].

فقد "كان العامليّون خير وكلاء في أمصار العراق، وأدّوا دورهم المكلّف أحسن أداءً"[٢] ونورد أدناه أسماء من استطعنا إحصاءهم، من هؤلاء الوكلاء اللبنانيّين حسب سنيّ ولاداتهم، تأريخياً :

١– الشيخ خليل الصوري: (نسبة إلى مدينة صور)، ولد بها ١٢٨٣هـ وهاجر إلى النجف، وكان وكيل المرجعيّة آنذاك في مدينة الكوت، مركز محافظة واسط،في وسط العراق، توفي في ١٣٤٠هـ/ ١٩١٩م [٣]. (وهو أقدم وكيل عرفناه).

٢– الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر: ولد ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م، عيّنتهُ المرجعيّة الدينيّة في مدينة الكوت أولًا، ثم اختير إلى محافظة ميسان بجنوب العراق، لمواجهة حملات التبشير النصرانيّة، التي نشطت بين سكان الأهوار والقرى النائية، فأبلى بلاءً حسناً. وأصدر فتوى بتحريم مراجعة مستشفىً أقامته الإرساليات هناك، وحرمة مراجعة كل المؤسّسات التبشيريّة. وألّف عدة كتب في الرد على شبهات النصارى. توفي ببعلبك عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م[٤].

١- يستثنى من ذلك بعض العلماء الإيرانيين الأتراك، الذين كانت المرجعيّة النجفيّة، توفدهم إلى مدن التركمان الشيعة وقراهم في محافظتي كركوك والموصل شمال العراق. (الباحث).

٢- السّراج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، ص١١٠ .

٣- الدجيلي، جعفر: موسوعة النجف الأشرف، ١٤/ ٥٥.

٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ١١٤.

٣- السيد حسين مكي، ولد سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. وكان موفد المرجعيّة الدينيّة إلى ناحية (غمّاس) في محافظة الديوانيّة، وسط العراق، ثم إلى قضاء (الصويرة) محافظة واسط. توفي سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م [١].

٤- الشيخ موسى شرارة: ولد سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. وانتدب من النجف إلى قضاء (الحمزة الشرقي)، في محافظة المثنى بجنوب العراق. توفي سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م [٢].

٥- السيّد عبد الصاحب الحسني، ولد سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م. اختير إلى مدينة سامراء محافظة صلاح الدين شمال العراق. ودرّس في حوزتها العلميّة، توفي سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م[٣].

٦- الشيخ بدر الدين الصائغ: ولد سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. كان وكيلًا بمدينة الكوت، مركز محافظة واسط، بعد أن تركها الشيخ حبيب آل إبراهيم (المتقدم) إلى ميسان [٤] توفي سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٧- الشيخ محمد تقي الفقيه: ولد سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. انتدب وكيلًا عن المرجعية في ناحية (قلعة سكر)، التابعة لمحافظة ذي قار بجنوب العراق. توفي عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م[٥].

٨- الشيخ محمد حسن قبيسي: ولد عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م. كان وكيلًا في ناحية (الفجر)، التابعة لمحافظة ذي قار الآنفة الذكر، توفي سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م[٦].

١- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٣٠٣.
٢- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام ٢/ ٤٧٤
٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام،١/ ٥٤٣.
٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٧٧ .
٥- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٢١٦.
٦- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٣٠٢.
ولا بدّ من التنويه هنا، إلى أن المرجع أعلاه الذي صنّف في تراجم العلماء اللبنانيين المعاصرين، لم يولي مسألة (الوكلاء) اهتماماً، كما صرّح لي مؤلّفه شخصيّاً، نعم قد يذكر ذلك في حالات قليلة. وقد اعتمدت في معرفة وكلاء المرجعية هؤلاء، من العلماء اللبنانيين، على جهدي الخاص عبر التقصّي والسؤال واللقاء مع عدّة من العلماء، أو الاتصال هاتفياً مع=

٩- الشيخ علي العُسيلي: المولود سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م. الذي كان وكيلًا في قضاء (بلد)، التابع لمحافظة صلاح الدين شمال العراق، توفي سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م[١].

١٠- الشيخ محمد عزّ الدين: ولد سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. كانت وكالته الدينيّة إلى قضاء (العزيزيّة)، التابع لمحافظة واسط. توفي سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م[٢].

١١- الشيخ حسن محمد العُسيلي: المولود سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٢٣م[٣]، كان وكيلًا في ناحية (آل بدير) بمحافظة الديوانية وسط العراق. (وهو عالم بلدة الصرفند حالياً) .

١٢- الشيخ أحمد قصير: ولد ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م. وقع الاختيار عليه ليكون الوكيل في ناحية (جلولاء)، بمحافظة ديالى شرق العراق، وهي ناحية تضمّ العرب والأكراد، فأبلى البلاء الحسن[٤]، (أحد القضاة الشرعيين حالياً).

١٣- السيد جواد الأمين، ولد ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، اعتمدته المرجعيّة وكيلًا عنها في ناحية (آل بدير) المتقدمة، وتوفي بحادث سير بالعراق عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م. [٥]

١٤- الشيخ جعفر الصايغ: المولود سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م, الذي حلّ محل أبيه، في وكالة المرجعيّة بمدينة (الكوت)، مركز محافظة واسط. توفي مستشهداً بأفريقيا عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م[٦].

١٥- الشيخ سليمان اليحفوفي: المولود سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م. تولّى الوكالة عن

= غيرهم، سواء لمعرفة أسماء هؤلاء الوكلاء، أو أسماء مناطق وكالاتهم ، وخاصّة كبار السن منهم، الذين كانوا بالنجف. وأغلب اعتمادي على هذا المرجع، كان في تحديد سني الولادة والوفاة. (الباحث).

١- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٧٥.
٢- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٤٠١.
٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ١٧٨
٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٥٢.
٥- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ١١٠.
٦- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١ / ٨٧.

المرجعيّة في مدينة الكوت أيضاً، ولكن في فترة أخرى. (ويلاحظ تتابع عدة علماء لبنانيين على منطقة واحدة، مما يدل على ثقة الناس بهم)، توفي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م[١].

١٦ – الشيخ عبد الرسول حجازي: المولود سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. انتدب في ناحية الإسكندرية، التابعة لمحافظة بابل وسط العراق [٢].

١٧ – السيد عبد الأمير صفي الدين: المولود سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م. كان وكيلًا في الكوت ، توفي سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م[٣].

١٨– السيد فخر الدين أبو الحسن، المولود سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م [٤]، كان الوكيل بقضاء (عفك) التابع، لمحافظة الديوانية وسط العراق. (عالم منطقة الغازيّة بجنوب صيدا حالياً).

١٩– الشيخ علي ضيا: المولود سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٥٣م[٥]. انتدب للوكالة بناحية (الغرّاف)، بمحافظة ذي قار جنوب العراق، بعد فراق الشيخ عبد الأمير قبلان لها. (أحد القضاة الشرعيّين حالياً).

٢٠– السيد علي مكيّ: المولود سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م [٦]. كان الوكيل الشرعي لقضاء (الصويرة) بمحافظة واسط، حيث كان أبوه السيد حسين، قد سبقه إليها آنفاً. (عالم الشيعة بدمشق حالياً).

٢١– الشيخ محمد مهدي شمس الدين مواليد ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م[٧]، انتدبته المرجعيّة بمدينة الديوانية مركز المحافظة، توفي ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. (وهو رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بلبنان).

١- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١./ ٣٩٠.
٢- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٥٤١.
٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٤٤٨ .
٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ١٥٢.
٥- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٣٦ .
٦- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ١٠٠
٧- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٣٧٨

٢٢- الشيخ عبد الأمير قبلان: ولد في ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٦م[١]. وكان الوكيل بناحية (الغرّاف)، التابع لمحافظة ذي قار بجنوب العراق. (وهو الآن يشغل منصب نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى).

٢٣- الشيخ محمد جعفر شمس الدين: المولود سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م [٢] ،الذي كان وبتنسيق مع أخيه الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكيلًا للمرجعية في مدينة الديوانية كذلك. (باحث إسلامي ومؤلف).

٢٤- الشيخ عفيف النابلسي: المولود عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م [٣]. انتدبته النجف وكيلًا عن مرجعيتها (بحي الحريّة) الواقع في شمال غرب بغداد العاصمة. (إمام جمعة صيدا، ورئيس تجمع علماء جبل عامل حالياً).

٢٥- الشيخ حسن عبد الساتر: ولد سنة ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م. كان الوكيل بمدينة الكوت مركز محافظة واسط [٤] (رئيس المحاكم الشرعيّة الجعفرية).

٢٦- الشيخ عبد الحسين عبد الله: ولد في ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م. كان الوكيل بناحية (المدحتيّة) بمحافظة بابل [٥] ، (عالم منطقة الخيام حالياً).

٢٧- الشيخ نجيب سويدان: المولود في ١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م. وكيل ناحية الإسكندرية لمحافظة بابل، توفي في ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م [٦].

٢٨- الشيخ علي كوراني: ولد سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م. وكيل قضاء (الخالص) بمحافظة ديالي شرق العراق [٧]. (استاذ في حوزة قم حالياً، وله مؤلفات معروفة).

٢٩- السيد محمد جواد الأمين: مولود سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م. حلّ محل أبيه في ناحية (آل بدير) لمحافظة الديوانية [٨] ، و(عالم في بعض القرى الجنوبية

١- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٤٥١
٢- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٢٧٥
٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٦٢٠
٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ١٦٨
٥- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٤٩٤
٦- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/ ٥٩٣
٧- الباحث.
٨- اتصال هاتفي معه في يوم السبت، ٢٨ ربيع ١٤٢٩، ٥/ نيسان/ ٢٠٠٨م الساعة ١٢ ظهراً بيروت.

حالياً).

٣٠- الشيخ عبد المنعم الزين، ولد سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، الوكيل بحيّ (الكرادة الشرقية) بشرق، بغداد العاصمة[١]. (عالم في بلدان أفريقيا).

٣١- الشيخ زهير كنج المولود سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م [٢]. الوكيل بمدينة الحلّة، مركز محافظة بابل بوسط العراق. (عالم في منطقة الغبيري حالياً).

٣٢- الشيخ صبحي الطفيلي: المولود سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م [٣] ،الوكيل الشرعي بمدينة الحلّة ثم قضاء (الخالص) بمحافظة ديالى. (أول أمين عام لحزب الله اللبناني).

٣٣- الشيخ محمد يزبك: المولود سنة ١٣٧٩هـ/١٩٤٩م. وكيل المرجعيّة بناحية الإسكندرية بمحافظة بابل[٤]. (إمام جمعة بعلبك، قيادي في حزب الله اللبناني).

هذه أسماء ثلاثة وثلاثين عالماً لبنانياً، كانوا يشغلون مواقع الوكلاء للمرجعيّة الدينية بالنجف الأشرف، في نواحي ومدن عراقية، وربّما كان هناك غيرهم لم أهتدِ إليهم.

وهذه النقطة ذات أبعاد اجتماعية، وربما سياسيّة، إضافة إلى البعد الدينيّ، الذي ربط العلماء اللبنانيين بالنجف الأشرف، والمجتمع العراقي وشرائحه المختلفة. حيث يطّلع هؤلاء العلماء اللبنانيون، على أوضاع الإنسان العراقي عن كثب، ويتفاعلون مع آماله وآلامه، في أوضاعه المختلفة. وقد تعرّض بعض هؤلاء العلماء. إلى السجن ثم الإبعاد عن العراق، كما سيأتي في الفصل الثالث، وما يليه، إن شاء الله تعالى.

١- اتصال هاتفي مع الحاج عبد الرحيم الزين، يوم السبت، أخيه في ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٩هـ /٥ نيسان ٢٠٠٨م، بيروت.

٢- الموسوي عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/ ٣٧٢ .

٣- الموسوي عباس علي: علماء ثغور الإسلام ١/ ٤٠١.

٤- مقابلة شخصية بيروت في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني/ ١٤٢٨هـ الموافق ٢٤ نيسان ٢٠٠٧م ، ٣بعد الظهر.

لقد كان الوكلاء اللبنانيون، ناجحين في مهماتهم الدينية، حتى كانت بعض المناطق العراقية، تصرّ على أن يكون الوكيل لبنانياً، لما عرفوه من تفقههم وتميّزهم. ولا تزال العلاقات قائمة بالمراسلة والتواصل، بين بعض هؤلاء الوكلاء والمناطق العراقية، التي عاشوا بها. وصرّح عدد منهم: أنهم يتمنّون العودة إلى تلك المناطق!.

٤- قبور العامليِّين بوادي السلام

وهناك آصرة أُخرى، تشّد شيعة العالم ومنهم اللبنانيّون، بالنجف الأشرف ومقبرتها [١]، إذ لا تنتهي هذه العلاقة حتى بالموت! حينما يوصي الميت، بأن يُنقل جثمانه إلى مقبرة وادي السلام الى النجف الأشرف. حيث تضم أرض النجف الأشرف، جثامين كثيرة، من اللبنانيين الشيعة وهم على قسمين:

أ ــ المدفونون بالصحن الحيدري (نسبة إلى حيدر من أسماء الإمام علي عليه السلام) وحجراته، وهي حجرات للسور المحيط بالصحن [٢]، الذي يتوسطه ضريح الإمام علي بن أبي طالب، والتي يدفن فيها عادة العلماء الكبار، والملوك، والوزراء من الشيعة تاريخياً، منذ أيام البويهيين (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). وللعلماء اللبنانيين، حُجر تضمّ جثامين المشهورين منهم.حتّى أنّ بعض كبار الفقهاء العامليين، يقصدون النجف الأشرف في أواخر أعمارهم، بهدف الموت هناك، والدفن بمقبرتها، كما صنع السيد صدر الدين صالح شرف الدين [٣].

١- مقبرة النجف الأشرف التي تعرف بـ(وادي السلام)، أكبر أو من أكبر المقابر في العالم. حيث يدفن كل شيعة العراق، والعديد من بقية شيعة العالم، موتاهم بها. فلا توجد بمراكز المحافظات العراقية الشيعيّة (بابل، المثنى، القادسية، واسط ، ذي قار، ميسان، البصرة وأغلب بغداد) مقابر شيعيّة فضلاً عن البلدات والقرى: حيث ينقل الموتى إلى النجف الأشرف.(الباحث).

٢- وقد صممت لتكون مدرسة علمية أساساً، وبذا اختلف طرز الصحن الحيدري (السور المحيط بمرقد الإمام علي) عن بقية صحون بقيّة العتبات المقدسة الشيعية بالعراق. بوجود غرف في الطابقين الارضي والأول. (الغروي، محمد: الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، ص٢١٤).

٣- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ١/ ١٥٩.

إن الصحن الحيدري وحجراته، يضمّ رفات (٤٠) عالماً عاملياً، من مجموع (٥١٤) عالماً مدفوناً به[١]، كما أن إجراءات النظام العراقي السابق الأمنية القاسية، حالت دون دفن (١٠) علماء لبنانيين معاصرين به، فدفنوا في المقبرة العامّة[٢].

ب ــ المدفونون بمقبرة وادي السلام أي في المقبرة العامة، ويصعب إحصاء عدد اللبنانيين المدفونين هناك لتقادم الزمن، لكنّ هذه المقبرة تضمّ حالياً، ثلاث مقابر خاصّة باللبنانيين القديم منها والحديث[٣]. وإذا سألت مكاتب الدفن بالنجف، عن هذه المقابر دلُّوك عليها. إنّ نقل جثامين الموتى الشيعة، من لبنان إلى النجف، لم ينقطع حتى في أشد الظروف قساوة، وقد تحول دون الدفن هناك، إجراءات وتعقيدات قانونية أو أمنيّة، خاصّة مع شخصيات لبنانية، ذات مواقف سلبيّة، مع نظام الحكم السابق ببغداد[٤]. وقد تصل بعض الجنائز إلى الحدود العراقية، ولا يؤذن بدخولها[٥]، إنّ هذه

١- الفتلاوي، كاظم عبود: مشاهير المدفونين في الصحن الشريف، مواضع مختلفة.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ سلمان الخليل بيروت في ١٥ رجب ١٤٢٨ / ٢٩ تموز ٢٠٠٧ الأحد الساعة ٩ صباحاً.

(والشيخ سلمان بن علي الخليل، وأخوه التوأم الشيخ جعفر، هما أشهر المهتمين بشؤون الموتى، ونقل جنائزهم، ودفنهم، عند شيعة لبنان، كما وأنهما معروفان عند العراقيين، سلطة، وعلماء، وعامّة، خاصة النجفيين ، وبالأخص الدفّانين منهم: إضافة إلى كونهما من أشهر قرّاء القرآن الكريم، ولدا ببيروت سنة ١٩٣٢م. (والشيخ سلمان كان هو الطالب الأول، في الدورة التي أقامتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم، بالجامع العمري الكبير، ببيروت سنة ١٩٥٦م)، وكانا يقومان بمهمّات أُخرى، مثل إرسال الاستفتاءات، وحمل الحقوق المالية الشرعية، إلى مراجع النجف). (الباحث).

٣- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ سلمان الخليل أعلاه.

٤- كما حدث مع جنازة السيّد عبد الرؤوف فضل الله العاملي (ت: ١٤٠٤هـ/ ١٩٩٤م)، حينما نقلت من النجف، نظراً لمواقف ولده المرجع السيد محمد حسين فضل الله. وغيره من العلماء , وهو من المدفونين في المقبرة العامة حالياً. حيث كان رجال المخابرات العراقية يرافقون الجنازة من بغداد حتى النجف.(مقابلة شخصية مع الشيخ سلمان الخليل سابقة).(الباحث).

٥- كما حدث مع جنازة الشيخ علي العسيلي المتوفى، ١٤١٥هـ /١٩٩٥. (الموسوي، عباس: علماء ثغور الإسلام، ٢/٧٦).

القبور الخاصة بالعامليين، من الفقهاء بالصحن الحيدري وحجراته، تجعل طالب العلم اللبناني، المهاجر إلى الحوزة النجفيّة، منشدّاً إليها، عبر الشعور العميق، بالانتماء التاريخي والمعرفي بهذه الحوزة، ورجالها التاريخيّين. وأما إذا يمّم (هذا الطالب) وجهه، صوب مقابر اللبنانيين العامة بوادي السلام هناك، شعر أن قطعة من لبنان، قد انتقلت إلى أرض النجف. إن هذا الشعور وتلك الإيحاءات، أمور معدومة في أجواء حوزة قم، أو غيرها من البلدان.

إنّ ما سقناه من النقاط الأربع السالفة، جاء في بيان: بعض أوجه الحضور الفاعل، للحوزة النجفيّة في المجتمع اللبناني عامة [١]، والشيعيّ منه بخاصّة. وإلّا فإن هناك موارد أخرى لهذا الحضور.

ومن هذه الموارد، على سبيل المثال، النجف الأشرف في الشعر العاملي، طريقة خطباء المنبر الحسيني العراقيّين، واستخدام الشعر الشعبي العراقي في رثاء شهداء كربلاء، العادات الاجتماعية النجفيّة في المجتمع اللبناني العاملي[٢]، التزاوج والمصاهرة بين النجفيّين والعامليّين، السياسيون والصحفيون العامليّون في السياسة والصحافة العراقيّتين، الأسماء النجفيّة في الأسر العاملية، وغيرها.

وبهذه النقطة من المبحث الثاني، نكون قد انتهينا من بيان، أبرز أوجه الترابط بين النجف ولبنان. وأحسب أنّ صورةً واضحة قد تكوّنت، عن مدى التأثير والحضور الفاعلين، للحوزة النجفيّة في المجتمع اللبناني الشيعي، وخاصة الحوزويين منهم، علماء وطلبة، وهي صورة مهمّة، تشكّل أرضية لا

١- من خلال العلماء والأدباء والشعراء النجفيّين، وحضورهم في المجتمع اللبناني، وبقيّة المجتمعات الإسلامية والعربية عامة. أو من خلال الأعلام اللبنانيين من خريجي الحوزة النجفيّة، وتأثيراتهم المختلفة، في مجمل الأحداث والمواقف اللبنانية، سياسية، أدبية، ثقافية وغيرها. (الباحث).

٢- ألقى السيد حسين شرف الدين، بحثاً في العادات الاجتماعية النجفية، في المجتمع اللبناني، بمبنى السفارة العراقية ببيروت يوم السبت ٢٢ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ/ ٧تموز ٢٠٠٧. (الباحث).

بدّ من الإحاطة بها، لفهم فصلي الحوزات المعاصرة والمرجعيّة.

أما إذا لاحظنا القطب الشيعي الآخر، الذي كاد أن يحلّ في السنين الأخيرة، مكان الحوزة النجفيّة، أي الحوزة القميّة بإيران[١]، حتى لا نكاد نجد طالب علم شيعي لبناني واحد بالنجف اليوم، بينما هم عشرات متعددة بقمّ حالياً. مما سيكون لهذا التحوّل أثرهُ البالغ، لا على الدراسة الحوزويّة العلميّة فحسب، بل ستمتد آثاره إلى موضوعات مهمّة وحساسة، في الفكر والواقع الشيعيّين بالعالم، ومثاله الأبرز في لبنان، أطروحة ولاية الفقيه، والمرجعيّة الدينية السياسيّة والأولويّات الثقافيّة والنشاطات الفكرية.

إذا لاحظنا كل ذلك، فلا بدّ من أن نسعى لنكوّن صورة أخرى، عن الوجود الشيعي اللبناني بالحوزة القميّة، وتاريخ هذا الوجود.

العلماء اللبنانيون في الحوزة القميّة

كان قد مرّ بنا في الفصل الأول، أنّ أول لقاء معرفي، بين العلماء اللبنانيّين الشيعة، وبين المرجعيّات الشيعية الكبرى، كان بحوزة الحلّة، حينما سجّل الشيخ إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت: ٥٨٠هـ)، كأول طالب علم لبناني مهاجر إلى العراق.

وفي ذلك الحين، لم يكن هناك ذكر لقمّ أو لحوزتها، بل لم يكن الأمر كذلك لقرون طويلة، لقد كانت قم آنذاك مدينة إيرانية شيعية قد شهدت نشاطاً علميّاً شيعيّاً؛ تجسد في مدونات حديثية في القرن الرابع الهجري، ولكنها لم تبرز (حوزويّاً) حتى في عهد الدولة الصفويّة، التي استقطبت بعض الفقهاء اللبنانيين الشيعة، لتوطيد أسسها، كما مرّ سابقاً، بل أن هذه المدينة لم يمرّ لها ذكر، في أحداث الدولة الصفويّة وتطوّراتها.

كما لم يذكر أن عالماً لبنانياً، كان قد توجه إلى قم، لمزاولة الجهد العلمي الحوزوي، لسبب واضح وبسيط؛ وهو خلوّ مدينة قم في تلك الفترة،

١- وسنقف على أسباب ذلك بعد صفحات قليلة. (الباحث).

من الأجواء العلميّة الحوزويّة، بينما برزت مدينة أصفهان[1] - وما تزال - كمدينة ذات حوزة علميّة مهمّة، بدأت منذ أيام الصفويّين. ولكن لم توثّق نشاطات علميّة للعلماء اللبنانيين بالحوزة الأصفهانية آنذاك، إذ كان الفقهاء العامليون فقهاء دولة، ولم يتفرغوا للعمل الحوزوي، نعم كان النشاط الحوزوي العاملي قد سجّل، بعد هجرة أعلام من أسرة شرف الدين الى قم (كما سيأتي).

والحدث الأبرز في العلاقة التاريخيّة حوزويّاً، بين علماء جبل عامل وإيران عموماً (وليست حوزة قم خاصة)، كان في هجرة العلماء العامليين، هرباً من محنة أحمد باشا الجزّار (ت: ١٢١٩هـ)، كما سبق بيانه.حيث شكّل هذا الحدث، تقارباً جغرافياً، بين مكان هجرة هؤلاء العلماءَ الى النجف الأشرف – ومنها الى إيران ومدنها وحوزاتها.

وكان السيد محمد بن السيد صالح شرف الدين، المعروف بصدر الدين (١١٩٣ ـــ ١٢٦٠هـ)، أول فقيه لبناني يترك النجف الأشرف إلى قم، عام (١٢١٧هـ) للدراسة على أحد العلماء هناك،وهو الميرزا القمّي المعروف بصاحب القوانين (ت: ١٢٣١هـ) ،وذلك سنة (١٢٢٦هـ)، ولمدة ستة أشهر فقط، ثم ترك قمّ إلى أصفهان؛ حيث وجد اهتماماً كبيراً من أبرز علماء حوزتها، والتمسوه للبقاء عندهم. وهذا ما فعلهُ السيد محمد، وهو جدّ أسرة آل الصدر الموجودين بإيران حالياً. وخلّف علماء، كانت لهم منزلة كبيرة بأصفهان، وآثارهم؛ من مساجد ومدارس، لا تزال قائمة لحدّ الآن.

ولم ينقطع هؤلاء العلماء، عن النجف وحوزتها، رغم اتخاذهم أصفهان موضعاً لهم.

١- أصفهان : وأصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عطائها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد – معناها (بلاد الفرسان) ، صحية الهواء نفيسة الجوّ خالية من جميع الهوام، تربتها أصحّ تراب الأرض، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٩هـ. وخرج من أصفهان العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن... قيل فيها شعر كثير ... (الحموي، ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٠٦ – ٢٠٩).

أمّا أوّل من قطن (قم) واستقرّ بها، ودعم حوزتها من العلماء اللبنانيين، فكان فقيهاً من آل شرف الدين (الصدر) كذلك. وهو السيد صدر الدين بن إسماعيل بن محمد بن صالح شرف الدين الموسوي، (واسمه محمد علي لكن لقبه غلب عليه)، عاش بين (١٢٩٨ ـــ ١٣٥٥هـ) [١] ،حيث كان قد درس على الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري (ت: ١٣٥٥هـ/ ١٩٦٣م) (مؤسس الحوزة القميّة)، بسامراء بالعراق. وكان لذلك الدرس أكبر الأثر، في توثيق علاقة الشيخ الحائري بالسيد صدر الدين، حتى إذا حلّ الشيخ بقم، سنة (١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) [٢]، قام باستدعاء السيد صدر الدين إليها، وكان يشير إليه في تَبَوُّء موقع المرجعيّة بعده[٣]،وكانت بداية تأسيس حوزة قم في سنة ١٣٤٥هـ، (وهو تاريخ حديث ومتأخر جداً، عن حوزة النجف الأشرف، بل عن بقية الحوزات الشيعية، حتى الإيرانية منها (كأصفهان، ومشهد) وكان هناك فقيهٌ عاملي، أسهم في بروزها علميّاً وتقويتها مرجعيّاً.

ورغم هذا السبق العاملي في حوزة قم، فإن هذه الحوزة لم تستطع منافسة حوزة النجف، في نواحٍ عدة، ومنها استقطاب علماء وطلبة من اللبنانيّين إليها، إلّا في أفراد معدودين جداً.

فقد عرف الشيخ إبراهيم آل مروّة العاملي (ت: ١٣٧١هـ / ١٩٥١)، من علماء جباع الذين هاجروا إلى النجف، ودرسوا على أكابر علمائها، ثم سافر إلى خراسان وعند عودته مرّ بقم، فسكنها واشتغل بالتدريس، وصار من أئمة الجماعة هناك[٤].

كما وهاجر إلى حوزة قم، من صور، أحد أبناء الإمام السيد عبد

١- وهو والد الإمام السيد موسى الصدر ذائع الصيت. (الباحث).

٢- (الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر في النجف، ٣/ ١٣٦٥). (حرز الدين محمد: معارف الرجال، ١/٦٥).

٣- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين ١/٢٤٤.

٤- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام ١٩/٢٢.

الحسين شرف الدين، وهو السابع منهم، السيد عبد الله شرف الدين (ولد سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥ م) الذي هاجر إلى قم سنة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)[١] وقال عن سبب اختياره حوزة قم آنذاك : "كان ذلك باختيار مني، حيث ذهبت إلى قم، وتزوجت بامرأة من نسائها، فطاب لي المقام هناك". وعن رأي أبيه العلامة السيد عبد الحسين، فقال: "إنه لم يعارض وترك المسألة لي"[٢]. في حين أن خمسة من أخوته توجّهوا إلى النجف [٣].

يقول أحد العلماء اللبنانيّين الذين كانوا بالنجف، في سبعينيات القرن الميلادي المنصرم: "وكنّا نسمع أن عالماً لبنانياً في قم، وهو السيد عبد الله شرف الدين، ثم يضيف: "إن أول من هاجر من العلماء اللبنانيّن، بعده من النجف الأشرف إلى قم، كان السّيد جعفر مرتضى، ثم الشيخ محمد علي برّو، ثم أخذت الهجرة تزداد نحو قم، مع اشتداد الأزمة الأمنية في النجف"[٤].

وهكذا بدأ الطلبة اللبنانيّون، أفراداً قلائل، يغادرون حوزة النجف، تجاه قم وحوزتها.

وكانت الظروف الأمنيّة الخانقة، التي تزداد وطأتها على حوزة النجف الأشرف، هي السبب الأهم والأبرز، في تغيير وجهة الدراسة على رغم الأعداد القليلة منهم[٥].

١- شرف الدين، عبد الحسين : بغية الراغبين، ٢/ ٤٢٥.

٢- مقابلة شخصّية مع السيد عبد الله بن عبد الحسين شرف الدين، مدينة صور، السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ / ١ آذار ٢٠٠٨م الساعة ٤ عصراً.

٣- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ص: ٣٤٥ – ٤٢٦.

٤- مقابلة شخصية مع السيّد عباس علي الموسوي، مؤلف كتاب (علماء ثغور الإسلام)، بيروت ، الثلاثاء في ٢ربيع الثاني ١٤٢٨هـ /٨ آيار – ٢٠٠٧م الساعة ٨ مساءً.

٥- فقد صرّح لي السيد محمد كاظم فضل الله (ولد سنة ١٣٧٤هـ /١٩٥٤م). إن خبر إعدام العلماء العراقيين الخمسة سنة ١٩٧٤ (وكانوا قياديين في حزب الدعوة الإسلامية)، هو الذي غير اتجاه هجرته العلمية من بيروت إلى النجـــف الأشرف، لتكون إلى مدينة قم، في تلك السنة اي ١٩٧٤م. (مقابلة شخصية، بيروت، الأحد ٥ شعبان ١٤٢٨ /١٩ آب ٢٠٠٧م، الساعة ١١ صباحاً).

وكان عدد الطلبة اللبنانيّين، القاصدين إلى حوزة قم، لا يتجاوز طالباً واحداً كل سنة فقط، ولما جاءت سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ ارتفع عددهم إلى (١٣) طالباً، ثم وصل عدد الطلبة المهاجرين إلى قم سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (١٨) طالباً [١]. (وقامت الحوزات الموجودة بلبنان، باستقطاب العدد الأكبر من الطلاب، الذين ازدادت أعدادهم أوائل الثمانينيات، وستتضح الصورة أكثر في الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى).

والملاحظ، أنّ الغالبية العظمى من العلماء اللبنانيين، العائدين إلى لبنان، بعد خروجهم الاضطراري من العراق، بقوا في لبنان ولم يوجّهوا مسيرتهم إلى مدينة قم وحوزتها. فقد بلغ عدد الطلبة والعلماء اللبنانييّن، من الذين كانوا بالنجف، ثم التحقوا بقمّ (١٤) طالباً وعالماً، من مجموع (٢٢٠)، أي بنسبة (٦.٣%) من الذين كانوا بالنجف ثم عادوا إلى لبنان[٢]. وكان بعض هؤلاء العلماء الذين بقوا بلبنان المادّة الأهم والباعث الأكبر، على بروز حوزات لبنانية (معاصرة)، وتوسيع الموجود منها سابقاً وتنشيطها.

واعتماداً على المرجع نفسه في ما ذكرنا من أعداد وإحصائيات، والذي ترجم لـ (٣٧٣) عالماً وطالب علم لبناني معمّم، (وليس كلّ الطلبة الدارسين قبل اعتمارهم العمائم). فقد بلغ عدد الطلبة والعلماء (المترجم لهم في هذا الكتاب) الدارسين بالنجف (٢٢٠) عالماً بنسبة ٥٨.٩%، والدارسين بقم (٧٤) عالماً، بنسبة ١٩.٨%، ونفس العدد والنسبة للدارسين بلبنان[٣].

١- الموسوي، عباس: علماء ثغور الإسلام (إحصائية استقيتها من تراجم المذكورين في الكتاب). (الباحث).

٢- واهم أسباب إعراضهم عن السفر إلى قم ما يلي: أ – شعورهم بالاكتفاء العلمي مما أخذوه عن النجف وحوزتها،ب– عدم تصورهم لمستوى علمي رفيع بقم يمكن ان يعطيهم أكثر مما عندهم. ج– حاجة الساحة اللبنانيّة الى نشاطاتهم العلمية والحوزوية. د – وربما كان لبعضهم أسباب سياسيّة حالت دون السفر الى قم. (من مجموعة لقاءات وحوارات، مع بعض هؤلاء العلماء العائدين من النجف) الباحث.

٣- وهذا الكتاب ترجم للعلماء اللبنانييّن من ١٣٧٠– ١٤١٩هـ/ ١٩٥٠–١٩٩٩م، وأمّا لو ترجمنا الموجودين في هذه السنين الأخيرة، فإننا سنجد أن عدد خريجي قم من العلماء اللبنانييّن هم=

إن نسبة الطلّاب اللبنانيّين الدارسين بلبنان هذه، تعني بروز دور الحوزات اللبنانية المعاصرة، في إعداد العلماء الشيعة. فلقد كانت سنتا (١٣٩٩ و١٤٠٠هـ / ١٩٧٩ و١٩٨٠م) السنتان اللتان حدث فيهما التغيّر الأبرز، وطوال قرون في ظاهرة الوجود اللبناني الشيعي بالحوزة النّجفية. فمن جهة؛ كان النجاح المدوّي الذي هزّ العالم والمنطقة، في بداية عام ١٩٧٩م، حينما سقط نظام الشاه[1]، وقام نظام الجمهورية الإسلامية بإيران، ومن جهة أُخرى معاكسة، تمثّلت في اشتداد الأزمة السياسيّة الأمنيّة بالعراق، على حوزة النجف، حتى كان إعدام المرجع السيد محمد باقر الصدر[2]، في الشهر الرابع من سنة ١٩٨٠م قمّة الأزمة، التي لم تُبقِ للبناني من طلاب الحوزة وعلمائها موطئ قدم، ليس في النجف فحسب بل وفي العراق كلّه.

وفيما كانت حوزة قم تشهد بداية عصرها الذهبي، وهي تستقطب العلماء والطلبة المهجّرين أو المهاجرين إليها، من حوزة النجف، التي تقلّص فيها الحوزويون من علماء وطلبة، من ثلاثة عشر ألف[3] إلى خمسمائة

= في ازدياد، مع بقاء عدد خريجي النجف ثابتاً إن لم يقل عددهم بالموت، حيث يقصدون قم وليس النجف، في ظاهرة هي الأولى في تاريخ الحوزات اللبنانية. (الباحث).

١- الشاه أي الملك باللغة العربية. هو محمد رضا بهلوي، ولد بطهران ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م. واستلم مقاليد الحكم بعد تنازل أبيه (رضا بهلوي) عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، غادر البلاد عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م على إثر عودة الإمام روح الله الخميني من منفاه وقيام الثورة الإسلامية، مات بالقاهرة، ودفن بها عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. (الباحث).

٢- محمد باقر الصدر "ابن السيد حيدر بن إسماعيل مجتهد جليل وكاتب مفكر وعبقري فاضل ومؤلف ورع صالح، نشأ في أحضان اسرة علمائية عربيّة ولد ببغداد عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م بعد أخذ المقدّمات بالكاظمية ببغداد ورحل إلى النجف الأشرف فدرس على أكابر مراجعها وعرف بنبوغه المبكر، أصدر مصنفات لا زالت تتصدر المؤلفات الإسلامية لحد الآن، مثل كتبه: اقتصادنا وفلسفتنا والأسس المنطقية للاستقراء، من المهتمين بإصلاح مناهج الحوزة، فكانت (حلقات في علم أصول الفقه)، تخرّج على يديه مجموعة من العلماء الأفاضل. استشهد في نيسان ١٩٨٠ م/ في جمادى الثانية ١٤٠٠هـ) ، (الحسيني – محمد: محمد باقر الصدر، المقدّمة) (الأمين، محمد هادي، مع رجال الفكر والأدب في النجف، ٢/ ٨٠٩).

٣- الحائري، علي أكبر: حوزة النجف إنجازات ومآسي ص٨٩، مجلة التحقيق والحوزة (عدد خاص بحوزة النجف) ١٤٠٣هـ/ ٢٠٠٤م.

شخص فقط[1] غالبيتهم في وضع اختفاء، وكلهم في وجل وقلق. ويبدو أن البيت الشعري ذائع الصيت:

بـذا قـضـت الأيـام مـا بـيـن أهـلـهـا   مـصـائـب قـوم عـنـد قـوم فـوائـد [2]

كما يُستشهد به على البشر أفراداً أو مجموعات، يمكن أن يُستشهد به على المدن والمؤسّسات، وموضوع دراستنا حول (الحوزات اللبنانيّة)، يمكن اعتباره مصداقاً جليّاً لما جرى على حوزة النجف الأشرف ومنتسبيها، من مصائب وعظائم. حيث تعرض اللبنانيون فيها إلى أصناف المضايقات، حتى أُجلوا عن ساحة علميّة، لم يفارقوها منذ قرون، أجيالًا بعد أخرى. فمنذ (سنة ١٩٦٨ م/ ١٣٨٨هـ)، حينما استلم نظام (حزب البعث العربي الاشتراكي)[3] ،مقاليد الحكم في العراق، باتت النجف وحوزتها، عرضة لأزمات ومحن متلاحقة، ويمكن رصد هذا التطوّر (بالنسبة للبنانيّين بالحوزة النجفية) ضمن خطوات:

١- توجّس بعض العلماء اللبنانيّين، من الأوضاع الأمنيّة والسياسيّة، فاستبقوها وأخذوا بالهجرة الطوعيّة - على مضض - من النجف الأشرف عائدين إلى بلادهم، وأفراد قلائل منهم توجهوا إلى قم.

٢- تحذير بعض الطلبة والعلماء اللبنانيين، القادمين إلى لبنان في إجازة، بالبقاء به، وعدم العودة للعراق، إثر تعقّد بعض الأوضاع الأمنية.

٣- أخذت أعداد الطلبة اللبنانيين، القادمين إلى النجف تقلّ، وإن جاءت فهي تجيء

١- البهادلي، علي: الحوزة العلمية في النجف الأشرف /ص ٣٦٢.

٢- للشاعر أبي الطيب المتنبي. (الباحث).

٣- حزب البعث الإشتراكي العربي، حزب قومي، أسسه ميشيل عفلق (ولد بدمشق سنة ١٩١٠ – ١٩٨٩م ببغداد)، وصلاح الدين البيطار، في سوريا. تأسست فروع للحزب في البلدان العربية، افتتح مؤتمره الأول عام ١٩٤٧م، وكان باسم (حزب البعث العربي)، وفي سنة ١٩٥٢ اندمج مع الحزب العربي الاشتراكي، فصار حزب البعث العربي الاشتراكي... اشترك في انقلاب شباط ١٩٦٣ ببغداد حتى تمكن من السيطرة على الحكم. وعاد لحكم العراق في تموز ١٩٦٨م. (الزبيدي، حسن لطيف: موسوعة الأحزاب العراقية، ٣٢٧ – ٣٢٨).

على خوف وترقّب وحذر، وتوصيات من اللبنانيين المقيمين بالنجف بمزيد من الحذر، وعدم الاختلاط بالطلبة العراقيين، لئلا تصل إليهم الشبهات الأمنيّة[1].

٤- كان لبروز المرجع السيد محمد باقر الصدر، ذي الأصول اللبنانية، وابن عمّ الزعيم السيد موسى الصدر وصهره، وهو المفكر الإسلامي الحركي، وحيث كان من مؤسّسي حزب الدعوة الإسلامية [2] كان كلّ ذلك ، وربّما أمور أُخرى، إعداداً لمواجهة لا بدّ منها، بين الطلبة اللبنانيّين وبين نظام الحكم العراقي. حيث بدأت المضايقات تتركز، على العلماء اللبنانيين الذين يحضرون درس المرجع الصدر. ويزداد التركيز على الذين يرتبطون بعلاقات أوثق، مع الطلبة العراقيين من حزب الدعوة الإسلامية، الذين يحضرون الدرس خاصة.

٥- اعتقال وتسفير بعض العلماء اللبنانيين، كحالات فردية، منذ ١٩٦٨ ـــ ١٩٧٩م.

٦- التضييق على الوكلاء اللبنانيين، في المدن والنواحي العراقية، حيث يكونون في تماسّ مباشر مع العراقيين ومشكلاتهم، ومنها السياسية، والأمنية، معهم ومع نظام حكمهم.

٧- الهجوم المباشر على المدارس الدينيّة، التي كان يوجد فيها الطلبة اللبنانيون بالنجف، مثل المدرسة اللبنانية، وجامعة النجف، ومدرسة اليزدي، واعتقال من فيها، ثم تسفيرهم قسراً إلى لبنان، بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران في شباط ١٩٧٩م، واشتراك بعض الطلبة اللبنانيين، في مسيرة تأييد لها بالنجف

١- مقابلة شخصية مع الشيخ محمد بن محمود الكوثراني، بيروت، الخميس في ٢٢ جمادي الثانية ١٤٢٨ الموافق ٧ حزيران ٢٠٠٧م، الساعة ٢ بعد الظهر.

٢- حزب الدعوة الإسلامية: أول حزب إسلامي في العراق له منهجية وخطاب حركي وثقافة حزبية، وأسس في ظل المرجعية ورعايتها، وضمّ عدداً كبيراً من رجال الدين و(الأكاديميين) والمثقّفين فيما بعد. تأسس في ربيع الأول ١٣٧٧هـ/ تشرين الأول ١٩٥٧م ، وعقد الاجتماع التأسيسي الأول له، في منزل المرجع السيد محسن الحكيم بالنجف الأشرف. ثم مؤتمر كربلاء بعد ثورة تموز ١٩٥٨م. قسم العمل بنظام المراحل: التغييرية، السياسية، الثورية، وإقامة النهج الإسلامي، في عام ١٩٧٤ أعدم خمسة من قياداته، وتكبد خسائر فادحة في مواجهة النظام العراقي، حتى أعدم السيد محمد باقر الصدر ١٩٨٠م. (الزبيدي، حسين لطيف: موسوعة الأحزاب العراقية: ٣٣٦ – ٣٣٧).

الأشرف.

٨- إحالة بعض الطلبة اللبنانيين، إلى القضاء العراقي، والحكم عليهم بالسجن، حتى وصل إلى الإعدام، ثم خفّف إلى المؤبّد[١].

٩- القضاء على البقية القليلة الباقية بالنجف، عقب أحداث آذار ١٩٩١م، بما عرف بـ (انتفاضة شعبان ١٤١١هـ)، حيث اعتقل من كان موجوداً منهم وضاعت أخبارهم[٢] ثمّ عُرفت بعض أسمائهم، في ما عرف بالمقابر الجماعيّة التي اكتشفت عام ٢٠٠٣م/ ١٤١٣هـ. (راجع الملحق (٤) أسماء بعض اللبنانيّين المفقودين بالعراق).

وسنجد في الفصل القادم ـــ إن شاء الله ـــ المتعلّق بالحوزات اللبنانية المعاصرة، أن تأسيس العديد منها وتقوية الموجود منها، كان من آثار عودة الطلبة اللبنانيين المُبعدين من النجف الأشرف، حيث لا تزال قلوبهم معلّقة بالنجف وحوزتها وذكرياتها، وسنقف على شواهد مما ذكرنا.

إنّ الإبعاد القسري عن النجف الأشرف، لم يُبرىء جراحاته تطوّر الحوزة القمية، وتغيير مسار الطلبة اللبنانيين إليها، كبديل عن حوزة النجف العريقة، مما يعني أنّ للنجف وحوزتها، حضوراً لافتاً، يتعدى الأجواء العلميّة، ويمتد إلى أبعاد نفسيّة وعاطفيّة واضحة، إضافة إلى الأبعاد الدينيّة المذهبيّة.

١- كما حدث للشيخ محمد الكوثراني (قيادي في حزب الله حالياً)، بتهمة الانتماء لحزب الدعوة الإسلامية، مقابلة شخصيّة سابقة، ص ٢١٥.

٢- الموسوي ، عباس علي: علماء ثغور الإسلام ١/ ٤٠٩.

الفصل الثالث

حوزات لبنان المعاصرة

تمهيد :

هذا هو الفصل الثالث في بحثنا، وهو فصل يهتم بدراسة الحوزات المعاصرة بلبنان من حيث نشوئها تاريخياً، وأقسامها، وأوصافها، ضمن دراسة ميدانيّة، أملت علينا التجوال على أكثرها، وإجراء مقابلات شخصيّة في السعي لإجلاء صورتها ما أمكن، بعد غياب مصادر، أو مراجع، يمكن الركون إليها، إلّا بعض أبحاث متناثرة، محدودة الأبعاد قليلة العدد. كلّ ذلك في المبحث الأول، ثم يأتي المبحث الثاني، ليتناول بالدراسة والتحقيق والمقارنة،آفاق هذه الحوزات، ومهمّاتها، وأدوارها، وتأثيراتها في المجتمع اللبناني، ومستقبلها، وكلّ ما من شأنه الإحاطة –ما أمكن– بهذه الحالة الدينيّة– الاجتماعة المعاصرة.

ويمكن القول إنّ الفصلين السابقين، كانا بمثابة المقدمتين اللّتين لا بدّ منهما، للوصول الى (حوزات لبنان المعاصرة) التي كانت عنوان البحث الأساس، كما أن هذا الفصل يعتبر البوّابة للدخول، إلى مسألتين من أمّهات المسائل، في الكيانات الإسلاميّة الشيعيّة المعاصرة وهما (المرجعيّة الدينيّة) و (ولاية الفقيه) ومدى تأثيرهما في حوزات لبنان المعاصرة، ممّا يعني تأثيرهما – بالضرورة – على الواقع الإسلامي الشيعي، ومنه اللبناني بشكل خاص .

وكنّا قد أرّخنا الحوزات الشيعيّة اللبنانيّة، في مرحلتها الأولى، بحوزة جزّين، التي أنشأها الشيخ محمد مكي الجزيني، سنة (٧٦٠ هـ)، المعروف بالشهيد، أو الشهيد الأول، وقد انتهت تلك المرحلة، مع أيام والي عكا أحمد باشا، المعروف بالجزّار (ت: ١١٩٥هـ). كما أرّخنا لمرحلتها الثانية، من سنة تأسيس حوزة الكوثرية سنة (١٢١٩ هـ)، والتي انتهت بدورها في حدود سنة (١٣٥٠هـ/١٩٣١م).

وهي السنة، التي قال عنها السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١ه/ ١٩٥٢م)، في خططه: "أما اليوم فلم يبقَ في جبل عامل، من أدناه إلى

أقصاه، ما يقال له مدرسة دينية"[1]، و كان تحقيقنا قد أوصلنا الى أنّ تاريخ هذا الرأي كان سنة (١٣٥٠هـ /١٩٣١م).

وقد يتعارض هذا التاريخ، مع ما أثبتناه في الفصل الثاني، من وجود حوزات، أو مدارس علميّة، بجبل عامل، بعد هذا التاريخ الذي ذكره الأمين، مثل: حوزة النبطية و مدرستها (الحميديّة)، التي خرّجت أعلاماً في الفقه، والأدب، و الإعلام ، و السياسة، والتي أرخناها سنة: (١٣٦١هـ /١٩٤٢م)، فكيف يتم التوفيق بين القولين؟[2].

يمكن أن يقال هنا[3]:

١– أن السيّد الأمين، لم يقصد كلّ مناطق جبل عامل استقصاءاً، ويرد عليه دقيق قولهِ: "فلم يبقَ في جبل عاملٍ من أدناه إلى أقصاه"، أي أنه استقصاها جميعاً.

٢– إن حوزة النبطية تحوّلت، بعد وفاة السيد حسن يوسف (مكي) سنة(١٣٢٤هـ/١٩٠٥م)، من حوزة على النمط التقليدي المألوف، للدراسات الدينية الشيعية، إلى مدرسة حديثة. حتّى صار اسمها (المدرسة الحميديّة)، نسبة الى السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، وهو أمر لم تألفه الأجواء الشيعيّة. وحيث أدخلت مناهج دراسية حديثة; كاللغات الأجنبية مع بقاء اهتمام واضح بالدروس الفقهية. ولهذا كان قول السيد الأمين واضحاً: " فلم يبق في جبل عامل، من أدناه إلى أقصاه، ما يقال له مدرسة دينية"، فهو لم ينفِ وجود المدارس، ولكنّه نفى ذلك النمط التقليدي المعروف، من الدراسات الدينية الشيعية، وهو الأمر الراجح والمختار هنا.

ومهما يكن من أمر، فقد شهدت الساحة اللبنانية الشيعية، غياباً حوزياً كبيراً لما يقارب من ربع قرن، وهذا لا يعني غياب عالم يدرس أفراداً في بيته،

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص ١٦٤.

٢- الفصل الثاني،ص١٦٣.

٣- سبق أن أشرنا إلى هذا الموضوع/ في نهاية بحثنا، عن حوزة النبطية، في الفصل الثاني ص١٦٦ ، من زوايا أخرى تقريباً. (الباحث).

أو مسجده في هذه القرية، أو تلك، من قرى جبل عامل، و لكن الحوزات الدينية أفلت، بشكل واضح, على الرغم من وجود علماء كبار، مثل: السيد عبد الحسين شرف الدين (ت: ١٣٧٩هـ / ١٩٥٨م)، والذي كان يشكو بنفسه من قلة طلاب العلم الديني آنذاك ، بقوله "يا لله ... لا يوجد طالب علم واحد في كلّ جبل عامل!"[١].

كما أنّ قرى جبل عامل، و مدنه، شهدت هجرةً علمائية واسعة، باتجاه النجف الأشرف، حتى استوطنتها، بل وحصل بعض أفرادها، على الجنسية العراقية. وهناك بيت شعر، لعالم عاملي كبير، يحث أقرانه على ترك لبنان، والهجرة إلى النجف وحوزتها:

فانهضْ إليه و دع من يرتضي وطناً   مدافع البحر من بيروت و اليافا[٢]

ومع ذلك فقد وصل "عدد الطلبة اللبنانيين بالنجف الأشرف عام ١٩٤٩م، إلى خمسة عشر طالباً فقط"[٣]

كما وأكّد بعض كبار العلماء، خلو لبنان في تلك الفترة، من وجود حوزة علميّة[٤].

وكان إذا ما ادلهمت الأيام بوجه أحد العلماء الكبار، هدد مجتمعه بالعودة إلى النجف، والمكوث هناك[٥].

١- مقابلة شخصية مع ولده، السيد عبد الله شرف الدين، صور، السبت ٢٣ صفر ١٤٢٨ هـ / ١ اذار ٢٠٠٨م/الساعة ٤ عصراً. ص.١٧٧

٢- البيت من قصيدة، للسيد نجيب الدين فضل الله (ت: ١٣٣٦ هـ /١٩١٧). (حرز الدين ، محمد: مراقد المعارف، ١٨٧/٣).

٣- الموسوي، عباس: مع علماء ثغور الإسلام، ٣٩٠/١. و هو عدد يبدو قليلًا جداً، إلّا إذا قلنا أنهم قد توزعوا في مناطق عراقية عدة (الباحث).

٤- مقابلة شخصية مع الشيخ حسن طراد، بيروت، الأربعاء ٣٠ اذار ٢٠٠٥م/ ١٩ صفر ١٤٢٦ هـ، الساعة ١١ صباحاً.

٥- كما صنع السيد عبد الحسين شرف الدين، بصور عام ١٣٦٣ هـ /١٩٤٤م، (شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ٤٨٦/٢).

أسباب انقطاع الحوزات اللبنانيّة:

ويمكن أن تعود الأسباب التي أدّت إلى انقطاع الحوزات العلمية، عن بلد كان له الحضور الكبير، في عالم الفقه و الفقهاء، إلى ما يلي:

١– التغيّرات الكبرى، التي ألمّت بعامة البلدان الإسلامية، من خلال الحربين العالميتين الأولى و الثانية، و الإرباك الذي عاشته الأمة آنذاك.

٢– سوق العديد من العلماء، و طلبة العلوم الدينيّة، من قرى جبل عامل، و مدنه، جنوداً في جيش الدولة العثمانية[١]، حتى قتل البعض منهم، مما ترك أثراً سلبياً على الدراسة الدينية، حيث راح العلماء يهاجرون، أو يختفون عن الأنظار.

٣– انفتاح باب الهجرة، إلى القارّات :كالأمريكيتين، و أفريقيا، و أستراليا. إذ شهدت مناطق لبنانية عديدة، هجرة واسعة، و منها ما حلّ ببلاد جبل عامل، حيث فتحت أبواب جديدة، أمام عامة الناس، و قد شمل ذلك بعض الراغبين بالدراسة الحوزوية.

٤– الغزو الفكري و الأخلاقي، الذي حل بالمسلمين وبلدانهم، من اتجاهات إلحاديّة، أو قومية، أو تبشيرية نصرانية، والتي أدّت إلى صرف عقول بعض الشبان الراغبين بالدراسة الحوزوية. بل إنها أوغلت في إفساد العقائد والأفكار، حتى خلع بعض المعمّمين عمائمهم، وتلبسوا بلبوس الشيوعيّة وغيرها.

ولهذا الغزو الثقافي والفكري، تأثير سلبي آخر، حيث حال تصدي بعض العلماء الواعين له، دون إنشاء حوزات علمية، كما صنع السيد عبد الحسين شرف الدين بصور، حيث وجد أن تأسيس مدارس حديثة، تراعي التربية الإسلامية، في دروسها، قد يكون أكثر إلحاحاً من إنشاء حوزات

١- شرف الدين، عبد الحسين: بغية الراغبين، ٤٥٢/١. حيث أورد أسماء بعض العلماء المساقين للحرب منهم: السيد محمود بن إسماعيل شرف الدين، الشيخ محمد دبوق، الشيخ طالب بن محمد البياضي، والسيد عبد المطلب نور الدين، وذلك في سنة ١٣٠٤ هـ ، إلى مقدونيا في "جماعة من أهل الفضل".

علمية.

٥- كانت حوزات جبل عامل، في وجودها، تمثل المجال العلمي الوحيد، لكل راغب بالعلم، فلم تكن هناك مدارس، أو جامعات تنافسها في مهماتها من بعض الوجوه. ومع وجود المدارس الحديثة، و انتشارها بجبل عامل، أُسوة ببقية المناطق، ثم الثانويات، فالجامعة، وما تهيؤه من شهادات، تنفتح على مجالات الوظيفة، و المواقع الاجتماعية البراقة؛ فإن الحوزات واجهت تحدياً حقيقياً، ولم يبق فيها إلا الراغبون بطلب العلم الديني فقط، من بعض الأسر العلمية، و قليل من غيرهم[١].

هذه خمسة أسباب قد تفسر ظاهرة انقطاع الدراسات الحوزوية اللبنانية.

وبالعودة إلى بحثنا، حول ظاهرة غياب الحوزات العلمية، عن لبنان، في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي، فإن الملاحظ، أن حوزة النجف الأشرف،و مرجعيتها آنذاك، لم تول مسألة الحوزات بلبنان اهتماماً، كما كان الأمر مع الدعوة المباشرة، من مرجعيّة النجف، لاستئناف الدراسات الحوزوية بلبنان، بعد انتهاء محنة الجزار سنة ١٢١٩هـ (المرحلة الثانية من الحوزات اللبنانية).

ولكن يُسجّل لأحد المراجع البارزين، في تلك الفترة، بالنجف الأشرف، وكان ممن له علاقات وطيدة مع جبل عامل و علمائه، وهوالسيد محسن الحكيم (ت:١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) و الذي كان أبوه السيد مهدي الحكيم، مبعوث المرجعية إلى بنت جبيل، حيث كانت له اهتمامات واضحة، بإنشاء حوزات علمية، في لبنان وبلدان أخرى كالبلاد الهندية[٢].

ورغم كلّ ما ذكرناه، فقد عادت الحوزات إلى لبنان، لتشكل بداية

١- سبق التلميح، إلى بعض نقاط هذا الموضوع، في الفصل الثاني.

٢- السراج، عدنان: الإمام السيد محسن الحكيم، ص ١٠١-١٠٤.

المرحلة الثالثة من تاريخها، وهو التاريخ المعاصر، إذ كانت البداية بمدينة صور، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، حينما أعلن عن تأسيس (مدرسة علمية)[١] آنذاك. و بها جاء الجواب على مقالة السيد الأمين: "و لا ندري بعد هذا ما تأتي به حوادث الأيام"[٢]!. و سنأتي على بيان، و ذكر الحوزات اللبنانية المعاصرة، حسب تأريخ تأسيسها، مع ما يتطلبه البحث أحياناً، من توقف و إشارة.

و قد تطلب ذلك جهوداً، في التحرّي و السؤال، و إجراء المقابلات الشخصيّة ومراجعة مكاتب المرجعيّات الدينيّة، ببيروت، و المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وما أمكن الوصول إليه، من مراكز الحوزات. وسنجد ذلك في المبحث الأول. ثم لا بدّ من التوقف، بعد ذكر هذه الحوزات عند ميزاتها و أوصافها. إنّ عدد الحوزات اللبنانية المعاصرة، يصل حالياً إلى ثلاثين حوزة تقريبا[٣]، بينها تفاوتات عدة على أكثر من صعيد؛ من حيث مستوياتها العلمية، وقدمها وعدد طلابها، وسعة مساحتها، بحيث يمكن لنا أن نطلق على أغلبها (حويزة) مصغّر حوزة. وكان عددها قد وصل، إلى أربعة وعشرين حوزة (أو حويزة) عام ٢٠٠٥م[٤]، في حين أن بحثاً جامعياً أعد سنة ١٩٨٥م،حدّد العدد بتسع فقط[٥]، وهو عدد يجانب الواقع بشكل واضح.

بينما سيتناول المبحث الثاني: آفاق هذه الحوزات، ومهماتها، وعلاقاتها بمراكز الحوزات الكبرى بالنجف الأشرف وقم.

١- وهو دليل آخر على أن مصطلح الحوزة العلمية محدثٌ، كما توقفنا عند هذه المسألة في بداية الفصل الأول.(الباحث).

٢- الأمين، محسن: خطط جبل عامل ص ١٦٤.

٣- من خلال معلومات مكاتب المراجع: السيد السيستاني، و السيد الحكيم، و السيد الخامنئي، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، و كلها بضاحية بيروت الجنوبية.

٤- مقابلة شخصية مع الشيخ علي عبد الأمير شمس الدين (مسؤول الحوزات بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، بيروت، الإثنين ٢٥ صفر ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، الساعة ٩ ليلًا.

٥- زيتون، سهام محمد: الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت، ص ٨.

المبحث الأول

دراسة ميدانيّة

إن الحوزات اللبنانية المعاصرة، التي استطعنا إحصاءها والتي تقسّم إلى قسمين رئيسيّين: الحوزات الرجاليّة والحوزات النسائية، وهي كما يلي:

أولاً: الحوزات الرجاليّة: وهي القسم الأول من المبحث الأول لهذا الفصل وتضمّ:

١- المدرسة الدّينية - ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م صور

أول حوزة لبنانية معاصرة، أعلن عن تأسيسها عام ١٩٦٠م، واستقبلت طلّابها في السنّة التالية. وكانت ثمرة من ثمار (جمعيّة علماء الدين العامليّة)، التي أسّسها بصور، تسعة من العلماء الذين تخرجوا من حوزة النجف الأشرف، عام ١٣٧٠هـ /١٩٥١م[١].

ويعتبر الشيخ موسى عزّ الدين (ت:١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، أبرز هؤلاء العلماء، ويعزى إليه تأسيس هذه المدرسة، التي خرجت جملة من العلماء، الّذين أكملوا دراستهم الفقهية بالنجف الأشرف، ثم هم اليوم يتبوأون، مواقع دينية مهمة.

إنّ الشيخ موسى عزالدين، بنى سنة ١٩٦٩م، بناية مؤلفة من طابقين، لا تزال قائمة[٢]، وكانت المدرسة تعطي دروساً فقهية في المراحل الدراسية

١- الموسوي، عباس: علماء ثغور الإسلام ٢/٥٨٢.

٢- مقابلة شخصية مع السيد محمد الغروي (إمام مسجد الإمام الصادق، ومسؤول مدرسة السيدة خديجة النسوية بصور)، ١٣ ذو القعدة ١٤٢٧هـ، ٨كانون أول ٢٠٠٦، الجمعة ١٠ صباحاً.

الحوزية[1] المعروفة. ولا تزال هذه المدرسة قائمة، رغم كونها أقدم حوزة معاصرة، في حين أننا سنجد أن حوزات أخرى، جاءت بعدها، لم يكتب لها الاستمرار، للسبب القديم الجديد في الحوزات اللبنانيّة، و هو اعتمادها في وجودها على حياة مؤسسها، فإذا مات المؤسّس أغلقت المدرسة!.

والأمر الذي كان وراء بقاء هذه الحوزة حتّى الآن، أن توليتها الشرعية انتقلت، من الشيخ المؤسس موسى عز الدين إلى أحد أولئك التسعة المؤسسين، وهو السيّد هاشم معروف الحسني، الكاتب والمؤلف والقاضي المعروف(١٣٣٣ – ١٤٠٣هـ /١٩١٤ – ١٩٨٣م)، والذي بدوره أوصى بانتقال تولّي المدرسة، إلى السيد محمد حسين فضل الله، المرجع الديني المعاصر، و ذلك عام ١٩٨٣م، ولا يزال هو المتولي الشرعي عليها، أي أنه مسؤول عن توفير مستلزمات ديمومتها.

وهذه المسألة، أي بقاء الحوزة مرتهن بحياة مؤسسها، تحتاج إلى وقفة أخرى، إن شاء الله تعالى.

٢- المعهد الشرعي الإسلامي ١٣٨٦ / ١٩٦٦م بيروت

أسّسه السيد محمد حسين فضل الله، المرجع الديني اللبناني المعروف، على إثر عودته من النجف الأشرف، عام (١٣٨٦هـ /١٩٦٦م) فباشر بتأسيس حوزته بمنطقة النبعة ببيروت الشرقية، ثم انتقلت الحوزة بانتقاله وتلامذته إلى حي السلم، بضاحية بيروت الجنوبية عام ١٩٧٦م، على أثر أحداث الحرب الأهلية، وأخيراً استقر مكانها، ببناية كبيرة، بمنطقة بئر

١- في الدراسات الحوزوية مراحل ثلاث: الأولى: (المقدمات)، حيث يدرس الطالب، علوم العربية، والمنطق و القرآن الكريم، و الحديث، ومقدمات للفقه.

الثانية: (السطوح) تدرس فيها كتب فقهية، مع البحث عن أدلتها الشرعية من كتاب وسنة وتنهى فيها مواد علم أصول الفقه.

الثالثة: (الخارج)، و هي المرحلة، التي لا يعتمد فيها على كتاب خاص. فهي خارج أي كتاب، ويكون الأستاذ عادة مجتهداً، يقوم بطرح الآراء الفقهية للمجتهدين الآخرين و يناقشها، و هي المرحلة التي تعدّ الطالب لبلوغ مرحلة الاجتهاد. (الباحث).

حسن، ببيروت، منذ العام ١٩٨٣م[١].

وتكاد تكون الحوزة الأولى بلبنان، التي جمعت بين طول بقائها، وقوة دراستها، وكثرة طلابها، "وقد تخرج من هذه الحوزة علماء بارزون، يشغلون مواقع دينيّة، وحزبيّة إسلامية، ووظيفية مرموقة. وعدد طلابها لا يقل عن (١٥٠) طالباً سنوياً. ونصف علماء لبنان حالياً من خريجيها"[٢]، "وكان لهذه الحوزة، دور كبير، في استقبال أعداد الطلبة اللبنانيين المهجّرين، من النجف الأشرف عام ١٩٧٧م. وهم ما بين معمّم (أي معتمراً لعمامة)، ومدشدش (نسبة للدشداشة وهي الثوب العربي باللهجة العراقية)، ومنهم من سُجن، وقد وُجدت آثار التعذيب، على العديد منهم"[٣].

"وكان عدد طلابها عام ١٩٧٣ ثلاثين طالباً، ثم ارتفع إلى مائة طالب، بعد نجاح الثورة الإسلامية بإيران عام ١٩٧٩م، حتى استغنوا بها عن الذهاب إلى قم"[٤]. حيث تعذّر الذهاب إلى النجف الأشرف نظراً للظروف الأمنية الحرجة هناك، بينما كانت مجموعات الطلاب الشيعة من لبنان وغيرها، تتجه نحو قم، في تغيير يحدث لأول مرة في تاريخ الحوزات الشيعية.

وتعتبر هذه الحوزة، أول حوزة ببيروت تأريخياً، وبذا يكون لها سابقة امتداد الحوزات الشيعية، من جبل عامل، وبعض مناطق البقاع في المرحلتين الأولى والثانية، لتكون بيروت، منطقة جديدة، تشهد نشاطاً حوزوياً شيعياً، في زمننا المعاصر.

ولهذا المعهد (الحوزة)، قسم آخر خاص بالنساء، سنتعرض له في

١- النظام الداخلي للمعهد، كُتيّب بلا تاريخ أو دار نشر، ص٥.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ حسن حلّال (ولد في: ١٣٧٦هـ/١٦٥٦م) مدير المعهد، بئر حسن بيروت، الأربعاء، ٢٠ صفر ١٤٢٩هـ /٢٧ شباط ٢٠٠٨م، ٩ صباحاً.

٣ -مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد كوراني (و: ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، مسؤول مكتب الإفتاء في مكتب السيد محمد حسين فضل الله، بيروت، الخميس ٥ أيار ٢٠٠٥، ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ٥ عصراً. وهو وصف للحالة المزرية التي أبعد فيها طلبة العلوم الدينية اللبنانيون عن العراق.

٤- مقابلة سابقة مع الشيخ حسن حلّال (أعلاه).

(الحوزات النسوية).

٣ – **معهد الدراسات الإسلامية–١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م – صور**

"أسّسهُ الإمام السيد موسى الصدر (١٣٤٧ – ١٣٩٩هـ /١٩٢٧ – ١٩٧٨م)، عام ١٣٨٧هـ /١٩٦٧م، على إثر جولة قام بها، في ثماني دول من أفريقيا الغربية، وتبين له مدى أهمية، أن يقوم بالدعوة إلى الإسلام أحد الأفريقييّن.. لذلك توجه إلى استقدام بعضهم، دون أن تقتصر الدراسة عليهم فقط.. وكان المعهد يضم أربعين طالباً أفريقياً، وقد كانت دروس المعهد، تضمّ إضافة إلى الدروس الحوزوية المألوفة، في الفقه، والأصول، والمنطق، وعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، دروساً في الخطابة، والأدب العربي، وعلم التجويد، ونهج البلاغة"[١].

وعلى هذا التاريخ، يكون هذا المعهد ثالث حوزة لبنانية معاصرة، وإن كان هناك من يقول: إنّ التاريخ أسبق من ذلك، بسنة[٢]، أو سنتين[٣].

"وبدأت الحوزة ببيت مستأجر ثم بناية بثلاثة أدوار، ولكن السيد موسى الصدر، كان يطمح إلى أكثر من ذلك، حيث كان يسعى، لتأسيس جامعة إسلامية شيعية، أسوة ببقية الطوائف. وانتقل إلى بيروت عام ١٩٦٧م، ليؤسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وفي عام ١٩٦٨م، صدر قرار حكومي، بإنشاء معهد دراسات إسلامية[٤]، ثم جاء بعده الشيخ محمد مهدي

١- رسالة من السيّد حسين شرف الدين، حفيد السيد عبد الحسين شرف الدين، وصهر السيد موسى الصدر على أخته؛ السيدة رباب الصدر، له ابحاث ومشاركات ادبيّة وعلميّة، (ولد: ١٣٢٧هـ/ ١٩٢٨م) السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ/١ آذار ٢٠٠٨م. (الباحث).

٢- الشيخ علي ياسين،مقابلة شخصية، مدير سابق للدراسة الدينية بصور، بيروت، الإثنين، ١ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ/١٠ أيار ٢٠٠٥" الساعة ١١ صباحاً.

٣- السيد محمد الغروي، مقابلة شخصية، مدير سابق للمعهد، صور، السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ/١ آذار ٢٠٠٥م، الساعة ١٢ ظهراً.

٤- صدرت الموافقة بتاريخ ١٩٦٨/١٠م، وفيها دراسات في شهادات (الليسانس)، و(الماجستير)، و(الدكتوراه)، (مسيرة الإمام الصدر/الوثائق عام ١٩٦٨/ص٤٥٢ – ٤٥٦).

شمس الدين، ليحصد ثمار ما صنعه السيد موسى، فيؤسس الجامعة الإسلامية.

وبقي المعهد نشيطاً، حتى اختفاء السيد موسى الصدر، عام ١٩٧٨م، فبدأ بالضمور، شيئاً فشيئاً"[١].

ورغم مجيء السيد موسى الصدر، إلى لبنان سنة ١٩٦٠م، إلا أنه كان منشغلًا، بمهمات أكثر إلحاحاً، من الحوزة العلميّة، حيث واجهته تحديات كبيرة" [٢]. ومع ذلك، فقد حقّق السيد موسى الصدر، ما كان يصبو إليه سلفه، السيد عبد الحسين شرف الدين، من تأسيس الحوزة بصور.

وقام هذا المعهد، في الفترة بين تأسيسه واختفاء مؤسسه، باستقطاب ثلة من طلبة العلوم الدينية، ومنهم علماء بارزون اليوم. وبعض هؤلاء العلماء، عاد من النجف ليؤسّس أول حوزة معاصرة ببعلبك، وهو السيد عباس الموسوي[٣]، أمين عام حزب الله المستشهد عام (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م).

ومن الملاحظ في هذه الحوزة ما يلي:

أ - اهتمام إسلامي شيعي مبكر، بالتبليغ للقارة الأفريقيّة، وقد سبقت به الحوزات الكبرى بالنجف وقم.

ب - اهتمام مبكّر بالدراسة الجامعيّة، أيضاً، بإنشاء جامعات إسلاميّة، تمنح شهادات، في العلوم الشرعيّة الإسلامية.

٤ - مدرسة الإمام المهدي(عجلّ الله فرجه) - ١٣٩١هـ / ١٩٧١م - برج البراجنة - بيروت

أسّسها أحد علماء العراق المهاجرين إلى لبنان، وهو السيد حسن الشيرازي[٤]، الذي ترك العراق بعد مضايقات أمنية وسياسيّة. كما أنه أسس

١- السيد محمد الغروي - مقابلة سابقة، (ص٢٢٧).

٢- شرف الدين، حسين: الإمام السيّد موسى الصدر، محطات تاريخية، ص١١٥.

٣- الموسوي، علماء ثغور الإسلام، ١/٤٤١.

٤ - السيد حسن ابن السيد مهدي ابن السيد حبيب الحسيني الحائري، المولود سنة ١٩٣٤م، واغتيل ببيروت يوم ٢ مايو ١٩٨٠م. عالم فاضل وأديب متتبّع، له جملة قصائد نشرها في مجلة (العرفان)=

أول حوزة علمية شيعيّة بمنطقة السيدة زينب بدمشق، التي لا تزال قائمة لحد الآن وتضمّ العديد من العلماء وطلبة العلوم الدينيّة.

وكانت حوزة (مدرسة) المهدي تضم ما يقارب الأربعين طالباً، كان نصفهم من الطلبة الأفارقة، الذين استجابوا لخطابات أرسلتها الحوزة بعد تأسيسها، إلى بعض المناطق الأفريقية[١].

وهي ظاهرة وجدناها، في حوزة السيد موسى الصدر السابقة (معهد الدراسات الدينية بصور).

وأغلقت الحوزة أبوابها بعد اغتيال مؤسّسها عام ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م[٢].

وهي أول حوزة معاصرة، بلبنان، مؤسسها عالم ديني غير لبناني.

٥ - المعهد الشرعيّ الإسلامي الجعفري (حوزة الشهيد الثاني) ١٣٩٠هـ /١٩٧١م - بيروت

كانت بدايات التأسيس، بمنطقة برج البراجنة ببيروت، عام (١٩٧١م/ ١٣٩٠هـ)، من قبل السيد نسيم عطوي (ولد: ١٣٥٧هـ /١٩٣٨م)، على شكل دروس لبعض الشبّان، وفيهم اليوم علماء معروفون. إلا أن أحداث الحرب الأهليّة، قد جعلت منها حوزة مهاجرة، من قرية إلى أُخرى، من قرى جبل عامل. وكانت قد غادرت برج البراجنة عام ١٩٧٤م[٣].

= اللبنانية، وله كتب منها: كلمة الله، كلمة الرسول الأعظم، كلمة الإمام الحسن، إله الكون، الشعائر الحسينية، الوعي الإسلامي...". (طعمة، سلمان: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، ص٥٦).

١- الفاضلي، حسين: السيد حسن الشيرازي أمّة في رجل/مجلة المرشد الدمشقية العددان ١٧ - ١٨، ص٥٥٩.

٢- مقابلة شخصيّة مع الحاج رعد قاري، صاحب مؤسسة القارىء للنشر والطباعة، بيروت - الإثنين: ١٩ شوال ١٤٢٩هـ/٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٨م، الساعة ١١:٣٠ صباحاً. وكان الاغتيال بعد أن أقام السيد حسن الشيرازي مجلساً تأبينياً بأربعينيّة المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر الذي أعدم بالعراق في ٩/٤/١٩٨٠م، واتهم حزب البعث العراقي بعملية الاغتيال هذه. (الباحث)، (الفاضلي، حسين: مجلة المرشد العددان ١٧ - ١٨، ص٥٧١).

٣- مقابلة شخصيّة مع الشيخ علي مرعي (مسؤول المكتب الشرعي في مكتب السيد فضل الله) (ولد: ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م)، بيروت، الثلاثاء، ٩ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/١٥ نيسان ٢٠٠٨، ١٠ صباحاً.

ويمكن أن تكون هذه الحوزة، في هذا التاريخ عبارة عن دوراتٍ ثقافيةً دينيةً للشبّان، أكثر من كونها حوزة.

«وعلى أثر عودة السيد نسيم عطوي، من دراسته الفقهيّة بالنجف عام (١٤٠١هـ /١٩٨١م)، أسّس حوزته في بلدة مركبا الحدوديّة، عام (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م). ثم نتيجة ضغوط الاحتلال اليهوديّ، انتقلت الحوزة إلى بلدة إنصار عام (١٤٠٦هـ /١٩٨٦م)، ولا تزال قائمة هناك. وقد سبقتها حوزة أخرى له، في جباع عام (١٤٠٤هـ /١٩٨٤م). وبعد التحرير عام (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) عاد السيّد إلى مركبا، لتفعيل حوزتها المغلقة، حتى عام (١٤٢٩هـ /٢٠٠٣م) حيث تبنّى الشيخ عبد الأمير قبلان، تأسيس حوزة بميس الجبل، فشجّع السيد طلبته، على الانضمام إلى حوزة الشيخ قبلان»[١].

وفي حركة هذه الحوزة، تبرز التحديات الأمنيّة العسكرية، كإحدى التحديات، التي تواجه العمل الحوزوي بلبنان، بما يجعله منفرداً عن غيره من البلدان.

ولهذه الحوزة حالياً فرعان ببلدتي الصرفند الساحلية بين صور وصيدا، وأُخرى في تفاحتا من أعمال النبطية، (وسنأتي على ذكرهما تفصيليّاً).

وتهتمّ مجموعة الحوزات العلمية هذه، (التي يشرف عليها السيّد نسيم عطوي)، بإعداد المبلّغين إضافة إلى العلماء[٢].

١- مقابلة شخصيّة مع الشيخ سلمان دهيني (أحد أبرز تلامذة السيد نسيم عطوي وهو الآن مدير حوزة البشير ببلدة تول بالنبطية)، تول النبطية، الإثنين ٨ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٤ نيسان ٢٠٠٨ الساعة ٩:٣٠ صباحاً.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ إبراهيم فاضل (ولد ١٣٧١/١٩٥٢م) مدير حوزة إنصار وإمام مسجد أهل البيت بالبابليّة، إنصار، النبطيّة، الإثنين ٨ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/١٤ نيسان ٢٠٠٨م، الساعة ١١:٣٠ صباحاً.

٦ – حوزة الإمام المهديّ(عجلّ الله فرجه) – ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م صدّيقين[1] – جبل عامل

مع هذه الحوزة، نعيش بشكل أوضح، مع مدى تأثير الجوانب الأمنية، والأحداث السياسيّة، على الحوزات اللبنانية المعاصرة. حيث كانت هذه الحوزة، تنهض ثم تخبو، حسب تلك الظروف، حتى توقفت تماماً تحت ظروف قاهرة.

مؤسّسها الشيخ عبد المنعم مهنا، (ولد سنة ١٣٦١هـ /١٩٤٢م)، الذي كانت دراسته بالنجف لشهور، ولما عاد السيد محمد حسين فضل الله عام ١٩٦٥م، إلى بيروت، عاد الشيخ معه، وانضمّ إلى حوزته بالنبعة، وفي عام ١٩٧٥م، حيث اندلعت الحرب الأهليّة، نجد الشيخ يعود إلى قريته (صدّيقين)، ليُنشىء حوزة في هذه السنة، والتي لم تستمرّ إلا سنة ونصف السنة، حيث كانت القرية منطلقاً لنشاط المنظّمات الفلسطينية، وكانت تتلقّى ضربات من عملاء الصهاينة.

وبعد اجتياح اليهود لجبل عامل، عام ١٩٧٨م، تهيّأت الظروف – رغم الاحتلال – لعودة الشيخ إلى قريته، ونسف البعثيّون بيته عام ١٩٨٠م، على إثر نشاطه الاحتجاجي على إعدام المرجع السيد محمد باقر الصدر آنذاك.

إلا أن الحوزة لم تعد إلّا عام ١٩٨٢م، وبدعم كامل من الجمهورية الإسلاميّة في إيران، حيث أخذ الطلاب يتوافدون حتى بلغوا خمسين طالباً. ولم يسَعْهم البيت الذي أُوقف حوزة، فراح الشيخ يشيّد عمارة من عشرة أدوار لسكن الطلبة، بُني منها خمسة أدوار، ثم بلغ عددهم (١١٣) طالباً.ولم تعدْ مجرّد حوزة، حيث صارت مأوى للمجاهدين، بعد أن تأسّس حزب الله في هذه السنة، فينطلقون منها لتنفيذ العمليّات ليلًا، وفي النهار هم طلبة! حتى قدّمت الحوزة (٣٣ شهيداً). ثم تأزّمت الأوضاع كثيراً، على إثر الأحداث داخل الإطار الشيعي، بين حركة أمل وحزب الله عام ١٩٨٨م، حتى غادر

١- صدّيقين: بلفظ جمع صدّيق بالتشديد، قرية في ساحل صور من قرى الشِعب، (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٦٠).

الشيخ قرية صدّيقين وحوزتها، والتي انتهت في ذلك التاريخ[١]. "وتفرّق طلّابها إلى حوزات أخرى"[٢] ويمكن ملاحظة ما يلي في هذه الحوزة.

أ- اهتمام الجمهورية الإسلامية الواضح، في تبنّي حوزة شيعيّة لبنانية قائمة فعلًا، وبدعم كامل، وكان الشيخ عبد المنعم مهنا يصرّح أنّ حوزته هي الحوزة الوحيدة في لبنان، التي تتلقى دعماً كاملًا من إيران آنذاك.

ب- التطوّرات الأمنيّة والعسكريّة،وآثارهما، في سعة النشاط الحوزوي، أو ضيقه.

ج- البُعد الحزبي، بعد تأسيس حزب الله عام ١٩٨٢م، وجدناه واضحاً في هذه الحوزة، وربّما في حوزات لبنانيّة أخرى، كما نجد البُعد الجهادي واضحاً هنا والملازمة المتصوّرة بين طالب العلم، والمجاهد، ومدى إمكانيّة الجمع بينهما أو التفكيك، وكم من شهداء المقاومة الإسلاميّة، كانوا طلّاب حوزة، في مرحلة من مراحل حياتهم.

د- ذكر الشيخ عبد المنعم في مقابلة شخصية: أنّ طلاب الحوزة والمعمّمين عموماً، كانوا في بداية الستينيات يخشون من مواجهة المنتمين للأحزاب اللّا إسلامية؛ من شيوعيّين، أو بعثيّين، أو قوميين وغيرهم. لأن الدروس الحوزويّة، لم تكن إلّا الدروس التي تُعنى بإعداد مجتهدين، فلا نصيب للثقافة الإسلامية المعاصرة في دروسها، ولهذا فقد عمد – كما يقول – إلى إدخال دروس مفقودة في الحوزات عادة، حتّى أنه كان يدرّس كتاب (فلسفتنا) للسيّد محمد باقر الصدر، حيث المواجهة مع التيّارات اللاإسلاميّة عقديّاً وفكريّاً.

هـ- اهتمام واضح بالتبليغ، حتى كان طلّاب الحوزة ينتشرون، في (٤٠) قرية من قرى جبل عامل في مواسم التعطيل.

١- مقابلة شخصية، مع الشيخ عبد المنعم مهنا، السبت ١٦ رجب ١٤٢٦هـ/١٩ تموز ٢٠٠٨- بيروت الساعة ١٠ صباحاً. وقد بحثت عنه طويلًا حتى وجدته، لأنه كان قد اعتزل المجتمع والحياة الاجتماعية، (الباحث).

٢- الموسوي، عباس: علماء ثغور الإسلام، ١/٦١٢ – ٦١١.

و- رعاية طبيّة وحياتيّة للطلّاب حتى يتفرّغوا لطلب العلم.

٧ - حوزة الإمام المنتظر(عجلّ الله فرجه) -١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م - البقاع

أسّسها السيّد عباس الموسوي (الأمين السابق لحزب الله). على إثر عودته من النجف الأشرف، ولاقت دعماً من السيّد موسى الصدر، والسيّد محمد حسين فضل الله، وبقي الأخير داعماً لها بعد غياب الأوّل، حتى عام ٢٠٠٠م. وكان تأسيس هذه الحوزة، بطلب مباشر من المرجع السيد محمد باقر الصدر، حيث كان يشجّع على تأسيس حوزات في البلدان الإسلامية، وقد نشطت الحوزة، بعد نجاح الثورة الإسلامية، وبروز الصحوة الإسلامية. وفي عام ١٩٨٧م شرع ببناءٍ جديد غاية في الضخامة (وعلى تلّة مُشرفةٍ على بعلبك)، ثم ضعفت بعد غياب فضلائها، كما وأسهم في تأسيسها كذلك، الشيخ صبحي الطفيلي، والشيخ حسين الكوراني[١].

"وكانت بداية نشأتها في المأتم، الذي أسّسه الشيخ سليمان اليحفوفي (ت١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، عند مدخل بعلبك الشمالي الغربي، وكان أكثر الطلّاب آنذاك، ممّن كانوا بالنجف، ثمّ طُردوا منها، كما أنّ بعضهم أُخرج بعد اعتقال"[٢] (بالنجف)، "وكان من طلّابها آنذاك، السيد حسن نصر الله، وآخرون"[٣]، والملاحظ في هذه الحوزة ما يلي:

أ- اهتمام مرجع نجفيّ، وتشجعيه المباشر، على تأسيسها.

ب- تعتبر من الأمثلة الصارخة، على تأثّر الحوزات بالأجواء الأمنية، حيث تعرّضت الحوزة، إلى قصف نال بعض أبنيتها، على إثر ما عُرف بثورة الجيّاع عام ١٩٩٧م[٤].

١- مقابلة شخصية مع الشيخ علي العفّي من ابرز علماء بعلبك، (ولد ١٣٦٧هـ/١٩٤٦م) وحضر في النجف على اكابر علمائها، بيروت (الخميس ٢٦ ربيع الأول، ١٤٢٦هـ/٥ أيار ٢٠٠٥، ١٠.٣٠ صباحاً).

٢- الموسوي: علماء ثغور الإسلام، ٤٣٤/١.

٣- الموسوي: علماء ثغور الإسلام، ٤٤٢/١.

٤- الموسوي: علماء ثغور الإسلام، ٤٠٤/١.

ج– أسّسها طالب علم، درس بإحدى الحوزات المعاصرة (صور)، ثم عاد من النجف.

د– لقيت دعماً، من السيّدين موسى الصدر، ومحمد حسين فضل الله، في مؤشر على صفاء الأجواء العلمائيّة، التي ربمّا كانت متبّطة لبعض المشاريع أحياناً.

هـ– أول حوزة شيعيّة، في تاريخ بعلبك، وإن كان الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجبعي (ت: ٩٦٥هـ /١٥٥٨م)، قد درّس بالمدرسة النُوريّة ببعلبك[1] عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م، على إثر تخويل من شيخ الإسلام بالقسطنطينية[2]. إلّا أننّا لا نعتبر تدريسه آنذاك، دراسة حوزويّة، بل كان يدرّس الفقه على المذاهب الخمسة، وعلوم أُخرى[3].

و– الأمر اللافت هنا، أن كلّ المؤسّسين لهذه الحوزة، هم من المعروفين بانحيازهم لحزب الدعوة الإسلاميّة، الحزب الإسلامي "الشيعيّ"، الذي كان سائداً في الطبقة الواعية، من العلماء والمثقفين اللبنانيّين الشيعة، قبل تأسيس حزب الله عام ١٩٨٢م، والذي انبثق من رحم حزب الدعوة. وهو أمرٌ بحاجة إلى تأمّل ودراسة، عن مدى تأثير حزب الدعوة ذي الأصول العراقيّة، ومن ثمّ الحوزة النجفيّة، في لبنان وفعاليّاته الشيعيّة المختلفة وآفاق ذلك التأثير، قبل قيام حزب الله، وما أحدثه من تأثير كبير وواسع، في شيعة لبنان، من خلال توثيق صلتهم، بالحوزة القميّة، ومرجعيّتها.

ز– تُعتبر هذه الحوزة، دليلًا واضحاً، على التغيّر الذي طرأ على شيعة لبنان، بعد نجاح ثورة إيران الإسلاميّة، حيث تعتبر هذه الحوزة حالياً، من أوضح الحوزات، في ارتباطها بالجمهورية الإسلاميّة بإيران، وحزب الله.

٨ – معهد الشهيد الأول – ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م – بيروت

"أسّسه المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (١٣٥٤هـ – ١٤٢٠/

١- نصر الله، حسن: تاريخ بعلبك، ص٦٩٦، ص٦٩٩.

٢- راجع الفصل الأول،ص١٢٠ .

٣- ابن العودي، علي بن محمد: الدرّ المنثور، ٢/ ١٨٢.

١٩٦٢ – ٢٠٠٠م)، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي في حينه، كانت بداية التأسيس في شقة بمنطقة الغبيري، ثم شُيّدت له بناية بثلاثة أدوار للتدريس، وسكن الطلبة العزّاب، وكان عدد طلّابه من ٦٠ – ٧٠ طالباً، وكان أحد معهدين مهمّين آنذاك، ومن أهداف تأسيسه؛ استيعاب الطلبة العائدين من النجف الأشرف... وأمّا الآن، فإن عدد طلّابه (١٤) طالباً فقط"[١].

ويُقال: إن "الشيخ محمد جعفر شمس الدين (ولد: ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م) كان يتولى أمورهُ لعشر سنين، ثم تدخّل أخوه الشيخ محمد مهدي، ونهج به نهجاً سياسياً، فتركه الشيخ جعفر، وأخذ يدرّس طلابه ببيته[٢]. ثم إنّ الشيخ محمد مهدي شمس الدين أقفل المعهد، واكتفى بالجامعة الإسلامية"[٣].

إن هذه الحوزة، تُعتبر دليلًا حيّاً، على ارتباط حياة الحوزات بوجود مؤسّسها، وموقعه، ومكانته العلميّة والاجتماعية، حتى أن الشيخ المؤسّس، له أخوان عالمان فاضلان معروفان، ولكنّهما لم ينهضا بهذه الحوزة، كما كانت في عهد مؤسّسها رحمهُ الله.

وتبدو في هذه الحوزة، الظاهرة التي أسهمت في تقوية حوزات لبنان المعاصرة واضحة، في عودة طلبة النجف من اللبنانيّين، حيث أُسّست حوزات، لمواكبة الأعداد الكبيرة منهم، الذين رجعوا في فترة زمنيّة قصيرة.

٩ – معهد الشهيد الأول – (١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) سحمر[٤] – البقاع الغربي

هو فرع للمعهد السابق، وكان هذا الفرع، قد نشط ببلدة سُحْمر من

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ علي شمس الدين، راجع ص ٢٢٣

٢- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/٢٧٨.

٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ٢/٣٨٥.

٤ -سُحْمر: بسين مهملة مضمومة وحاء ساكنة وميم مضمومة وراء، من قرى البقاع، ذُكرت في كلام المهاجر العاملي في عُداد قرى جبل عامل وليس منها. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٤٨).

البقاع الغربي، على إثر الاحتلال اليهودي واجتياح عام ١٩٨٢م، حيث أخذ هذا المعهد، يتولى رعاية بعض الطلبة، وأفرد بناية أخرى، لتدريس الطالبات الدروس الحوزويّة، حتى بلغ عدد طلّابه من الجنسين: أربعين طالباً وطالبةً.

واستمرّت هذه الحوزة بنشاطها، حتى عام ١٩٩١م، حيث تحوّلت بعدها بناية الحوزة إلى مكتبة عامّة، وقاعة محاضرات.

وفتحُ هذه الحوزة، تمّ على يد الشيخ القاضي أسد الله الحرشي (مواليد: ١٣٨٦هـ /١٩٤٦م)، بتنسيق مع مؤسّسها الشيخ محمد مهدي شمس الدين[١].

إن الضعف الذي أصاب الحوزة الأُم ببيروت، انتقل إلى فرعها بسحمر، وهذه الحوزة تمثّل مصداقاً آخر من مصاديق تأثير الأوضاع الأمنيّة، على أجواء الدراسات الحوزويّة.

١٠ – المعهد الشرعي الجعفري – (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) – مركبا[٢] – جبل عامل

وقد سبق الإشارة إليه؛ عند حديثنا عن المعهد الشرعي الجعفري، وبدايات الاهتمام بالدراسة الحوزوية عام ١٩٧٢م، وكان مؤسّسه السيد نسيم عطوي، قد أسّس حوزة، في منطقة الشريط الحدودي الجنوبيّة، عام ١٩٨٢ بمنطقة مركبا، ولم تستمرّ هذه الحوزة إلّا سنتين، ثم انتقلت إلى بلدة إنصار، عام ١٩٨٤م[٣].

١- مقابلة شخصية مع الشيخ أسد الله الحرشي، بيروت، الأربعاء ١٠ ربيع الثاني، ١٤٢٩هـ/١٦ نيسان ٢٠٠٨م، الساعة ١١ صباحاً.

٢- مركبا: "من عمل ناحية هونين الملغاة، والآن من عمل مرجعيون، فيها مغاور كثيرة.. ويظهر أنه كان فيها معمل للزجاج. وفيها مشهد يسمى مشهد منذر، وله أوقاف وعليه قبّة. خرج منها من أهل العلم في عصرنا الشيخ أمين شمس الدين"، ١ – ٢٩٩ (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٩٩).

٣- من المعوّقات التي واجهتنا؛ غياب المعلومات الدقيقة والشافية، التي تعين في توضيح المطلب وإجلاء الصورة، فلم يكتب أحد عن هذه الحوزات، وكلّ شخص يعطي تواريخ قد تكون مخالفة لما يعطيه شخص آخر. (الباحث)

١١ - معهد الإمام الصادق للعلوم الدينيّة (حوزة خربة سلم)[1] (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) - جبل عامل.

أسّسها السيد عبد المُحسن فضل الله (ت: ١٤١٢هـ /١٩٩٢م)، وهو من الفقهاء الكبار بجبل عامل، وقد ازدهرت هذه الحوزة في تلك المنطقة، رغم ظروف الاحتلال، فانضمّ إليها نخبة من طلبة العلم؛ من جبل عامل والبقاع، ووصل عددهم إلى (٣٠) طالباً. كانت دروسها تشمل مرحلتي المقدّمات والسطوح.

قدّمت هذه الحوزة شهداء من طلبتها، ثم ازدادت الظروف الأمنيّة قساوة، حتى اضطرت الحوزة إلى إغلاق أبوابها، عام ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، بعد أن تركت أثراً مهمّاً في الوعي الدينيّ والثقافيّ للمنطقة[2].

١٢ - معهد الرسول الأكرم ﷺ العالي للشريعة والدراسات الإسلاميّة (الحوزة العلمية الإيرانية) - ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م - بيروت

نقف مع هذه الحوزة، على نمط آخر من حوزات لبنان المعاصرة، وهي من علامات تطوّر العلاقة، بين الفعاليّات الإسلامية الشيعيّة اللبنانية من جهة، وأجواء جمهورية إيران الإسلامية، وحوزة قم من جهة أخرى.

"وهي حوزة ضمن سلسلة حوزات، تشرف عليها (المنظّمة العالميّة للمدارس والحوزات خارج إيران)، والتابعة لمكتب السيّد علي الخامنئي، مرشد الجمهورية الإسلامية مباشرة، منتشرة في بعض الدول الإسلامية، وبعض المهاجر.

١- خربة سلم: "قرية من ناحية تبنين وعمل صور، على قمة جبل، يحيط بها واد عميق، من جهاتها الثلاث عدا قليل من الجهة الجنوبية، لذلك كانت بمنزلة الحصن.. منها الشيخ محمد دبوق شريكنا في الدرس أول التحصيل... وفيها آل الفتوني الذين منهم: أبو الحسن الشريف العاملي، العلامة الكبير بين علماء النجف، وذريته من مشاهير العلماء" ، (الأمين،محسن: خطط جبل عامل، ص٢٣٨).

٢- مقابلة شخصية مع ولده؛ السيد علي فضل الله، بيروت، الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/١٩ آذار ٢٠٠٨، ١١صباحاً.

وعلاقتها بقمّ وحوزتها أكيدة، حيث تقوم بإرسال من يرغب من طلّابها، الذين يُكملون المرحلة العاشرة (التخصصيّة)، من الدراسة الحوزوية، ويزوّد بإفادة، حيث يُستقبل في (المركز العالمي للعلوم الإسلامية)، وهو المسؤول عن استقبال طلبة العلوم الدينيّة، من غير الإيرانيين"[١].

وهي من الحوزات الفاعلة في الساحة اللبنانيّة، وقد لا تضاهيها إلّا حوزة المعهد الشرعي الإسلامي، التابع للسيّد محمد حسين فضل الله، في قوّة الدراسة، وكثرة الطلّاب، وكبر المبنى.

ويضيف مديرها الشيخ علي السائلي، في مقابلته:

"قال لي السيد هاشم صفي الدين (مواليد: ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م) – وهو مسؤول المكتب التنفيذي بحزب الله حالياً –: إنّ أغلب مديري حزب الله، هم من خريجي حوزتكم". ثم يقول (السائلي):

"إن بقاء الحوزة وقوّتها، مرتبطان بقوّة الشيعة بلبنان، وحزب الله"[٢].

وتُعتبر هذه الحوزة ثاني حوزة، تُشرف عليها جهة غير لبنانيّة، في تاريخ الحوزات بلبنان[٣]، كما أنها تمثّل حضوراً مهمّاً للحوزة القميّة، في الأجواء الشيعيّة اللبنانيّة، دراسة، وعلاقات بحوزة قم، ودعم مباشر من مكتب السيّد الخامنئي، وهي "أغنى حوزة بلبنان"[٤]. وقد تكون نافذة مهمّة، لتسريب الرؤية العرفانيّة الإيرانيّة[٥]، للمجتمع اللبناني الشيعي خاصة، عبر

١- مقابلة شخصية مع مديرها الشيخ علي السائلي (مواليد ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) رشت (شمال إيران) ماجستير دراسات إسلاميّة، الإثنين: ١١ شوال ١٤٢٨هـ/٢٢ تشرين أول ٢٠٠٧م، الساعة ١٠.١٥ صباحاً، بيروت.

٢- مقابلة سابقة مع الشيخ علي سائلي. (أعلاه) .

٣- سبقتها حوزة الإمام المهدي، ببرج البراجنة ببيروت، التي أسّسها العالم العراقي المهاجر، السيد حسن الشيرازي (ت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وذلك عام ١٩٩٣هـ/١٩٧٣م).

٤- مقابلة شخصية مع الشيخ ناجي طالب، مسؤول حوزة الهادي ببيروت، الخميس ١١ ربيع الثاني ١٤٢٩/١٧ – ٤ – ٢٠٠٨ الساعة ٩ صباحاً.

٥- مما تتميّز به الحضارة الإيرانية، بعدُها الفلسفي والعرفاني، وتجسّد ذلك في كثرة الفلاسفة والعرفانيّين، وامتداد ذلك إلى الحياة الثقافيّة والعلميّة، ومنها الحوزات العلميّة. وهـــاذان =

تلاميذها وأساتذتها. وذات يوم ، رفعت لافتة على جدران هذه الحوزة، بمناسبة ذكرى أربعينية الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، في العشرين من شهر صفر، تقول: "عبرات الوجد، سالت على صفحات الوجود، بيوم أربعين الحسين"، حيث تتضح فيها الروح العرفانيّة والفلسفيّة، التي اشتهرت بها الثقافة الإيرانية[1].والعرفان ليس مذهباً في مقابل المذاهب الأُخرى، بل إنّ العرفان طريقٌ من طرق العبادة (عبادة للحبّ والأخلاص لا الخوف والرجاء)، وهو «طريق لدرك (وفهم) حقائق الأديان، في قبال طريق الظواهر الدينيّة، وطريق التفكّر العقلي»[2].

١٣ - حوزة الثقَلَيْن[3] العلميّة - حارة حريك - (١٤٠٤هـ /١٩٨٤م) - بيروت

"أسّسها السيد عبد الكريم فضل الله (ولد بالنجف ١٩٥٦م)، بعد عودته من النجف بسنتين، أي في عام ١٩٨٤م، بعد أن أحسّ بالحاجة الكبيرة، إلى إنشاء حوزة، تنهض بمهمّة إعداد علماء، يواكبون الانفتاح الكبير على الإسلام، وصحوته المعاصرة. وكانت تدرّس كل المراحل الحوزويّة

= البعدان واضحان في الشعراء الإيرانيين والنتاجات الأدبية عامّة. ولم يكن المجتمع الشيعي اللبناني منفتحاً على هاذين البعدين، إلا بعد عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، وانبهار المسلمين، عامّة والشيعة خاصة واللبنانيين بشكل أخصّ، بما يأتي من إيران بعد نجاح الإمام الخميني في ثورته الإسلامية. وفي مكتبات الضاحية الجنوبية ببيروت، أخذت كتب العرفان مساحة أوسع يوماً بعد آخر. وهي ظاهرة كانت مفقودة أيام ارتباط لبنان وحوزاته بالنجف الأشرف، التي تكاد لا تجد فيها موضعاً للعرفان والفلسفة، وحيث الاتجاه الواقعي والعقلي. (الباحث).

١- وهناك معهد آخر في الضاحية الجنوبية لبيروت، ليست بهذا الارتباط المباشر بقم وحوزتها، واسمه (معهد المعارف الحكميّة العالية)، وفي قطعة على بابه عبارة: (حوزة الملّا صدرا)، والمعهد رقم آخر على توغل الثقافة الفلسفيّة العرفانيّة التي لم تألفها الساحة اللبنانية الشيعيّة طوال قرون. (الباحث).

٢- الطباطبائي، محمد حسين: الشيعة في القرآن، ص٣٥.

٣- الثقلان، هما القرآن الكريم وأهل البيت، انطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وآله: "إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". (راجع: القشيري، مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، ١٥/ ١٨٠)، (الترمذي، محمد بن عيسى: صحيح الترمذي:٥/ ٤٢٢)، (ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد: ٥/ ١٨١ و١٨٢). (الباحث).

الدراسيّة، بما فيها درس الخارج وحيث كان يتولّى ذلك بنفسه.

وكان عدد الطلّاب سنوياً من (٢٠ – ٢٥) طالباً. وتوقّفت هذه الحوزة عام ٢٠٠٥م، بسبب الضغوطات المالية من جهة، وللتفكير بانتقالها إلى مبنى بأرض جديدة، في الشويفات، كما أنها فرصة، لإعادة التفكير في المناهج الحوزوية، والتركيز على الضروري والنافع منها من جهة أخرى.

بقي أن نذكر: أنّ هذه الحوزة، كانت وجهاً من نشاطات (جمعيّة الإمام الحسين عليه السلام) والتي منها، نشاط صحّي، تمثّل بمستوصف مهمّ في منطقة الأوزاعي[١].

وهنا رقم جديد يدلّ على أن علماء لبنان المعاصرين، يحاولون أن يكونوا حاضرين في أكثر من موقع، مما يعني تبوأهم مواقع جديدة، تفتح أمامهم ساحات جديدة، لم يألفها السابقون منهم.

١٤ – المعهد الشرعي الجعفري – ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م – (حوزة انصار) – جبل عامل.

وهي الحوزة الثالثة، التي أنشأها السيد نسيم عطوي، بعد حوزته التمهيديّة ببرج البراجنة ١٩٧١م، ثمّ مركبا عام ١٩٨٢م، حيث ألجأته ظروف الاحتلال، إلى ترك الأخيرة، وتأسيس حوزة بجباع وببلدة إنصار، من أعمال النبطيّة.

وهذه الحوزة، تدرّس اليوم كلّ المراحل الدراسية الحوزوية، وبضمنها بحث الخارج. عدد طلّابها ما يقارب الأربعين طالباً. تهتم بالتبليغ إلى بعض المهاجر، وبعض القرى السوريّة[٢].

مما يلاحظهُ بعض العلماء على هذه الحوزة؛ ما يُقال عن سرعتها في إعداد

١- مقابلة شخصيّة مع السيد عبد الكريم فضل الله، بيروت، الخميس، ١٤ رجب ١٤٢٩هـ/١٧ تموز ٢٠٠٨، ٢ بعد الظهر.

٢- مقابلة سابقة مع الشيخ إبراهيم فاضل،(٢٣٠).

العلماء والمبلّغين، مما قد يؤثّر على مستوياتهم العلميّة، وقدراتهم الإجتماعية[1].

١٥ – حوزة الإمام الصادق عليه السلام – ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م – النبطية – جبل عامل

أوّل حوزة معاصرة بمدينة النبطيّة، بعد انطفاء حوزتها السالفة، أيام السيّد حسن يوسف مكي، ثم المدرسة الحميديّة. أشرف على تأسيسها، الشيخ عبد الحسين صادق (وُلد في: ١٣٦٧هـ /١٩٤٧م)، حفيد الشيخ عبد الحسين صادق (ت: ١٣٦١هـ /١٩٤٠م)، مؤسّس حوزة الخيام السالفة. في المرحلة السابقة للحوزات، مديرها الشيخ أحمد صادق (ولد: ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م)، من خرّيجي حوزات صور، ثم عاد من النجف الأشرف، بعد أن حضر على أكابر علمائها، عام ١٤٠٠هـ /.١٩٨٠ وكان عدد طلّاب الحوزة وأساتذتها؛ ثلاثين شخصاً، ثم أقفلت أبوابها ١٤٢٠هـ / ٢٠٠١م، على إثر افتتاح حوزة أهل البيت بمدينة النبطية[2].

١٦ – حوزة جبل عامل العلميّة – ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م – الشرقيّة[3] – جبل عامل

كانت بداية تأسيس هذه الحوزة، ببلدة الغسّانيّة[4]، "حينما بدأت كحلقات دروس فقهيّة، بعدها انتقلت إلى بلدة الشرقيّة، في موضع يُعرف بمقام (النبي جليل)، وذلك على إثر رؤيا لأحد الوجهاء هناك. ولكنّ المقام لم يدم لها بالشرقيّة، حيث انتقلت بطلّابها وأساتذتها مرّة أخرى، إلى بيروت،

١- ومسألة اتفاق الحوزات، على تبنّي مستوى علميّ محدد، لتخريج الطلبة، من المسائل التي لم تُحسم في الحوزات اللبنانية المعاصرة، وستُبحث في المبحث الثاني، إن شاء الله تعالى.

٢- مقابلة شخصيّة مع الشيخ أحمد صادق، النبطيّة الإثنين ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/٥ أيار ٢٠٠٨م، ١ بعد الظهر.

٣- الشرقيّة: بلفظ النسبة إلى الشرق مقابل الغرب، قرية من قرى الشقيف، فيها مزار يقال له مزار جليل الشقيف عليه قبّة، كان فيها من أهل العلم المعاصرين، الشيخ محمد علي القبيسي.. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٥١).

٤- الغسّانية: بلفظ النسبة إلى غسّان بالتشديد، قرية في ساحل صيدا من عمل الشومر. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٨٣).

حينما اشتدّ الصراع الشيعي الداخلي، بين حزب الله وحركة أمل عامي ١٩٨٧م – ١٩٨٨م[1]. وهذا رقمٌ آخر، على مدى انعكاس الأحداث الأمنية والسياسية، على المستويات الدراسيّة في حوزات لبنان المعاصرة. ثم إنها عادت إلى بلدة الشرقيّة، مرة ثانية عام ١٩٩٠م، وقد هُيىء لها مبنى جديد، مؤلّف من أدوار ثلاثة، وتراوح عدد طلّابها من ٩٠ – ١٠٠ طالب سنويّاً، لكل مراحلها، حتى عام التحرير (٢٠٠٠م)، وكانت الحوزة تتلقّى دعماً ماليّاً، من السيد محمد حسين فضل الله، ومن الشيخ محمد أختري؛ سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق. وراحت الحوزة تنافس الحوزات الكبرى بلبنان، وبلغت من المستوى العلمي شأناً كبيراً، حتى اختير (١٥) طالباً من طلّابها، من قبل اللجنة، التي كانت تبعثها حوزة قم سنوياً، لاختيار أفضل الطلّاب، لضمّهم إلى حوزتها الكبرى بإيران، من مجموع (٢٢) طالباً، من كلّ الحوزات اللبنانية.

وقد توقّفت الحوزة من عام (٢٠٠١ – ٢٠٠٥م)، بسبب انقطاع التمويل المالي، على إثر تغيّر السفير الإيراني بآخر، لم يرد دعماً لهذه الحوزة[2]، التي تعتبرها بعض الأوساط الحوزوية؛ أنها من الحوزات المرتبطة بحزب الله، ولكنّ مؤسّسها الشيخ محمد كوثراني (المولود بالعراق، وقيادي في حزب الله حالياً، وكان قد حُكم بالإعدام بالعراق عام ١٩٨٣م)، ينفي ذلك.

١٧ – الحوزة الدينية، حبّوش[3] – النبطيّة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م – جبل عامل

أسّس هذه الحوزة، السيّد علي مكي الحبّوشي (ولد سنة ١٩٥٨م)،

١- ازدادت الأجواء توتراً وتنافساً بين حركة أمل التي أسسها السيد موسى الصدر سنة (١٩٧٣م) وبين حزب الله الذي تأسس سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. والذي أخذ يتوسع كثيراً في الطائفة الإسلامية الشيعية بلبنان، وهو يتلقى دعماً كبيراً ومباشراً من الجمهورية الإسلامية بإيران. حتى انفجرت الأوضاع قتالياً بين الطرفين (عام ١٩٨٨م)، وانجرّ التنازع حتى إلى الحوزات التي قد تحسب على هذا الطرف أو ذاك. وقد صار كل ذلك من الماضي حيث عمّ الصفاء والاتحاد(الباحث)

٢- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ محمد الكوثراني، ص٢١٥.

٣ -حبّوش: بحاء مهملة مفتوحة، وباء موحّدة مضمومة مشدّدة، وواو ساكنة، وشين معجمة، قرية شمالي النبطية قريباً منها، فيها عين ماء، منها السيد حسن يوسف الحبّوشي العالم المشهور،=

بعد عودته من حوزة قم، وأول ما تأسّست بمدينة النبطيّة عام ١٩٨٧م، ثمّ انتقلت بعد ذلك إلى حبّوش عام ١٩٩٥م، بعد إنشاء مبنى ذي أربعة أدوار، ضمن مجموعة من النشاطات الدينيّة، والاجتماعية، في بلدة حبّوش. وكانت البداية بحُسينيّة[١] النبطيّة، بعشرين طالباً فقط[٢].

إنّ نشاطات (مجمّع حبّوش الخيري)، نموذج لحركة عالم الدين الشيعيّ المعاصر، الذي يسعى للنهوض بما يمكن النهوض به، من مشروعات ذات مردود اجتماعيّ، واقتصاديّ، ودينيّ، ينعكس على أبناء بلدته وما حولها، وربّما أوسع من ذلك، إذا ما تهيّأت الظروف لذلك.

إنّ عالم الدين اللبناني الشيعي المعاصر، لا سيّما الشبّان منهم، ذوو طموح كبير، وأُفقٍ واسع، قد لا نجده في علماء بلدان شيعيّة أخرى، نظراً لما تتميّز به لبنان؛ من انفتاح، وعلاقات مع المهاجر، وآفاق متميّزة.

ولقد بلغ عدد الطلّاب الذين انتموا إلى هذه الحوزة (٥٣) طالباً. ويشترط حصول الطالب على الشهادة المتوسطة، فما فوق، للقبول فيها، مع شروط أخرى.

١٨ - حوزة جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينيّة - ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م - حاريص[٣] - جبل عامل

تُعلن هذه الحوزة، عن انتمائها للحوزة النجفيّة، بكلّ وضوح وجلاء، كما

= ومنها الشيخ محمد علي نعمة، العالم التقي المعاصر. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٣٢).

١ - الحسينيّة، "وهي بمثابة تكية منسوبة إلى الإمام الحسين السبط الشهيد، لأنها تبنى لإقامة عزائه فيها". (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص١٥٩). كما تقام فيها مجالس تابين الموتى وتحيى فيها مناسبات دينية واجتماعية وربما سياسية ايضاً في السنين الأخيرة. (الباحث)

٢- الجمعيّة الخيريّة بحبّوش: مجمّع حبوش الخيري، ص٤ - ٥ (بدون دار نشر أو تاريخ).

٣- حاريص: "قرية بالقرب من تبنين، أهلها موصوفون بالذكاء، ومنها الشيخ إبراهيم الحاريصي شاعر ناصيف، ومنها الشيخ يوسف الفقيه، العالم الفاضل، الذي كان رئيس محكمة التمييز في بيروت، وأولاده الأفاضل". (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٣١).

لا يُخفي ذلك مؤسّسها؛ من شدّة ارتباطهم بالنجف، وتأكيدهم على نمط الدراسات الدينيّة الحوزويّة القديمة، المألوفة بحوزتها.

أسّسها الشيخ مفيد الفقيه (ولد ١٣٥٨هـ /١٩٣٧م)، عام ١٩٨٩م، 'على إثر عودته من النجف الأشرف – حينما اشتدّت الظروف قساوة في العراق – بعد ثمانية وثلاثين عاماً أمضاها في النجف الأشرف، وبدأت الدروس ببيت الشيخ مفيد بصور، ثم قيّض لهذه الحوزة، من يبني لها بناية من خمسة أدوار؛ فيها مكاتب الإدارة، وغرف التدريس، وقاعتان للمحاضرات، ومكتبة عامة، وإلى جانبها بنايتان؛ الأولى مؤلّفة من (١٢) شقة، والأخرى من (٥) شقق، لسكن الأساتذة والطلّاب. وكان الانتقال للمبنى الجديد عام ١٩٩٩م'[١]. واليوم تحوي الحوزة (٦٠) طالباً، لكلّ المراحل، ومنها مرحلة الخارج. وتُصدر الحوزة مجلّة باسم (رسالة النجف). صدر منها الى الآن (١٣) عدداً.

١٩ – حوزة الإمام الحجّة(عجل الله فرجه)[٢] – ١٤١١هـ /١٩٩١م – البيّاض[٣] – جبل عامل

مؤسّسها الشيخ إبراهيم سليمان البياضيّ (ت:٢٠٠٤هـ/١٤٢٥م)، ببلدة البيّاض عام ١٩٩١م، وهو من كبار العلماء، الذين قضوا عمرهم المديد في طلب العلم، والحضور على أكابر علماء حوزة النجف الأشرف، ونجده ينشىء هذه الحوزة وعمره تجاوز الثمانين سنة، مما يشير إلى أهمية دور الحوزات، حيث يُملي الواجب الدينيّ على العلماء أن ينهضوا بمسؤولياتهم الشرعيّة. بينما نجد أن أغلب مؤسسي الحوزات المعاصرة كانوا في مقتبل أعمارهم.

١- تحقيق مصوّر، مجلة رسالة النجف (العدد ٠ /ص ٦ – ٧)، الربع الأول من ٢٠٠٥م/محرم ١٤٢٥هـ.

٢- الإمام الحُجّة، وهو الإمام محمد بن الحسن المهدي، الإمام الثاني عشر. (الباحث)

٣- البيّاض: بالياء الموحّدة المفتوحة، والمثناة التحتية المشددة، والضّاد المعجمة، قريتان: إحداهما في ساحل صور، فيها مساكن آل سليمان، وهم أهل بيت علم وفضل.. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢١٧).

ويبدو أنّ تأسيس هذه الحوزة كان سابقاً على سنة ١٩٩١م، إذ إن الشيخ كان يدير حلقات الدروس الحوزويّة في بيته، قبل انتقالها إلى المبنى الجديد عام (١٤١١هـ /١٩٩١م). والحوزة مؤلّفة حالياً من مبنيّين منفصلين، كل مبنىً من ثلاثة طوابق، الأول للإدارة والتدريس والثاني لإقامة الطلّاب والأساتذة. توصل هذه الحوزة طلابها إلى مستوى إكمال المقدمات والسطوح، ويحتاج الطالب بعدها، إلى "إكمال دراسته العليا بالنجف أو قم. وللحوزة نشاطات ثقافيّة وتُعنى بإحياء المناسبات الإسلامية"[1].

والملاحظ في هذه الحوزة: أنها تستقبل كل سنة عشرين طالباً فقط، للحفاظ على نوعيّة المتصدّين لطلب العلم الديني، وللقدرة على القيام بما يجب على الحوزة القيام به، تجاه طلّابها من الناحية الماديّة.

كما وتهتمُّ الحوزة بإعداد الطالب الرسالي، لكنها تأخذ بالمناهج القديمة المعتمدة تقليديّاً.

وفي رسالة للحوزة، لوحظ تحذيرها الصريح، من أيّ انتماء حزبيّ لطلّابها[1]!.

٢٠ - حوزة الإمام الصادق عليه السلام - ١٤١٠هـ/١٩٩١م - صيدا - جبل عامل

أسّسها بصيدا الشيخ عفيف النابلسي، (ولد: ١٣٦٠هـ /١٩٤١م)، حيث أخذ باستقطاب بعض طلاب العلم ببيته، ثمّ احتاجوا إلى شقة منفصلة، كان تأمينها بمباركة من السيّد علي الخامنئي، مرشد الجمهورية الإسلامية، ثم انتقلت الحوزة لتشغل الطابق الخامس، من مجمّع السيدة الزهراء بصيدا. وفي نشرة تعريف أصدرتها الحوزة، ذكرت نقاطاً في مميّزاتها أهمها:

١- " أنها تتوسط مجموعة من، المؤسسات التعليميّة، والتربويّة، مما يشكل أجواءً

١- إجابات عن بعض الأسئلة وُجهت لإدارة الحوزة، وأجاب عنها الشيخ مالك سليمان (ولد ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، مدير الحوزة حالياً، وتضمنت مقتطفات من منشور، حول حياة المؤسّس الشيخ إبراهيم سليمان، يوم الخميس ٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/٨ أيار ٢٠٠٨م، ولعلّ التحذير من الحزبيّة يعود للرغبة في إفراغ الوسع في الدراسة الفقهيّة دون سواها من الأمور (الباحث).

علمية مؤاتية.

٢- نسبة مهمّة من طلّابها جامعيّون، وهي تشجع طلابها، على المواءمة بين الحوزة والجامعة.

٣- موقع الحوزة، ضمن مجمّع يشهد نشاطات دينيّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، مما يُسهم في توعية طلّابها.

٤- تشجّع على الحوار، وتنوّع الأفكار، وتستقدم علماء وباحثين وأساتذة، ليحاضروا ثلاث مرات في الأسبوع"[١].

وقد تعرّضت الحوزة إلى قصف صهيوني أثناء حرب تموز (٢٠٠٦م)، دمّرها مع المجمّع بكامله، الذي كان يضمّ خمسة أدوار؛ من مسجد، وحسينيّة، ومنزل الشيخ، وحوزة للرجال، وأخرى للنساء.

وهذه الحوزة، هي أول نشاط حوزوي شيعي يسجّل لصيدا، بعد نشاط الشيخ (أبو الفتح الكراجي، ت ٤٤٩هـ). وقد جاءت الحوزة، وفكرة إنشائها؛ لأن "مدينة صيدا تعاني شُحّاً على صعيد العلماء والمبلّغين"[٢]. وقد تهيّأ لهذه الحوزة، إعداد بعضٍ منهم. وتشغل الحوزة اليوم شقة مستأجرة، فعادت كما بدأت! على أمل أن تعود الى سابق عهدها الشامخ.

٢١ - حوزة الإمام الجواد عليه السلام[٣] - ١٤١٥هـ /١٩٩٥م - بيروت

أسّسها الشيخ يوسف سبيتي، (ولد سنة ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م)، وهو أحد خريجي حوزة قم في عام ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م، حيث عاد مدرّساً ببعض الحوزات المعاصرة آنذاك، ثم أخذ يفكّر بإنشاء حوزة مستقلة، فكانت حوزة الإمام الجواد. وهي عبارة عن شقة، وتبدأ دروسها الساعة ٦.٣٠ صباحاً،

١- نشرة خاصة بالحوزة، ص ١ – ٢.

٢- نشرة خاصة بالحوزة، ص ١ – ٢، ويلاحظ مدى التباين، في انتماء هذه الحوزات، حيث لا تخفي هذه الحوزة ارتباطها بإيران، بينما تحذر سابقتها، من أي نشاط حزبي، يرتبط بإيران أو غيرها. (الباحث)

٣- وهو الإمام التاسع، من أئمة أهل البيت، وقبرهُ بالكاظمية، شمال بغداد (ت: ٢٢٠هـ). (القمي، عباس: وقائع الأيام، ص١١١).

تضمّ ما يقارب الأربعين طالباً، كعدد يحاول البقاء عنده، إذ قد بلغ العدد (٣٥) في بعض السنين وارتفع إلى (٥٥) في سنين أخرى.

تُدرّس فيها، جميع المراحل الدراسيّة الحوزويّة، وللشيخ يوسف سبيتي درس في (الخارج)، أي المستوى الأعلى للدراسات الحوزويّة، وتعتمد الحوزة في تمويلها، على الحقوق الشرعيّة[1]. ويُلاحظ أن إنشاء الحوزات، بات أحد أبرز جوانب الطموح العلمي، والاجتماعي المشروع، الذي يسعى إليه، خريجو الدراسات الحوزويّة، بلبنان.

٢٢ – حوزة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام – ١٤١٧هـ /١٩٩٧م – بعلبك – البقاع

حوزة شيعيّة ثانية في بعلبك، أسّسها الشيخ مهدي سليمان اليحفوفي (ولد في: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، عام ١٩٩٧م، تضمّ بعض الدروس الثقافيّة، إضافة إلى الدروس الحوزويّة المعهودة، من مقدّمات، وسطوح، وسطوح عالية. وعدد طلّابها يتجاوزون (٤٠) طالباً[2].

وكان المرجع السيّد محسن الحكيم، (ت: ١٤٩٠هـ/١٩٧٠م)، قد طلب من أبيه الشيخ سليمان اليحفوفي، أن يُنشىء حوزة ببعلبك[3]، فلم يتسنّ له ذلك، فجاء ولده الشيخ مهدي، ليحقّق ذلك الطلب.

وهذه الحوزة، مرتبطة بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وبذلك فهي تميل إلى مرجعيّة النجف الأشرف، وإن كان مؤسّسها، الشيخ مهدي، هو من خرّيجي حوزة قم، وهي نقطة مهمة، سيتمّ تأكيدها في المبحث التالي – إن شاء الله تعالى – حيث لا ملازمة، بين الدراسة بقم، وبين تبنّي مرجعيّتها.

١-مقابلة شخصية مع الشيخ يوسف سبيتي، ببيروت، الأربعاء ١٣ صفر ١٤٢٩هـ/٢٠ شباط ٢٠٠٨، ٩ صباحاً.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ مهدي اليحفوفي، بيروت، الأربعاء ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/١٦ نيسان ٢٠٠٨، ١٢ظهراً.

٣- الموسوي، عباس علي: علماء ثغور الإسلام، ١/٣٩٤.

٢٣ - حوزة البشير ﷺ - ١٤١٨هـ /١٩٩٨م - تول[١] - جبل عامل

تقع الحوزة ضمن، مجمّع البشير الديني، قرب النبطيّة، وكان تأسيسها بإشارة، من الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت: ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م) عام ١٩٩٨م، وتفتقر الحوزة إلى، أقسام داخلية للطلّاب، ولا تقوى على تقديم رواتب لهم. بدأت الحوزة بعدد محدود، ألّف حلقتي درس، ثم ازداد عددهم، حتى وصل إلى خمسين طالباً، في بعض السنين. والعدد الآن هو ثلاثون، بين طالب ومدرّس. فيها دروس المقدّمات والسطوح، وحتى السطوح العليا[٢].

وهي حوزة أُخرى، ترتبط بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ومن ثمّ بمرجعية النجف الأشرف.

٢٤ - حوزة سيّد الشهداء عليه السلام[٣] - ١٤١٩هـ /١٩٩٩م - بئر السلاسل[٤] - جبل عامل

أسّسها الشيخ فادي سعد (ولد: ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م)، أحد خرّيجي حوزة قم، التي عاد منها سنة ١٩٩٢م، حيث استلم إدارة حوزة النجف الأشرف المتقدّمة (حوزة رقم١٨) لعشر سنين. وهو مؤشّر من المؤشرات الكثيرة، على أنه ليس من الضروري، أن يكون خرّيج قم منتمياً إلى مرجعيتها؛ إذ صارت قم، الملاذ الوحيد المتعيّن، لطلبة العلوم الدينية من المسلمين الشيعة، بعد غياب حوزة النجف قهريّاً، منذ نهاية سبعينيات القرن

١- تول: بضم التاء وسكون الواو فلام ساكنة، هكذا تعرف عند العامة، ولكنها عند الخاصّة بثاء مثلثة أولها، وهي من عمل الشقيف، على ميل ونصف ميل من النبطية غرباً، ذكرها ابن سينا في أرجوزة له، (ظاهر، سليمان: معجم قرى جبل عامل، ١/١٦٠).

٢- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ سلمان دهيني، ص٢٣٠

٣- عُرف بهذا اللقب اثنان؛ الحمزة بن عبد المطلب، والإمام الحسين بن علي عليه السلام، والمقصود هو الثاني (الباحث).

٤ - قرية بجبل عامل، تقع قبل تبنين، في الطريق الصاعد من صور، بعد بلدة الشهابية، وقبل مفرق دير أنطار. ولم أجد لهذه القرية ذكراً في (خطط جبل عامل) أو (معجم قرى جبل عامل). وسألت عن اسم آخر قد يكون لها، فقيل: البيادر، وهو الآخر لم أجد له أثراً. (الباحث).

العشرين الميلادي/أواخر القرن الرابع عشر الهجري.

وقد تقدّم لهذه الحوزة (٣٩٠) طالباً منذ تأسيسها، وعدد طلّابها الفعليّين (٥٠) طالباً، فيها كلّ المراحل الدراسية، وحتى دروس الخارج، حيث يلقي الشيخ فادي، درس خارج في علم الأصول، ويتولى السيد لؤي نور الدين (ولد بالنجف سنة ١٣٨٤هـ /١٩٩٤م)، درس خارج الفقه.

ويسعى الشيخ، لتكون حوزته متميّزة، عبر نظام إدارة متقدّم، حيث إنه قرأ، كل ما كُتب عن الحوزات قبل أن يؤسّسها. ومن برامج الحوزة: أن يرشّح أحد طلبتها سنوياً، لموقع (رجل العام)، إذ يكون الأفضل علميّاً، والأكثر حضوراً، وتقدّم له مكافآت مجزية. وهناك خطاب سنوي للمؤسس، يبيّن سلبيات وإيجابيّات، كل سنة دراسيّة.

والحوزة هي مشروع، ضمن (١٥) مشروعاً، تتضمن نشاطات دينية، واجتماعية، وعلمية، في مؤسسة سيد المرسلينﷺ الخيريّة. وهي الآن بصدد الانتقال إلى مبنى حديث، ذي ثلاثة أدوار، تمّ تأمين تكاليفه من الحقوق الشرعية[١].

٢٥ – الحوزة العلميّة لدراسة علوم أهل البيتعليهم السلام – ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م – بيروت

هذه حوزة، تختلف عن بقيّة الحوزات المعاصرة، إذ إن مؤسسها الشيخ علي البهادلي (ت: ١٤٢١هـ /٢٠٠١م) عراقي، من أسرة علميّة نجفيّة، وهو بنفس الوقت طالب دراسات إسلاميّة عليا[٢]، ومن جهة ثانية، فإنّ جميع طلّاب هذه الحوزة، هم من العراقيين، الذين كانوا لاجئين بلبنان، وأغلبهم ممن كان ينتظر سفره، إلى إحدى الدول الغربيّة، حسب تنسيب منظمة اللاجئين، التابعة للأمم المتّحدة. كما أنّ هدف هذه الحوزة، يشكّل نقطة

١- مقابلة شخصيّة مع الشيخ فادي سعد، مؤسّس الحوزة، بئر السلاسل، الأحد: ٢ شعبان ١٤٢٩هـ/٣ آب ٢٠٠٨م، الساعة ١.٣٠ ظهراً.

٢- وكان قد أنهى مرحلة الماجستير، بكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وتوفي وهو يعدّ الدكتوراه. (الباحث)

الاختلاف الثالثة؛ إذ ينحصر في: تثقيف الشاب المهاجر العراقي، دينيّاً وفقهيّاً، حتى يقوى على الحفاظ على دينه، أولاً، إذا هاجر إلى البلاد الغربيّة، والتأثير إيجابياً، على الجاليات المسلمة هناك، ثانياً.

وجاء في سبب إنشائها: أنها تأسّست، لاستيعاب عدد من العراقيين، لأن هناك عدد من الحوزات، لا تستقبل إلّا الطلبة اللبنانيين فحسب.

وتتركّز دروسها في: الفقه، السيرة، العقائد، فنّ الخطابة، علم الدراية، علوم العربية، الأخلاق، المنطق. وكان مدرّسوها؛ من اللبنانيّين، والعراقيّين، المقيمين بالساحة اللبنانيّة. استمرّت الحوزة بعد وفاة مؤسّسها مدة، حتى أُقفلت، منتصف عام ٢٠٠٣م(١).

٢٦ - حوزة الإمام علي عليه السلام - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م - بيروت

أوّل ما يطالعنا في هذه الحوزة، أن تأسيسها كان بإشارة، من أحد مراجع حوزة قم، وهو آية الله الشيخ محمد تقي بهجت(٢)، والذي أمر بتحويل مبنىً كان مشغولاً من قبل مركز دراسات إيرانيّة، إلى مقرّ الحوزة. والمبنى، ذو الأربعة أدوار، ملاصق لمبنى سفارة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وهناك صعوبة في الوصول إليها، نظراً للإجراءات الأمنيّة، التي كانت تشمل زوّار الحوزة كذلك.

مؤسّس الحوزة المباشر السيّد جعفر مرتضى العاملي (ولد :١٣٧٥هـ/

١- (عمرو، يوسف محمد: التذكرة، ٢/٥٧٩)، (مقابلة شخصية مع الشيخ محمد مرتضى حسن، مدير الحوزة السابق، الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٢٩/٢٩ تموز ٢٠٠٨، الساعة ١٢ ظهراً، بيروت) و (مقابلة شخصية مع أحد أساتذتها، السيد محمد هادي الخرسان النجفي، الأحد ٨ ربيع أول ١٤٢٩هـ/ ١٦ آذار ٢٠٠٨م، الساعة ٥ عصراً، بيروت).

٢- الشيخ محمد تقي بهجت (ولد في ١٣٣٤هـ) بشمال إيران، فقيه محقّق ومرجع ديني، وحكيم سالك في دروب العرفان وزاهد تقي، هاجر إلى حوزات العراق منذ عام ١٣٤٨هـ - ١٣٦٤هـ. وصار من أكابر مدرسي حوزة قم، من المجتهدين الذين رشحتهم جماعة مدرسي حوزة قم للمرجعية. (الشاهرودي، نور الدين: المرجعية الدينية، ص٢٠٨ - ٢٠٩). وقد توفي في جمادى الثاني ١٤٣٠هـ/ أيار ٢٠٠٩. (الباحث).

١٩٤٥م) (من أقدم العلماء اللبنانيّين، الذين تركوا حوزة النجف، متّجهين إلى حوزة قم) حيث توسّم فيه، المرجع الشيخ بهجت، الأوصاف العلميّة، التي تجعله مؤهّلًا لفتح حوزة، يكون لها موقع متميّز في حوزات لبنان.

وكان يؤكّد، على ضرورة اتّباع المنهج الحوزوي التقليدي، المعمول به في حوزتي النجف وقم، وخاصّة التأكيد على المقدّمات، كالنحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، بحيث يكون مجتهداً فيها. وإنّ سبب تراجع المستوى العلميّ، لطلّاب الحوزات، إنّما يعود إلى ضعف مرحلة المقدّمات لديهم.

وظهر مستوى هذه الحوزة، عبر طلّابها، الذين توجّهوا إلى حوزة قم، بعد حرب تموز عام ٢٠٠٦م، ليتصدّوا للتدريس فيها دون غيرهم. مراحل الدراسة فيها من تسع مراحل، وللسيّد جعفر مرتضى، درس خارج لطلّابها.

ورغم أنّ الشيخ بهجت، هو الذي أشار بإنشاء هذه الحوزة، فإنه لا يصل منه إلّا شيءٌ يسير، كدعم مالي للحوزة، عدد طلّابها هو أربعون طالباً. وكان العدد أكبر من هذا، قبل حرب تموز ٢٠٠٦م. وتشجّع هذه الحوزة طلّابها، على الدراسة الجامعيّة، ليطّلع على ما فيها ويعرف أهميّة ما عنده من علم(١).

ولا نحتاج إلى تأكيد ارتباط هذه الحوزة بقم وحوزتها؛ من صاحب فكرتها المرجع، أو السيّد المؤسّس لها.

٢٧ – حوزة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م، النبطيّة – جبل عامل

عرفنا في حوزات المرحلة الثانية، أنّ النبطيّة كان لها إسهام مهمّ، من خلال حوزتها، التي أسّسها السيد حسن يوسف مكي (ت: ١٣٢٤هـ / ١٩١٥م)، حيث طُلب بعدها، من الشيخ عبد الحسين صادق (ت: ١٣٦١هـ /

١- مقابلة شخصية، مع السيد حسين محمود حجازي، بيروت، (الثلاثاء، ١٣ جمادى الثاني ١٤٢٩هـ/١٧ حزيران ٢٠٠٨، الساعة ١٠ صباحاً)، مدير الحوزة، وهو من مواليد (١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م) درس بالنجف ١٩٧٧م.

١٩٤٠م)، أن ينهض بأعبائها.

وكانت قد سبقت هذه الحوزة بالنبطيّة، في عصرنا هذا: حوزة الإمام الصادق عليه السلام المتقدّمة (الحوزة رقم – ١٥)، وحوزة حبّوش (الحوزة رقم – ١٧) التي اتخذت من حُسينيّة النبطيّة بداية لها، قبل استقرارها ببلدة حبّوش.

"وأشرف الشيخ عبد الحسين صادق (ولد: ١٣٦٧هـ /١٩٤٧م)، على هذه الحوزة منذ عام (٢٠٠١ – ٢٠٠٦م)، وكانت تضمّ (٣٠) طالباً و(٧) أساتذة. وهناك درس في الخارج، يشرف عليه الشيخ حسن رميتي"[1] (ولد ١٣٨٣هـ /١٩٦٢م)، من مبرزي خريجي حوزة قم. ثم إنّ هذه الحوزة توقّفت؛ لاضطراب الأوضاع العامة، التي لا تخلو من أبعاد سياسية. حيث يتحسّس بعض العلماء، من أيّ احتمال، لتسرّب انتماء حزبي لحوزاتهم. وهذه الحوزة، مرتبطة بالنجف ومرجعيّتها.

٢٨ – معهد الإمام الهادي عليه السلام[2] – ١٤٢١هـ /٢٠٠١م – بيروت

أسّسه الشيخ ناجي، وأخوه الشيخ محمد طالب، وهما من خريجي حوزة قم، وكان الشيخ ناجي، متفرّغاً في العمل الثقافي، التابع لحزب الله.

"تهتمّ هذه الحوزة، بالأسلوب التقليديّ في الدراسات الحوزويّة، بل هي (حوزة تقليديّة جداً)، وهي من ثمان مراحل دراسيّة، وعدد طلابها خمسون طالباً". وخلال زيارة للحوزة، واللقاء بمديرها الشيخ ناجي، كان بعض الطلّاب في سنّ متقدّم نسبيّاً، وهم يعملون أعمالاً أخرى، خارج الحوزة، ولمّا سألت الشيخ ناجي عن ذلك، قال": لا دعم مالي كافٍ، حتى ينهض بتفرّغ الطلبة، ولهذا فإنّ هذه الحوزة، تفرّدت عن بقية الحوزات – حسب استقصائي – ، بتوزيع صناديق للتبرّع، نجدها في المحلات والشوارع، لأجل مصروفات الحوزة.(انظر الملاحق، الصورة رقم ١٠).

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ أحمد صادق، ص٢٤١ .

٢- وهو الإمام العاشر، من أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، علي بن محمد بن علي الرضا، (ت: ٢٥٥هـ) بسامراء.(الباحث).

ويقول الشيخ ناجي طالب، عن هذه الصناديق أنّها لأجل بقائنا مستقلّين، وبعض طلّاب هذه الحوزة، يواصلون دراساتهم الحوزويّة بقم، ومعهم إفادات بالدرجات[١].

٢٩ - حوزة مركز الدراسات الإسلاميّة لدراسات لفقه آل البيت عليهم السلام - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م - بيروت

وهي إحدى حوزتين، يشرف عليهما الشيخ عبد الأمير قبلان، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وهي في بناية خاصّة بخمسة أدوار، وعدد طلابها خمس وعشرون طالباً في المراحل كلها، وهو عدد لا يتناسب وضخامة هذه البناية.

مدير هذه الحوزة، الشيخ ناجي درويش (ولد: ١٩٦٧م)، أحد خريجي حوزة قم، ولكنّه مع ذلك، يعتبر أنّ حوزة قم لم تنتج شيئاً، وأنها تحاول الحصول، على اعتراف جامعة طهران بها (أكاديمياً)، وهو يرى، أن لا حاجة لطلّاب الحوزات، بالجامعات وشهاداتها.

كما أضاف: "إنّ الطالب بحوزة قم، يُرغم على مجارات الكثير من البرامج، وأن بلاء الحوزات بدأ، من حين تُركت البرامج التقليدية، واستبدلت بالكتب التدريسية الجديدة"[٢].

وقد هيّأت هذه الحوزة، ما من شأنه تقدّم الطلّاب علمياً، ومعرفياً، عبر توفير مكتبة عامّة، وتوافر الحواسيب الحديثة، وتهيئة قسم داخلي لإقامة الطلبة. وتسعى هذه الحوزة، لرفع مستويات طلّابها، عبر البرامج التعليمية، ومطالبتهم بإعداد رسائل التخرّج، وبرامج أخرى[٣].

١- مقابلة شخصيّة سابقة مع الشيخ ناجي طالب، ص ٢٣٨ .

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ ناجي درويش، بيروت، الثلاثاء ٢ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/٨ نيسان ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

٣- من نشرة خاصة بهذه الحوزة.

٣٠ - حوزة مركز الدراسات الإسلامية لفقه آل البيتعليهم السلام - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م - ميس الجبل - جبل عامل

أول نشاط حوزوي بميس، منذ أيام المحقّق الميسي، علي بن عبد العالي (ت: ٩٣٨هـ). حيث لم تشهد نشاطاً، منذ ذلك التاريخ، رغم وجود مسجد هناك، يُنسب إلى الصحابي أبي ذر الغفاري، على ما مرَّ بنا في الفصل التمهيدي، وهو ممّا يشجّع على نشوء تلك الحوزات، حيث نجد أن الحوزات الشيعيّة، ترتبط بشكل واضح، بالأماكن المقدسة ذات البُعد التاريخي.

الحوزة هذه، هي الفرع الثاني، بعد فرعها الأول ببيروت، والمشرف الشيخ عبد الأمير قبلان (نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي)، ورئيسهما ولده الشيخ أحمد قبلان، المفتي الجعفري الممتاز. وجاء تأسيسها، بعد تأسيس الأولى. (ولما فتحت الحوزة بميس سنة ٢٠٠٣م، حثّ السيد نسيم عطوي طلبته، في حوزة مركبا، على الالتحاق بهذه الحوزة)[١]. وما قيل من خصائص الحوزة الأولى يُقال لهذه أيضاً.

٣١ - معهد أهل البيتعليهم السلام (الحوزة العلميّة) - ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م - بنت جبيل - جبل عامل

كان لبنت جبيل، نشاطٌ حوزويٌّ مهمٌّ، في المرحلة الثانية، من مراحل الحوزات اللبنانيّة، مع شيخها الشيخ موسى شرارة (ت: ١٣٠٤هـ)، وأما عيناثا المجاورة لبنت جبيل، فقد كان لها الدور الأسبق، في المرحلة الأولى، كما مرّ في الفصل الأول.

وهذه الحوزة، تقع في طريق بنت جبيل - مارون الراس، في شقّة تضم (٣٠) طالباً. وشروطها غير معقّدة، لقبول الطلّاب، وقد يكون بعدها، وموقعها، وخطورة المنطقة، يملي هذا التساهل في القبول. وقد شهدت

١- مقابلة شخصيّة سابقة، مع الشيخ سلمان دهيني، ص ٢٣٠ .

الحوزة إقبالًا كبيراً، بعد حرب تموز (عام ٢٠٠٦م)، حتى بلغ العدد أربعين طالباً.

مدير الحوزة، الشيخ صالح فيّاض (ولد: ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م)، ولا تزال هذه الحوزة، في طور الإنشاء والإعداد، فلم تتمكن من أخذ موقعها بعد، ولم تنتج خرّيجاً منها[1]. وكانت زيارتنا لهذه الحوزة يوم أحد، فلم نلتقِ بمديرها.

وبالحديث عن هذه الحوزة، نكون قد أنهينا القسم الأول، من المبحث الأول، حول الحوزات الرجاليّة المعاصرة.(أرفقنا بعض الصور عن بعض هذه الحوزات، الملاحق، الصور رُقم (١١)).

ثانياً: الحوزات النسائيّة

قبل البحث في الحوزات النسائية المعاصرة، بلبنان، لا بدّ من توقّف عند البُعد التاريخي، للنشاط الحوزوي الشيعيّ، الذي سُجّل لنسوة لبنانيات.

وغنيّ عن القول؛ إنّ الدين الإسلامي الحنيف، حثّ على طلب العلم، للذكر والأنثى، على حدٍّ سواء، ووردت آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبويّة شريفة، تؤكّد هذا الحثّ وتدعمه.

وفي تاريخ حوزات لبنان، أسماءٌ نسويّةٌ برزت منذ الحوزة الأولى، في المرحلة الأولى؛ أي منذ حوزة جزّين التاريخية؛ مثل (ستّ المشايخ) وهي أمّ علي، زوجة الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي الجزيني (ت: ٧٨٦هـ). حيث كان "يشيد بفضلها، ويحثّ النساء، على أخذ أحكامهن الشرعيّة منها"[2]. ثم ابنتُه (أمّ الحسن)، وقد جاء في مدى شغفها بالعلم، أنها تنازلت لأخويها، عن حصتها في إرث أبيها، في مقابل النسخة النفيسة

١- مقابلة شخصية مع الشيخ بنيان خليل (ولد: ١٩٨٢ باريش)، بنت جبيل، الأحد: ١٣ ربيع الثاني، ١٤٢٩هـ/٢٠ نيسان ٢٠٠٨م،الساعة ٢ بعد الظهر.

٢- (الحر العاملي، محمد بن الحسن: أمل الآمل، ١/١٩٣)، (الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٤٠٣/٥٢ – ٤٠٤).

للقرآن الكريم، التي عرفت بـ (هديّة ابن المؤيّد)، مع أربعة كتب فقهيّة[١].

ثم عاد بنا التاريخ، ليسجّل امرأة أخرى؛ وهي (بنت الشيخ علي المنشار) (ت: ٩٨٣هـ)، التي كانت "النساء تدرس عليها، وافرة العلم، كثيرة الفضل، ورثت من أبيها، أربعة آلاف مجلّد من الكتب"[٢]. وهي الوريث الوحيد لأبيها، وكانت زوجة الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي، المعروف بالبهائي (ت: ١٠٣١هـ) [٣].

ولا شك أن نساء أُخريات، ممن لم تُذكر أسماؤهنّ في كتب التراجم والسِيَر، كان لهن حضور ما، في تلك الأجواء العلميّة الواسعة، التي شهدتها قرى جبل عامل ومدنه، في المرحلتين الأولى والثانية، من الحوزات اللبنانيّة، وقد تكون الأعراف الاجتماعيّة السائدة، في عموم بلدان المسلمين، حالت دون معرفة الكثير منهن.

إنّ ممّا يميّز، الحوزات اللبنانيّة في المرحلة المعاصرة، عن مرحلتيها السالفتين؛ بروز حوزات خاصّة بالنساء[٤]، انتشرت في بيروت، وجبل عامل، والبقاع. مما يدعونا إلى دراسة هذه الحوزات، ساعين لاكتشاف خصائصها وأدوارها، حسب تأسيسها تاريخيّاً.

١ - حوزة السيّدة الزهراء عليها السلام، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م - بعلبك

أوّل حوزة نسويّة معاصرة بلبنان، مؤسّسها السيد عباس الموسوي (ت: ١٤١٢هـ /١٩٩٢م)، وهو مؤسّس حوزة الإمام المُنتظر ببعلبك، المارّ ذكرها (ص٢٣٣). وهو أمر لافت، حيث تؤسّس أول حوزة نسائية، في منطقة، لم تشهد نشاطاً حوزوياً، إلا في السنين الأخيرة، مما يدلّ على أن البُعد التاريخي، لم يعد هو المحفّز الأوفر حظاً، في نشوء الحوزات، حيث

١- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ٤٢١/١.

٢- الأفندي، الميرزا عبد الله: رياض العلماء، ٤٠٧/٥.

٣- الصدر الكاظمي، حسن: تكملة أمل الأمل، ٤٢٢/١.

٤- وهي ظاهرة جديدة كذلك، في الحوزات الشيعية، خارج لبنان. (الباحث).

برز الوعي الدينيّ، محرّكاً أساسيّاً، للنشاطات الإسلاميّة؛ ومنها الاهتمام بالمرأة المسلمة؛ تربية، وإعداداً، وتوجيهاً.

كما يُلاحظ: أنها السنة التي، شهدت نجاح الثورة الإسلامية بإيران، التي أحدثت نقلة كبيرة، في تبوأ الدراسات الحوزويّة، منزلة متقدّمة، في طموحات شبّان المسلمين، وشابّاتهم.

مراحل الدراسة في هذه الحوزة، ثمان سنوات، وتركّز دراساتها الفقهيّة في حدود مرحلة السطوح الأولى، إذ إنّ هدفها يتجسّد، في إعداد المرأة المسلمة، للنهوض بمسؤوليات التبليغ، ونشر الثقافة الفقهيّة، والدين الإسلامي، بين صفوف النساء، ولذا كانت تتساهل في شروط القبول كذلك.

وممّا تميّزت به هذه الحوزة؛ وجود قسم داخلي للطالبات، الذي شجّع طالبات، وفدن إليها من كلّ المناطق اللبنانيّة، بل ومن سوريا كذلك. وقد استقطبت طالبات، من الجنوب، وبيروت، ومناطق أخرى؛ لكونها الحوزة الأولى في الساحة الحوزوية النسويّة، بلبنان.

عدد طالباتها يتراوح بين (خمسين إلى ستين) طالبة، وتهتمّ الحوزة هذه، بالدراسات القرآنية والعقديّة، وتولي الراغبات من طالباتها، اهتماماً، ليكنّ قارئات عزاء في شهر محرّم، وللتبليغ اهتمام واسع، بهذه الحوزة[١].

٢ – المعهد الشرعي الإسلامي – القسم النسائي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٠م – بيروت

تأسّس بعد الحوزة السالفة، فهي الحوزة الثانية للنساء، التي تشهدها الساحة اللبنانيّة. وكما هو واضح من اسمها، فهي حوزة تابعة، للمعهد الشرعيّ الإسلامي، التابع بدوره للسيد محمد حسين فضل الله، وليس لهذه الحوزة اسم خاصّ بها.

والهدف من إنشائها هو: "إعدادُ المتعلّمات المثقّفات المبلّغات، على

١- المعلومات من مقابلة شخصيّة مع الأخت هالة الحكيم (أم زهراء) مواليد ١٩٦١م مسؤولة الحوزة حالياً، بعلبك، (الأربعاء؛ ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/٢٨ أيار ٢٠٠٨م)، ١٢ ظهراً.

صعيدي البيت والمجتمع، وليس هو كهدف دراسة حوزة الرجال، التي تسعى إلى إعدادهم، مشروعات للاجتهاد"[١].

وكانت هذه الحوزة، تشغل بناية من عدة أدوار، في منطقة صفير، وبعد الحرب عام (٢٠٠٦م)، انتقلت إلى طابق، في مبنى حسينية حيّ السلّم، بالضاحية الجنوبيّة. وقد تناوب على إدارتها، ثمانية من العلماء.

عدد الطالبات حالياً (خمس وخمسون) طالبة، في المراحل الدراسيّة، الخمس كلّها. بينما كان العدد، يصل إلى خمسين للمرحلة الأولى فقط، في بدايات التأسيس، ويعود السبب في هذا التضاؤل إلى: "كثرة المراكز والمعاهد والحوزات، وتعدّد الإتجاهات"[٢]. وكانت مؤسّسات حزب الله ومنها الحوزويّة، قد استقطبت المساحة الكبرى، مما قد يؤدي إلى تحجيم بقية المؤسّسات الحوزوية والتربويّة، التابعة لمرجعيات لبنانية كبرى.

٣ - معهد السيّدة الزهراء عليها السلام العالي للشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، بيروت

تأسّست هذه الحوزة النسوية عام ١٩٨٥م، أي في نفس سنة تأسيس الحوزة السابقة، ويبدو أنّ اهتماماً كبيراً، قد برز في هذه السنة، لإنشاء معاهد دينيّة خاصة بالنساء. ويُلاحظ هنا: أنّ تأسيسها جاء، بعد سنتين من تأسيس الحوزة الرجاليّة، عام ١٩٨٣م، اللّتان تعودان لنفس الجهة المؤسّسة؛ وهي المنظّمة العالميّة للمدارس والحوزات خارج إيران، (وقد أشرنا إليها في (٢٣٧). وبهذا فإنَّ هذه الحوزة، تحظى برعاية وإمكانيّة، كبيرتين. وليس لهذه الحوزة، علاقة بحوزةبعلبك النسوية السابقة.

وكانت في بداية تأسيسها، تقبل الطالبات بشروط متواضعة، حتى اللّواتي، لم يحصلن على الشهادة المتوسطة، واليوم لا تُقبل، إلا خرّيجات

١- مقابلة شخصيّة مع السيّدة دلال عسّاف، (مسؤول الحوزة)، بيروت، الإثنين ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/٢١ نيسان ٢٠٠٨م. الساعة ١١:٣٠صباحاً. (الباحث)

٢- مقابلة شخصيّة سابقة، مع السيّدة دلال عسّاف، أعلاه

الثانويّة فما فوق. وهناك طالبات جامعيّات ضمنها حالياً.

عدد الطالبات تسعون طالبة للمراحل كلّها. ومن الملاحظات هنا؛ أنّ عدد الطالبات، ازداد بعد حرب تموز (٢٠٠٦م)، فكانت هناك مائة وخمس طالبات.

ولهذه الحوزة ثمان مراحل دراسيّة، تمنح بعدها إجازة (الليسانس) لطالباتها، بالتعاون مع الجامعة الإسلامية، ثم درجة (الماجستير) كذلك.

تهدف هذه الحوزة، إلى إعداد طالباتها، في إحدى الاختصاصات الأربعة أدناه:

أ- كاتبات وباحثات؛ نظراً لقلّة الأقلام النسويّة الإسلامية. ولهذه الحوزة مجلّة نسويّة إسلامية، استحصلت على إجازة رسميّة في العام الماضي، وكلّ كاتباتها من هذه الحوزة. (الملحق، الصورة رقم (١٢))

ب- مبلّغات وداعيات؛ حيث تُهيّأ لهنّ دورات ثقافية، وأخرى لإعداد خطيبات المنبر الحُسيني، حيث ينطلقن للتبليغ، في شهري محرم، وشهر رمضان الفضيل، داخل بيروت، على أمل توسّع المجال إلى خارجه.

ج- المدرّسات والمعلّمات؛ وهنّ الآن في مرحلة، إعدادهنّ مدرّسات للدروس الحوزويّة، على أمل السعي، ليكنّ مدرّسات في المدارس مستقبلًا.

د- المربّيات؛ لإعداد الأمّهات الواعيات، والزوجات الصالحات، ولهنّ دروس في التربية والطفل.

وأخيراً فإن لهذه الحوزة، بناية خاصة، بجوار معهد الرسول الأكرمﷺ، بمنطقة حارة حريك ببيروت[١]، حيث تجد حركة لم تؤلف في الحوزات النسوية الأُخرى، نظراً لضخامة الإمكانيات وكبير الاهتمام.

١- المعلومات من مقابلة شخصية، مع الأخت نوال عيسى (١٩٧٤م)، ليسانس فلسفة، طالبة ماجستير، مسؤولة التربية والتعليم بالحوزة، بيروت، الإثنين ٢٣ ربيع الأول، ١٣٢٩هـ/ ٣١ آذار ٢٠٠٨م، ١٠ صباحاً.

٤ – معهد الإمام الصدر ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م، صور – جبل عامل

وهي الحوزة النسويّة الثالثة، التي تؤسّس في هذه السنة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، في عامة لبنان، والحوزة النسويّة الأولى بجبل عامل. أسّسها السيّد محمد الغروي (ولد بالنجف: ١٣٥٩هـ/١٩٣٨م)، على إثر عودته من إيران، واستمرّت هذه الحوزة إلى عام (١٤٠٩هـ /١٩٨٩م). حين أخذت أجواء المنازعات الحزبيّة الشيعيّة، تنعكس سلبياً على الحوزة، فأُخرج منها مؤسّسها ليتولاها غيره، ولما بُنيت الجامعة الإسلامية، بصور، وهي بناية كبيرة، ورائعة على البحر، انضمّت إليها، لتكون هذه الحوزة، فرعاً في هذه الجامعة. بعد أن تحوّل مقرّها، إلى حوزة رجاليّة، وأُغلق المعهد النسوي سنة ١٩٨٩م[1]. أي أنّ هذه الحوزة، تركت لباسها الحوزوي تماماً، لتلبس بعده الرداء الجامعي، وهي ظاهرة فريدة، في الحوزات اللبنانية المعاصرة.

وهذه الحوزة، كانت تهدف، إلى تربية المرأة المسلمة، وتثقيفها فقهيّاً؛ لها ولبنات جنسها من النسوة.

٥ – معهد السيدة خديجة الكبرى عليها السلام للعلوم الإسلامية – ١٤١٥هـ /١٩٩٥م – صور – جبل عامل

حوزة نسوية ثانية، تابعة للسيّد محمد حسين فضل الله، وهي المؤسّسة الحوزويّة الثالثة التابعة له، بعد حوزتي بيروت؛ الرجاليّة والنسائيّة السالفتين. وتأسّست هذه الحوزة، بمبادرة من بعض علماء صور، حيث اشتريت شقة لتكون مقراً للحوزة.

عدد سنيّ الدراسة أربع، وكان عدد طالباتها قبل الحرب عام (٢٠٠٦م)، من سبعين إلى ثمانين طالبة، في مراحلها الأربع. ثم عاد الوضع هذه السنة، إلى سابق عهده، ممّا يؤمّل منه، عودة الأعداد السابقة، من الطالبات المنتميات لهذه الحوزة، التي تهدف إلى: إعداد المرأة المسلمة المتفقّهة،

١- مقابلة شخصية ثانية، مع السيد محمد الغروي، صور، السبت ٢١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/٢٩ آذار ٢٠٠٨، الساعة ١ بعد الظهر.

لتكون زوجة صالحة، وأماً صالحة.

وبعضٌ من طالبات هذه الحوزة، يكملن دراستهن، بالمعهد الشرعي للأخوات، التابع للسيد فضل الله ببيروت، ومن تريد المزيد من التخصّص الحوزوي، تسافر إلى حوزة قم بإيران.

وتقوم هذه الحوزة، بإعداد دورات صيفيّة، لإعداد المبلّغات، وخطيبات المنبر الحُسيني؛ بما يشغلهُ من مجالات، للتأثير والتبليغ، في مناسبات المسلمين الشيعة بلبنان[1].

٦ – حوزة السيدة زينب عليها السلام للشريعة الإسلامية، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، صيدا – جبل عامل

وهي إحدى نشاطات، مجمّع السيّدة الزهراء عليها السلام بصيدا، الذي يُشرف عليه الشيخ عفيف النابلسي، (وقد عرفناه أحد وكلاء المرجعية ببغداد في الفصل السابق).

وتُعدُّ الحوزة النسويّة الأولى بصيدا؛ وتشغل طابقاً كاملًا في هذا المجمّع، وناهز عدد خرّيجاتها خمسمائة طالبة، وذلك على مدى ثلاث عشرة سنة. ويُلاحظ في مناهجها الدراسيّة: الاهتمام بالثقافة الإسلامية العامّة؛ مثل تفسير القرآن الكريم، والسيرة المطهّرة، وعلوم الأخلاق، والعقائد، ودروس من نهج البلاغة، إضافة إلى الفقه، وآيات الأحكام. ومهمّة هذه الحوزة، إعداد المرأة المسلمة المتفقّهة المبلّغة. وهي من الحوزات القلائل، التي تعتمد طاقماً تعليمياً، من خريجاتها بشكل مستمرّ. سوّيت هذه الحوزة بالأرض، في عدوان تموز عام ٢٠٠٦م[2].

٧ – الحوزة الدينيّة/الفرع النسائي١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، حبّوش – جبل عامل

وقد سبق أن ذكرنا حوزة حبّوش، في الحوزات الرجاليّة المعاصرة،

١- مقابلة شخصية سابقة، مع السيد محمد الغروي، ص٢٢٤.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ عباس ابن الشيخ عفيف النابلسي، بيروت، الجمعة ٢١ رجب ١٤٢٩هـ/٢٥ تموز ٢٠٠٨م، الساعة ٩ ليلًا.

والتي أسّسها السيّد علي مكّي سنة (١٤٠٧هـ /١٩٨٧م)، أي أنّ الفرع النسوي لهذه الحوزة، جاء بعد أكثر من عشر سنين، من تأسيس الفرع الرجالي الأساس فيها. وتُعدّ الحوزة النسويّة الوحيدة، التي عظمت قوة، وعدداً، واهتماماً، على سابقتها الرجاليّة. ومواد تدريس حوزة حبّوش النسائيّة (٢٢) مادة، ولمدة أربع سنوات، وذكر من هذه المواد التدريسيّة؛ ديانات، طب، تاريخ، شعر[١]، إضافة إلى الدروس المألوفة، في الحوزات الدينية، وتكاد تكون تلك المواد، مما تفرّدت بتدريسها هذه الحوزة.

وتعدّ أكبر حوزة نسويّة بلبنان قاطبة، حتى لقد تضاعفت أعداد طالباتها، على أعداد طلبة الحوزة الرجالية، أضعافاً عدّة، لتصل إلى عشرة أضعاف، فقد وصل عدد طالباتها، خلال تسع سنين، إلى (٧٨٠) طالبة. وهناك (٣٥٠) طالبة فعليّة بالحوزة، وعن أسباب هذا العدد الغفير من الطالبات، يقول السيّد علي مكي:

أ- إقبال النساء الواسع على الدراسات الدينيّة.

ب- انضباط المرأة بالدراسة.

ج- الاهتمام بمشروع تغيير المرأة بالمرأة.

د- لأن المرأة هي العنصر الأهم، في تربية الجيل، وتنشئة المجتمع، فاقتضت رعاية أكبر. وتقوم هذه الحوزة بتأمين نقل الطالبات من بيوتهنّ، التي تقع في قرى عامليّة متعدّدة إلى الحوزة وبالعكس، فهناك (١٢) سيارة، أُعدّت لهذه المهمّة. وهناك قابلية لتوسيع أعداد الطالبات، إذا توافرت الإمكانات المطلوبة[٢].

٨ - ٩ - المعهد الشرعيّ الجعفريّ - حوزة الشهيد الثاني، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤ (انصار - تفاحتا[٣]) - جبل عامل

نقف هنا مع حوزتين نسويّتين، تابعتين لهذا المعهد، الذي يشرف عليه

١- الجمعية الخيرية بحبّوش: مجمع حبوش الخيري، ص٥.

٢- مقابلة شخصية مع السيد علي مكي الحبّوشي، حبوش، النبطيّة، الإثنين ٨ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٤ نيسان ٢٠٠٨م، الساعة ١ بعد الظهر.

٣- تفاحتا، أو تفّاحته،... في ساحل صيدا، من أعمال الشومر. (الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢).

السيد نسيم عطوي، الذي سبق لنا الوقوف عليه، في الحوزات الرجاليّة المعاصرة.

ويُعدّ تاريخ تأسيس هاتين الحوزتين متأخراً، عن تأسيس الحوزات الرجاليّة المتعدّدة، التي أسّسها السيّد نفسه. مما يدلّ على بروز ظاهرة لافتة، في كثرة النساء الراغبات، في الدراسات الحوزويّة، فاقتضى تأسيس حوزات عدّة، لمواكبة الظاهرة هذه.

عدد طالبات هاتين الحوزتين، ضئيل إذا ما قيس بالحوزات النسويّة الأخرى، إذ تحظى حوزة أنصار النسوية بـ (١٢) طالبة، وحوزة تفاحتا النسوية بـ (١٨) طالبة فقط.

وهما لا تختلفان عن مثيلاتهما في إعداد الطالبة المؤهلة للقيام بمهمّة التبليغ في الوسط النسوي[١].

هذه هي الحوزات النسويّة المعاصرة بلبنان، التي اهتدينا إليها عبر السؤال والبحث. وهنا لا بدّ أن نذكر مؤسّسة نسويّة لها فروع ،في مناطق متعدّدة من لبنان لمزيد اطّلاع على المؤسسات، التي تهتمّ ببعض المواد الحوزويّة، في مقرّراتها، ولكنّها لا تُعتبر حوزة، وهذه المؤسسة تُعرف بـ:

١٠ – معهد سيّدة نساء العالمين عليها السلام الثقافي – ١٤١٥ هـ /١٩٩٥م – بيروت – البقاع – جبل عامل

تشرف على هذا المعهد، الوحدة الثقافيّة في حزب الله، ولهُ فروع في مناطق لبنانيّة مختلفة، وبلغ عددها إلى (١٨) معهداً[٢]. وفي الوقت الذي، ينفي فيه حزب الله، إشرافه على أي من الحوزات، فإنّه في الوقت نفسه، يعلن عن هذه المسؤولية بوضوح، تجاه هذا المعهد. ببيروت(٤) مراكز؛ منها

١- مقابلة شخصية مع الشيخ إبراهيم ناضل (سابقة) (ص ٢٣٠).

٢- مقابلة شخصيّة مع الشيخ أكرم بركات، مسؤول الوحدة الثقافية لحزب الله، بيروت، السبت ١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/٩ آذار ٢٠٠٨م، الساعة ٢ بعد الظهر.

واحدٌ في بيروت الغربية، في منطقة (النويري). ولو عُدَّ هذا المعهدُ حوزة، لاعتبر أوّل حوزة شيعيّة ببيروت الغربيّة.

وهدف هذا المعهد؛ استيعاب أكبر شريحة نسائيّة، لتعريفهنّ على الثقافة الإسلاميّة، ومن ثمّ تخريج أخوات مبلّغات، قادرات على نشر الثقافة الإسلامية.

وفي البداية، كانت تُقبل، كلّ من تُحسن القراءة والكتابة فحسب، أي في عام ١٩٩٥م، ثمّ وبعد ثلاث سنين، اشترطت شهادة المتوسطة، ومن لم تحصل عليها، تخضع لمقابلة شخصيّة، ودورة إعداد بعدها.

كما كان هناك، ثلاثة مستويات دراسيّة، ثم تطوّرت إلى خمسة، بعد خضوع المتقدّمة لامتحان القبول، وهذه المستويات كالتالي:

أ- التعرّف على الإسلام (معارف إسلاميّة).

ب- دراسات في العقيدة والسيرة والأخلاق، وهناك مادّة خاصة بـ (الولاية)[1]، إضافة إلى النحو وتجويد القرآن الكريم.

ج- مستوى (الممهّدون) [2]: وهو مزيد من الدراسات العقديّة والأخلاقية، حيث يُعتمد على مؤلّفات، جمعيّة المعارف الحكميّة (وهي من مؤسّسات حزب الله الثقافيّة).

د- وكان مع المستوى الخامس، في مستوى واحد، ولكثرة الدروس، تمّ الفصلُ بينهما، حيث تُدرّس في هذا المستوى، بحوث متقدّمة، فتبدأ عملية كتابة الأبحاث، والمقالات.

هـ- المستوى الأخير: حيث تتكامل الدروس الثقافيّة، وتؤهّل من تُنهي هذا

١- يحرص حزب الله في منهجه الثقافي، على موضوع (ولاية الفقيه)، في كل الدورات والمعاهد الثقافية، التي يرعاها، إذ تعتبر القاعدة الفقهية الشرعية، التي يعتمد عليها في وضع الحزب وارتباطه بالولي الفقيه، مرشد الجمهورية الإسلامية بإيران. وسنتوقف عند هذه النقطة في الفصل الرابع. (الباحث)

٢- الممهّدون، مفرده ممهّد (اسم فاعل للتمهيد): أي الذين يمهّدون لظهور الإمام المهدي عليه السلام ويهيّئون الأرضية لذلك الظهور. (الباحث)

الفصل، لتجاوز هذه المرحلة (العامّة)، والوصول للمرحلة الثانية (التخصصيّة)، لمدة سنتين، وتدرّس فيها مواد: الفقه، الفلسفة، الفكر المقارن، طرائق التدريس، دروس عمليّة، ثمّ تقديم البحث. والآن هناك تخصّص في علوم القرآن الكريم.

وأغلب المنتميات لهذا المعهد (المعاهد)، أمّهات، وفيهنّ نسبة كبيرة، ممن تركن الدراسة، ولهذا فهناك صعوبة لا تخفى، في إرجاعهن للأجواء الدراسيّة.

وتفتح المعاهد أبوابها، لإقامة دورات ثقافيّة، لخرّيجات الثانويّات، وطالبات الجامعة، ولمدة شهر ونصف، وتؤهّل بعض الطالبات لدخول المعهد مستقبلًا.

ويؤهّل هذا المعهد مبلّغات، يُلقين محاضرات في المناسبات الدينية؛ مثل أيام شهر محرّم. وليس للمعهد علاقة بحوزة قم، لكنّه يستقبل بعض خرّيجات حوزة قم، من الطالبات اللبنانيات[1]. ولدى زيارتي للفرع الرئيس، لهذا المعهد، في مجمّع القائم، وجدت نشاطاً وحركة واضحين.

نقاط في الحوزات النسائيّة المعاصرة

لا شك أن هناك، نقاطاً مُشتركة، بين الحوزات المعاصرة بلبنان، رجاليّة ونسائيّة، وسنرجىءُ البحث فيها إلى خطوة لاحقة، ونريد هنا، بحث النقاط الخاصّة، بالحوزات النسوية فقط.

إنّ أهمّ ما يمكن ملاحظته، من نقاط في الحوزات النسويّة، ما يلي:

١ – تأسيسها – عادة – متأخر، عن الحوزات الرجاليّة، حتى مع وحدة الجهة المؤسّسة.

١- مقابلة شخصية، مع مسؤولة الدراسات العامة بالمعهد (الفرع الرئيسي) سمر مسلماني (١٩٧٢م)، طالبة جامعية ودراسات حوزوية) ، بيروت ، الأربعاء ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/٢ نيسان ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

٢- شمول الصحوة الإسلامية المعاصرة، العنصر النسوي، أسوة بالرجال، الذي تجسّد في زيادة أعداد المنتميات للحوزات.

٣- مراعاة الطبيعة النسويّة، حيث تركّزت مواد الحوزات النسائية، على إعداد الطالبة لتكون عاملة للإسلام، متفقّهة في أحكامه، في أسرتها وأجوائها النسويّة. بينما تكون مهمات الحوزات الرجاليّة، إعداد مجتهدين، في الفقه، والأصول، على المدى الأوسع.

٤- عدد الحوزات النسويّة، أقلّ بكثير من الحوزات الرجاليّة، تصل إلى الثلث تقريباً.

٥- للطالبة الحوزوية، مهمّة نشر الوعي الإسلامي، إضافة إلى نشر الأحكام الشرعية، في الأوساط النسوية خاصّة، لأنها أقدر على ذلك من الرجال.

٦- أدّت حركة الحوزويات، في المجتمع اللبناني الشيعي؛ إلى توسّع دائرة المنتميات للدراسات الحوزوية، وتعاظم رغبتهنّ في ذلك.

٧- لوحظ اهتمام بعض الحوزات النسويّة، بإعداد خطيبات المنبر الحُسيني (قارئات عزاء)، لشغل هذه المهمّة، في المجالس النسائيّة، التي تُعقد في أيام عاشوراء، ومناسبات أخرى، طوال العام.

٨- لم تكن الساحة الشيعيّة بلبنان، هي الساحة الوحيدة، التي شهدت ولادة حوزات للنساء، إذ شهدت مناطق شيعيّة أخرى هذه الظواهر، مثل البحرين، بل مراكز الحوزات الكبرى، مثل مدينة قم، التي بها معهد نسوي كبير، بإدارة علماء عراقيين مهاجرين، يضمّ طالبات من جنسيّات مختلفة.

مع كل ما ذكرنا من نقاط إيجابيّة، فإنّ هناك مجموعة عراقيل، ومصاعب، تواجه العمل الحوزوي النسوي، ومن أهمها:

أ- تدخّل الأهل أو الزوج أحياناً، في منع الطالبة، من مواصلة الدراسة الحوزوية، أو حتى مجرد الانتماء للحوزة أساساً.

ب- يعتبر زواج الطالبة، من أهمّ معوّقات دراستها الحوزوية، لانشغالها بمهمّات البيت والزوج. وما يترتّب على الزواج؛ من حمل ووضع وإرضاع.

ج- الأوضاع الاقتصاديّة الضاغطة، التي تضطر المرأة - في حالات غير

قليلة – للعمل إعالة لأسرتها.

د– تفضيل الدراسة الجامعيّة، على الدراسة الحوزوية، مراعاة لرغبة الأهل، ولأنهم يدفعون تكاليف الدراسة الجامعيّة، التي يؤمّل منها، توفير مصدر معيشي جيّد للطالبة، مستقبلًا.

هـ– الارتباط الأُسري، الذي قد يضطر الطالبة، للانتقال مع الأهل أو الزوج، من مدينة إلى أُخرى، وربّما إلى بلد آخر.

و– غياب التنسيق والتعاون، بين الحوزات النسويّة، وهي ظاهرة سلبية، تشمل حتى الحوزات الرجاليّة.

وهنا نكون قد انتهينا، من المبحث الأول؛ الذي استعرض الحوزات المعاصرة بلبنان، رجاليّة، ونسويّة.

المبحث الثاني

حوزات لبنان المعاصرة، أدوار وآفاق

إنّ البحث لا يزال يطلب المزيد؛ من معرفة أدوار هذه الحوزات، وانتماءاتها، وعلاقاتها فيما بينها، وبين الحوزات الأمّ بقم، والنجف الأشرف. وكذلك معرفة المصاعب، التي تواجهها، وما تتميّز به من نشاطات، وآفاق مستقبلها، وغيرها من النقاط، التي تُثري الموضوع، وتُغني البحث.

ويمكن إجمال الأسباب، التي أسهمت بعودة النشاط الحوزوي، إلى الساحة اللبنانية، في هذه المرحلة (المعاصرة)، إلى ما يلي (متماشين مع تطوّر هذه الحوزات، وفقاً للأحداث تاريخيّاً):

أسباب نشأة حوزات لبنان المعاصرة

١- الإرث التاريخي والمعرفي، لعدد لا يُستهان به، من القرى اللبنانية الشيعيّة، التي شهدت نشاطاً علميّاً حوزوياً، استمرّ لقرون عدّة، منذ الحوزة الأولى بجزّين، وحتى أفول آخرها، في نهاية المرحلة الثانية من مراحلها. ومن شأن الإحساس بهذا الإرث، إثارة حماس العلماء وروّاد العلم، بل المثقّفين والوجهاء، لإعادة ذلك الموقع الرائد، الذي كانت تتميّز به تلك القرى، في المرحلتين السالفتين، والذي صار تراثاً علميّاً، يعتزّ به كل أهل جبل عامل، خاصّة وعامّة.

٢- إنّ تشكيل حلقات، لدراسة الأحكام الشرعيّة، يكاد يكون أمراً ملازماً، لكل عالم في مسجده، وقلّما يخلو مسجد من درس وتوجيه دينيّ، ثم قد يتطوّر هذا الدرس، ليكون حلقة يحضرها طلّاب، لا على مستوى معرفة الأحكام فحسب، بل للتفقّه والتخصّص الشرعيّ، مما يعني بداية تشكيل حوزة علميّة.

٣- هناك بعض الحوزات المعاصرة، نشأت بتشجيع مباشر، من بعض المراجع الدينيّة بالنجف الأشرف، وقم، على حدّ سواء. فقد حثّ المرجعُ السيد محمد باقر الصدر، السيد عباس الموسوي، على تأسيس حوزة ببعلبك، كما تكرر الأمر

مع المرجع الشيخ بهجت، والسيد جعفر مرتضى، في حوزة الإمام علي، بمنطقة بئر حسن ببيروت.

٤– إن العالم اللبناني، من المسلمين الشيعة؛ إذا عاد إلى وطنه، بعد قطعه أشواطاً مهمّة، في الدراسات الفقهيّة، يجد أنه لا يقوى على مفارقة الأجواء العلميّة الفقهيّة، التي عاشها طوال سنيّ دراسته، فيعمد إلى تأسيس حوزة؛ يقوى من خلالها، على ضخّ ما عنده من مستويات علميّة من جهة، ولاستمرارية عطائه، وتواصل نشاطه العلميّين، من جهة ثانية، فيجد في الحوزة وطلبتها وأساتذتها، أجواءه الطبيعيّة.

٥– استجابة علميّة وشرعيّة، لما يجده بعض العلماء، من حاجة تعيشها الأمّة لدراسة حوزويّة، تستقطب الشبّان المهتمّين، بالتفقّه في الدين، مع أجواء الصحوة الإسلامية المباركة، وعودة الانفتاح الواعي، على الإسلام، وفكره، وأحكامه.

٦– وقد يكون مشروع إنشاء حوزة – كما تقول بعض الآراء، التي قد لا تشكّل قناعتي بالضرورة – مجالًا من مجالات، تحقيق المجد الشخصيّ والمكانة الاجتماعية. بل ويتمادى البعض ليقول: إنّها وسيلة مهمّة، من وسائل تحصيل الحقوق الشرعيّة[١]، من التجّار والمتموّلين، وهو رأي ضعيف الشيعة.

٧– يقول البعض: إنّ بعض الحوزات، أنشأتها جهات حزبيّة، لأغراضها الخاصّة، ويقصدون بذلك – هنا – حزب الله بالخصوص، في حين أنّ مسؤوليه، ينفون هذا الأمر، بل هم يؤكّدون: أنّ هناك توجيهاً واضحاً من الحزب، وبأمر صادرٍ من السيّد حسن نصر الله شخصيّاً؛ بعدم التدخّل في شؤون الحوزات. وتركها تعمل، ضمن الطريقة العلميّة المألوفة في الحوزات[٢].

٨– أنّ من أهم أسباب نشأة بعض حوزات لبنان المعاصرة، خاصّة في أواخر

١- الحقوق الشرعيّة: هي أموال الخُمس عادة، التي يستخرجها مؤمنو المسلمين الشيعة، من أرباح المكاسب والتجارة، التي تستخرج سنوياً، أي بنسبة ٢٠% من الأرباح (حيث يرى الفقهاء الشيعة أن أرباح المكاسب من الغنائم)، كما قد تكون هذه الحقوق من الزكوات أو ثلث أموال بعض المتوفين. (الباحث)

٢- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ أكرم بركات، (ص٢٦٣).

تسعينيّات القرن الرابع عشر الهجري/أواخر سبعينيّات القرن العشرين الميلادي، استيعابُ الأعداد الغفيرة، التي عادت فجأة إلى لبنان، من الطلبة اللبنانيّين، الذين كانوا يدرسون بالنجف الأشرف، حيث تعرّض أغلبهم، إلى صنوف شتّى، من الأذى، وسجن بعض منهم، مع اشتداد مواجهة الحكومة العراقيّة السابقة، مع التيّار الإسلامي، لا سيّما الشيعيّ منه، وخاصة مع المرجع السيد محمد باقر الصدر، وحزب الدعوة الإسلامية، الذي كان من مؤسّسيه، وحيث كانت غالبيّة الطلبة اللبنانيين، متعاطفين كثيراً، مع السيد محمد باقر الصدر.

٩- نجاح الثورة الإسلامية بإيران، بقيادة مرجع ديني كبير، وبروز العمائم بقوة استثنائية، وما أحدثته من فورة إسلاميّة عاطفيّة، خاصة في أوساط المسلمين الشيعة، والشبّان بشكل أخصّ. وقد قامت الحوزات المعاصرة، باستقبال عدد كبير، من هؤلاء الشبان، ولولاها لازداد عدد المتّجهين، إلى حوزة قم أضعافاً.

بواعث الانخراط في الدراسات الحوزويّة

بعد وقوفنا على الأسباب المتصوَّرة، لنشأة الحوزات المعاصرة، لا بدّ أن نتأمّل في الدوافع، والحوافز، والبواعث، التي تدفع بالشاب اللبناني من المسلمين الشيعة، إلى الدراسات الحوزويّة، والتي يمكن وضعها في مجموعتين:

المجموعة الأولى: قبل نجاح الثورة الإسلامية بإيران عام ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م

١- الإرث العلميّ والتاريخي، لبعض الأُسر العامليّة، الذي يكون باعثاً، لأحد أبنائها، للسير على نهج السالفين، من أعلام تلك الأُسر وفقهائها.

٢- التأثُّر الشخصيّ بأحد العلماء، كأن يكون إمام مسجد الحيّ أو القرية، أو شخصيّة علمائيّة، ذات أبعاد اجتماعيّة، أو سياسيّة، مثل شخصيّة الإمام السيد موسى الصدر.

٣- تشجيع بعض الأُسر المتديّنة، لأحد أبنائها، على أن يكون من علماء الدين، وغالباً ما يكون ذلك، رغبة كامنة عند ربّ الأسرة، أو أحد الأقرباء الأتقياء.

٤– من إفرازات حالة الوعي الإسلامي، الذي دبّ في المجتمع الإسلاميّ الشيعيّ بلبنان، عبر أفكار بعض الحركات الإسلامية، مثل حزب الدعوة الإسلاميّة، الذي أخذ بالانتشار، مع عودة بعض طلبة النجف الأشرف، من المتأثّرين بالإسلام الحركيّ. وتركّز ذلك في توجّه بعض الطلبة الجامعيّين، وخريجي الجامعات نحو الحوزة.

وهذه البواعث الأربعة أعلاه – على أهميّتها – قد صارت بواعث ثانوية عموماً، بعد بروز المجموعة التالية.

المجموعة الثانية: بعد نجاح الثورة الإسلاميّة بإيران عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

١– الصحوة الإسلامية العارمة، التي شهدها العالم الإسلامي، إثر حركة الإمام الخميني، التي انتهت بنجاح الثورة الإسلامية بإيران، وكانت المناطق الإسلامية عامّة، والشيعيّة خاصّة؛ بالعراق، وبلدان الخليج، ولبنان، أشدّها حضوراً واستجابة.

٢– بروز دور عالم الدين الشيعي، والعمامة الشيعيّة، إعلامياً، بما لم تشهده في تاريخها، وكلّ ذلك أسهم، بشكل لافت، في إحداث قوة جذبٍ واسعةٍ، للحوزات العلمية، التي وجد فيها، الكثير من الشبّان المتدينين، ضالتهم المنشودة.

٣– إعادة الشعور بفخر الانتماء، للعلماء والفقهاء، الذين أنجبتهم حوزات جبل عامل تأريخياً، وهو الشعور الذي كاد أن يضمحل، ثم عاد في مجموعات واعيةٍ، من الشبان الملتزمين، إن هذا الشعور العارم، بالانتماء، ومحاولة إعادة تلك الأمجاد، قد عظم بعد أحداث إيران.

٤– للساحة اللّبنانية خصائص، يعزّ وجودها في غيرها، منها الحريّة السياسيّة، والصحافيّة، والدينية، التي مكّنت الإنسان المسلم الشيعي بلبنان، أن يُعلن عن تجاوبه، مع أحداث إيران، بوضوح، وقوة. فيما لم يتمكن من ذلك المسلمون الشيعة، بالعراق، وبلدان الخليج العربيّة، وهو مما سهّل للراغبين، بالدراسات الحوزوية بلبنان، مساحة حريّة كبيرة، في تأسيس حوزات بلبنان، أو السفر إلى قم وحوزتها، ومواكبة التطوّرات الإيرانية.

٥– كما علمنا؛ أنّ علماء جبل عامل وطلبته، قد أُجلوا بالكامل – إلّا أفراداً معدودين

– عن النجف، وأن أغلبهم استقرّ بلبنان، فصاروا مشروعات حوزات كامنة – إذا صحّ التعبير – فهناك علماء وأساتذة، لكنّ المؤسسة (الحوزة)، والأفراد (الطلّاب)، غائبون، ومع أحداث إيران، وتحفّز أعدادٍ مهمّة، من الشبّان اللبنانيين للدراسات الحوزويّة، بات تشكيل الحوزات، أمراً غير عسير، مع وجود أعداد مهمّة، ونوعيّات علميّة فاعلة، في الساحة اللبنانيّة. فالنجف أعدّت، ولبنان استثمرت، وقم بعثت، هذه النهضة الحوزويّة في توافق حوزوي مثمر.

٦- استمرار حضور العمائم الشيعيّة الفاعل، بالساحة اللبنانية، عبر تأسيس حزب الله عام ١٩٨٢م، حيث تناوب على أمانته العامّة ثلاثة علماء، وهم الشيخ صبحي الطفيلي، السيّد عباس الموسوي، السيّد حسن نصر الله، إضافة إلى الحضور، العلمائي في قيادات حزب الله.

٧- كما أسهم في الحضور الإسلامي الشيعي، متمثلًا بالعلماء، نخبة حاضرة، في الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، حيث لا تغيب عنها أجهزة الإعلام – التي يحتضنها لبنان بحريّة، تغبطها عليها، عواصم عربيّة، وإسلاميّة كثيرة – من أمثال الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، اللّذين كان لهما دور كبير، في جملة أحداث لبنانيّة وعربية وإسلامية.

٨- كما لا بدّ من بيان، أن حالة الالتزام الديني، والعودة إلى أجواء التديّن، تعني حاجة متزايدة، إلى علماء يعمرون المساجد، ويحضرون المناسبات الدينيّة، ويرعون النشاطات الإسلامية، ولم تكن أعداد العلماء كافية، بل كانت أقلّ من المطلوب حتى قبل عام ١٩٧٩م، وهو مما يدعو المهتمّين بالشأن الديني، إلى إنشاء حوزات، لسدّ هذا الفراغ وإجابة هذه الطلبات. وكان الإمام السيد موسى الصدر يقول: إنّ جميع مشائخ المسلمين شيعة وسنّة، لا يتجاوزون ٣٠٠، بينما يصل عدد قساوسة الموارنة بلبنان، أكثر من ذلك بكثير[١].

هذه هي مجموعة البواعث، التي تدفع بالشاب المسلم الشيعي بلبنان، نحو الحوزات المعاصرة.

١- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد الغروي، ص٢٢٧

ملاحظات حول حوزات لبنان المعاصرة

١– تبدأ الحوزة المعاصرة – عادة – بدرس بسيط، ببيت أحد العلماء، وربّما المسجد، ثم إذا ازداد عدد الطلّاب، استؤجرت شقة، ثمّ يصار إلى شرائها، وربّما أكثر من شقّة. وبعض الحوزات لا تتجاوز هذا الحد. أمّا الحوزات التي تحظى بدعم مالي جيّد، فإنها تتوسّع، لتتحوّل إلى بناية بأدوار عدّة، وربّما أكثر من بناية. إلا أن الأمر يبدو مختلفاً، في الحوزات التي تأتي بدعم مسبق، من جهة مرجعيّة شيعيّة، أو من جمهورية إيران الإسلاميّة.

٢– ما يُقال في مكان الحوزة، يقال في شرائط القبول فيها، فقد تبدأ بشرائط متواضعة، وربّما بمستوى أقلّ، من الشهادة المتوسطة، ثم يتطوّر الأمر، ليصل إلى الشهادة الثانوية، إضافة إلى دخول طلّاب جامعيّين إليها، في بعض الحالات.

٣– يلاحظ في أسماء الحوزات (الرجاليّة) هذه ما يلي:

اسم الحوزة	العدد	اسم الحوزة	العدد
الإمام الجواد	١	حوزة علميّة	١
الإمام الحسن	١	الرسول الأكرم (ص)	٢
الإمام الحسين	١	الشهيد الأول	١
الإمام الصادق	٣	مدرسة دينية	٣
الإمام علي	١	معهد شرعي إسلامي	٣
الإمام المهدي	٤	النجف الأشرف	١
الإمام الهادي	١	معهد شرعي جعفري(الشهيد الثاني)	٣
أهل البيت	٥		
الثقلان	١		
جبل عامل	١		

حيث نجد؛ أن الأسماء الأكثر حظّاً، هي أسماء أئمة أهل البيتعليهم السلام. ثمّ الحوزات التي لا تحمل اسماً خاصاً. وقد غابت أسماء علماء جبل عامل، إلّا في حوزتين، ذكرتا الشهيدين الأول والثاني. كما غابت أسماء المدن المقدّسة، إلّا النجف الأشرف (واحدة فقط)، كما ذُكر جبل عامل بحوزة أُخرى.

٤ – تنتشر الحوزات بلبنان حالياً، مع انتشار المسلمين الشيعة، ومناطق وجودهم، كالتالي:

– بيروت: ١١ حوزة للرجال و٢ للنساء. (توقّفت ٤ حوزات رجاليّة).

– جبل عامل (صور، صيدا، النبطيّة، بنت جبيل): ١٧ للرجال و٧ للنساء (توقفت ٥ حوزات رجاليّة).

– البقاع: ٤ للرجال و١ للنساء. (توقّفت حوزة رجاليّة واحدة).

حيث يتضح، أنه لا تزال قرى جبل عامل، تحتفظ بثقلها العدديّ، كما ويلاحظ امتداد النشاط الحوزوي، إلى مناطق بيروت، وصيدا، لأول مرة في تاريخ الحوزات الشيعيّة، إضافة إلى ما سبق ذكرُه، من بروز الحوزات النسائية لأوّل مرّة، في تاريخ الحوزات اللبنانية.

٥ – في بحث أُعِدَّ عام ١٩٨٥م، أحصيت فيه ٣ حوزات ببيروت وهي: المعهد الشرعي الإسلامي، ومعهد الشهيد الأول، ومعهد الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله، وحوزتان نسويّتان تابعتان للأوّل والثالث، والبقاع (بعلبك) حوزة الإمام المنتظرعليه السلام وفرعها النسويّ، وفي الجنوب حوزتا خربة سلم وصدّيقين[1] (ويبدو أن هذا البحث، لم يهتد إلى حوزات مدينة صور حينئذٍ، المدرسة الدينيّة، ومعهد الدراسات الإسلامية، وبذا يكون مجموع الحوزات عام ١٩٨٥: (في المناطق كلّها): ٨ للرّجال، و٣ للنساء وحالياً يبلغ عدد الحوزات الرجالية، الفعلية التي توصلت إليها: ٢٣ حوزة رجاليّة، و١٠ للنساء.

وهكذا نكتشف اتّساع الحوزات، وزيادة عددها، وعدد المنتسبين لها

١- زيتون، سهام محمد: الحوزات العلمية في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت، ص٣٠ – ٣١.

تباعاً، رغم كلّ ما أصاب الساحة اللبنانيّة، خلال هذه الفترة، من حروب، ونزاعات داخليّة، وهزّات أمنية، واقتصاديّة، وسياسيّة[1].

وهو مؤشّر، يدلُّ على تنامي هذه الحوزات، واستمرارية عهدها اللافت، إلّا إذا حدث، ما يمكن من خلاله التأثير سلباً، على بقاء هذه الحوزات، أو تقليص أعدادها.

أدوار الحوزات المعاصرة ومهماتها

تنهض هذه الحوزات بأدوار مهمّة، في أوساط المسلمين الشيعة بلبنان، بل ويمتدّ تأثيرها، إلى عامة المسلمين، بل وغيرهم من اللبنانيين، ويزداد تأثير بعض خريجي هذه الحوزات، خارج لبنان؛ من الذين يتبوّؤن مواقع قياديّة، في بعض الحركات الإسلامية المعروفة.

وإذا أردنا التوقف، عند هذه الأدوار والمهمّات، فيمكن إجمالها فيما يلي:

١ - المهمّة الرئيسة؛ وهي إعداد ما تحتاج إليه الساحة الإسلامية الشيعية، من العلماء والخطباء، الذين يعمرون المساجد. ويُحيون المناسبات الدينية، في أيام الجمع والأعياد، إضافة إلى أيام عاشوراء، ذات الحضور الجماهيري اللافت. والمناسبات الاجتماعية، في عزاء المتوفين(أسابيع)، وغيرها، من المناسبات.

وجهدنا في، إحصاء طلبة الحوزات المعاصرة، ولم يكن لنا من سبيل أدقّ، من مكاتب المرجعيّات الدينيّة، التي تقوم بتوزيع هدايا المراجع، في النجف، وقم، على هؤلاء الطلبة. ومع ذلك فالأرقام لم تكن متقاربة، فمكتب المرجع السيد علي الخامنئي[2]؛ الذي يقوم بدفع هديته الشهريّة، لكلّ

١- لا تزال هناك حوزات تفتح هنا وهناك، وثمة إعلانات عنها في شوارع المناطق ذات الكثافة السكانيّة الإسلامية الشيعيّة. (الباحث) (راجع الملاحق، صورة رقم ١٣).

٢- السيد علي الحسيني الخامنئي، ولد سنة ١٣٦٠هـ بمشهد ودرّس في حوزتها، ثم التحق بحوزة النجف الأشرف عام ١٣٧٨هـ ثم بحوزة قم. انتخب رئيساً للجمهورية الإسلاميّة مرّتين، مرشد=

المشائخ والعلماء، ممن اعتمروا العمائم أم لم يعتمروها، وهي تشمل طلبة الحوزات، والعلماء خارجها، وحتى التجمّعات العلمائيّة، مثل تجمّع العلماء المسلمين في لبنان[١] وغيره، أي أنه يشمل بعض علماء المسلمين السنّة اللبنانيين كذلك، فكان العدد هو: (٢٤٢٧) عالماً وطالب علم[٢]، ولهذا لا يُعتمد عليه في إحصاء عدد طلبة الحوزات المعاصرة فقط.

وعند مراجعة مكتب المرجع السيد علي السيستاني[٣]، والذي كان يوزّع هدية سنوية، بمناسبة ذكرى مولد رسول الله ﷺ، بشهر ربيع الأول كل عام فكان العدد: (١٣٩٣) عالماً وطالب علم[٤]، وفيهم مجموعة طلّاب دروس الخارج، وهم خارجون عن عداد الحوزات، فهذا الرقم فيه يسير زيادة.

وحيث يتّضح الفارق الكبير بين الرقمين الذي يزيد على الألف! ومع ذلك، فإن بعض عناوين هذه القائمة، كانت لمعاهد إسلاميّة ثقافيّة، وليست للحوزات الدينيّة المعتادة.

= الجمهورية الإسلامية الثاني، بعد الإمام الخميني منذ وفاة الأخير عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، طُرح كأحد المراجع الدينية للتقليد، وصدرت له أجوبة المسائل الشرعية لمقلّديه. ولد سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م. يسكن طهران لا قم. (الشاهرودي، نور الدين: المرجعيّة الدينيّة ص ١٨٤–١٨٥)

١- تجمّع العلماء المسلمين في لبنان: تجمّع يضم أكثر من مائة عالم ديني، من السنّة والشيعة اللبنانيين، تأسّس عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. من أهدافه: صيانة القيم الدينيّة، وحفظ الوجود الإسلامي، وتعزيز الوحدة الإسلامية والوطنية، ودعم المقاومة الإسلامية، حتى تحرير فلسطين، (خازم، علي: تجمّع العلماء المسلمين في لبنان، ص٤٠).

٢- مقابلة شخصية مع مسؤول الرواتب التابع لمكتب السيد الخامنئي(مهدي البعلبكي) بيروت، ٣ رجب ١٤٢٨هـ/١٨ تموز ٢٠٠٧ الساعة ١٠ صباحاً.

٣- السيد علي الحسيني السيستاني، مرجع ديني كبير، من مواليد مشهد (إيران) ١٩٣٠م، حيث تلقى علومه الأولى بها، ثم انتقل بعدها إلى قم، ليستقر منذ عام ١٩٥١م، في النجف الأشرف، حيث أكمل دراسته الحوزوية.. آلت إليه المرجعية (أو جزء مهّم منها) عام ١٩٩٤م بعد وفاة السيد عبد الأعلى السبزواري الذي خلف السيد أبا القاسم الخوئي. يمتلك تأثيراً كبيراً.. وعدد مقلديه كبير جداً. عرف سماحته بالاعتدال والورع ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة.. حظي باحترام جميع الأطراف". (الزيدي، حسن لطيف: موسوعة الأحزاب العراقية، ص٨١٤). وهو الآن المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة (الباحث).

٤- مقابلة شخصية مع الحاج حامد الخفاف مدير مكتب السيد السيستاني، بيروت، الخميس ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/٢٩ أيار ٢٠٠٨م الساعة ١ بعد الظهر.

وأخيراً، ولدى مراجعة مكتب المرجع، السيّد محمد سعيد الحكيم[1]، الذي يوزّع هديّة سنوية، بمناسبة ذكرى ولادة السيّدة فاطمة الزهراء، في شهر جمادي الثانية، من كلّ عام، فكان العدد هو: (١٢٢٩) عالماً وطالب علم، وهو أقرب الأعداد إلى ما أحصيناه في أعداد طلاب الحوزات المعاصرة، مباشرة. الذي كان: (١١٨٧) طالباً. كما قد أحصينا عدد طالبات الحوزات النسويّة حاليّاً، فكان العدد هو (٥٩٥) طالبة حوزوية لبنانيّة[2].

وينبغي التنبيه هنا، إلى أنّ هذا العدد من الطلبة، لا يتّجهون بأجمعهم إلى صف العلماء المعمّمين، حيث يكتفي بعضهم بما يأخذه من علوم إسلامية؛ ليكون كاتباً أو مؤلّفاً، وتستقطب الأحزاب والمؤسّسات الإسلامية، أعداداً مهمّة منهم، كما قد يترك بعضهم هذا التوجّه، كليّاً، لينخرط في حقل من حقول الحياة الأخرى.

٢ – توفير الجهد، والوقت، والمال، للراغبين بالدراسات الدينيّة، من المسلمين الشيعة، إذ لولا هذه الحوزات، لكان لزاماً عليهم السفر إلى الحوزات الأمّ، في قم بإيران، أو كما كانوا يصنعون، بالسفر إلى النجف الأشرف، أيام الاستقرار الأمني والسياسي بالعراق.

ومع توفير هذه الحوزات أجواء بديلة، أمكن لبعضهم مزاولة عمل آخر، لا يتعارض وأوقات الدراسة الحوزويّة، الذي عادة ما تنشط في ساعات الصباح الأولى.

٣ – الإسهام الكبير الواضح، في نشر الوعي الإسلامي، وتركيز الثقافة الإسلامية؛ عبر إرفاد المجتمع، بعلماء، وخطباء، ومثقّفين، متفقّهين. وكما مرّ بنا في النقطة الأولى؛ إن بعض خرّيجي الحوزات، يتحوّلون إلى كتّاب،

١- السيد محمد سعيد بن السيد محمد علي الطباطبائي الحكيم، من مراجع النجف الأشرف المعاصرين الكبار ولد بالنجف الأشرف في 1354هـ / 1934م، نشأ تحت رعاية والده العالم الكبير وحضر على أبرز علماء عصره حتى صار من أبرز إساتذة حوزة النجف وحضر درسه مجموعة مهمة من العلماء، نال من سجن النظام البعثي مدة سنين مع ثلة من أسرته والعلماء والمؤمنين، الحكيم، محمد سعيد: رسالة أيوب (من المقدمة).

٢- مقابلة شخصيّة مع السيد حيدر الحكيم مسؤول المكتب، بيروت، الأربعاء ٢٣ جمادي الأول ١٤٢٩هـ/ ٢٨ آيار ٢٠٠٨م، الساعة ١ بعد الظهر.

ومؤلّفين إسلاميّين، فتنتشر مراكز الدراسات، وتصدر الدوريّات، وتشيع الثقافة الإسلاميّة في الأمّة.

٤ – هناك ظاهرتان، لازمتا الصحوة الإسلامية الشيعيّة بلبنان، أُولاهما توسّع تأثير حركة حزب الله، وتعاظم التأييد له، وثانيهما، كثرة الحوزات الدينيّة، وزيادة أعداد المنتمين إليها.

ولهذا فإنّ من الطبيعيّ جداً أن يكون هناك عدد لا يُستهان به، من طلبة الحوزات العلميّة، هم من المنتمين، أو المتعاطفين على الأقلّ، مع حركة حزب الله، ويزداد الأمر تعاظماً، في الحوزات المحسوبة على الجمهوريّة الإسلامية، وحزب الله، مثل حوزة الرسول الأكرمﷺ، ببيروت، وحوزة المنتظرعليه السلام ببعلبك، وغيرهما.

وسبق لنا في حديثنا، عن حوزة الرسول الأكرم، تسجيل قول أحد قياديّي حزب الله، لمدير الحوزة: "إنّ معظم مديري حزب الله وقيّاديه، هم من خريجي هذه الحوزة". بل يقول مسؤول آخر، في حزب اللّه: "إن حزب الله والمؤسسات الإسلامية الأخرى، تقوم بمنافسة الحوزات، في شدّ الشبان نحوها، ولولا الحزب، لكان عدد المنتمين إلى الحوزات، أكبر بكثير"[1].

إن الحوزات، تعدّ الكوادر الشبابيّة المثقّفة، إسلامياً وفقهياً، والتي قد تكون، مشروعات لعدة من النشاطات الإسلامية، حركيّة، أو ثقافيّة، أو سياسيّة.

٥ – تُهيىء الحوزات المعاصرة، لطالب العلم اللبنانيّ الشيعي، فرصة الاستفادة مما أخذه من العلوم الدينيّة، ومحاولة سعيه لإنزالها إلى المجتمع، فهناك مساوقة، بين طلب العلم، وممارسته عمليّاً؛ فهو من خلال وجوده في بيئته، ومعرفة الناس بدراسته، التي تجعلهم يلجأون إليه، في بعض أمورهم الدينيّة، والاجتماعيّة، وربّما أمور غيرها، فتكون بذلك تطبيقات عمليّة، لطالب العلم.

٦ – اطّلاع يوميّ، على التغيّرات الحياتيّة، فينشأ الطالب متماشياً، مع تطوّر الحياة اللبنانيّة، فيكون بذلك أقدر على فهمها، والتأثير فيها بعد ذلك،

١- مقابلة شخصية سابقة، مع الشيخ أكرم بركات، ص٢٦٣.

بينما يكون نفس هذا الطالب، بعيداً عن التطوّرات، إذا ما كانت دراساته الدينيّة، خارج بلده لبنان. كما أن هذا الاحتكاك اليومي، والتواصل الواقعي، يجعله قادراً على تكوين ثقافةٍ، ووعي، يعيناه على أداء مهمّته الدينية بنجاح.

٧ – اكتشاف الثغرات، التي ينبغي العمل على تغييرها، في المجتمع، كما يكتشف بالوقت نفسه، الدروس الحوزوية الأكثر التصاقاً بمهمّته الدينية، وبعدها يؤدي هذا الاكتشاف، إلى اكتشاف آخر وهو؛ كم سيحتاج من ثقافة إسلاميّة، قد لا توفّرها الحوزات، من أجل تكامل شخصيّته العلمية والثقافيّة.

٨ – أشاعت الحوزات الدينيّة – وهي تنتشر في مساحة واسعة، مع حركة الطلبة والعلماء بزيّهم الديني، وحضورهم اليومي في المجتمع ونشاطاته – أجواء تُعين على الالتزام الديني، وتحدّ من التأثير السلبي، لمظاهر الانحلال الأخلاقي، فتذكّر الناس بالله تعالى، وضرورة الأخذ بأحكامه[١].

مصاعب العمل الحوزوي اللبناني المعاصر، ومعوّقاته

إن ما ذكر من إيجابيّات وأدوار مهمّة، تنهض بها حوزات لبنان المعاصرة، إنما يتمّ في أجواء، لا تخلو من المعوّقات، والمشكلات، التي تكتنف نشاطاتها. ويُمكن أن تُقسّم هذه المصاعب، والمعوّقات، إلى مجموعتين:

الأولى: المعوّقات الداخليّة، ونعني بها، مشكلات العمل الحوزوي، داخل الحوزات ذاتها، وما يواجه هذا العمل، من مصاعب وعراقيل، ومنها:

١– الفرديّة في تأسيس الحوزات؛ حيث لا تصدر هذه الحوزات، عن مؤسّسة خاصّة، تستحصل إجازتها بعد توافر الشرائط المطلوبة عند الشروع بفتح حوزة ما، فهل هي ظاهرة، تتميّز بها المدارس الدينيّة الإسلامية الشيعية؟ من خلال البحث تبيّن لنا ما يلي:

١- هذه النقاط كانت نتاج حوارات ولقاءات مع عدد من المهتمين بالشأن الحوزوي في لبنان، ممن ذكرناهم آنفاً، أو من خلال تسجيلنا لبعض الملاحظات. (الباحث).

بالنسبة للمدارس الدينية عند المسلمين السُنّة بلبنان،فإنّ «هناك، معاهد شرعيّة عدة، تلتزم بضوابط الدراسة الشرعيّة، ومقرراتها وسنواتها، معاهد وجامعات. وهناك معاهد لا ترتبط بالجهات الرسميّة، وتبقى المصادقة على شهاداتها، مرهونة بالموظفين المختصّين، بذلك رسميّاً.

وهناك (٥ – ٦) معاهد سلفيّة بشمال لبنان، ولها الخطوات المنهجية نفسها دراسيّاً، المعمول بها في معاهد دار الفتوى. كما أنّ لجمعيّة المشاريع الإسلامية الخيريّة (الأحباش) معاهد خاصّة بهم، ولهم مناهج دراسيّة خاصّة كذلك. ولا يأخذ الطلبة رواتب، في كلّ هذه المعاهد. ويمكن لأيّ عالم أن يفتح معهداً، مثل (معهد المنية الشرعي) وتبقى مسألة الاعتراف به، عائدة للجهات المسؤولة» [١].

وبالنسبة للموحّدين الدروز، فإنه لا معاهد دينيّة عندهم، بل هناك خلوات، تقوم مقام مؤسسة التعليم الديني[٢]. أمّا المدارس الدينية المسيحيّة بلبنان فهي ضمن نظام دينيّ صارم، إذ لا يجوز فتح اي معهد دينيّ مسيحيّ، إلّا بموافقة مسبقة، من الجهات الكنيسيّة المسؤولة. فإن هناك بلبنان، أربع جامعات للكاثوليك، وواحدة للبروتستانت، تعطي إجازات في علم اللّاهوت، وهذه الإجازة لا تُمنح إلا بموافقة الفاتيكان. "نعم قد يفتح المطران، معاهد تثقيفيّة لعامّة النصارى، وقد يترشّح بعض منهم، لشغل مهمّات دينيّة بسيطة، في بعض القرى، وتمنح شهادة بسيطة، للدراسات الأوليّة، وقد يمارس التدريس الديني المبسّط، ويكون ذلك بموافقة المطران، الذي يجري تحقيقاً، قبل منحه تلك الإجازة. ولا يسمح للخوري، أن يفتح معهداً، إلّا مع موافقة المطران. وهناك معاهد تثقيفيّة عالية، تمنح شهادات تسمى: "معاهد التنشئة الدينية"[٣].

١- مقابلة شخصيّة مع الشيخ مصطفى ملص، (ولد: ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) إمام مدينة المنية. طرابلس، بيروت، الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢٩هـ/٢١ تشرين أول ٢٠٠٨، ١١ صباحاً.

٢ -هواري، زهير: من يصنع رجال الدين في لبنان، جريدة السفير العدد 10741،السبت ١٤٢٨هـ/ ١٧ تموز ٢٠٠٧.

٣- مقابلة شخصية مع مطران صور للروم الكاثوليك (جورج بقعوني)، صور، السبت ١٣ ربيع الأول=

في حين نجد، أن فتح حوزة بلبنان، أمر متيسر لكل عالم، يجد في نفسه أهلية للقيام بذلك بعد أن يكون ناجحاً في علاقاته، التي توفّر له مقوّمات بقاء الحوزة، وأهمها الجانب المالي، وبذلك لا يحتاج إلى موافقة جهة مرجعيّة دينية، أو مؤسسة شيعيّة رسميّة. ومع بقاء الشيعة على الرأي القائل: بأن الخُمس يشمل أرباح التجارات وغيرها، فإن تلك الموارد، باتت غير عسيرة، على أصحاب مشروعات إنشاء الحوزات. إن بقاء باب إنشاء الحوزات مفتوحاً، بدون ضوابط، يعني فيما يعنيه، ازدياد احتمالية بروز حوزات، قد لا تمتلك أهليّة الأوصاف، التي يجب توافرها، في النشاط الحوزوي المطلوب.

وهذه المسألة تسبب نقاط ضعف أخرى، نذكر بعضها:

أ – تفاوت في شرائط قبول الطلبة، ممّا يؤدّي إلى اضطراب، مستويات التلقّي والاستيعاب.

ب – تفاوت في المستوى التدريسي التعليمي، مما يعني إخلالًا، بالمستوى العلمي مستقبلًا.

ج – انعكاس آراء المؤسّس (أو المؤسّسين)، ومتبنيّاتهم، على الطلبة، وأفكارهم، وانتماءاتهم.

د – بقاء الحوزة، ببقاء المؤسّس وحياته، أو بقاء همّته، ورغبته، في استمرار نشاطها.

٢ – غياب التنسيق بين الحوزات المعاصرة: إنَّ من نتائج غياب العمل المؤسّسي؛ قيام كل حوزة بذاتها، وكأنها جزيرة لوحدها في بحر لجّي، دون محاولة، مدّ جسور إلى حوزات أخرى، وهي ظاهرة سلبيّة، كانت واضحة، في كلّ المقابلات الشخصيّة، مع مؤسّسي الحوزات أو مديريها. وهذا يؤدي بدوره إلى سلبيّات أخرى، لعلّ منها:

= ١٤١٩هـ/١٩ نيسان ٢٠٠٨م)، ١٢ ظهراً.

أ- غياب التبادل المعرفي، والتعاون العلميّ، مما يسهم سلباً، في ضعف العمل الحوزوي عموماً.

ب- استغلال البعض، من غير المؤهّلين للدراسة الحوزوية، لهذه الفوضى، حيث ينتقلون من حوزة رفضتهم، إلى أخرى لم تكتشفهم، ثم إلى ثالثة بعد ذلك، والخطورة تكمن في: عدم معرفة الناس بذلك، فهم يرون طالباً للعلم يدرس، منذ سنوات، وسوف لن يقتنعوا، إذا ما قيل لهم: أنه غير مؤهّل لذلك، فيُحسب على أهل العلم، وهو ليس منهم[1].

ج- تحوّل بعض الحوزات، إلى جزء من المشكلة، في حين أن المؤمّل منها، أن تكون حلّاً لها، فتحسب على هذا الطرف، أو ذاك، وتُصاب بالمرض، الذي يُراد منها علاجه ومكافحته.

٣- أغلب الحوزات حديثة، تحتاج إلى الخبرة وتراكمها، والاستفادة من التجارب السابقة[2]. وتزداد هذه المسألة تعقيداً، مع عدم انفتاح الحوزات على بعضها، ومن ثمّ، فلا يُصار إلى الاستفادة، من خبرات الحوزات الأسبق تاريخاً، والأغنى تجربة.

٤-انشغال أغلب الطلبة، بأعمال ومسؤوليات خارج الحوزات، مما يحول دون تفرّغهم لطلب العلم؛ والذي سيؤدّي إلى، وجود علمائي غير متين، حيث يترك آثاراً سلبية في الأداء والتأثير. وقد وصف بعض مديري الحوزات، الطالب الحوزوي اللبناني، «بأنه يعمل حسب مزاجه»[3].

٥- ضعف الحوافز الماليّة، التي تُعطى للطلبة، في مجتمع معروف، بارتفاع المستوى المعيشي فيه، وهو ما يسبّب - في أحيان كثيرة - المشكلة السابقة.

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ علي شمس الدين، ص٢٢٣.

٢- مقابلة شخصية مع الشيخ نعيم قاسم، بيروت، الجمعة ٥ جمادى الثانية ١٤٢٧هـ/٣٠ حزيران ٢٠٠٦م، ١١ صباحاً.

٣- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ علي سائلي، ص٢٣٨.

٦–تشتّت الحوزات المعاصرة جغرافيّاً، مما يؤدّي إلى ضياع الحوزات، وغرقها في المجتمع اللبناني، ومؤسّساته، ولو كانت الحوزات متقاربة، لأدّى ذلك، إلى مزيد من التلاحم والتلاقي.

٧– لا تمنح الحوزات، شهادات معترف بها رسميّاً، وتخوّل خرّيجيها، ضمان مستقبل الطالب، فيبقى هو وما يمتلكه من علاقات، وقدرات، وانتماءات، وهو ممّا قد يؤدّي، ببعض الطلبة، إلى تبدّل مواقفه، وتغيّر ولاءاته، اجتماعياً، أو سياسياً. وقد صرّح أحد مديري الحوزات المعاصرة: "إن الطالب، لا يحصل بعد طول دراسته، إلّا على (العمامة)!" [(١)].

٨– وتزداد المسألة السابقة ضغطاً، مع غياب مؤسّسة، ترعى خريجي الحوزات، وتهتم بشؤونهم، خاصّة، وأنّ أغلب هؤلاء الطلبة، يرتبطون بمسؤوليات عوائلهم، بعد إنهاء دراساتهم.

الثانية: المعوّقات الخارجية

حيث تُضاف إلى حُزمة المعوّقات الأولى، حزمة أُخرى، من المعوّقات التي يضغط بها، المجتمعُ اللبناني عموماً، أو المجتمع اللبناني الإسلامي الشيعيّ خصوصاً على الحوزات ، وأهمّها:

١ – الأوضاع الأمنيّة القلقة: حيث إن لموقع لبنان، من فلسطين المحتلّة، وتعرّضه باستمرار، لهجمات المغتصبين اليهود، وحروبهم، أثر سيىء على الأجواء العامة، ومنها الأجواء اللازم توافرها، لطلب العلم. وقد أدّت بعض الاعتداءات، إلى هدم بنايات بعض الحوزات المعاصرة، كما أدّت إلى استشهاد أساتذة وطلبة حوزويّين. وامتدت هذه الاعتداءات، من حوزات جبل عامل في الجنوب اللبناني، لتصل إلى بقيّة المناطق، وخاصّة في حرب تموز ٢٠٠٦م. وأنّ للحروب آثاراً لا تنتهي بانتهائها؛ نفسيّاً، واجتماعياً، وهو مما يزيد في سلبية، آثار هذه الأوضاع، إضافة إلى اهتمام بعض العلماء والطلبة،

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ ناجي درويش، ص٢٥٣.

بالشؤون الجهادية القتاليّة؛ مما يؤدّي إلى انتقال، جزء من الكيان الحوزوي، من دراسة العلم، إلى المواجهات الجهادية[١]؟

٢ – التجاذبات السياسيّة، داخل الوجود الإسلامي الشيعي، التي كانت قد أدّت إلى نتائج سلبيّة جداً، على بعض الحوزات، حيث أُغلق بعضُها، وانتقلت أخرى إلى مناطق ثانية[٢]. وحتى صُنِّفت بعض الحوزات، على هذا الاتجاه السياسي، وأُخرى على الاتجاه الثاني. وكانت أكثر التجارب مرارة وسلبيّة، ما حدث عام ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م، بين الفصيلين الإسلاميين الشيعيّين؛ حزب الله، وحركة أمل.

وخفّت هذه الأجواء المتشنّجة كثيراً، في الآونة الأخيرة، وحدث تقارب، لم تشهده الساحة من قبل، التي تعيش أفضل مستويات التوافق حاليّاً.

٣ – النشاطات الحزبيّة، في الوسط الإسلامي الشيعي، الذي امتدّ إلى داخل بعض الحوزات، وإن لم يكن ذلك بصورة علنيّة، أو واضحة؛ مما يؤدّي إلى تصنيفها، مع هذه الجهة أو تلك. إنّ هذه النقطة، قد تكون أبرز المعوّقات، التي تحول دون لقاء، بعض الحوزات مع بعض آخر منها[٣].

كما أن هذه النشاطات الحزبيّة، إذا أُضيفت إلى نشاطات اجتماعيّة، ومؤسّسات إسلاميّة؛ والتي تجتمع كلُّها، على استقطاب بعض طلبة الحوزات؛ للعمل لديها، والتفرّغ لمهمّاتها، فانها تؤدي إلى؛ انتزاع أعدادٍ مهمّة من طلبة الحوزات، وفيهم بعض المتميّزين الأذكياء، مما يسهم بدوره، في ضعف العطاء الحوزوي، وقلّة كوادره العلميّة المتميّزة.

٤ – افتقار قرى لبنان ومدنه، إلى مرقد من مراقد أهل البيت عليهم السلام، يصلح

١- تنتشر في شوارع الضاحية الجنوبية، وبعض قرى البقاع، وجبل عامل، وصور الشهداء، من طلبة العلوم الدينيّة. (الباحث)

٢- مثال الأولى حوزة صدّيقين، ومثال الثانية، حوزتا المعهد الشرعي الجعفري، وجبل عامل.

٣- فتغيب حالات التواصل والتلاقح العلمي، بل وحتى الزيارات، وربما المجاملات، في بعض الأحيان.

أن يكوّن ظروفاً مؤاتية، للنشاط الحوزوي، ومشجّعة على الأجواء الدينية. إذ إن أغلب الحوزات الشيعية بالعالم، نشأت في مُدن، ذات قدسيّة خاصة، لدى المسلمين الشيعة بالخصوص، كالنجف الأشرف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء بالعراق، ومشهد، وقم، بإيران. نعم هناك مرقدٌ، بمدينة بعلبك، يُنسب إلى إحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام، ولكنه لم يأخذ موقعاً ذا أثر، في الإنسان المعلم الشيعي اللبناني نفسه، فضلًا عن غيره. ولعلّ من أسباب ذلك؛ عدم الاطمئنان الكافي، لوجود بنتٍ تنسب إلى الإمام الحسين بهذا الاسم، فضلًا عن أن يكون لها قبر هناك. ولهذا قد لا يكون هذا الموضع، مؤهّلًا لتلك المهمّة.

٥ - انفتاح المجتمع اللبناني: إنّ مما يختصّ به لبنان ومجتمعُهُ، انفتاحُه على العالم، بما لا يُعهد في مجتمع شرقيّ عربيّ، ومسلم مثله. وهذا مما أدّى إلى شيوع مظاهر، لا تنسجم مع تعليمات الدين الحنيف، حيث مظاهر التبرّج والاختلاط، بما يتّفق مع الطبيعة السياحيّة للبنان، هذه الأجواء؛ هي على طرف نقيض، مع الأجواء الإيمانيّة، المُفتَرَض أن يعيشها طالب العلم الدينيّ.

فهذا الطالب يعاني، ما لا يُعانيه طالب العلم، بالنجف أو قم؛ حيث لا تجد هناك امرأة متبرّجة واحدة، ولا دار عرض سينمائي ولا ملاهٍ أو سواها مطلقاً. إن هذا الجوّ المنفتح، قد يحول بين طالب العلم بلبنان، وبلوغه مستويات علميّة، وروحية تربويّة، يصل إليها غيرهُ، من طلبة العلوم الدينية خارجه. وقد ينعكس ذلك ايضاً، على عامّة الناس، وتقديسهم لطلبة العلم، القادمين من النجف الأشرف أو قم.

إن الطالب اللبناني، فقد الأجواء الروحانيّة، ومعايشة الزهّاد، والعبّاد، والمنقطعين إلى الله تعالى، في النجف الأشرف أو قم، ونأى عن معرفة، معاناة طلبة العلوم الدينية، من بقيّة المناطق الإسلامية الشيعية، الدارسين في المراكز الحوزوية الكبرى، فقدها حينما اقتصرت دراساته، على الحوزات

المعاصرة ببلده. إنّ هناك طاقة روحيّة، وشحنة من التقوى، يصعب الحصول عليها، دون الهجرة إلى النجف الأشرف أو قم، ومعايشة الحياة القاسية، للطلبة المهاجرين، من غير اللبنانيين!.

٦ – المناسبات الدينية، والاجتماعية، واحتفالاتها، التي تؤدي إلى؛ سرعة انجذاب بعض طلبة الحوزات المعاصرة إليها، قبل إكمالهم المراحل المطلوبة منهم، وإذا ما اكتُشفت مميّزات البعض منهم، راحت الدعوات تترى عليه، فينشغل بها كليّاً، عن الدراسة وأجوائها. حتى وصفت الحوزات المعاصرة بأنها، تخرّج خطباء ولا تخرّج علماء[١]!

لقد ذكرنا، في مميّزات حوزات لبنان المعاصرة، أن الطالب يتمكّن، من أن يساوق بين دروسه، وبين ممارسته دوره، واعظاً، ومرشداً، وخطيباً، وهذه الإيجابية، قد تنقلب إلى سلبيّة، إذا ما تمّ الأمر، قبل استكمال النضج العلمي الحوزوي المنشود.

٧ – الفرص الحياتيّة المُغرية، التي تلوح لطلبة العلوم الحوزويّة، في المجتمع اللبناني، فهناك فرص الهجرة والاغتراب، خاصّة إذا كان هناك وجود مهاجر، يعود لعائلة طالب العلم نفسه. كما وأنّ هناك، فُرَص عقدِ علاقات، مع ذوي المال والجاه والمنصب، من شأنها الإسراع، في ترتيب أوضاع الطالب، الأُسريّة، والمعاشيّة، وموارد أخرى. ربّما تؤدّي إلى استعجال الطالب في انفكاكه، عن الحوزة، وانتقاله إلى المجتمع ومهمّاته. وكان الطالب اللبناني، وما يزال، يوصف بأنه محبّ للحياة، بما لا يوجد مثلهُ في أقرانه، من الطلبة المسلمين الشيعة، في العراق، وإيران، وغيرهما من أقاليم الوطن الإسلامي ودولهِ. قد تكون هذه هي أهم المعوّقات، والصعوبات، المتصوّرة، التي تواجه العمل الحوزوي اللبناني المعاصر.

١- يصرح بذلك الكثيرون، ومنهم بعض مسؤولي الحوزات نفسها، مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ مهدي اليحفوفي،ص ٢٤٧.

المناهج الدراسيّة الحوزوية بين حوزتي النجف وقم

مرَّ بنا؛ أنّ علاقة حوزات لبنان، بالنجف الأشرف وحوزتها، علاقة تاريخية وطيدة، بما لا مزيد عليها. وكانت الحوزات المعاصرة في بدايتها، سائرة على ما سارت عليه الحوزات السالفة بلبنان، في المرحلتين التاريخيتين السابقتين، فبدأت بالمدرسة الدينيّة بصور، وما تلاها من أوائل الحوزات المعاصرة، بأسلوب الحوزة النجفيّة الأم، ومناهجها التدريسيّة، ومراحل هذه الدراسة.

ثم تعاظم عدد الحوزات المعاصرة، إثر عودة الطلبة والعلماء اللبنانيين قهراً، من النجف، في أواخر تسعينيّات القرن الرابع عشر الهجري/أواخر سبعينيّات القرن العشرين الميلادي، وبدأ أول اتّصال ذي شأن، بين هذه الحوزات اللبنانية، وبين حوزة قم، بعد عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ورغم عزوف العدد الأكبر، من العلماء، والطلبة اللبنانيّين، النجفيّين، عن الذهاب إلى قم وحوزتها، (ربّما لشعورهم، بكفاية ما أخذوه من علوم دينيّة بالنجف، وعدم وضوح طبيعة حوزة قم، التي فوجئت بتعاظم طلبتها) إلّا أعداداً من الطلبة اللبنانيين الجدد، لم يجدوا أمامهم إلّا قم، بعد استحالة السفر إلى النجف الأشرف، كما نشطت الحوزات المعاصرة، وتكاثرت أعدادها، وتعاظمت أفواج طلبتها.

وبعد عودة نخبة، من الطلبة اللبنانيين الدارسين بقمّ (القمّيين)، إلى لبنان، دخل صنف ثانٍ من العلماء، الذين درسوا بقم، فصار هناك عالم نجفيّ وآخر قمّي، لأول مرة في تاريخ المسلمين الشيعة بلبنان. ثم أخذت أعداد هؤلاء العلماء القميّين، تزداد – طبيعياً – مع امتداد الزمن، وبقاء حوزة النجف الأشرف، نائية عن الطلبة اللبنانيين. واليوم نجد أن شيوخ العلماء وكبراءهم نجفيّون، (دارسون بالنجف)، فيما يكون شبّانهم، وحديثو السنّ منهم، من القميّين.

وقد انطلق بعض العلماء اللبنانيين القميّين، إلى إقامة حوزات، في مناطق لبنانية عدّة. ومن هنا برزت حوزات معاصرة، مؤسّسوها من خريجي حوزة قم، وهي تزداد عدداً، مع بقاء عدد الحوزات، التي أسّسها خريجو

النجف الأشرف ثابتاً، وربما قلّ بعد وفاة بعضهم (مثل حوزة خربة سلم، بعد وفاة مؤسّسها، السيد عبد المحسن فضل الله). فهل يمكن أن تصنّف الحوزات المعاصرة، بلبنان إلى حوزات نجفيّة، وأخرى قميّة، أم لا؟

وإذا أردنا توخّي الحقيقة، فإن الإيجاب هو الجواب، إذا ما أردنا بذلك، ما سبق أن أوضحناه؛ من حيث مؤسّسي هذه الحوزات، والحوزة التي درسوا فيها.

وأما من حيث أمور أخرى مثل: التقليد، المرجعيّة، أساليب الدرس، وكتب الدراسة، الارتباط العاطفي والنفسي، والرغبة في العودة والتوطّن.. فإن المسألة لا تكون واضحة، كوضوح الإجابة الإيجابيّة أعلاه، وذلك لأمور:

١- للنجف الأشرف خصوصاً، وللمناطق المقدّسة بالعراق عموماً، مواقع لا تقوى مناطق أُخرى، على منافستها، في الإنسان المسلم الشيعي اللبناني، نفسيّاً وروحيّاً وتاريخياً. (سبق بيان أهمّها، في أربع نقاط في المبحث الثاني، من الفصل الثاني).

٢- لم يكن اختيار حوزة قم، إلا اضطراراً، ولو كانت الأُمور طبيعيّة، لما قويت قم، ولا غيرها، من الحوزات الشيعية الأخرى، على منافسة الحوزة النجفية العريقة؛ فالدراسة بقم، لا تعني إعراضاً عن النجف، بل قد يزداد الحنين، وتعظم الرغبة، ويُندب الحظّ، لفوات الدراسة بالنجف وحوزتها. وقد ظلّت حوزة قم، ولعقود عدّة، لا تضمّ إلا بضعة لبنانيين، من الدارسين بها.

٣- كان من آثار الهجمة الشرسة، على حوزة النجف، وعلمائها، وطلبتها، هجرة واسعة لعلماء النجف، وطلبته من العراقيين إلى قم، لأنها أقرب الأجواء إلى النجف، فكان بقم، وجود علمائي عراقي نجفي واضح، وتعاظم حضوره مع هجرة مئات الآلاف من العراقيين، إلى إيران؛ طوعاً أو كرهاً، مما وفّر طلبة عراقيين كثيرين، فأسهم كلُّ ذلك، في تأسيس مدارس دينيّة عراقيّة بقم. كما وبرز بحوزة قم، أساتذة حوزويون نجفيّون، وعلى كل المستويات، ومنها مستوى الدراسة المتقدم (درس الخارج، وهو درس لأعداد المجتهدين)، وعلى سبيل المثال؛ فإنّ من أبرز أساتذة هذا الدرس بقمّ؛ اثنان من الفقهاء النجفيّين

المهاجرين[١]، وهما من أبرز تلامذة المرجع، السيد محمد باقر الصدر بالنجف، وهي نقطة حسّاسة، تستهوي الطلبة اللبنانيين، خصوصاً.

ولهذا نجد الطلبة اللبنانيّين، بحوزة قم غير بعيدين – بل هم قريبون –، من الطلبة، والأساتذة، والفقهاء، النجفيّين المهاجرين إليها، فالنجف حاضرة – وبقوّة – حتى في الحوزة القميّة ذاتها. فالطالب اللبنانيّ، بعد أن يُنهي مرحلتي المقدّمات والسطوح، ويريد أن يبدأ بدراسة مرحلة الخارج، نجده يألف دروس الفقهاء النجفيين، التي تُلقى باللغة العربية، مع عدم إغفال حضور بعض آخر، من الطلبة، دروس فقهاء إيرانيّين، وباللغة الفارسية، ولهذا فإنّ الطالب اللبناني، يعود إلى بلده، وله حظّ من اللغة الفارسية، وهذه إيجابيّة تُحسب للدراسة بقم، إذ تُضاف للمرء لغة جديدة، لم يكن له إلمامٌ بها، وربما حتى الاطلاع عليها.

٤– تُقام بالأندية اللبنانية بمدينة قم (ملتقى جبل عامل، معهد السيّد شرف الدين..) مناسبات عدّة، يحضرها جمع من العلماء العراقيين المهاجرين، كما أن مجالس العزاء الحسينيّة، التي تقام في شهر محرّم الحرام، أو شهر صفر، أو مناسبات وفيّات الأئمة من أهل البيت، تناط بخطباء حسينيّين عراقيّين. كما ويحضر اللبنانيون، مجالس الوعظ، في المواسم التبليغيّة، التي تُقام بالحسينيّات[٢] العراقية بمدينة قم.

٥– يعيش الطالب اللبناني بِقُم، شيئاً من الأجواء العراقية عموماً، والنجفيّة خصوصاً، في حياته اليوميّة، فهو يتبضّع، من أصحاب محلّات الفاكهة والخضراوات العراقيّين، ويطلب بعض الأكلات من مطاعمهم هناك، ويلتقط لهجتهم، ويتفاعل مع أوضاعهم.

١- الأول هو السيد كاظم الحسيني الحائري (ولد بكربلاء ١٣٥٨هـ/١٩٢٨م)، والثاني هو السيّد محمود الهاشمي (ولد بالنجف ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، والذي صار رئيس القوة القضائية بإيران بعد ذلك. (الباحث)

٢- بمدينة قم الإيرانية حسينيّات عدّة تعود للجالية العراقيّة المهاجرة، حسب محافظاتهم العراقية، للنجفيّين حسينية، وأخرى للكربلائيين، وثالثة لأهالي محافظات البصرة وذي قار وميسان وما سواها. (الباحث)

ولهذه الأسباب – وربما لغيرها – فإن هناك شبه إجماع، على ديمومة العلاقة التاريخيّة، بين العلماء والطلبة اللبنانيين بقمّ، وحوزة النجف الأشرف الكبرى. أما بالنسبة للذين درسوا بها، وتأثروا بأجوائها فالأمر واضح، وأما للذين درسوا بغيرها – حوزة قم، أو حوزات لبنان المعاصرة – فهم يتوقون إلى النجف الأشرف، وأجوائها، لأسباب عدّة؛ لعل منها، ما يسمعونه من كبار العلماء عن النجف وميّزاتها، ومدى حنينهم لأيامها.

وقد أجْريتُ لقاءات شخصيّة عدّة؛ مع بعض مؤسسي حوزات معاصرة، أو أساتذة فيها، وكانت كلمتهم التي أجمعوا عليها، رغبةً جامحةً بالدراسة النجفيّة، وربّما كان المنعُ القهري، من النجف، أحد الدوافع المهمّة؛ لأن المرء حريصٌ على ما مُنع. وكذلك الأمرُ كانَ مع طلبة هذه الحوزات.

إن هناك، أربعين حوزة معاصرة، منها إحدى وثلاثون، أسّسها علماء من خريجي النجف الأشرف، في حين كان خريجو قم، قد أسّسوا تسعاً منها فقط. وحتى هؤلاء التسعة، فإن أغلبهم يتوق للدراسات النجفيّة. بل إن مدير حوزة الرسول الأكرمﷺ، وهي حوزة تابعة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بشكل واضح، قد قال لنا: "إنه يتوق للنجف، وكان مكلّفاً من قبل منظمته، لمحاولة فتح مدرسة، على نمط مدارس هذه المنظمة، بالنجف الأشرف"[١].

ونجد أن المنهاج المتّبع، في الدراسات الحوزية بالنجف، هو المتعيّن، في الغالبية العظمى من حوزات لبنان المعاصرة، كما وجدنا اهتماماً بالغاً، بتدريس (حلقات في علم الأصول)، التي ألّفها السيد محمد باقر الصدر، في أُخريات سنيّه. بل إنّ بعض مديري هذه الحوزات – وهم من خرّيجي قم – لهم ملاحظات على أسلوب الدراسة بحوزتها؛ حيث إنهم أمضوا مدّة طويلة في تعلّم اللغة الفارسيّة، التي لا بدّ من تعلّمها، لكي يحصلوا على إقامة رسميّة بإيران[٢] . وقد يكون ذلك أمراً طبيعيّاً، ضمن قوانين منح الإقامة

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ علي سائلي، ص٢٣٨.
٢- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ ناجي درويش، ص٢٥٣.

ببعض الدول.

وعموماً؛ يمكن لنا أن نقسّم الحوزات اللبنانيّة المعاصرة عموماً، من حيث المشرفين عليها، وانتماءاتهم إلى أقسام أربعة، هي: المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، السيد محمد حسين فضل الله، حزب الله والمستقلّة. ومن خلال ثلاث وعشرين حوزة قائمة فعلًا (رجاليّة فقط)، نجد أن الحوزات المرتبطة أو المتعاطفة مع المجلس الإسلامي الشيعي هي ذات الغالبية الكبيرة، فيما يحظى السيد فضل الله وحزب الله والمستقلّة بعدد أقلّ.

وأمّا من حيث الارتباط الحوزوي العلميّ، (أي دون مسألة التقليد، والمرجعيّة، التي ستُبحث في فصل المرجعيّة القادم، إن شاء الله تعالى)، فإنّ الحوزات التابعة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى والمستقلّة، والحوزتان التابعتان للسيد محمد حسين فضل لله، تتعاطف بشكل كلّي، وواضح، مع الحوزة النجفيّة، مناهجاً وأساليباً، وما يُصاحبهما؛ عاطفةً وميلًا وارتباطاً. في حين تكون ست حوزات متعاطفة، مع الحوزة القمّية، هي الباقية، والواقع أننا لا نستطيع أن نجزم، بأنّ هذه الحوزات الست، متعاطفة كليّاً مع الحوزة القمّية، فإن عديداً من أساتذتها وطلبتها، يميلون عاطفياً، نحو النجف الأشرف، وحوزتها[1]. كما أن من المفيد أن نذكر هنا: أنّ ثلاثة من هذه الحوزات الست، أسّسها علماء من خرّيجي حوزة النجف الأشرف!

ولعلّ من المفيد ذكره هنا؛ أن بعض الحوزات اللبنانية المعاصرة، والمتعاطفة مع الحوزة النجفيّة، قد أدخلت بعضاً من مواد التدريس، التي قد تخلو منها حوزة النجف، ولكنها تُعتبر مواداً ثانويّة، لا تمتّ إلى أصل المنهج الحوزوي التقليدي. وربمّا هو من مظاهر التأثير الأيجابي لمناهج حوزة قم.

١- وقد ذكر أسباب ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني، ثم ما ذكرناه، من نقاط خمس أخيراً (الباحث).

آفاق حوزات لبنان المعاصرة ومستقبلها

بعد كلّ النقاط، التي توقّفنا عندها، في بحثنا حول الحوزات اللبنانية المعاصرة، لا بد أن نبحث مسألة، آفاق هذه الحوزات، ومشروعاتها المستقبليّة، ونحن نشرف على نهاية هذا الفصل. وهذه الآفاق تتضح، في النقاط التي سنتوقّف عندها:

أولاً: لقد عرفنا، أنّ غالبية الحوزات المعاصرة، إنما نشأت بعد العودة القسريّة، للعلماء والطلبة اللبنانيّين، من النجف الأشرف، ثم كانت بديلًا، بدأ ليكون مؤقتاً، ريثما تعود للنجف وحوزتها، أدوارها الدينيّة التاريخية المعهودة.

وبعد التغيّرات التي حلّت بالعراق، منذ عام ٢٠٠٣م/١٤٢٣ هـ وتبدّل الأوضاع، إلى صالح ترجيح عودة الحياة للحوزة النجفيّة، عمّت صفوف الطلبة عموماً، والعرب منهم خصوصاً، الدارسين بالحوزة القميّة، رغبة شديدة، في شدّ الرحال نحو النجف، واستئناف الدراسة في حوزتها العريقة.

وأخذت السلطة المشرفة على حوزة قم، بإعطاء التسهيلات، ومنح المحفّزات لهؤلاء الطلبة – غير الإيرانيين – لكي تضمن بقاءهم بِقُم، وترجىء – كحدّ أدنى – عودتهم إلى النجف؛ ومنها تسهيلات منحت للطلبة اللبنانيين[١].

إن هناك تغييراً هائلًا، أصاب الحوزات الشيعيّة في العالم، والتي نمت وترعرعت، في فترة ضمور دور الحوزة النجفيّة، وأكبرها تلك التي كانت بمدينة قم الإيرانية، التي حلّت محل حوزة النجف. وخاصّة في استقطاب الطلبة من غير العراقيّين؛ الذين كانوا لا يعرفون غير النجف، محلّا للدراسات الدينيّة الإسلاميّة الشيعيّة. ومع حوزة قم، ترعرعت حوزات أخرى،في مدن إيرانيّة أخرى، وفي بعض بلدان الخليج العربيّة، (البحرين خصوصاً)، والبلاد الهندية، ثم لبنان، التي أوسعناها بحثاً ودراسة.

فإذا كانت حوزة قم على سعتها وعمقها، وما تلاقيه من دعم رسميّ، وما فيها من وفرة المدارس والمدرّسين، ومع وجود بعض مراجع التقليد

١- فقد التقينا الكثير من هؤلاء الطلبة الدارسين بقُم، حيث أكدوا تحسّن أساليب التعامل معهم، وتسهيل بعض المشكلات المعروفة، من منح الإقامات وغيرها.(الباحث).

الذين يرجع إليهم بعض المقلّدين الشيعة، في مناطق مختلفة من العالم، إذا كانت حوزة قم – رغم كل ذلك – قلقة من ضياع بريقها، الذي عاشته لما يقارب من ثلاثة عقود، فماذا يمكن أن يحدث لبقية الحوزات، ومنها الحوزات اللبنانية المعاصرة؟ ويمكن التفكير في عمل تنسيقي بين كلّ تلك الحوزات.

إن هناك آراء عدة، منها:

١– إنّ هذه الحوزات المعاصرة بلبنان، سوف تستمرّ في وجودها وعطائها، لأنها بدأت في تأسيسها، والحوزة النجفية في قمّة عطائها العلميّ، وحضورها المرجعيّ. حيث كانت الحوزات الثلاث الأولى منها، قد تأسّست في ثمانينيات القرن الرابع عشر الهجري /ستينيات القرن العشرين الميلادي، كما أن الحاجة إليها، تزداد يوماً بعد آخر، لزيادة دائرة الوعي، والالتزام الدينيّ، مما يستلزم المزيد من العلماء اللبنانيين(١). إضافة إلى ما اكتسبته هذه الحوزات من خبرات، وما وصلت إليه من مستويات علميّة متقدمة، بلغت إلى حد إعطاء (دروس الخارج)؛ التي لم تكن قد وصلت إليها حوزات لبنان، إلا في سالف تاريخها البعيد.(هناك عشرة من دروس مرحلة الخارج بحوزات لبنان المعاصرة).

٢– إن هذه الحوزات، سوف تتضاءل وتضمر، يوماً بعد آخر، لأنّ أغلب العلماء وكبار الأساتذة، سوف ينتقلون إلى النجف، ويعودون إلى محاولة إرجاع نشاطاتهم العلمية، التي فقدوها رغماً عنهم، وبالتالي، فإن المستقبل لا يؤذن، ببقاء هذه الحوزات واستمرارها(٢). ثم إن العديد منها، سيموت بمجرد موت مؤسّسها!

٣– رأي ثالث، يأخذ بأوسط الآراء، حيث يذهب أصحابُه، الى أن هذه الحوزات، هي بمثابة المدارس الثانويّة، التي تؤهل الطالب لدخول الجامعة، ولهذا فإن الدروس الأولية، أي مرحلتي، المقدّمات والسطوح ستستمر، في هذه الحوزات، فيما ستضمر دروس الخارج فيها(٣)، وهذا هو الرأي الراجح، خاصة مع تأكيدنا،

١- مقابلات شخصية سابقة، مع الشيخ حسن طراد، ص٢٢٠، الشيخ نعيم قاسم، ص٢٨٢، الشيخ ناجي طالب، ص٢٣٨.

٢- مقابلات شخصية سابقة، مع الشيخ علي العفي (ص٢٣٣)، الشيخ محمد الكوثراني، ص٢١٥، الشيخ أحمد صادق، ص٢٤١، وآخرين.

٣- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ علي شمس الدين، ص٢٢٣، الشيخ حسن حلّال (ص٢٢٦).

بأنها نشأت قبل الكوارث، التي حلّت بالنجف وحوزتها[1].

ثانياً: إنّ من الآمال، التي يصعب تحقيقها في الواقع، أن يتم التنسيق، بين حوزات لبنان المعاصرة، فتقوم بتوزيع الأدوار بينها، فتختص بعضها بدروس المقدّمات، وأُخرى بدروس السطوح، وثالثة بدروس الخارج. وزيادة في الآمال والتمنيات؛ أن تتولّى بعض الحوزات، مهمّة إعداد الطلبة، نحو أحد الاختصاصات، بعد تجاوزهم المراحل الدراسيّة المطلوبة، مثل الخطابة، والتبليغ، أو التدريس، أو التأليف.

لقد كانت هناك محاولة رائدة، كان يمكن أن تكون لها اليوم آثار حميدة، لو أنها تمّت، حيث سعى بعض العلماء، في عام (١٣٩٧ هـ /١٩٧٧م) إلى محاولة لتأسيس حوزة موحّدة في لبنان، واستطاعوا جمع عدد من كبار العلماء المسلمين الشيعة آنذاك؛ مثل السيد عبد الرؤوف فضل الله (ت: ١٤٠٥ هـ /١٩٨٤م)، والشيخ حسين معتوق (ت: ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م)، والشيخ محمد تقي الفقيه (ت: ١٤١٩ هـ /١٩٩٩م) والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي شمس الدين، ولكنّ الاجتماع لم يصل إلى هذه الأمنية، وراح كل عالم ينشىء حوزة خاصّة به[2].

وما دمنا في صدد المحاولات الإيجابية، لترشيد الحالة الحوزوية بلبنان، فقد عقد اجتماع مهمّ، ضمّ أبرز مؤسّسي الحوزات اللبنانية المعاصرة، أو من ينوب منهم، نتج عنه: (ميثاق الحوزات الدينيّة في لبنان). وذلك في (٢٧ رجب ١٤٢٧ هـ /٧ تشرين أول ٢٠٠٢م). والميثاق من خمس عشرة صفحة، بحث موضوعات الحوزات، وأدوارها، وخطورة مسؤولياتها، وضرورة الحفاظ على منزلة الحوزات، من أن تنتهك، ممن هم ليسوا أهلًا لها؛ فيُسيؤون بتصرّفاتهم، ما نصع من حُسن سمعتها. وذكرت أسباب الميثاق

١- ثم لا بدّ من ملاحظة الظروف الأمنية والسياسية التي حلّت بالعراق عموماً والنجف الأشرف خصوصاً، ومدى استقرارها لتكون مشجعة على عودة الطلاب الشيعة من غير العرقيين اليها، ومنهم اللبنانيون. (الباحث).

٢- مقابلة شخصية سابقة، مع الشيخ أحمد كوراني، ص٢٢٦

ودوافعه، ثم عرضت خمسة فصول، تناولت ما يلي:

أ- إنشاء الحوزة، وأوصاف منشئها، وضوابط ذلك، في المؤسّس، والمدرّسين، وأوصاف الطلبة.

ب- التنسيق بين الحوزات.

ج- مسألة ارتداء لباس أهل العلم، واعتُبرت هذه الفقرة مهمّة جداً، خشية من أن يرتدي هذا الزيّ، من هو ليس أهلًا لذلك.

د- تعريف المخالف لنظام الحوزة وأقسامه، وما يتمّ في حقّه من إجراءات.

هـ- هيئة الأُمناء من العلماء اللبنانيين المشرفين على الحوزات.

وقد ذُيّل هذا الميثاق بتعليقات وتواقيع بعض المسؤولين أو المهتمين بالشأن الحوزوي. (نأخذ صورة عنها في الملحق، رقم٣).

ثم إن المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، أصدر كتاباً في (٢٠/١٢/٢٠٠٣) بعنوان (قرار رقم ت د ٢/٢٠٠٣) تضمن ثلاث فقرات؛ الأولى: موافقته على هذا الميثاق. الثانية: تعيين اثنين من العلماء، في لجنة المتابعة لهيئة الأمناء، يرتبطان برئاسة المجلس مباشرة. الثالثة: تبليغ القرار، حيث تدعو الحاجة إليه. (نسخة منه في الملحق رقم ٣).

ولكنّ كلّ هذا الجُهد لم يثمر شيئاً، وكان سحابة أمل، ما لبثت أن تبدّدت، فاستمرّت حالة عدم التنسيق بين الحوزات اللبنانية، فضلًا عن تعاونها، أو التفكير بمشروعات، من شأنها أن تنهض بها وبمهمّاتها.

وهكذا أُجهضت هذه المحاولة، كما انتهت محاولة جمع الحوزات في حوزة واحدة، قبل ست عشرة سنة من الأولى. وفي مقابلة شخصية مع أحد العالمين اللذين وُكّل إليهما متابعة الميثاق، والذي قال لي: إنه لم يُنفّذ شيء مما اتّفق عليه[١]. وما ذكرناه في هذه النقطة، يوضّح لنا شيئاً من واقع الحوزات المعاصرة ومشكلاتها الحاليّة، أما آفاقها المستقبليّة فيُمكن تلمُّسه

١- مقابلة شخصية سابقة، مع الشيخ علي عبد الأمير شمس الدين، ص٢٢٣

في بضعة نقاط، منها:

الأولى: إمكانيّة تخصّص الحوزات المعاصرة بلبنان، بالمجال التبليغي خارج العالم الإسلامي، في أقاليم المهاجر وغيرها، لما يمثله الطالب اللبناني، من لياقات وروح سياحيّة، ضمن الأجواء، التي عُرف بها اللبنانيون عموماً، فقد غزوا مهاجِرَ العالم، ولا نعلم أنَّ بلداً – خلا لبنان – يبلغ عديد نفوس شعبه خارجه، أكثر منهم داخله!.

وقد تتلاءَم مع هذه النقطة، خصال أخرى، تُذكر عن الطالب اللبناني، ذكرنا بعضها أثناء البحث، مثل ما يقال عن عدم صبره الطويل على الدرس، وحبّه للتغيير، وشبكة علاقاته، مع أرحامه المهاجرين، وما إلى هناك وهنالك. ويمكن لهذه المهمّة، أن تتم بشكل أفضل، فيما لو تمَّ التنسيق – فيها – مع الحوزات الأمّ، في النجف، أو قُم.

وقد بدأت الحوزات المعاصرة، خطوة نوعيّة منذ تأسيسها؛ حيث أقدم السيد موسى الصدر، على اختيار طلبة أفارقة، للتفقّه والدراسة بحوزته بمدينة صور، ولو تمّ الاهتمام بهذه المبادرة، لكان لهذه الحوزات شأنٌ آخر.

وتنهض بعض الحوزات المعاصرة، بمهمّة إرسال المبلّغين والخطباء، إلى مناطق وجود اللبنانيّين من المسلمين الشيعة، في أنحاء العالم وقارّاته المختلفة، وذلك حسب اتفاق مسبق، مع تلك الجاليات ومراكزها الدينيّة، والاجتماعية.

ويتم التنسيق مع أحد ثلاثة مراكز هي: المجلس الإسلامي الشيعيّ الأعلى، مكتب السيد محمد حسين فضل الله، ثم وحدة العلاقات التابعة لحزب الله. وتنشط حركة المبلّغين، من العلماء، والخطباء خاصّة، في شهر رمضان الفضيل، وشهر محرّم الحرام، من كلّ عام.

الثانية: هناك مساعٍ، قامت بها بعض الحوزات المعاصرة (المعهد الشرعي الإسلامي مثلًا)، لمحاولة استحصال اعتراف أكاديمي رسمي، بمناهجها ودروسها، مما يخوّلها منح شهادات رسميّة، تفتح أمام خرّيجيها،

مجالات أوسع للحركة والعمل.

وهذه الخطوة جدُّ جديرة، ببعض الحوزات المعاصرة، التي تمتلك نظاماً دقيقاً وحازماً مطبوعاً، فيه بيان للدروس التي يأخذها الطالب في كلّ سنة دراسيّة، وعدد الساعات، ونظام لحساب الغيابات، ونظام آخر للاختبارات (المعهد الشرعي الإسلامي، معهد الرسول الأكرمﷺ العالي، مثلًا). وبذلك تكون حوزات لبنان المعاصرة، سائرة على ما سارت عليه قبلها حوزة النجف الأشرف، حينما استحصل بعضُ علمائها، إجازة رسميّة، فكانت كليّة الفقه في النجف الأشرف، عام (١٣٧٩ هـ /١٩٥٩م)، كما أنّ الحوزة القميّة حالياً، خطت بالمسألة باتجاه أوسع؛ حيث أخذت تعادل كلّ مرحلة دراسيّة حوزوية، وتمنحها إجازة رسميّة أزاءها، فمن يكمل المقدّمات والسطوح يمنح (الليسانس)، ومن يُنهي الخارج يُمنح درجة (الماجستير)، ومن يتجاوز ذلك إلى تقديم بحوث اجتهاديّة، يُمنح (الدكتوراه).

وكان السيّد موسى الصدر، قد استحصل موافقة رسميّة، على فتح جامعة تُعنى بالدراسات الإسلامية عام ١٣٨٨ هـ /١٩٦٨م. ولم تتهيّأ له الأسباب في حياته، ولكنها قامت في عهد الشيخ محمد مهدي شمس الدين، فكانت (الجامعة الإسلامية في لبنان) وذلك عام ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

وحالياً، نجد جمعاً من طلبة الحوزات اللبنانية المعاصرة، وهم طلّاب في الجامعات ، في الوقت نفسه، وصرّح لي مدير إحدى الحوزات: أنه لن يكون في حوزته طالب بعد هذه السنة (١٤٢٩ هـ /٢٠٠٨م)، إلا الطلّاب الجامعيّون. وحالياً، فإن ٨٥% من طلبة هذه الحوزة، هم جامعيّون، وفيهم (١٨) طالباً يحضّرون (للدكتوراه) [١].

وبهذه الفقرة، نكون قد أنهينا الفصل الثالث، من هذا البحث، حيث تناولنا فيه الحوزات المعاصرة بلبنان، تأسيساً، وواقعاً، وآفاقاً مستقبليّة.

١- مقابلة شخصية سابقة، مع الشيخ حسن حلال، ص٢٢٦

الفصل الرابع

المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة وولاية الفقيه

التمهيد:

برز دور الفقهاء الشيعة كمراجع للوجود الإسلامي الشيعي، بعد غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي عليه السلام الثانية عام (٣٢٨هـ) التي عُرفت بالغيبة الكبرى. فكان عليهم النهوض لملء الفراغ الذي أحدثه غياب آخر أئمتهم عن المجتمع وقضاياه.

وكان رجوع المسلمين الشيعة إلى هؤلاء الفقهاء أمراً لا مفرٌّ منه، لمعرفة الأحكام الشرعيّة، وحلّ بعض مشكلاتهم، فصاروا (مراجع) لهم، ومن هنا نشأت المرجعيّة الدينيّة عندهم ـ وإن لم تكن تُعرف بهذا الاسم آنذاك ـ. فإذا أردنا ترتيب المواقع الدينيّة للشيعة الإثني عشرية، فإنها ستكون كالتالي: النبوّة، الإمامة ثم استثناءاً المرجعيّة.

ولم تكن المرجعيّة الدينيّة في بدايتها كما هي في واقعها المعاصر، لا من حيث الاسم ولا من حيث امتداد ساحتها وقوّة تأثيرها، الذي تجاوز حدود الأحكام الشرعيّة وحقلها الدينيّ ليصل إلى حقول اجتماعية واقتصاديّة وسياسيّة.

وكانت أمام الفقهاء الشيعة تحديات كبيرة، في حقول شتّى، منها مسألة الإمامة وكيفية التعامل مع موضوعها، بعد غياب الأئمة عليهم السلام، ومن يكون مؤهلًا، لسدّ فراغ هذا الغياب. واحتدم النقاش بين هؤلاء الفقهاء، في الصلاحيات الممنوحة للفقيه، لا سيّما في موضوع الحكم، وإدارة شؤون المجتمع ومؤسّساته.

ولم يزل اختلاف الفقهاء الشيعة، في هذه المسألة مستمراً الى الآن، وهو ما يؤكد بعض الأمور منها: أنه لم تجر عملية تثقيف واضحة، ومتفق عليها، في حقل موقع الفقيه من الأمة، في عهد الأئمة، وخاصة في فترة الغيبة الصغرى (٢٥٥هـ – ٣٢٨هـ)[1] ، التي زادت على سبعين عاماً، وهي

١- وهي الفترة بين غياب الإمام الثاني عشر المهدي بن الحسن، غياباً جزئياً، حيث كان يلتقي بأربعة فقهاء تناوبوا على تمثيله في الوجود الإسلامي الشيعي، وبين الغياب الكلّي (الغيبة الكبرى)، حيث برز دور الفقهاء الشيعة. (الباحث).

فترة كافية جداً، لمثل هذا التثقيف، لوكان موجوداً بالفعل، خاصّة، وأنّ أقوال علماء الشيعة، ومثقفيهم، تذهب الى أنّ هذه الفترة، كانت فترة إعداد للأمة، لاستقبال مرحلة الفقهاء، بعد مرحلة الأئمة[١].

والذي يؤكد غياب هذا التثقيف؛أنّ الذين ذهبوا الى القول بولاية الفقيه المطلقة، كما سيأتي في المبحث الأول- لم يجدوا إلّا رواية واحدة (توقيعاً)، صدرت عن الإمام الثاني عشر فقط.

وقد جزم أحد العلماء المتحمسين لولاية الفقيه، بضرورة وجود روايات كثيرة تؤكّدها، كانت قد صدرت عن الإمام الثاني عشر، لكنها لم تصل إلينا[٢]، دون أن يدعم جزمه هذا بدليل.

كما ويؤكد هذا الغياب كذلك، ذلك الأهمال الملموس لموضوع الحكم، ودور الفقيه فيه، في الأبحاث الفقهيّة، التي تركها كبارُ فقهاء الشيعة، منذ عصر الغيبة الكبرى الأول. وإذا وجد شيء من ذلك، فإنها لا تعدو، مجموعة آراء موزّعة، في أبواب الفقة المختلفة؛ كالتجارة، والزكاة، وغيرهما، ولم تضمّ المدونات الفقهية الشيعية، باباً خاصاً، بهذه المسألة. حتى ذهب أحد المراجع الشيعة المعاصرين، الى أنّ الشيعة لم يكونوا يفكرون بالحكم منذ زمن الائمة[٣]، ولعل ما يدعم هذا الفهم، أنّ الأئمة من بعد الإمام الحسين عليه السلام (ت: ٦١هـ)، لم يدعوا الى أنفسهم، ولم تكن لهم تحركات سياسية واضحة، ترجّح كفة فقهاء الشيعة، القائلين بدور قياديّ للفقيه زمن الغيبة.

وقد ظل الجدال الفقهي، في موضوع دور الفقيه في الحياة السياسية، محصوراً في حلقات الدروس الحوزوية، أو في بعض المدونات، التي تناولت الموضوع من قريب أو بعيد.

١- الأديب، عادل: الأئمة الاثنا عشر، ص ٢٦١.

٢- الحيدري، محسن: ولاية الفقيه تاريخها مبانيها، ص٢٢٣، نقلها عن المحقق البروجردي (ت:١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م).

٣- مقابلة شخصية مع السيد محمد حسين فضل الله، بيروت، الثلاثاء ١٩ جمادى الأولى ٤٢٧هـ / ٥ حزيران ٢٠٠٧م، ١١ صباحاً.

ومع (ولاية الفقية)، صارت المرجعيّة الدينيّة وصار الفقية الشيعي ودوره، مدار بحث، في مناقشات علميّة، حول مدى مسؤوليته وموقعه، وتعدّى تأثيرها المسلمين الشيعة، لينعكس على بعض أقوال وآراء فقهاء المسلمين الآخرين ومثقفيهم، حول ما يمكن للفقهاء المسلمين النهوض به من مهام والقيام به من أدوار.

لقد بلغت المرجعيّة الدينيّة اليوم مبلغاً متقدماً، من قوّة التأثير وشدّة الحضور بما لم يُعهد بمثلهما من قبل، وتناسب ذلك مع البروز الشيعي في الساحتين الإسلامية والعالميّة، منذ أحداث ثورة إيران الإسلامية عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، التي كانت بقيادة المرجع السيّد روح الله الخميني (ت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ومناداته بأطروحة (ولاية الفقيه)، وصولًا إلى أحداث العراق بعد عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) وإلى الآن، وقوّة حضور مرجعيّة النجف وفتاوى فقهائها.

لقد استقطبت المرجعيّة الشيعيّة، اهتمام الكثير من الدوائر البحثيّة والعلميّة والأكاديميّة، إضافة إلى الدوائر المختصّة بدراسة الحركات الإسلاميّة المعاصرة.

ولو عدنا، الى مراحل تطور الفقه الشيعي تاريخياً، فسوف نجد أنّه مرّ بمراحل عدّة، حتى وصل الى الدور، الذي بلغه الفقيه المعاصر. ولو أردنا تتبع المراحل تلك، لوجدناها كالآتي:

١- مرحلة الرواة: وهي المرحلة الاولى، التي بدأت في أواخر الغيبة الصغرى، التي انتهت سنة (٣٢٨هـ)، حيث طبعت فقهاءها، بدور نقل الروايات، عن النبي ﷺ، والأئمة عليهم السلام من بعده، وتبويبها، وتصنيفها، دون بروز جهد إجتهادي ملموس، وكان ذلك واضحاً، في رواة الحديث الشيعة بمدينة قم، قبل حوزة بغداد.

٢- مرحلة إبداء الرأي الاجتهادي: والتي كانت مع حوزة بغداد، وفقهائها الثلاثة، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، والسيد المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، والشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، وتأثيراتها في فقهاء تلك المرحلة، حيث لم يعد الفقيه، مجرد راو

للحديث، أو مصنِّفٍ له، بل أخذ يستنبط من القرآن الكريم والأحاديث أحكاماً شرعيّة[١].

٣- مرحلة جواز العمل بالقضاء: حيث اعتمد الفقهاء على روايات وردت عن الإمام الصادقعليه السلام (ت: ١٤٨هـ) تجيز لبعض الفقهاء بالعمل قاضياً،ومنها قالوا بجواز العمل بالقضاء حتى ضمن دولة ظالمة وفي غيبة الإمام. وكان الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) من أوائل اولئك الفقهاء، حيث قال: "إنّ غيبة الإمام، لا تستدعي تعطيل الأحكام المربوطة بعصر الإمامة"[٢].

وهذا هو شأن الفقهاء المجتهدين، أن يبحثوا في القرآن الكريم والروايات والأحاديث عن نصّ، ليستنبطوا منه حكماً ما. اعتماداً على القاعدة المعروفة عند الفقهاء من أنّ المورد لا يخصّص الوارد. فهناك دائماً قضية خاصة يأتي فيها حكم، يمكن أن يستفاد منه، بعد ذلك، في موارد أخرى.

وقد علّق أحد الباحثين على هذه المرحلة من أن الفقهاء انطلقوا في هذه المسألة من إذن خاص بمورد معيّن، الى إذن عام لموارد أخرى[٣]. والصحيح أنها ليست اسلوباً خاصاً بهذه المسألة، لأنها الطريقة المعتمدة في استنباط الأحكام عامة.

٤- ثم جاء بعده تلميذه السيّد المرتضى، الذي ترك لنا رسالة خاصّة، من رسائله بعنوان: (العمل مع السلطان)[٤]. وهذا تطوّر مهمّ، فتح الباب لدخول الفقيه الشيعي في الشأن العام، وخروجه من دائرة، الروايات والأحاديث، الى ساحة الواقع الخارجي. ولعلّ من المهّم أيضاً، أنّ نذكّر أنّ أحد مبعوثي حوزة بغداد الى لبنان كان قاضياً، وهو الشيخ عبد العزيز بن البرّاج الطرابلسي (ت: ٤٨١هـ)، والمعروف بالقاضي. كما ويمكن أن نسمي هذه المرحلة، بمرحلة التدخل في الشأن العام.

١- فرحان، عدنان: أدوار الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ص ١٠٦، ص ١١٠.

٢- المفيد، محمدبن النعمان: المقنعة / باب الأمر بالمعروف، ص ٨١٠.

٣- السيف، توفيق: نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ص ٧٥.

٤- المرتضى، علي بن الحسين: رسائل الشريف المرتضى، ٢/٩٠.

٥- بروز مصطلح (نائب الامام): حيث أطلق بعض قدماء الفقهاء الشيعة، على الفقيه الجامع لشرائط الاجتهاد، لقب النائب عن الإمام، وهو إمّا عموم الإمام، أي منصب الإمامة، وإمّا خصوص الإمام المهدي، باعتباره إمام العصر الغائب.

إنّ وصف الفقيه، بأنّه نائب للإمام، هي الخطوة المؤسّسة، التي أوصلت بعض الفقهاء، الى القول بالولاية المطلقة للفقيه، التي نشأت من جذورها الفقهية، في الفكرة التي يتداولها الفقهاء الشيعة، من أنّ الفقيه نائب للإمام، التي منحت، مناخاً مفاده أنّ للفقيه ما للإمام[١].

ويبدو، أنّ أولّ من طرح مصطلح (نائب الإمام)، هو الشيخ أبو الصلاح الحلبي (ت: ٤٤٧هـ)[٢]، ثم تبعه مؤسّس حوزة الحلّة، الشيخ ابن إدريس الحلّي (ت: ٥٩٨هـ)، الذي جوّز للفقيه، إجراء الحدود، إضافة الى القضاء، لأنّه نائب الإمام[٣]، ثمّ المحقّق الحلّي، (ت: ٦٧٦هـ) وكان تعبيره؛ (حق النيابة)[٤]، ثم ذكره الشهيد الاول، محمد بن مكي الجزّيني(ت: ٧٨٦هـ)، بعنوان (نائب الغيبة). ثم انتشر الى بقيّة فقهاء الشيعة.

ومن هنا يتضح، أنّ الشهيد الأول، لم يكن أول فقيه، يطلق وصف (نائب الامام)، كما ذهب الى ذلك بعض المؤلفين المعاصرين[٥].

وكان يطلق على الإمام الخميني، في أوائل حركته، التي غيّرت نظام الحكم بإيران، لقب (نائب الإمام) والذي انعكس على صوره التي كانت توزّع، قبل أنْ يبدل هذا اللقب الى (الإمام) بدلًا عن نائبه.

٦- مرحلة تصدي الفقهاء الفعليّ، والتي بدأت مع الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت: ٩٤٠هـ)، الذي صار (شيخ الإسلام) في الدولة الصفويّة، في عهد الشاه طهماسب (ت: ٩٨٤هـ). وهو الفقيه الذي أصدر إذناً شرعياً بالحكم

١- مقابلة شخصيّة سابقة، مع السيدّ محمد حسين فضل الله، ص٣٠٠

٢- الحلبي، أبو الصلاح: الكافي في الفقه، ص ٤٢٠.

٣- إبن إدريس، محمد: السرائر، ٣/٥٤٥.

٤- المحقق الحلي، جعفر بن الحسن: شرائع الإسلام، ١/١٨٤.

٥- راجع المهاجر، جعفر: الهجرة العاملية، ص ٥٩، كذلك: جبل عامل بين الشهدين، ص ١٣٠.

للشاه، انطلاقاً من كونه، نائب الإمام[١]. وقد وصِف الكركي بأنه؛ نائب الإمام، ومجتهد الزمان، وخاتم المجتهدين. وقد ذهب الشيخ الكركي الى أنّ للفقيه ما للإمام من مناصب[٢].

٧- مرحلة منح الولاية السياسيّة للفقيه، وكانت مع مرجعيّة الشيخ جعفر الجناجي النجفي (ت: ١٢٢٨ هـ)، الذي لقّب بكاشف الغطاء، الذي لم يكتف بالمشاركة في الحكم، ومنح الحاكم، إجازة شرعية له[٣]، بل ذهب الى أنّ الولاية السياسية، في الشأن العام، هي للفقيه، وله أنّ يمارسها بنفسه، أو يوكلها الى غيره، من الحاكم الفعليّ، أو عدول المؤمنين، لأنّ الولاية من الضرورات، التي لا تترك[٤].

٨- مرحلة القيادة السياسيّة الفعليّة للفقيه، وتجسدت مع بروز الإمام الخميني، وقيادته الفعليّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، وهو الذي حوّل (ولاية الفقيه)، من أطروحة فقهيّة مغمورة، في أعماق كتب الفقه الشيعي، الى واقع سياسي ملموس، ثم أدخلها في دستور الجمهورية الإسلامية بعدما أنزلها في استفتاء شعبيّ عام، سنة (١٩٨٠م/١٤٠٠هـ)، مجسّداً ما ذهب إليه الشيخ كاشف الغطاء أعلاه.

ومّما سبق فإنَّ الملاحظ أولاً:

إنّ التطبيق الفعلي، لأطروحة ولاية الفقيه في مراحلها الثلاث الأخيرة، كانت تنطلق من حوزة النجف الأشرف: (الكركي، كاشف الغطاء، الإمام الخميني). أمّا الشيخ الكركي؛ فقد عرفنا في الفصل الأول أنه مكث خمساً وعشرين عاماً الأخيرة، بالنجف ومنها انطلق الى إيران. وأمّا الشيخ كاشف الغطاء؛ فهو ابن النجف وثاني قطبي حوزتها، في المرحلة الأخيرة من مراحلها (الفصل الثاني السابق). وأمّا الإمام الخميني؛ فالمعروف عنه، أنه لم يذهب الى القول بالولاية المطلقة للفقيه، إلّا في النجف الأشرف، التي أمضى فيها

١- البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين ، ص ١٥٢.

٢- الكركي، علي بن عبد العالي: رسائل الكركي/ رسالة الجمعة ، ١/١٤٣.

٣- حيث منح هذه الإجازة الى الشاه فتح علي القاجاري (١٢٥٠هـ) أبرز سلاطين الدولة القاجاريّة بإيران، (الباحث).

٤- الجناجي، جعفر: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء، ص ٣٩٤.

ستة عشر عاماً. ومن يراجع بعض مؤلفاته، قبل مجيئه الى النجف، يجده يصرّح، في بحث أدلة القائلين بولاية الفقيه بقوله: "ونحن عندما نقول: إنّ الحكومة والولاية، في هذا الزمان بيد الفقهاء، لا نريد أنّ نقول: إنّ الفقيه هو الملك وهو الوزير... بل نقول: إنّه يشكّل مجلساً، يقوم بتشكيل الحكومة .... ولم ينقل عن فقيه: أنّنا سلاطين، وأنّ السلطة حقّنا "[١].

ثم غيّر الامام الخميني، رأيه بالنجف، باتجاه الولاية المطلقة للفقيه؛ بفعل الحراك الثقافي والفكري لحوزة النجف[٢]، ولقائه بعض الفقهاء القائلين بها[٣]. ثم راح يلقي محاضراته بالنجف، عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) التي نشرت في كرّاسات أولاً، ثم طبعت في كتاب حمل عنوان: (ولاية الفقيه).

ويلاحظ ثانياً :

أنّ تطبيقات ولاية الفقيه، كانت جميعها بإيران، في عهود الصفويّين، والقاجاريّن، ثم الجمهورية الإسلامية. وممّا لا شكّ فيه أنّ موضوعي (المرجعيّة الدينيّة وولاية الفقيه)، من الموضوعات بالغة الأهمّية، كثيرة الجوانب، متعدّدة الاتجاهات، وهما يستدعيان مساحة أوسع في البحث، ولكنّنا بعد هذا التمهيد، سنحاول الولوج إليهما، عبر مبحثين:

المبحث الاول: المرجعيّة الدينيّة، مراحلها وحضورها وموقع شيعة لبنان منها.

المبحث الثاني: ولاية الفقيه ، تطوّرها أدلتها وأثرها في الساحة اللبنانيّة.

١- (الإمام الخميني، روح الله؛ كشف الأسرار، ص ١٧٩––١٨١)، (لطفي، منال: إيران ٣٠ عاماً على الثورة/ جريدة الشرق الأوسط، ص٨ العدد ١١٠٣٦، في ٢٠٠٩/٢/١٤).

٢- مقابلة شخصية، مع السيد هاني فحص، بيروت، الأربعاء ٢٨ ربيع الثاني١٤٣٠هـ/٢٦ آذار ٢٠٠٩ م عصراً.

٣-مقابلة شخصية مع الشيخ أسعد كاشف الغطاء، بيروت، السبت، ١ربيع الثاني ١٤٣٠هـ/ ٢٨ آذار ٢٠٠٩ م، الساعة ٣ عصراً، (وعنى ببعض الفقهاء أباه الشيخ علي كاشف الغطاء، (ت: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، أحد مجتهدي النجف الذي كان يذهب الى الولاية المطلقة).

المبحث الأول

المرجعيّة الشيعيّة، مراحلها وحضورها وموقف شيعة لبنان منها

المرجعيّة، بالمعنى المتداوَل حاليّاً، معنى جديد، لم يتم التعامل به، إلّا في القرن الأخير وربما قبله بقليل. على خلاف من ذهب إلى أنه مصطلح متداول منذ قرون[١].

ولا بدّ ـ في البداية ـ من الوقوف على معنى المرجعيّة اللغوي والاصطلاحي.

المرجعيّة تعود في أصلها إلى الفعل (رَجَع) "والرجوع هو العودة إلى ما كان منه البدء أو بتقدير البدء، والرّجع الإعادة، وجاءت الرجَعة في الطلاق.

والرّجَاع مختّص برجوع الطير بعد قطاعها. فمن الرجوع قوله تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ...﴾[٢]، ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا....﴾[٣]، ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً...﴾[٤]، ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ..﴾[٥]... "[٦] وغيرها كثير في القرآن الكريم.

كما وردت كلمة (مرجع) في ستّ عشرة آية قرآنيّة كريمة، منها قوله تعالى: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٧]،

١- البهادلي، علي: الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، ص١٨٢.

٢- سورة المنافقون، ١٨.

٣- سورة يوسف، ٦٣.

٤- سورة الأعراف، ١٥٠.

٥- سورة النور،٢٨.

٦- الأصفهاني – الحسين بن علي الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص١٨٨.

٧- سورة المائدة، ٤٨.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وجاء في بعض قواميس اللّغة، من اشتقاق الفعل (رَجَعَ): "يرجِعُ رَجعاً ورجوعاً ورُجعى ومرجِّعاً ومَرجِعة: انصرف. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[2]، أي الرجوع، فالمرجع مصدر على فُعلى، وفيه: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾[3]، أي رُجوعكم"[4] و"رجع عن سفره وعن الأمر، يرجعُ رَجعاً ورجوعاً ورجُعى ومرجِعاً، قال ابنُ السكّيت[5]. هو نقيض الذَهاب، ويتعّدى بنفسه في اللّغة الفُصحى، فيُقال: رجعْتُه عن الشيء وإليه: وأرجعت الكلام وغيره، أي رددتُه، وبها جاء القرآن الكريم..." [6]

وحينما ترِدُ لفظة (المرجعيّة) مجرَّدة من أيِّ إضافة، فهي تعني المعنى اللغوي الآنف، أي الرجوع إلى شخص أو أشخاص عدَّة، يُرجع إليهم في فهم مسألةٍ أو بيان قضيّةٍ، أو اتخاذ موقفٍ. إذ نسمع في وسائل الإعلام المعاصرة ونقرأ لفظ المرجعيّة مضافاً إلى موضوعات مثل (مرجعيّة اقتصاديّة) و(مرجعيّة سياسيّة) و(مرجعيّة فكريّة) وما سواها، ومنها (المرجعيّة الدينيّة)، سواء كانت للمسلمين أو غيرهم، فضلًا عن الشيعة أو سواهم من المسلمين. فالمرجعيّة الدينيّة عند المسلمين الشيعة الإثني عشريّة، تعني الرجوع إلى أشخاص محدَّدين من كبار علماء الدين المجتهدين في علم الفقه، من الأحياء ـ دون الأموات ـ فالمرجِعُ (مفرد) عندهم، هو:

١- سورة الأنعام، ١٠٨.

٢- سورة العلق، ٨.

٣- سورة المائدة، ١٠٥.

٤- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١١٤/٨.

٥- يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت، إمام في اللّغة والأدب أصلُه من خرزستان. تعلّم ببغداد واتصل بالمتوكّل العباسيّ فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله (٢٤٤هـ)، لسبب مجهول قيل: سأله عن ابنيه المعتزّ والمؤيّد: أهما أحبّ إليه أم الحسن والحسين، فقال: والله إنَّ قنبراً خادم عليّ خير منك ومن ابنيك. فأمر الأتراك فداسوا بطنه، وأستلّوا لسانه، وحمل إلى داره فمات. من كتبه: اصلاح المنطق، الألفاظ، الأضداد، القلب والإبدال وغيرها.. (الزركلي، خير الدين، ١٩٥/٨).

٦- الفيّومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص٨٤.

الفقيه المجتهد الجامع للشرائط، والمجتهد المرشّح لموقع المرجعيّة، لا بُدّ أن تتوافر فيه مجموعة شرائط أساسيّة، ومنها:

١- "البلوغ: فلا يُقلّد غيرُ البالغ حتى لو فُرض اجتهاده قبل البلوغ.

٢- العقل: فلا يقلّد غير العاقل، إذا كان مجنوناً بعد اجتهاده، أو أنّ جنونه متقطّعٌ.

٣- الذكورة، فلا تقلّد النساء حتى لو كنّ مجتهدات.

٤- العقيدة، بمعنى أن يكون المجتهد مسلماً شيعيّاً اثني عشرياً بالخصوص.

٥- العدالة: أي الاستقامة على شرع الإسلام وطريقته.

٦- طهارة المولد: فلا يُقلّد من وُلد سفاحاً.

٧- الضبط: فلا يقلّد من ينسى آراءه ولا يضبط فتاواه فوق المعتاد.

٨- الاجتهاد: إذ لا بُدَّ من إثبات اجتهاد المتصدّي للتقليد.

٩- الحياة: فلا يقلّد المجتهدُ الميْتُ ابتداءً، لكن يجوز البقاء على تقليده حال حياته"[1].

ويضيف المرجع السيد محمد باقر الصدر أمراً آخر وهو أن يكون المجتهدُ المقلَّد، "الأعرف والأقدر على تطبيق أحكام الشريعة الإسلاميّة في مواردها، مع فهمٍ للحياة وشؤونها، بالقدر الذي تتطلبُه معرفة أحكامها.."[2].

وهو شرط انفرد به، لم يؤيده فيه أقرب المراجع الحاليّين إليه، وهو السيّد محمد حسين فضل الله، حيث غفل عنه في رسالته العمليّة التي كانت تعليقاً على رسالته الأولى والتي تحمل اسمها (الفتاوى الواضحة)[3].

١- السيستاني، علي: المسائل المنتخبة، ص١٣.

٢- الصدر، محمد باقر، الفتاوى الواضحة، ص٢١.

٣- فضل الله، محمد حسين: الفتاوى الواضحة، ص٢٠.

إنّ توافر هذه الشرائط لوحدها لا تكفي لتقليد المجتهد، إذ لا بدّ أن يطرح آراءه الفقهيّة، وفتاواه الشرعيّة، في كتاب خاص يسمّى (الرسالة العمليّة) التي يرجع إليها المقلّدون، إنَّ طرح الرسالة العمليّة، يعني دعوة المجتهد الناسَ لتقليده، وقد تكون بلغات عدّة.

فهناك بعض المجتهدين ينأون بأنفسهم عن التقليد ـــ ومنهم من بلغ درجةً عُليا في الاجتهاد لأسبابٍ أغلبها ذاتي، مثل التورّع في الفتاوى أو كراهيةً للشهرة، أو موضوعي: مثل اعتقاد المجتهد بوجود آخرين ينهضون بمهمّة المرجعيّة. **فكلُّ مرجع مجتهدٌ ولكن ليس كلُّ مجتهد مرجعاً.**

فالمرجعيّة بهذا المعنى الخاص عند المسلمين الشيعة هو: "مصطلح مستحدث غير موجود في أيّ نصّ شرعي"[١]، رغم شيوعه الآن وبشكلٍ واسع.

ثمّ إنّ المرجعيّة قد تُطلق ويراد منها مرجعٌ بالذات، أو يُراد منها المرجعيّة ككيان يضم مراجع عدّة والمؤسسات المرتبطة بهم، وهو أمرٌ يُعرف من خلال سياق الكلام. وقد تأتي لفظة (المرجع) مجرَّدة، وقد تضاف إليه أوصاف أُخرى، مثل: مرجع المسلمين أو مرجع العصر، أو مرجع عالم التشيّع (وينتشر ذلك في الرسائل العمليّة باللّغة الفارسيّة).

وقد تطوّرت أوصاف المرجع، مع تطوّر دور المرجعيّة واتّساع ساحات نفوذها وتأثيرها. مثل مصطلح (المرجع الأعلى) الذي عُرف في ستينّيات القرن العشرين الميلادي بالنجف الأشرف، وفي مرجعيّة السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩١هـ/١٩٧٠م)، وهو مصطلح لم يكن معروفاً قبل هذا التاريخ، وقد ابتكره مجموعةٌ من العلماء الواعين، أيام الصراع مع المدّ الشيوعي، والذين أرادوا أن يكون لمرجعيّة السيد الحكيم، قوةٌ وصدىً واسعين، في العالم الإسلامي آنذاك[٢]، وه ابتكار مهّم في تطوّر المرجعيّة.

١- شمس الدين، محمد مهدي: آراء في المرجعيّة الشيعيّة، ص٥٧٤.

٢- شمس الدين، محمد مهدي: آراء في المرجعيّة الشيعيّة، ص٥٧٧–٥٧٨.

ولم يكن التطوّر منحصراً في أوصاف (المرجعيّة) فحسب، بل إنّ التطوّر أصاب نفس اللفظة كذلك، إذ كانت المرجعيّة تُعرف وإلى عهدٍ قريب (بالرئاسة)، وقد تُضاف إلى الدينيّة فيقال: (الرئاسة الدينيّة)، وهو المصطلح الذي كان سائداً في الحوزات.

فقد جاء في ترجمة الشيخ عبد الله نعمة الكبير (ت:١٣٠٤هـ)، لمّا عزم على ترك النجف الأشرف، والانتقال إلى إحدى المدن الإيرانيّة، استجابة لطلب أهلها، حيث نهاه استاذه المرجع الشيخ محمد حسن النجفي ــ صاحب الجواهر ــ (ت:١٢٦٦هـ)، عن ذلك بقوله: "إنّي أتوسّم فيك مخايل الرئاسة، فابق بالنجف ولا تخرج منها تكن من الرؤساء"[١]، أي المراجع. بل إنّ هذا المصطلح ورد في نصٍّ معاصر، للمرجع الشيخ محمد تقي الفقيه الحاريصي (ت: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) في مقالة بعنوان: (كيف يُنتخب الرئيس؟)[٢]، أي المرجع.

ثمّ إنّ المرجعيّة ولشدّة حضورها، لا تحتاج إلى أوصاف أو قرائن، وخاصّة في الأوساط الدينيّة الشيعيّة، أو الدراسات والمؤسسات المهتمّة بالبحوث الدينيّة الشيعيّة، بل في عامّة الأوساط الإسلامية الشيعية، وربّما في غيرهم.

الكيان المرجعيّ المعاصر:

وإذا أردنا دراسة هيكليّة المرجعيّة الدينيّة، عند الشيعة الاثني عشرية حالياً، فهي تبدو كما يلي:

١) المرجع، ويقع على رأس هرم الكيان المرجعي، وهو الفقيه المجتهد، بالأوصاف المذكورة سابقاً.

٢) الجهاز المرجعيّ: ويضمّ مجموعة المستشارين والخبراء، في الشؤون التي

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٧١/١٢

٢- الفقيه، محمد تقي: جامعة النجف في عصرها الحاضر/ موسوعة النجف الأشرف، ٢١٧/٦.

تباشرها المرجعيّة؛ كالإفتاء، والتدريس الحوزوي، وإدارة المدارس الدينيّة ورعايتها، واستلام الحقوق الشرعيّة وإصدار إيصالات الاستلام، ثم توظيفها وتوزيعها حسب إرشادات المرجع، ثم شؤون المبلّغين ووكلاء المرجع، المنتشرين حسب انتشار مساحات مقلّديه.

ويُعرف هؤلاء المستشارون في الأعراف الحوزويّة بـ (الحواشي)، فلكلّ مرجع (حاشية). وقد ينتقل هؤلاء المستشارون من مرجع سابق إلى آخر لاحق، وتنتقل معهم خبراتهم ومعرفتهم الإداريّة، في مرجعيّات قد تصل مواردها الماليّة، إلى مستوى ميزانيّات بعض الدول.

٣) الوكلاء، وهم العلماء المنتشرون، في المدن والقرى، داخل العراق وخارجه، حيث يَؤمّون المصلّين في المساجد، ويسعون لحل مشكلاتهم خارجها. ويزوّد كلٌّ وكيل بوكالةٍ خطيّةٍ من المرجع نفسه، يبدي فيها ثقته به ودعوة المؤمنين للإلتفاف حوله، ويخصّص له حق أخذ الحقوق الشرعيّة من المقلّدين، وقد يكتب له فيها نسبة تصرّفه في هذه الحقوق.

وقد يكون لأحد العلماء أكثر من وكالة، لأكثر من مرجع معاصر، خاصّة في المناطق التي يكون فيه تقليد متنوّع. ثم إنَّ بعض الوكلاء من كبار علماء المناطق المعروفين، تأتيهم الوكالات من المراجع الجدد، حتى قبل طَلَبها، لفرط أهميّة مواقعهم الدينيّة في مناطقهم ودرجتهم العلمية. وعلى الوكيل أن يعرف آراء أكثر من مرجع، في المسائل الشرعية، حيث يوجد التنوّع في التقليد وحتى في المسجد الواحد، في أغلب الأحيان.

وقد قامت الوكالات بأدوار مهمّة جداً، في صيانة المساجد من مدّعي العلم، أو بعض المدسوسين من بعض أجهزة الأنظمة الأمنيّة، حيث يبادر المصلُّون إلى سؤال من يتقدّم لإمامتهم في الصلاة، عن وكالته وعمّن صدرت، وإذا لم يزُل شكُّهم، نراهم يشكّلون وفداً ليقابلوا المرجع شخصيّاً، ويسألونه عن صحة تلك الوكالة، ومدى توثيقه لصاحبها.

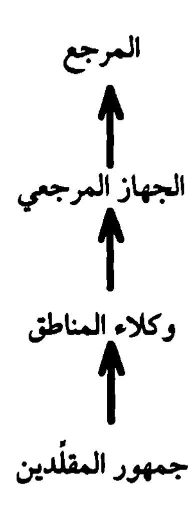
وكانت بعض الوكالات تُعتبر دليل إدانةٍ كاملةٍ يستحق حاملها الأعدام، وهي التي كانت تصدر عن المرجع السيّد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)،

خاصّة بعد إصداره فتوى بحرمة الإنتماء لحزب البعث الحاكم ببغداد آنذاك[1]، ولمْ يبقَ أحدٌ من وكلائه حيّاً بالعراق بعدها[2].

وقد مرّ بنا في فصل سابق، دور العلماء اللبنانييّن، الّذين كانوا وكلاء المرجعيّة، في بعض مدن العراق ونواحيه.

٤) المقلّدون، وهم القاعدة الجماهيريّة الكبيرة، من المؤمنين المتديّنين، الذين يرجعون في معرفة أحكامهم الدينيّة إلى المرجع، وأمور أخرى، مثل معرفة أوائل الأشهر القمريّة، وأمور أوسع، تعتمد على مدى تصدّي المرجع لقضايا كبيرة، اجتماعيّة، واقتصاديّة، وحتى سياسيّة.

والمقلّدون يتكوّنون من كافة فئات المجتمع، من الوزراء أو من هو أرفع منهم، وحتى أبسط الناس المتدينين، من الكسبة والعمّال والفلّاحين. ويمكن توضيح ما ذكرنا في الرسم البياني أدناه حيث ينتهي الارتباط بالمرجع أخيراً.



إن موضوع (المرجعيّة الدينيّة) متعدّد الأبعاد، متنوّع الجوانب، ولهذا سنركز على نقطتين في هذا المبحث:

١- النعماني، محمد رضا: شهيد الأمة وشاهدها،٢/٦٠.

٢- أبو زيد، أحمد عبد الله؛ محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، ٤/١٧٠-١٧١.

النقطة الأولى:مراحل تطوُّر المرجعيَّة الدينيَّة عند الشيعة الإماميّة:

لم نجد تقسيماً لمراحل تطوّر المرجعيّة الشيعية، أفضل ممّا ذكره المرجع السيد محمد باقر الصدر، رغم بعض الملاحظات، التي يمكن إيرادها عليه، وهي المراحل التالية:

١) مرحلة الاتصال الفردي: وتمتدّ منذ أيام الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) إلى زمن الشيخ الحسن بن يوسف الحلي المعروف بالعلّامة (ت: ٧٢٦هـ). وهي الفترة التي كان فيها الفقهاء موزّعين في المناطق، وكلٌّ مجموعة من المسلمين الشيعة تقلّد فقيهاً منهم، وكان تقليد المجتهد محصوراً، في منطقة دون أُخرى.

٢) مرحلة الجهاز المرجعي: والتي جسّدها الشيخ محمد بن مكّي الجزّيني العاملي (الشهيد الأول) (ت:٧٨٦هـ)، وهو أوّل فقيه يجعل من المرجعيّة جهازاً، يضمّ وكلاء وعلماء أطراف، يقومون بدور ربط الأمّة بالمرجعيّة المتمثّلة به، حيث كانت مرجعيّتُه ممتدة في لبنان وسوريا وكانت الأموال الشرعيّة تُجبى له. وقد دفع حياته ثمناً لهذا التحرّك.

٣) مرحلة التمركز والاستقطاب: وهي التي بدأت، في مرجعيّة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت:١٢٢٧هـ)، حيث استطاعت المرجعيّة، استقطاب العالم الإسلامي الشيعي، بما كان يمتلكه كاشف الغطاء من شبكة علاقات واسعة، وتحرّكات مهمّة بين العراق وإيران، وقد حارب الأفكار، التي كانت تقيّد حركة الاجتهاد، وقام بدعوة كبار الفقهاء إلى النجف، مركز المرجعيّة الدينيّة.

٤) مرحلة القيادة، التي بدأت واضحة في المرجعيّات، التي عاصرت دخول العالم الإسلامي عصر الاستعمار، حيث برز المراجع متصدّين لقيادة الأُمّة، ومواجهة المستعمر الكافر، وتبنّي مصالح المسلمين، والدفاع عن قضاياهم. فلم تعد المرجعيّة مجرّد مركز استقطاب، بل تولّت مهمّة القيادة"[1].

وهذا التقسيم يُعدّ أفضل ما كتب في هذا الموضوع ـ حسب الاطّلاع ـ خاصّة وأنه صدر عن مفكّر إسلاميّ معروف، ولكن لنا عليه بعض

١- الصدر، محمد باقر: المحنة، ص٤١-٤٢ (بتصرّف).

الملاحظات وهي:

أ – لا نجد أنَّ المرحلة الأولى داخلة ضمن تطوّر المرجعية، بل يمكن اعتبارها مرحلة تمهيديّة لها، لأنه لم يكن هناك في الواقع الإسلامي الشيعي، تقليدٌ للفقهاء، لأنهم لم يكونوا ـ خاصّة في بداية هذه المرحلة، يمارسون عملية استنباط الأحكام الشرعيّة، حيث انصبّت جهودهم على النظر في الأحاديث والروايات والمقارنة بينها، وذكر بعض التعليقات عليها. فلا رسائل عمليّة يُرجع إليها، حتى في ضمن المناطق الخاصّة بكل فقيه. "وكانت نتاجات الفقهاء ـ في أغلبها ـ جمع روايات الأحكام الشرعيّة وتبويبها وتصنيفها، مع إعطاء بعض الآراء حول بعض تلك الروايات"[1].

نعم يمكن لعلماء هذه المرحلة، أن تكون لهم مرجعيّة فكريّة، أكثر من كونها مرجعيّة دينيّة للأحكام الشرعية، مع عدم تركهم للمهمّات الشرعيّة. وقد عرفنا بعض ذلك في الفصل التمهيدي عبر رسائل السيّد المرتضى (ت:٤٣٦هـ) مع أهل طرابلس وصور وصيدا، كمثال على ذلك، وإلّا فإنَّ هناك مراسلات أُخرى لهذا الفقيه، وغيره، مع مناطق أُخرى في العراق وإيران وسوريا. مع عدم إغفالنا لدور الشيخ المفيد، بحوزة بغداد، الذي كان لظهوره وقوّة حضوره الفقهي، أثر كبير في وضع أسس المرجعيّة الشيعيّة.

ب – بالنسبة للمرحلة الثانية، قد يُفهم من القول: أنَّ الشيخ محمد بن مكي العاملي، الذي بدأ ما عُرف بمرحلة الجهاز المرجعيّ، أنه أحدث تطوّراً استمرَّ بعده، فالمرحلة إنما تكون مع حدوث تغيير يستمر لفترة، حتى يبدأ تغيير آخر تتميّز به مرحلة أُخرى لاحقةٌ، وهكذا، ولكننا نجد أن ما أحدثه الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني من تطوّر مهم ـ ذكرنا نقاطاً عنه مهمّة في الفصل الأول ـ لم يستمرّ بعده، رغم أهميّة ذلك التطوّر. ولهذا نجد أنّ الأنسب، أن يكون عهد مرجعيّة الشيخ الجزيّني حالة استثنائية، سُجّلت في تاريخ المرجعيّات الشيعيّة، وليس بداية لمرحلة جديدة، دون أن ننكر

١- الصفّار، رشيد: مقدّمة ديوان الشريف المرتضى،١/٦٧.

أهمّيتها، في رفع مستوى الأداء المرجعي الشيعيّ، إلى حالتنا المعاصرة هذه.

ج ـ نؤكّد ما أورده المرجع السيد محمد باقر الصدر، في دور المرجع الشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير، في إيصال المرجعيّة الشيعيّة، إلى مرحلة الاستقطاب، ولكنّ هذا التطوّر، لا يعود إلى الشيخ كاشف الغطاء نفسه، كمرجع متميّز فقط، بل لحدوث تطوّر نوعيّ في توزيع المهمّات المرجعيّة، حدث في زمن مرجعيّته، حيث وُزِّعتْ المسؤوليات على أربعة فقهاء كبار في الحوزة النجفيّة، "فجعلوا المنبر للسيّد مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ)، وجعلوا التقليد في كافّة الأمصار للشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ جُعلت الصلاة وأخذ الحقوق الشرعيّة للشيخ حسين نجف (ت: ١٢٥١هـ)"[١]. وأُحيلت " المرافعة ـ أي القضاء ـ إلى الشيخ شريف محييّ الدين (ت: ١٢٥٥هـ)"[٢]، ويبرز أحد كبار علماء جبل عامل، وهو السيّد جواد الشقرائي العاملي (ت:١٢٢٦هـ) صاحب كتاب (مفتاح الكرامة)، حيث أُحيل إليه مهمّة التأليف[٣].

وهذا التقسيم للمهمّات المرجعيّة، مكّنت الشيخ جعفر كاشف الغطاء، من التحرّك خارج العراق، وتوسيع نطاق تأثير المرجعيّة الشيعيّة، لتشمل إيران، ومناطق في الخليج، كالبحرين والمنطقة الشرقية، في الجزيرة العربية[٤].

إنّ تلك التجربة الفريدة لم تستمر، ولو قدّر لها الاستمرار، لكان

١- كاشف الغطاء، محمد الحسين: العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة، ص٤٩، ص١٦٠.
٢- الشاهرودي، نور الدين: المرجعيّة الدينيّة ومراجع الإماميّة، ص٩٨.
٣-الشاهرودي، نور الدين: المرجعية الدّينية ومراجع الإمامية، ص٩٨.
٤- وكان للشيخ جعفر كاشف الغطاء، مراسلات مع الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود (ت:١٢١٨هـ / ١٨٠٣م)، وقد سبقته علاقة للشيخ كاشف الغطاء، مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م). وعرفت تلك المراسلات بعنوان: (منهج الرشاد لمن أراد السداد). وطبعت أخيراً في كتاب خاص بتحقيق الدكتور جودت القزويني (الباحث).

للمرجعيّة اليوم دور وأيُّ دورٍ!.

د ـ إنّ الوصول إلى المرحلة الرابعة، التي أُطلق عليها (مرحلة القيادة)، هي مسألة اتفاقيّة لا نقاش فيها، ويمكن أن نجد مصاديقها، في مواقف كثيرة نتعرّض إلى بعضها تبعاً. وقبل مغادرة نقاط المناقشة هذه، نريد تسجيل موقف التأمل، في ما ذكره لنا السيّد محمد حسين فضل الله، في مقابلة شخصيّة من: "أن المرجعيّة" لم تكن لتُعرف إلّا في وقت متأخّر، إذ «لم يكن يُعرف أن صاحب الجواهر أو كاشف الغطاء كان مرجعاً»[1]. فإذا لم يكن هذان الفقيهان الكبيران مراجع فمتى بدأت المرجعيّة إذن؟ وإذا أردنا توجيه رأيه هذا، فقد يكون قصده؛ أن المرجعيّة بما هي عليه الآن، لم تكن معروفة إلّا قبل ما يقارب من القرن أو أزيد، من ذلك ببضع عقود.

ولهذا فنحن نتبنى، ما ذكره المرجع السيد محمد باقر الصدر من تقسيم أدوار المرجعيّة، مع النقاط التي أثرناها في المناقشة.

من مواقف المرجعية في مرحلتها الأخيرة (القيادة)

كان من نتائج بروز دور الفقيه الشيعي مرجعاً؛ أن تمتدَّ فتاواه وتأثيراتها، إلى مساحات واسعة، مع امتداد أعداد المقلِّدين من المسلمين الشيعة، وكان من آثار ذلك؛ بروز أدوار عرفت بها الشيعة استجابة لتلك الفتاوى، التي يصدرها المراجع. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١) فتوى تحريم استخدام التنباك في إيران عام (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، التي أصدرها المرجع الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت:١٣١٢/١٨٩٤)، وهو بمدينة سامراء العراقية (١٢٠ كيلو متراً شمال بغداد)، بعدما استحصلت شركة إنجليزيّة، على حق امتياز تسويق التبغ بإيران، وبموافقة الملك الإيراني الشاه ناصر الدين القاجاري (ت ١٣١٤هـ/١٨٩٦م) آنذاك، ممّا أدى إلى إغلاق هذه الشركة، بعد المقاطعة الواسعة لمنتوجاتها، حتى امتدّت

١- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد حسين فضل الله، ص ٣٠٠.

الفتوى إلى داخل بيت الشاه نفسه[1].

٢) فتاوى علماء النجف الأشرف ومراجعها، في وجوب مقاتلة الجيوش الإنجليزيّة الغازية، حين وصولها إلى البصرة عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، ولم تكتفِ المراجع بالفتوى، حيث خرج كبار العلماء لمواجهة المستعمرين، مع العشائر العراقيّة التي استجابت لفتوى المرجعيّة، التي أكّدت على ضرورة تأييد قوات العثمانيّين، آنذاك في وجه الإنجليز[2].

٣) قيادة المراجع بسامراء والنجف الأشرف، لما عُرف بثورة العشرين (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ضد الحكم البريطاني، ثم فتوى العلماء، ضد الحكومة العراقيّة، التي أقرّت الإنتداب البريطاني عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، والتي أدّت إلى إبعاد ثلاثة من كبار المراجع إلى إيران[3].

٤) فتاوى المراجع بالنجف الأشرف، عند اغتصاب فلسطين، عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، شجباً ودعوة للجهاد. وجواز صرف الحقوق الشرعيّة على الفلسطينيين النازحين[4].

٥) فتاوى المراجع في ما عُرف بالعدوان الثلاثي على مصر، عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، حتى عُطّلت الدراسة بحوزة النجف الأشرف، و قطع كبار العلماء إمامة الجماعات في الصحن الحيدري لمدة (١٥) يوماً. حتى قُتل بعض المتظاهرين النجفيّين[5].

٦) فتوى المرجع السيّد محسن الحكيم (ت:١٣٩٠هـ/١٩٧١م)، بحرمة

١- (القزويني، جودت: المرجعيّة الدينيّة العليا، ص٢٢٥)، (الغروي، محمد: المرجعيّة ومواقفها السياسيّة، ص١٨).

٢- (النفيسي: عبد الله: دور السلطة في تطوّر العراق السياسي الحديث ، ص٨٢) (القزويني، جودت: المرجعيّة الدينيّة العليا، ص٥٦)، (الغروي ، محمد: المرجعيّةومواقفها السياسية، ص٢٢).

٣- (النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث، ص١٥٩-١٦٠). (الوردي، علي: لمحات اجتماعية من العراق الحديث، ٥/٢١).

٤- (الغروي، محمد: المرجعيّة ومواقفها السياسيّة، ص٢٥)، (السّراج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، ص٢٦).

٥- (الصغير، محمد حسين: الفكر الإمامي من النص حتى المرجعيّة، ص٢٤٧). (السّراج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، ص٢١٠) (العاملي، أحمد عبد الله: محمد باقر الصدر ، ١/٢٧٣-٢٣٩).

الإنتماء للحزب الشيوعي "وأن الشيوعية كفر وإلحاد"، وذلك عام (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)، وكان لهذه الفتوى انتشار واسع، حتى نشرتها صحيفة الحياة البيروتيّة، في ٣/٤/١٩٦٠م. ثم تتابعت فتاوى بقيّة المراجع في تأييد هذه الفتوى[١].

٧) فتاوى المراجع بالنجف الأشرف، حول انتكاسة حزيران عام ١٩٦٧م، حيث صدرت الفتاوى بدعم العمل الفدائي الفلسطيني، وأرسلت المرجعيّة وفداً لزيارة الدول الإسلاميّة، لحثّهم على دعم القضية الفلسطينيّة[٢].

هذه أمثلة على بعض مواقف المرجعيّة ، في مرحلتها الرابعة المعاصرة، والتي لم تقتصر على الأحداث الكبيرة، التي تمرّ بالأمة، بل كانت تتدخل في بعض الموضوعات التي تمسّ بعض العاملين للإسلام، كما حدث في احتجاج المرجعيّة في النجف الأشرف، على إعدام الداعية سيد قطب عام(١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)[٣].

اختيار المرجع

بعد ما مرّ بنا من أدوار المرجعيّة ومراحلها، ثمّ بعض نشاطاتها في التاريخ الحديث، لا بدّ أن نعرف الكيفيّة، التي يُختار بها المرجع، والطريقة التي توصل إلى مرجعيّة قد تمتدّ تأثيراتها إلى خارج الدائرة الشيعيّة.

حيث إنّ "من المعروف عن "المرجعيّة الشيعيّة، أنه ليس فيها ترشيح شخصي، أو دعوة لانتخاب، فليس في المراجع من طلب المرجعيّة لنفسه"[٤]. كما أنه لا يوجد أسلوب خاصّ وطريقة محدّدة لهذا الاختيار. ومن خلال تاريخ المرجعيّة الأخير، برزت هناك بعض الطرائق ومنها:

١- (السّراج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، ص٢٢٥). (ابو زيد، أحمد عبدالله: محمد باقر الصدر، ١٢/٣٥٥-٣٥٨).

٢- (السّراج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، ص٢٦٠). (ابو زيد، أحمد عبدالله: محمد باقر الصدر، ٢/ ٨٣/٨٤).

٣- أبو زيد، أحمد عبد الله: محمد باقر الصدر، ٢/٧٧.

٤- الصغير، محمد حسين: الفكر الإمامي من النصّ حتى المرجعيّة، ص٢٤٧.

١) إشارة المرجع السابق إلى اختيار أحد المجتهدين البارزين، ليكون هو المرجع بعده، ولا يكون ذلك إلزامياً بل هو إسهام في إعانة من يأتي بعده من الفقهاء، على ترجيح كفّة أحدهم. وأبرز مثال، كان في ترشيح المرجع الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (ت١٢٦٦هـ)، للشيخ مرتضى الأنصاري (ت:١٢٨١هـ)، الذي تولّى المرجعيّة بعده، وسبقهُ ترشيح الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت:١٢٢٧هـ)، للشيخ موسى كاشف الغطاء (ت:١٢٤١هـ) بعده، وهناك أمثلة قليلة في هذا الصدد[١].وهذه الطريقة هي حالة نادرة الحدوث في الاختيار المرجعي، وندرتها قد تكون خلاف المتوقّع، بالنسبة للأوساط الشيعيّة التي ألفت تاريخيّاً، تأييد الأئمة بالنّص من الإمام السابق. حيث قد يعتقد في بعض الأوساط؛ أنّ أسلوب الترشيح والنّص السابق، هو المتعيّن أو على الأقل، الأسلوب الشائع. وقد ازدادت ندرة هذه الطريقة، في اختيار المراجع المعاصرين.[٢]

٢) الأمر الأكثر شيوعاً في اختيار المرجع، عوامل عدّة تتهيأ للمرجع الجديد، بعد وفاة سلفه، أساسها تميُّزه العلميّ في حياة المرجع السابق، وبروزه في درسه الخارج، أو كونه الأكفأ علميّاً، وشيوع ذلك في الأوساط الحوزية، "وشهادة أهل الخبرة من أهل الدين والنزاهة والتجرّد"[٣]، فنجده يبرز بطريقة تلقائية، حيث تتوالى أقوال العلماء البارزين فيه، تأييداً، حتى يكون هو المتعيّن، "لأن الرئيس الجديد (المرجع) لا يُنتخب بعد فقد الرئيس الأول مباشرة، ولا تنتخبه هيئةٌ

١- (الحكيم، محمد سعيد: المرجعيّة الدينيّة، ٦٨/١)، (الشاهروي، نور الدين: المرجعيّة الدينيّة ص١٠٦).

٢- وهذا لا يعني غياب ثقافة تنصيب إمام جديد، عن ذهنيّة الإنسان الشيعيّ المعاصر، فقد طُلب مني وأنا أحيي بلندن مجالس تأبين المرجع الشيعي المعاصر الأبرز، السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، حين وفاته في ١٥ صفر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، أن اذكر معلومة مفادها: أن السيّد علي السيستاني (المرجع الأعلى الحالي)، هو الذي تولّى الصلاة على جثمان المرجع السيّد الخوئي. وبعد نزولي من المنبر جاءني من يقول لي. بأني أسهمت في ترجيح كفّة مرجعيّة السيّد السيستاني بهذه المعلومة، التي يتوارثها الشيعة عن أئمتهم من أهل البيت: في ضرورة أن يصلّي على الإمام السابق حين وفاته، الإمام الذي يأتي بعده، والتي يُراد منها أن توظّف في المرجعيّات المعاصرة.(الباحث).

٣- معتوق، حسين، المرجعيّة الدينية العليا عند الشيعة الإماميّة، ص٥٥.

معلومةٌ محدودةٌ، ولا تتعيّن الرئاسة لشخص واحد "[1].

٣) يحدث أن يتمّ اتفاقُ أكثر من مجتهد بارز، على مرجعيّة مجتهد دون غيره، من الذين خبروه وعرفوه عن قرب. وكمثال على ذلك؛ "إشارةُ المجتهدين الشيخ محمد طاهر آل راضي (ت:١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، والميرزا محمد باقر الزنجاني (ت:١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، والشيخ حسين الحلّي (ت:١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، إلى مرجعيّة السيّد محسن الحكيم (ت:١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، والذين كانوا يشتركون جميعاً في حضور درس المرجع السابق، الميرزا محمد حسين النائيني (ت:١٣٥٥هـ/١٩٣٥م)". وهذه الطريقة جاءت متأخرة تاريخياً، في شيوعها عن الطريقة السابقة[2].

ومن الجدير ذكره هنا: أن المرجع تزداد مرجعيته اتساعاً، مع وفاة مراجع آخرين معاصرين له، حيث ينتقل إليه مقلّدوهم، وكلما تقدّم به العمر، وهو يمارس نشاطه العلمي، ازدادت الدائرة اتّساعاً. فهذه الطريقة تختلف عن التي سبقتها بتبنّي مجموعة علماء معروفين، لمرجعية أحد المجتهدين دون آخر، لأن المسألة تأتي بتظافر عوامل لم يشترك بها أشخاص محدّدون، كالطريقة السائدة.

٤) بروز أحد المجتهدين في مواقف مهمّة، في ظلّ مرجعيّة سابقة، مما يسهم في بروزه لاحقاً، على أن يكون من المؤهّلين علميّاً والمشهورين حوزوياً، فيأتي هذا البروز ليشرع في تبوء موقع المرجعيّة. ومن أمثلة ذلك، بروز قائد ثورة العشرين الشيخ محمد تقي الشيرازي (ت:١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)، في ظل مرجعيّة المرجع السابق، الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت:١٣١٢هـ/١٨٩٤م).

٥) مع التطوّر الذي لوحظ في حوزة قم، في العقود الثلاثة الأخيرة، حدث تطوّر في موضوع اختيار المرجع، ضمن موضوعات أخرى، نالت نصيباً من هذا التطوّر. فقد أصدرت (هيئة كبار مدرسّي حوزة قم) بياناً عام ١٤١٥هـ/١٩٩٤، رشّحت

١- الفقيه، محمد تقي: كيف يُنتخب الرئيس، موسوعة النجف الأشرف، ١٠/٢١٧.

٢- جنّاتي، إبراهيم، المسار التاريخي لأطروحة لزوم تقليد الأعلم، موسوعة النجف الأشرف، ١٠/ ١٧٢.

فيه سبعةً من المجتهدين، رأت فيهم أهليّة المرجعيّة، وأن الرجوع إلى أيٍّ منهم في التقليد هو أمرٌ جائز شرعاً[1]. دون التأكيد على شخص محدّد، ليكون المرجع الأعلى، وجميعهم من مجتهدي قم، وهو بيان كتب –على ما يظهر– للإيرانيين فحسب، حيث لم يتعرض إلى ذكر مراجع النجف الأشرف.

وهي ظاهرة جديدة تسجّل، في طرائق اختيار المرجع، عند الشيعة الإمامية.

٦) إنّ ما يميّز المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة، نأيُها عن أيّ ارتباط بالسلطات الحاكمة، فهي مستقلّة عنها في قراراتها ومواقفها، ماليّاً وسياسيّاً وغيرهما. حتى أنّ بعض المجتهدين الكبار يُحال بينهم وبين الوصول إلى موقع المرجعيّة بسبب، ما قد يسجّل على بعض مواقفهم من ميول أو مداهنة للحاكمين، حتى لو كانت مجرد شبهة، حيث يُحتاط للدين، فيتوقف ترشيحه. وقد أُطلق في النجف الأشرف مصطلح (علماء الحفيز)[2] ،على كلّ (معمّم) يُشاهد متردّداً على أو متعاوناً مع سلطة المستعمر الإنجليزي، وبقي المصطلح حيّاً، ليُطلق بعد ذلك على كلّ متعاون أو متّهم بالتعاون مع السلطات الظالمة الحاكمة.

وفي لقاء مع السيّد عبد المجيد الخوئي (ت:١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، أحد أبناء المرجع الأعلى السابق، الإمام السيّد أبي القاسم الخوئي (ت:١٤١٢هـ/١٩٩٢م) وهو يذكر أمراً جرى، وكأنه صار عرفاً في الأوساط الحوزية مفادهُ: أنه إذا كان هناك مراجع عدّة، فإنّ مما يُسهم في بروز أحدهم دون الآخرين، زيارة مسؤولي الدولة العراقيّة له، دون غيره من المراجع. إذ تأتي تلك الزيارة ـ عادةً ـ بعد معرفةٍ دقيقةٍ من المختصّين، بأبرز هؤلاء المراجع، الذين تنعكس آراؤهم ومواقفهم بقوّةٍ، في المقلّدين الشيعة بالعراق ،وربّما في غيره[3].

١- الشاهرودي، نورالدين: المرجعيّة الدينية ومراجع الإمامية، ص٢٣٣.

٢- الحفيز، مصحّفة عن كلمة (اوفيس office) الإنجليزية، التي تعني المكتب، وهي تعني تحديداً مكتب الحاكم الإنجليزي للنجف في فترة الانتداب البريطاني للعراق. (الباحث).

٣- مقابلة شخصية مع السيّد عبد المجيد السيد أبو القاسم الخوئي، لندن، الأحد ٢٦ ذو الحجة ١٤١٤هـ/٥ حزيران ١٩٩٤م، الساعة ١ ظهراً.

ولعلّ من المناسب ذِكْرُه هنا، أن موقف مراجع النجف المتحفِّظ من الحكّام، لم يكن مقتصراً على فئة دون أخرى منهم، فقد أجهد الشاه ناصر الدين القاجاري نفسه، عند زيارته للمراقد المقدّسة بالعراق عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، أن يلتقي بالمرجع آنذاك؛ السيد محمد حسن الشيرازي (ت:١٣١٢هـ/١٨٩٤م) في بيته، بعد أن فقده في المستقبلين، حين وصوله النجف، فأرسل إليه من يخبره برغبته في الاجتماع به، فتمّ الاتفاق على اللقاء بينهما في داخل الحرم العلوي (ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام). حتى صار هذا عرفاً سارياً بعدهُ، في سلوك بعض المراجع وتعاملهم، مع الزعماء والملوك»[1].

أطاريح مرجعيّة

لا تزال المرجعيّة الشيعيّة اليوم، محافظة على النمط التقليديّ المتوارث، منذ أن برزت بهذه الكيفيّة، التي وصلت إليها في مرحلتها الرابعة من التطوّر. فلا تزال المرجعيّة قائمة على شخصيّة المرجع نفسه ورؤاه، ومدى اهتمامه بالأمور العامّة خارج نطاق الحوزة العلمية، والتدريس، وشؤون المبلّغين والوكلاء، المتعارفة.

وبعد التطوّرات الكبرى التي حدثت في العالم، والساحتين الإسلامية عموماً والشيعيّة بوجه خاصّ، وتطوّر ذهنيّة المسلم الشيعيّ، وازدياد لغة الحوار في الأوساط الدينيّة والثقافية، وما أحدثته الحركات الإسلاميّة الشيعيّة، من معادلات في الحضور اليومي للعالم الشيعي عامّة، والمرجعيّة بشكل خاصّ. أضف إلى كلّ ذلك؛ ما أفرزته حركة المرجع السيّد روح الله الخميني (ت:١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، من حراك في الذهنية الإسلامية، ولا سيّما الشيعيّة منها، جعل الأذهان تتقبّل فكرة تطوّر أداء المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة، وبما يتناسب مع ما يُتوقع منها، من إعطاء الرأي وربما القرار في انعطافات مهمّة، تمرّ بها الأمة والمجتمع.ولعلّ من الأمثلة البارزة هنا، تطوّر التعامل مع

١- القزويني، جودت: المرجعيّة الدينيّة العليا، ص٢١٧.

أطروحة ولاية الفقيه، كما سيتضح ذلك في المبحث الثاني. إذ إننا نجد وبرغم عِظم تأثير حركة الإمام الخميني، فإنه "قاد ثورة وأسّس دولة، ولكنّه انطلق من خلال عناصره الذاتيّة... وعندما غاب عادت المرجعيّة إلى انكماشها"[1].

وقد برزت بعض المشروعات المرجعيّة، من كُتّاب ومفكرين مسلمين شيعة، هنا وهناك، وكلٌّ يحاول الإسهام، في موضوع السعي، لأجل رفع أداء العمل المرجعيّ.

لكنّ اللافت ـ في هذا الصدد ـ أنّ ثلاثة مشروعات، قدمها ثلاثةُ فقهاء، تصدّوا للعمل المرجعي وكانت لهم مساحات متفاوته في المقلدين، وهم ممّن كانت لهم كتابات، وإسهامات ثقافيّة وفكريّة إسلاميّة معروفة، قبل تبوّئِهم موقع المرجعيّة. إذ لم نجد أيَّ طرح لتطوير العمل المرجعي، صدر من موقع مرجعيّ تقليدي، لم يُعرف عنه إلّا الأبحاث الفقهيّة والأراء الأصوليّة فحسب. وهذا مما يعزِّز الفكرة التي تؤكد، أنّ المثقَّف الشيعي، يشعر بضروورة إحداث تطوّر نوعيّ ،في أداء العمل المرجعيّ الإسلاميّ الشيعي.

ولم نجد ـ حسب ما تتبعناه ـ إلّا هذه المشروعات الثلاثة، وهي تاريخياً كالتالي:

١) أطروحة المرجعيّة الموضوعيّة والتي أطلقها المرجع السيّد محمد باقر الصدر التي برزت في سبعينيّات القرن العشرين الميلادي، والتي قد يُعبّر عنها بالمرجعيّة الصالحة تارة، وبالرشيدة أُخرى. حيث تنطلق من الموضوع لا الذات، ولخصها أحد تلامذته: بقوله: "هي مرجعيّة هادفة بوضوح ووعي، تتصرّف دائماً على أساس تلك الأهداف، بدلًا من أن تمارس تصّرفات عشوائية وبروح تجزيئيّة، وبدافع من ضغط الحاجات الجزئية المتجدّدة". ثم ذكر أهداف هذه المرجعيّة" ،في: نشر الأحكام الإسلامية، وإيجاد تيار فكري إسلامي واسع في الأمة، وإشباع حاجات العمل الإسلامي

١- فضل الله، محمد حسين: المرجعيّة الواقع والطموح آراء في المرجعيّة الشيعيّة، ص١١٤.

فكريّاً، والقيمومة على العمل الإسلامي، ورعاية نشاطات العاملين، وإعطاء العلماء ابتداءً من المرجع، وحتى أقلّ مراتبهم، صفة قيادة الأمة". وعن كيفيّة تطوير أسلوب العمل المرجعي ذكر ثلاثة نقاط أساسيّة هي:

"أولًا: إيجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذيّ ،على أساس الكفاءة، بلجان عدَّة، منها: لجنة الوضع الدراسي الحوزوي، لجنة البحوث والدراسات، لجنة علماء المناطق (الوكلاء)، لجنة تفقّد المناطق ميدانيّاً، لجنة رعاية العمل الإسلامي، واللّجنة الماليّة في استلام الأموال، وتوثيق مصادره واستثماره.

ثانياً: ايجاد امتداد حقيقي أُفقي للمرجعيّة، ضمن وكلائها المنتشرين، ضمن إشراكهم في نشاطات المرجعيّة. لأنّ العادة جرت على أنّ تصرُّف المرجع يكون فرديّاً، ولهذا كانت (مرجعيّة ذاتيّة)، والمرجع هو فرد في العمل المرجعي. ولكن ينبغي أن يكون النشاط موضوعيّاً (المرجعيّة الموضوعيّة).

ثالثاً: العمل على امتداد زمني للمرجعيّة، لا تتسع له حياة المرجع الواحد، حيث تستمر المرجعية الموضوعيّة في مجموعة مراجع واعين، يبدأ كلُّ واحدٍ من حيث ما انتهى إليه السابق، لا من نقطة الصفر، ويكون الأمر ميسّراً للمرجع الجديد، مع وجود الجهاز المرجعي الواعي في هذه المرجعيّة".(١)

ويعدّ هذا المشروع، أفضل مشروعات تطوير المرجعيّة المطروحة، لما كان يمتلكه مطلقُهُ من مؤهّلات فكريّة إسلامية، وتنظيريّة علميّة، كبيرتين دلت عليهما مؤلفاته التي عرفتها المكتبة الإسلامية، مثل اقتصادنا، فلسفتنا، البنك اللاربوي في الإسلام وسواها.

ولكنّ هذا المشروع لم يُكتب له النجاح ولم ينزل إلى الواقع، لعدم تمكّنه من ذلك بعد أن قُتل صاحبُه ببغداد عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وهو بعدُ لم يصل إلى موقع المرجعيّة العليا.

١- النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص١٦٥-١٧١ (بتصرف واختصار).

٢) أطروحة شورى المراجع

وهي الثانية تاريخيّاً، وطرحها المرجع السيّد محمد الشيرازي (ت:١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، حيث دعا فيها، إلى "أن تكون هناك لجنة، تضمّ المراجع كافّة، في إصدار القرارات الهامّة، وأنّ لا ينفرد مرجع واحد بذلك"[١].

ولم يُكتب لهذه الأُطروحة نصيبٌ من الانتشار فضلًا عن التطبيق، لأمور، منها

أ- محدوديّة مرجعيّة صاحبها في الأوساط الشيعيّة. ووفاته في ظروف غير مشجّعة لذلك.

ب- غياب مستوى قبول مناسب لهذه الأطروحة، حتى عند المراجع أنفسهم.

ج- الظروف غير المؤاتية؛ حيث تمّ طرحها في أيام المرجعيّة الكبرى للإمام الخميني بإيران، ممّا فُسّرت بأنها مناوئة لأطروحة (ولاية الفقيه)، "حتى عارضه الثوريّون الإيرانيّون في جملة أمور، فبدأت علاقته تسوء مع الدولة شيئاً فشيئاً... وقد تعرّض في إيران إلى الامتهان، واعتقل أبناؤه ومريدوه، وتعرّض الكثير منهم للعنف"[٢].

٣) أطروحة المرجعيّة المؤسّسة ، للمرجع السيد محمد حسين فضل الله. وتُعتبر استلهاماً وتركيزاً للأطروحة الأولى، للمرجع السيّد محمد باقر الصدر، حيث تؤكّد هذه الأطروحة على أن تتحوّل المرجعيّة، من موقع فرديّ يتولاه المرجع نفسه، وحاشيتُه الخاصّة به، إلى عمل مؤسّسي تقوم عليه لجان متخصصة[٣]. وكان السيّد فضل الله يبشّر بهذه الأُطروحة، في

١- (الكاتب، أحمد: المرجعية الدينية الشيعيّة وآفاق التطوير، ص٩٨). (الشيرازي، محمد: الدولة الإسلامية، ص١١٢).

٢- القزويني: جودت: المرجعيّةُ ص٣٣٣.

٣- (الحسني، سليم: المعالم الجديدة للمرجعيّة الشيعيّة، ص٦٤-٧٤) (الشامي: حسين: المرجعيّة الدينيّة من الذات إلى المؤسسة ، ص٤١٥). (فضل الله، محمد حسين: المرجعية الواقع والطموح/ آراء في المرجعيّة الشيعيّة، ص١٢٥).

محاضراته ومؤلفاته، قبل تصديّه للعمل المرجعي، في أوائل التسعينيّات من القرن الميلادي المنصرم. كما كانت آمال المثقفين الشيعة من علماء وغيرهم، تتوقّع في هذه الأُطروحة، أن تحظى بنصيب من التطبيق في ظلّ مرجعيّة السيد فضل الله، بينما لم تكن الظروف مهيأة للأطروحة الأم، أي أطروحة السيّد محمد باقر الصدر المتقدّمة وظروفها الصعبة بالنجف آنذاك.

ولكن لم نجد في الواقع تجسيداً لهذه الأطروحة، حيث أخذ المرجع فضل الله يبرّر ذلك؛ من أنّ المسألة تحتاج إلى إعداد وتثقيف، في الأوساط الشيعية، لم تتهيأ لحد الآن،[1] ويبرّر ذلك آخرون بقولهم: إنّ ما تعرّض له فضل الله من حملة مناوءة، بعد تصديّه للمرجعية، قد حال دون ذلك.

فهذه الأطروحة لم تمت بسبب موت صاحبها، كالأطروحتين السابقتين. بل لتباطؤ صاحبها عنها، بعد وصوله لموقع المرجعيّة.

مقرّ المرجعيّة ومكانها

لأول وهلة قد يتصوَّر، أنه لا معنى لأن يكون هناك مقرٌّ محدّد، لموقع دينيّ علميّ، ولكن الواقع وطبيعة الأشياء اقتضيا أن يكون هناك بُعد مكاني، للمواقع الدينيّة في العالم، للمسلمين وغيرهم، في مواضع لها بُعد ديني تاريخي مقدّس، في نفوس أتباع كلّ ديانة أو مذهب.

وبالنسبة للمرجعيّة الشيعيّة، فإنّ مكانها الطبيعي، أن يكون في المدن التي تضمّ الحوزات الدينيّة الكبرى، حيث ينبغ المجتهدون، ويتبارى كبار الفقهاء والعلماء. وقد علمنا ـ مما سبق ـ أن الحوزات الشيعيّة تركّزت ـ جغرافياً ـ في المدن المقدّسة بالعراق، ثم إيران. فكانت حوزات النجف، وكربلاء، والكاظميّة، وسامراء بالعراق، كما كانت حوزات مشهد، وأصفهان، وقم بإيران. وتركّزت أهم الحوزات حالياً بالنجف الأشرف، وقم، حصريّاً.

وإن مما تميّزت به هذه المدن التي تضمّ مراقد مقدّسة، التوافد

١- فضل الله، محمد حسين: فكر وثقافة /العدد١٣٧/١٦.

المستمر، وطوال السنة، لجموع الزائرين الذين يمكن أن نرصد في هذا التوافد بعض الأبعاد، منها:

١- مقاربة طبقات الأمّة المختلفة للحوزات وجموع العلماء، أثناء أدائهم مراسم الزيارة، ممّا يؤدي إلى تمركّز موقع المرجعيّة في نفوسهم، في عملية استيحاء تاريخي وديني، بين تلك الرموز الدينيّة المدفونة بتلك المدن، وبين المراجع الكبار الموجودين في الواقع، ممّا يهيئ للمرجعيّة، مواقع روحيّة ودينيّة لا تضاهى، في نفوس عامّة الشيعة.

٢- كما أنّ هذا الوجود العلمائي في المدن المقدّسة، جعل من العلماء، والمراجع بشكل أخص، ملاذاً للناس، يلجأون إليهم في معضلاتهم الاجتماعيّة، وحلّ نزاعاتهم، أو أخذ توجيهاتهم الحياتيّة اليوميّة منهم، من غير أن يثير هذا التواصل حفيظة السلطات الحاكمة، - في الظروف العادية - كونهم من الزائرين لتلك الأمكنة المقدّسة.

٣- هذه المقاربة، تجعل الإنسان الشيعي العادي، في تماسّ مباشر مع طلبة الحوزة العلميّة، وربّما حضر بعضَ دروسِهم في المساجد المنتشرة، ممّا يسهّل أمام الراغبين منهم بالدراسة الحوزيّة، سبيل الانتماء إليها، والارتباط بأجوائها، وهم يرون مجاميع الطلّاب بزيّهم الدينيّ، أمامهم في الشوارع والأسواق والمساجد.

وتميّزت مدينة النجف الأشرف عن غيرها من المدن المقدّسة، لدى المسلمين عامة والشيعة خاصّة، كونها تضم أكبر مقبرة إسلاميّة في العالم أو الشرق[١] - وربما لغير المسلمين كذلك[٢] - مما يعني توافر ظروف أوسع للّقاء بالعلماء والمراجع، ليس الزائرين فحسب بل من مواكب المشيّعين، الذين ينقلون موتاهم إلى مقبرتها. وهذه النقطة يمكن أن تُتخذ مدخلًا لبحث نقاط المقارنة بين حوزتي النجف وقم.

١- النفيسي، عبد الله: دورالشيعة في تطوّر العراق، ص٧٧. وسبق التوقّف عند هذا الموضوع في الفصل الثاني.

٢- الجواهري، محمد مهدي: ذكرياتي، ١/١٥٤.

مقارنة بين حوزتي النجف وقم

مرّ بنا أثناء فصول هذا البحث، بعض ميّزات الحوزة النجفيّة وعلاقة اللبنانيّين بها، وكيف تهيأت الظروف في العقود الثلاثة الأخيرة، لحوزة قم، في النهوض بما لم يتهيأ لغيرها، حتى راحت تقف في مسافة قريبة، مع الحوزة الأم بالنجف الأشرف، وإنّ قوّة الحوزة تعني فيما تعنيه، قوة الموقع المرجعي، ولا ننسى أنّ الاختلاف سنةٌ من السنن التي أودعها الله تعالى في الإنسان، فلنقف عند أبرز نقاط المقارنة، بين هاتين الحوزتين:

١) البُعد التاريخي لحوزة النجف، الذي يمتدّ إلى أكثر من ألف عام، أي قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها عام (٤٤٧هـ). فقد جاء في قصيدة للشاعر الحسين بن الحجّاج النيلي البغدادي (ت: ٣٩١هـ)، قالها في النجف:

فقل سلامٌ من الله السلام على ... أهل السلام وأهل العلمِ والشرف[1]

بينما تأسّست حوزة قم عام١٣٤٠هـ/١٩١٩م، على يد الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (ت:١٣٥٥هـ/١٩٣٤م)، وهو نفسه من خريجي حوزة النجف الأشرف، وحوزات عراقيّة أُخرى، بسامراء، وكربلاء (الحائر)، ومنها جاءت نسبته.

٢) الأجواء العلميّة الطاغية في مدينة النجف، فـ "كلّ ما في النجف مدرسة، وكلّ من فيها طالب علم، المدرسة في كلّ مكان، المساجد مدارس، والمجالس مدارس، والبيوت مدارس، والأسواق مدارس،والزوايا مدارس"[2]. وقلّما يخلو زقاق بالنجف من مسجد، كان أو لا يزال مدرساً للعلم، أو مقبرةً لأحد الفقهاء المتقدّمين، أو داراً كان يسكنها فقيهٌ آخر، أو مكتبةً تعود لثالث. وهو أمر لا تقاس به قم ومدينتها.

٣) الأجواء الروحيّة والدينيّة الغامرة التي تلقي بظلالها على طلّاب

١- بحر العلوم، محمد: الدراسة وتاريخها في النجف (موسوعة العتبات المقدّسة)، ١٦/٧.

٢- محفوظ،حسين علي: النجف الأشرف مدينة العلم العظمى، (موسوعة النجف الأشرف،١٣/٧).

الحوزة النجفيّة، حيث يعيش جوار الإمام أمير المؤمنينعليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا صعبت مسألة على فقيه لجأ إلى الله تعالى، وصلّى ركعتين في المقام الشريف؛ حتى يفتح الله عليه ما أُشكل[1]. وإلى جوار النجف مساجد تاريخية؛ كمسجد الكوفة ومحراب علي هناك، ومسجد السهلة، ومساجد قديمة أُخرى. إضافة إلى عشرات الجنائز التي تنقل إلى النجف كلّ يوم، مما يشيع أجواءً تذكّر بالآخرة، وثَمَّ الزهد حيث يسكن كثير من الطلبة بيوتاً موقوفة على طلبة العلم، بشرط ترميمها فقط[2]. وكان العلماء يوصون أولادهم بأن لا يمشون في أزقة النجف إلّا عن وضوء وطهارة؛ لقدسيّة أماكنها[3]، بينما تخفّ هذا الأجواء بقمّ قياساً على أجواء النجف الروحيّة الإيمانية، وإن كانت لا تخلو منها.

٤) الدراسة العلميّة المعمّقة والدقيقة التي عُرفت بها حوزة النجف، بما لا تُضاهيها حوزة أُخرى، فهي تتبع أسلوب الدقة في الدراسة والبحث والتحقيق بشكل لا مثيل له... ويقضي طلاب العلم والعلماء أعمارهم في تحصيل العلم دون أن ينتظر الباحث الشهادات المتعارفة في الدراسات الأكاديميّة"[4].

ومن آثار دراسة النجف المعمّقة، أنَّ من يُعترف باجتهادِهِ بالنجف يمكن أن يكون المرجع العام للشيعة، وأما إذا كان نيلهُ للاجتهاد في حوزة أخرى فقد يكون مرجعاً لمنطقة دون بقية المناطق، إذ "لا يخفى أنّ الزعامة الدينيّة إذا تقلّدها عالم يقيم في النجف يكون رئيساً عاماً في الأقطار الإسلاميّة أجمع، بخلاف غيرها من المدن، وإنْ عظمت وعظم الرجل علماً وتقى وحنكة، فتكون

١- أبو زيد، أحمد عبد الله: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، ١/١٤١.

٢- المددي، أحمد: النجف الأشرف مهد العلم والفضيلة (مجلة التحقيق الحوزة/عدد خاص)، ص١٦١.

٣- كاشف الغطاء، عباس: أسرة كاشف الغطاء ومآثرهم العلميّة (مجلة التحقيق والحوزة) عدد خاص، ص١٥٠.

٤- الحسيني، محمد: جامعة النجف الدينيّة (موسوعة النجف الأشرف)، ٩/٣٥ .

رئاسته موضعيّة"[1]. ولهذا نجد أن حوزة قم لم تستطع وهي في أفضل أدوارها، أن تنتزع من النجف دورها المرجعي وهي في أصعب ظروفها.

وتميل الدراسة بقم إلى تبسيط المطالب، فلو فُرض أن الأجتهاد طريق، فإن حوزة قم تمنح شهادته في أوّله. بينما لا تمنحها النجف إلّا بعد إكمال هذا الطريق. ومن الجدير ذكره أنّ المراجع المرشحين حالياً أو سابقاً بقم، كلّهم من خريجي النجف[2].

نعم يُشهد لحوزة قم تقدُّمها في تنظيم الدراسة، ومنحها شهادات جامعيّة تتناسب ومراحل تلك الدراسة، بينما لا تزال مراكز مهمة في حوزة النجف متحسّسة من هذه النقطة، وتدعو إلى البقاء على الأساليب المتعارفة قديماً، بل يصرّح بعض مراجعها: " أنّ تلك الأمور تؤدي إلى إضعاف حوزة النجف.. فنحن لسنا مع منح الشهادات (الأكاديميّة) كما في قم"[3]. وتاريخياً فإن النجف كانت قد سبقت حوزة قم جامعياً بتأسيس كلية الفقه ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م[4] .وكانت حوزة النجف ترى في خروج الطلّاب للتبليغ إضعافاً للدروس[5]، بينما تميّزت قم باهتمامها بالتبليغ وهي إيجابية تسجّل لها.

٥) حافظت النجف الأشرف على حيادها السياسي والحزبي، حيث وفرت الأجواء العلمية للمدرسة العلمية، فلم تنقسم مدارسها ومراجعها سياسيّاً، بينما نجد حوزة قم قد ابتليت بالتمايز السياسي، وهي في أفضل فترات حضورها، مع دخول أطروحة ولاية الفقيه حيّز التطبيق بإيران. وتذهب بعض الآراء؛ إلى أنّ ذلك ممّا أسهم في ضعف الدراسة الحوزويّة[6]

١- حرز الدين، محمد: معارف الرجال، ١/٤٧.

٢- الشاهرودي، نور الدين: المرجعية الدينيّة ومراجع الإمامية، ص١٨٤–٢١٧.

٣- مقابلة شخصية مع المرجع الشيخ بشير النجفي، النجف الأشرف، الثلاثاء، ١٠رجب١٤٢٨/٢٣ تموز ٢٠٠٧، الساعة ٩ ليلًا.

٤- البهادلي، علي: الحوزة العلمية في النجف، ص٣٦٩.

٥- الحائري، علي اكبر: النجف إنجازات(مجلة التحقيق والحوزة)، ص٨٣.

٦- الحائري، علي اكبر: حوزة النجف إنجازات ومآسي (مجلة التحقيق والحوزة)، ص٨٢.

بقم، إضافة إلى ذهاب عشرات أو مئات الطلبة والعلماء إلى جبهة الحرب منذ ١٩٨٠–١٩٨٨م، مما أدّى الى إباك الدراسة الفقهية فيها.

٦) مما يؤخذ على حوزة النجف الأشرف، نأيها عن التدخل في الأمور السياسيّة، وغيابها عن الأحداث المهمّة بالعراق، إذا ما قيست بحوزة قم، وشدة حضور فقائها في أحداث إيران.. وهذه المسألة تحتاج إلى بحث مستفيض موسّع، قد يخرجنا عن موضوع بحثنا، وهي– في الوقت نفسه– مسألة واضحة جليّة. ولعلّ من أسباب هذه الظاهرة، أنّ غالبيّة الحوزة النجفيّة لم تكن عراقيّة، بل كانت للإيرانيين، ثم من جنسيّات إسلامية أخرى غير عربيّة، " وهذه الحالة انعكست على الحوزة العلميّة في النجف بأثرين ؛ أحدهما ايجابي، والآخر سلبي.

أما الإيجابي: فإن هؤلاء المهاجرين كانوا معزولين عن العمل الاجتماعي والسياسي، بسبب بعدهم عن أوطانهم ، واختلاف اللّغة، ولهذا كان هناك نشاط علمي بارز في هذه الأوساط بسبب هذه العزلة..

وأمّا الأثر السلبي، فهو ضعف (مساهمتهم) في الحياة العامة للبلد، وأحياناً معدومة. وعلى العكس من ذلك ما حصل في قم لأن الأكثرية الساحقة، بل كلهم تقريباً، من أهل البلد، ولم يكن فيهم من الغرباء، إلّا عدد محدود جداً "[١].

ولعلّ من نتائج ذلك، وجود الأجواء المشجّعة على تبنّي الأفكار والأطاريح، ذات البعد السياسي بحوزة قم، مثل أطروحة ولاية الفقيه وغيرها.

نقول ذلك مع عدم إغفال الإسهامات المهمّة، لبعض كبار علماء حوزة النجف الأشرف ومراجعها، في أحداث العراق الحديث، وإن كانت قد خفتت منذ عشرينيات القرن العشرين، ثم عادت، مع نشاطات المرجع السيّد محمد

١- الحكيم، محمد باقر: الحوزة العلميّة، ص ٢١٠–٢١١.

باقر الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة. والمرجعيّة النجفيّة العُليا حالياً ذات حضور في غاية الفاعلية، منذ أحداث عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م التي ألمّت بالعراق والمنطقة. وهي تتعامل معها بحكمة ووعي واضحين.

٧) حافظت النجف على أصالة الفكر الإسلامي، من حالات الغلوّ في الفكر، وشطحات الفلاسفة، والفهم الخاطئ للعرفان. ولعلّ النجف كانت متأثرة بالعقليّة العربيّة، التي لا تميل كثيراً إلى الفلسفة، وتميل إلى الأمور الواقعيّة والمنطقيّة. حتّى أنّ أحد مراجع النجف أفتى بحرمة بعض الدروس الفلسفيّة[1]، ولمّا وصل الإمام الخميني إلى النجف (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) بدأ بتدريس الفلسفة والعرفان ثم ترك ذلك[2] ، حيث لا تشجع أجواء النجف على هذه الدروس.

ولا نجد في النجف تمايزاً على أساسٍ قوميّ أو عنصريّ، ولا يشعر الطالبُ غير العراقي بأيِّ أحساس بالغربة؛ ولهذا نجدهم يحنّون إليها بعد عودتهم إلى بلدانهم. وعدم التمايز أمر شائع من الطالب البسيط، وحتى موقع المرجعيّة. فبالنجف اليوم أربعة مراجع كبار هم من أصول إيرانيّة وأفغانيّة وباكستانيّة وعراقيّة، بينما نجد أنّ جميع مراجع قم حالياً هم من الإيرانيين حصراً[3].

٨) الأجواء الأدبية والشمائل العربيّة

إنّ مما تميّزت به مدينة النجف الأشرف، الاهتمام الكبير والواضح بالشعر العربي، حيث يتبارى الشعراء في النواحي المختلفة، ويجد كبار العلماء في الشعر والأدب المتنفّس الطبيعي من الأجواء العلميّة الضاغطة.

فإن فحول الشعر العراقي هم نجفيّون، وهناك دراسات كثيرة حول الأدب النجفي ومجالس الشعر والشعراء.ونجد الشعر أمراً رائجاً بالنجف،

١- وهو المرجع السيد محمود الشاهرودي (ت:١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).

٢- المددي، أحمد: النجف الأشرف منهل العلم والفضيلة (مجلة التحقيق والحوزة)، ص٥٩.

٣- الشاهرودي، نور الدين: المراجع الدينية ومراجع الإماميّة، ص٢٣٣.

فحتى الإنسان العادي في النجف يحفظ شعراً وربما كان أميّاً.

ولهذا نجد كذلك انطلاقة طلبة العلوم الدينية العرب؛ من لبنانيين وخليجيّين بالنجف، شعراً وأدباً، إضافة إلى طلبهم العلم، (بينما تغيب تلك الأجواء في حوزة قم. كما تغيب بعض من الشمائل العربية؛ مثل المبالغة في إكرام الضيف، والاحترام البالغ لطلبة العلوم، ومراعاة ظروفهم الاقتصادية الصعبة)، فتراهم يندمجون في المجتمع النجفي، مما يؤدي أحياناً إلى المصاهرة، التي تغيب أو تندر في الحوزة القميّة، وانكماش مجتمعها عن طلبة العلوم الدينيّة. كما تصرّ حوزة قم على تعلّم اللغة الفارسية، بالنسبة للطلبة غير الإيرانيين[١] .

هذه هي أهم نقاط المقارنة بين حوزتي النجف وقم، التي نجد آثارها واضحة في خريجي كلا الحوزتين ومنهم الطلبة والعلماء اللبنانيون.

النقطة الثانية: شيعة لبنان والمرجعيّة الدينيّة

تحدّثنا في النقطة الأولى حول المرجعيّة الدينية الشيعيّة بشكل عام، وسنتناول في هذه النقطة علاقة المرجعيّة بالوجود الشيعي بلبنان، وموقع الفقهاء اللبنانيّين في الكيان المرجعي، وخارطة الانتماء المرجعي المعاصر لهم.

لقد مرَّ علينا في الفصل الأول من هذا البحث، بروز نخبة من كبار الفقهاء الشيعة من لبنان، حتى صارت بعض قرى جبل عامل محجّاً، للعلماء الوافدين إليها من العراق وغيره. وكان الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزّيني (ت:٧٨٦هـ)، قد حاز قصب السبق في فقهاء المرحلة الأولى، حيث اعتبر مطوّراً للمرجعيّة الشيعية، من مرحلة إلى أُخرى من مراحل تطوّرها، بل والمجسّد الأول لهذه المرجعية.

١- التقيت بمدينة كينشاسا عاصمة الكونغو بأفريقيا، طالب علم أفريقي يدرس بقم، فلم أفلح في الحديث معه باللغة العربيّة، بينما كان لسانه طليقاً باللغة الفارسية وهو رجل أفريقي، ولهذا قيل: "إنّ النجف تعرّب وقمّ تفرّس" (الباحث).

ولم تكن المرجعيّة الشيعية آنذاك، قد بلغت المستوى الذي هي عليه الآن، ولو كان الأمر كذلك، لكان لبعض فقهاء جبل عامل آنذاك، موقع المرجعيّة العامّة للشيعة بلا منازع، ولنافست مراكز المرجعيّة التقليديّة بالعراق. إلّا أنّ المرجعيّة آنذاك، لم تأخذ مساحتها التي أخذتها حالياً.

ولم يستمر تألّق فقهاء لبنان الشيعة بمستوى المرجعيّة، في المرحلة الثانية من مراحل الحوزات اللبنانية ـ كما مرّ في الفصل الثاني من هذا البحث ـ بل نجد أنّ المرجعية العليا آنذاك ،كانت لفقهاء النجف الأشرف، وإذا برز مجتهد لبناني، فإنه يكون مقلَّداً في قريته، أو قرى أُخرى قريبة منها، وربمّا في مساحة أوسع، ولكّنها لا تتجاوز لبنان إلّا في حالات قليلة، كما ذُكر في حياة الشيخ عبد الله نعمة (ت:١٣٠٣هـ).

ومع تعاظم مركزيّة المرجعيّة الدينيّة بالنجف الأشرف،وخاصّة منذ بداية القرن العشرين الميلادي، فإنّ مرجعيّات الفقهاء اللبنانيين قد تقلّصت، حتى في القرى الشيعيّة اللبنانية، لتضاف إلى رصيد المرجعيّات الكبرى بالنجف.

واستمرّ ضعف حضور فقهاء لبنان في الوصول لموقع المرجعيّة، إلى زمن اشتداد الأزمة الأمنيّة بالنجف والتي انتهت ـ في بعض نتائجها ـ إلى إنهاء الوجود العلميّ اللبناني هناك بالكامل. كما لم تكن أجواء حوزة قم في ذلك الوقت، بقادرةٍ على استقطاب كبار المجتهدين اللبنانيين، الخارجين من النجف الأشرف، حيث راح كل واحد من هؤلاء المجتهدين، يعيش هموم بلده، مع نشاطات علميّة مهمّة، سُجّلت لمعظمهم، ولكن لم يصل الأمر إلى بلوغ الموقع المرجعي المطلوب.

لكنّ اللافت، في العقدين الأخيرين، طرحُ اثنين من الفقهاء اللبنانييّن نفسيهما، مراجع لعامّة المسلمين الشيعة، حتى استطاع أحدهما، أن يسجّل حضوراً مرجعيّاً لبنانياً، فريداً من نوعه.

وإذا أردنا متابعة علاقة شيعة لبنان، في مراكز المرجعيّة الدينيّة،

تاريخياً، فيمكن أن تكون تلك العلاقة، قد تطوّرت، وفق المراحل التالية:

١) المرحلة التأسيسيّة، التي بدأت مع تأسيس الوجود الشيعي بلبنان، والذي رجّحنا أنّ تاريخه كان في القرن الخامس الهجري ـ على ما حققّناه في الفصل التمهيدي ـ وانتهت هذه المرحلة مع عودة الشهيد الأول (ت:٧٨٦هـ) ونشأة حوزة جزين.

وكان شيعة لبنان في هذه المرحلة، يأخذون أحكام دينهم عبر موفَديّ مرجعيّة بغداد السالفين؛ الشيخ أبي الفتح الكراجكي (ت: ٤٩٩هـ) والشيخ ابن البرّاج الطرابلسي (ت:٤٨١هـ). ثم تواصل ذلك الارتباط، مع انتقال المرجعيّة الشيعيّة من بغداد إلى النجف عام ٤٤٧هـ ،ثم الحلّة بعد مائة عام تقريباً، حيث أخَذَ العلماء اللبنانيون ينقلون آراء مراجع الحلّة، حتى عودة مؤسس حوزة جِزّين عام ٧٦٠هـ.

٢) مرحلة الاستقلال المرجعي: حيث استقلت شيعة لبنان بالتقليد، عبر فقيهها المتميّز الشيخ محمد بن مكيّ العاملي (ت: ٧٨٦هـ) ، الذي امتدّت مرجعيته لتشمل شيعة سوريا ولبنان، واستمرّت طوال فترة المرحلة الأولى للحوزات اللبنانيّة، بحيث استغنى شيعة لبنان بفقهائهم عن فقهاء الحلّة. في زمن لم تصل فيها المرجعيّة، حتى في مراكزها المهمّة إلى مساحة حضورها المعاصرة، فكانت المسألة طبيعيّة، في أن يُقلّد كل مجتهد في منطقته التي تشهد حركته العلميّة. واستمرّت هذه المرحلة إلى نهاية مرحلة الحوزات اللبنانيّة، في عهدها الأول، أي منذ عام ٧٦٠هـ إلى ١٢١٩هـ.

٣) المرحلة الانتقالية: ونعني بها المرحلة التي شهدت انتقال تقليد شيعة لبنان من فقهائهم اللبنانيين، الّذين أسّسوا الحوزات التي جاءت بعد نهاية عهد الوالي أحمد الجزّار (ت:١٢١٩هـ) حتى ثلاثينيات القرن الرابع عشر الهجري/خمسينيات القرن العشرين، بنهاية مرحلة حوزات لبنان الثانية، وربّما بعدها بقليل، حيث سُجّل تقليد محدود، لبعض المجتهدين اللّبنانيين، مثل السيّد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) في

شيعة سوريا، وبعض قرى بجبل عامل.

في هذه المرحلة، أخذ التقليد ينسحب من الفقهاء اللبنانيّين، لحساب مراجع النجف الأشرف، مع تبلور الموقع المرجعي المركزي. ولا ننسى أن إنشاء حوزات هذه المرحلة كان بايعاز مباشر من مرجعي النجف الأشرف البارزين، آنذاك السيد مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٦هـ).

٤) المرحلة النجفيّة: وفيها امتدّت المرجعيّة النجفيّة، بكل قوة وحضور، في الوجود الشيعي اللبناني، (أسوة ببقيّة شيعة العالم) وغابت المرجعيّة اللبنانيّة بشكل كامل، وذلك طوال القرن العشرين الميلادي تقريباً، بينما تحوّل كبار العلماء اللبنانيّين إلى وكلاء لمراجع النجف، وراحوا ينقلون آراء المرجعيّة النجفيّة.

وقد سُجّل في نهاية هذه المرحلة، تقليد يتَّبع مرجعية قم، مع بروز نجم الإمام الخميني (سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ونجاح الثورة الإسلامية بإيران. فقد ارتأى الثوريّون اللبنانيون الشيعة، أنَّ التقليد ينبغي أن يكون للإمام الخميني (ت:١٤٠٩هـ/١٩٨٩م). ثم سُجّل تقليد محدود جداً لبعض المراجع القميّين بعده.

٥) المرحلة المعاصرة: وهي المرحلة الحاليّة السائدة، في ساحة التقليد المرجعي لشيعة لبنان، منذ وفاة مرجع المسلمين الشيعة الأبرز في هذا العصر، وهو المرجع السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت:١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، وإلى سنة إعداد هذا البحث أي عام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). حيث نجد في هذه الفترة الأخيرة، تطوّران مهمّان في ساحة التقليد الشيعي اللبناني، وهما:

أ- تدخّل العامل السياسي في التقليد الدينيّ المرجعيّ، عبر تقليد المرجع السيّد علي الخامنئي (مواليد: ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، في أجواء حزب الله ومريديه، حتى اعتبر المرجع الديني للحزب. ويعتبر لبنان حالياً أوسع

ساحة شيعية عربيّة، ترجع في تقليدها للسيّد الخامنئي.

ب- بروز مرجع شيعي لبناني، سُجّل له حضور مهمّ في الساحة المرجعيّة الشيعيّة العالمية، وهو المرجع السيّد محمد حسين فضل الله (مواليد: ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، الذي حظي بنصيب يُعتَدُّ به في نسبة المقلّدين، من لبنانيين وغيرهم من المسلمين الشيعة، وهي ظاهرة تسجّل لأول مرة في تاريخ المرجعيّات الشيعية لفقيه لبناني.

وتمتّد مرجعيّة السيد فضل لله، في الأوساط المثقّفة، والتيارات الإسلامية الحركيّة الشيعيّة،حتى خارج الساحة اللبنانيّة، حيث لم يُعهد تقليدٌ شيعي غير لبناني، لمرجع لبناني قبل ذلك. صحيح أنه كان هناك حضور مرجعي لبعض الفقهاء اللبنانيين فيما سبق، أمثال الشيخ عبد الله نعمة (ت:١٣٠٤هـ) وقبله الشيخ حسن القبيسي (ت:١٢٥٨هـ)، "الذي صار مرجعاً بجبل عامل ولكن لم تخرج مرجعيّته عنه"[1].أوالشيخ موسى شرارة (ت: ١٣٠٣هـ)، والسيد علي محمود الأمين (ت: ١٣٢٨هـ)، وغيرهم. ولكن ذلك الحضور المرجعي، كان محدوداً بقرى جبل عامل، ولم يتعدَّ حدود لبنان. وأمّا بالنسبة للفقهاء اللبنانيين العظام، مثل الشهيدين الأول (ت:٧٦٨هـ) أو الثاني (ت: ٩٦٥هـ) أو المحقّق الكركي (ت:٩٤٠هـ). فإنَّ المرجعيّة في عهودهم، لم تكن قد أخذت هذا المنحى المركزي العام، الذي أخذته المرجعيّة الحاليّة بعد مراحل تطوّرها السابقة.

ثم لا بدّ أن نذكر مرجعاً لبنانياً معاصراً آخر، وهو المرحوم المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه الحاريصي (ت:١٤١٩هـ/١٩٩٩م)؛ وهو من أكابر فقهاء لبنان المعاصرين، ومن أعاظم خريجي الحوزة النجفيّة، وكان معتمد المرجعية الدينية الكبرى في قضايا مهمّة.

ولكنّ مرجعية الشيخ الفقيه، بقيت محدودة في بعض قرى صور وربّما

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١١/١٢.

غيرها في بعض المغتربات، التي يعود أهلها إلى حاريص وما جاورها. وكان قد أصدر رسالته العمليّة منذ عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) والموسومة بـ (عمدة المتفقّه)[1]. في حين أن السيد محمد حسين فضل الله لم يُعلن عن الدعوة إلى تقليده إلّا في أواسط التسعينيات، وبالدقة عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ولكنّه بلغ مرحلة متقدّمة في سعة المقلّدين بما لم تتهيأ للشيخ الفقيه. ونحاول الوقوف على أهم الأسباب، التي حدت بمرجعيّة السيّد فضل الله إلى الانتشار، بما لم تحضَ به، مرجعية الشيخ الفقيه، (مع ما يتميّز به الأخير من حضور علمي وحوزويّ كبيرين)، أو بقية المجتهدين اللبنانيّين المعاصرين.

أسباب انتشار مرجعيّة السيد فضل الله

١) الحضوران الفكري والثقافي الطويلان للسيد محمد حسين فضل لله، فقد عُرف بكونه مؤلفاً إسلامياً، ومنظّراً حركيّاً، منذ أواخر ستينيّات القرن العشرين. وكانت كتُبه وآراؤه تنتشر في أوساط الشبان المثقّفين من الشيعة، وربمّا من غيرهم. وسبق ذلك إسهامات فكريّة وثقافية في مجلات إسلامية رائدة بالعراق، قبل خروجه منه عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢) ارتباطهُ الفكري التاريخيّ، مع المرجع الإسلاميّ المفكّر، السيّد محمد باقر الصدر (ت:١٤١٤هـ/١٩٨٠م)، حتى بات الجمهور الشيعي الحركي المثقّف، يجد في السيّد فضل الله امتداداً لنهج السيّد محمد باقر الصدر، واستمراراً لخطه الفكري والفقهي. ويُرى ذلك واضحاً في الفئات المثقفة بالعراق، والخليج، ولبنان. وممّا زاد من هذا الربط بين المرجعين، طرح السيد فضل الله تعليقاته الفقهيّة على الرسالة العمليّة للمرجع السيد محمد باقر الصدر (الفتاوى الواضحة) عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، مما جعل مقلّدي الصدر السابقين، يميلون بشكل واضح للسيّد فضل لله.

٣) علاقاته الوطيدة والتاريخية، مع أقدم الأحزاب الإسلامية الشيعية (حزب الدعوة الإسلامية)، حيث يرجع الحزب إليه في بعض استفتاءاته، التي تحتاج إلى

١- صورة عن غلافها، راجع الملاحق، الصورة رقم: ١٥.

إمضاء شرعي من مجتهد، في الفقه. وازدادت علاقة حزب الدعوة بالسيّد فضل الله، بعد توقّف فقيه الحزب السابق؛ السيّد كاظم الحسيني الحائري (ولد عام: ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)عنه، في أواسط ثمانينيّات القرن العشرين الميلادي.

ومع امتداد الحزب وكوادره في معظم الساحات الشيعيّة في العالم، كانت الأرضيّة ممهّدة لاستقبال مرجعية السيّد فضل الله.

٤) بروزه السياسي والأعلامي الواسعين، عربيّاً وإسلامياً وعالميّاً، بعد أحداث الثورة الإسلامية بإيران عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وازداد توهّجاً مع تأسيس حزب الله اللبناني عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)؛ حين أخذت أجهزة الأعلام العالميّة تصفه بـ (الأب الروحي لحزب الله).

ومع ظهور الفضائيات وتوسّع العمل الإعلامي، كانت للسيّد فضل الله مناسبات سجّل فيها حضوراً كبيراً، في مقابلات شخصيّة. حتى صار الرجلُ، أبرزَ شخصيّة شيعيّة علمائية، في عقد الثمانينيات وشيء من التسعينينات.

وكلّ هذه النقاط الأربع، كانت في مصلحة مرجعيّة السيّد فضل لله، ولم يتهيأ أيٌّ منها للمرجع الشيخ محمد تقي الفقيه.

وكانت مرجعيّة السيّد فضل الله بنظر عدد لا يُستهان به من الشيعة، مؤهّلة لشغل مساحة كبيرة في التقليد المرجعي، "إلّا أنّ وهجه المتألق إنطفأ (أو خفّ إلى حدّ كبير)، لدى القطاع الشيعي في عقد التسعينات، بعد ترشيحه للمرجعيّة الدينيّة، والحملة المنظّمة التي تلقّاها، على أيدي المخالفين لتوجّهاته"[1]، حيث وجهّت له انتقادات عقديّة وفقهيّة.

لقد شهدت هذه المرحلة (الخامسة) وجوداً مرجعياً لبنانيّاً، غاب طويلًا عن المرجعيات الشيعيّة الكبرى، منذ أكابر فقهاء لبنان الشيعة، في المرحلة الأولى للحوزات اللبنانية. فهناك اليوم مرجع لبناني، له حصّة في ساحة التقليد الشيعي، مع مراجع النجف وقم، ولا يقتصر تقليده على شيعة لبنان،

١- القزويني، جودت: المرجعيّة الدينيّة العليا، ص٢٣٥.

بل تمتدّ إلى مناطق شيعيّة أُخرى بالبلاد الإسلامية والمهاجر. كما أن شيعة لبنان يعيشون لأول مرّة في تاريخهم المعاصر، مرجعاً دينيّاً ينطلق من بيروت، لا من النجف، ولا من قم، المدينتين المقدّستين عند المسلمين الشيعة خاصّة.

وحاليّاً ينتشر تقليد السيّد فضل الله لبنانياً، في أوساط المثقفين الشيعة عموماً، والمغتربين وعامّة أهالي منطقة بنت جبيل، حيث تقع عيناثا قريّة السيّد فضل لله. بينما ينتشر تقليد المرجعيّة النجفيّة، متمثّلة بالمرجع الأعلى السيّد علي السيستاني، في أوساط المتدينين اللبنانيّين التقليديّين عموماً، والمرتبطين أو المتأثرين بأجواء وعلماء، المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، الذي يُعلن ارتباطه بالمرجعيّة النجفيّة، وبشكل صريح[1]، وكذلك في أوساط حركة أمل الشيعيّة.

بينما ينتشر تقليد المرجعيّة القميّة (متمثّلة بالمرجع السيّد علي الخامنئي)، في أنصار حزب الله وأجوائه. وهذا لا يعني عدم وجود تقليد لغير السيّد الخامنئي، في أوساط حزب لله، كما لا يعني وجود تقليد لغير السيّد فضل لله، في الأوساط التي ينتشر فيها تقليده، والأمر نفسه يقال عن تقليد السيّد السيستاني، ولكنّ ما ذكرناه من ساحات التقليد بلبنان هو بشكل عام.

ولا يوجد إحصاء دقيق، لنسب تقليد المراجع البارزين في الساحة الإسلامية الشيعيّة بلبنان أو بغيره. وقد حاولنا الحصول على نسبة التقليد، من حملات الحجّ التي تنطلق من لبنان إلى بيت الله الحرام بمكّة المكرّمة. حيث يثبّت التقليد أمام كلّ حاج؛ لمعرفة حكمهِ الشرعيّ في مناسك الحج، نظراً لبعض الأختلافات الفقهيّة بين المراجع.

ولكنّ هذا الإحصاء لم يبدُ دقيقاً، لأنّ كلّ حملة يغلب عليها نمطٌ من المقلّدين،

١- مقابلة شخصية مع الشيخ عبد الأمر قبلان نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، بيروت، الجمعة، ٢٢ رجب، ١٤٢٩هـ/ ٢٥ توز ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

وذلك حسب القائمين عليها، وانتماءاتهم الحزبيّة أو المرجعيّة. فنجد النِّسَب في التقليد تتفاوت بين حملة وأُخرى، ولهذا تم الإعراض عن تلكم الإحصاءات المتوافرة، في مكاتب حملات الحج الشيعيّة بلبنان. (وأغلب الظن عودة التقليد بلبنان إلى سابق عهده بعد وفاة السيد فضل الله عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)

غياب الفقهاء اللبنانيّين عن المرجعيّة العامّة للشيعة

سبق أن وقفنا على المستوى العلمي المتقدّم جداً، الذي بلغه بعض فقهاء جبل عامل، بما لا مزيد عليه. ولكنّ ذلك كان في مرحلة لم تكن فيها المرجعيّة الشيعيّة، قد تطوّرت إلى مرحلتنا المعاصرة، حيث صار الفقيه الشيعيّ، مرجعاً لعامّة الشيعة بالعالم. ولو أن المرجعيّة كانت قد وصلت إلى مستواها المعاصر حاليّاً، في زمن نبوغ الفقهاء اللبنانيين الشيعة (المرحلة الأولى للحوزات اللبنانيّة)، لكان اولئك الفقهاء هم مراجع تلك المرحلة بلا منازع، أمثال الشيخ محمد بن مكي الجزيني (الشهيد الأول) (ت:٧٦٨هـ)، والشيخ علي بن عبد العالي الميسي (ت:٩٣٥هـ)، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت: ٩٤٠هـ) والشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ) (الشهيد الثاني)، والشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي البهائي (ت:١١١١هـ).

ولمّا أوشكت المرجعيّة على بلوغ مرحلتها المتقدّمة على المرحلة المعاصرة، أي في مرجعيّة السيّد مهدي بحر العلوم (ت:١٢١٢هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت:١٢٢٧هـ)، كان استاذهما فقيه كبير من لبنان، وهو الشيخ محمد مهدي الفتوني (ت:١١٩٠هـ)[1]، كما أن أبرز تلميذ ذينَيك المرجعين النجفيين، كان لبنانياً أيضاً؛ وهو السيّد جواد العاملي (ت:١٢٢٦هـ) (صاحب مفتاح الكرامة). ولكن لم يصل أيٌّ من هاذين العالمين اللبنانيّين إلى موقع المرجعيّة آنذاك، وإلى عصرنا هذا، حيث برز الشيخ محمد تقي الفقيه لمرجعيّة محدودة، ثم السيد محمد حسين فضل الله،

١- محبوبة، جعفر: ماضي النجف وحاضرها،٣/٥١.

ومرجعيّته التي ربما نافست ولأول مرّة مرجعيّتي النجف، وقم، مع العلم أنّ العلماء اللبنانيّين لم يسجّل لهم غياب، عن الحوزات العلميّة الكبرى، وخاصّة بالنجف الأشرف.فلماذا غابوا عن المرجعيّة الشيعيّة العليا؟.

من خلال المعلومات التي مرّت أثناء هذا البحث، وسلسلة مقابلات شخصيّة مع عدّة من العلماء اللبنانيّين، وآخرين من غيرهم، يمكن أن نُجمل الأسباب، التي حالت دون وصول الفقهاء اللبنانيّين، إلى موقع المرجعيّة العام، لما يقارب القرنين من الزمان، إلى منظومتي أسباب؛ ذاتيّة وأُخرى موضوعية، وكالتالي:

أولاً: الأسباب الذاتية: ونعني بها الأسباب التي حالت، دون وصول الفقيه اللبناني إلى المرجعيّة العليا، والتي تعود إلى الفقيه اللبناني نفسه، وأهمّها ما يلي:

١) عوامل نفسيّة يعيشها الفقيه اللبناني، في مركز المرجعيّة الشيعيّة بالنجف الأشرف، والتي يشعر معها، أن هناك فقهاء آخرين، مؤهّلين لهذا الموقع، ولا من حاجة تدعوه إلى التقدّم لشغله، ومن أهم هذه العوامل النفسيّة: الورع، والتقوى، والتحرُّج في الدين، والتهرّب من مسؤولية الإفتاء.

وممّا يركّز هذا الشعور في نفسيّة العالم اللبنانّي، فرط احترامه لأساتذته وحيائه من أن يطرح نفسه منافساً لهم، وإنّ الفقهاء الكبار، الذين برزوا في المرحلة الأُولى للحوزات اللبنانية، انّما برزوا لأنهم كانوا بقراهم اللبنانية، ولم يُعلُ شأوهم العلمي، وهم يدرسون على غيرهم بالحلّة وحوزتها[1].

إنّ هذا السبب ـ لوحده ـ لا يُمكن أن يكون أمراً معقولًا، في عدم تصدّي فقهاء لبنان للمرجعيّة، في هذه المدة الطويلة تاريخياً!، كما يصعب أن تكون هذه الأسباب الذاتيّة، محصورةً بعلماء لبنان دون سواهم، ثمّ من قال:

١- مقابلة شخصيّة سابقة مع السيّد عبد الكريم فضل الله، ص٢٤٠.

إنّ التصدّي للمرجعيّة ،أمر مخالف لحالات التقوى والورع، وما إليهما من أوصاف الزاهدين؟

إذ نجد؛ أنّ المرجع السيد فضل الله ينظر إلى المسألة بنظرة أخرى فيقول :" إنّ المرجع حينما يرشّح نفسه للمرجعيّة، فإنه ينطلق من طموح شخصي لا يبتعد عن التقوى، كأيّ إنسان يريد أن يصل إلى الموقع الأعلى، في الجوّ الذي يعيش فيه، سواء جوّ الحوزات أو ما إليها. فالقضيّة تنطلق من حالة طموح شخصي لدى المرجع، أو من خلال بعض الأجواء المحيطة به، من خلال تلامذته وأهل بلدته"[1]... فهل أنّ هذا التفكير الذي قال به السيّد فضل الله هو الذي أبرزه في موقع، لم يسجّل لفقيه لبناني غيره، على مدى أكثر من قرن؟..

٢) هناك رأي يذهب، إلى أنّ المرجعيّة لا تشكّل همّاً أو هدفاً، يسعى الفقيه اللبناني نحوه، فالمسألة لا تعود إلى عوامل نفسيّة له، بقدر ما تتعلّق بطموحه، الذي لا يعتبر الوصول إلى المرجعيّة غايةً له. فهو ينطلق من مفاد الآية القرآنية الكريمة: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]. وهذا لا يعني في أيّ حال قصورهم العلميّ عن أقرانهم، فقد كان المعروف في لبنان وإلى عهدٍ ليس بالبعيد، أنّ الطالب لا يعود إلى لبنان، إلّا بعد حصوله على إجازة اجتهاد في الفقه، من قبل مراجع النجف الأشرف.ولكنه لا يمكث بعد ذلك بالنجف ـ إلّا نادراً ـ حيث تأتيه دعوات أهل قريته، تلحّ عليه بالرجوع؛ للقيام بمهمات القرية الدينيّة، وفي الوقت نفسه "فإنَّ بقيّة أقرانه من العلماء والطلبة اللبنانيّين، الموجودين بالنجف، يشجّعونه على العودة إلى بلده، ولا يسمع من يقول له: أبق واستمر على

١- مقابلة شخصية مع السيد محمد حسين فضل الله (ص ٣٠٠).

٢- سورة التوبة الآية (١٢٢). وقد وجدنا كثرة اللبنانيين من وكلاء المرجعيّة بمدن العراق ونواحيه، ممّا يؤكد الجانب التبليغي في الطالب اللبناني الشيعي .(الباحث).

دراستك الدينية الحوزويّة[1]، ليصل مستويات علميّة متقدّمة جداً تؤهله للمرجعيّة.

وإنّ هذا السبب، أي كون المرجعيّة، لا تشكّل هدفاً يسعى نحوه العالم اللبناني، نجده واضحاً في شخصية علميّة لبنانيّة متميّزة جدّاً، وهو الشيخ عبد الله نعمة (ت:١٣٠٣هـ)، الذي نصحهُ أستاذه المرجع الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) (ت:١٢٦٦هـ)، بعدم ترك النجف إلى بلدة بإيران، طلبَ منه أهلُها ذلك، لأنه يراه مؤهّلًا للمرجعيّة، ولكنه لم يأخذ بنصيحته وترك النجف وهو على أبوب المرجعيّة العامة[2]. ومثله ماجرى مع السيّد صدر الدين الصدر (ت: ١٢٦٠هـ) الذي كان مرشحاً للمرجعيّة، بعد الشيخ جعفر الجناجي (كاشف الغطاء) (ت:١٢٢٦هـ). الذي رأى له ذلك، لكنه ترك النجف بدوره، وغادر إلى أصفهان[3].

بينما نجد أنّ طلبة بعض الأقطار الشيعية، يقصدون النجف، وهم ينوون الوصول إلى موقع المرجعيّة، ويسعون لبلوغه، وهوأمر قد يكون غائباً عموماً، عن تفكير العالم اللبناني.

٣) هناك آراء تعزو الأمر، إلى عوامل أُخرى، مثل القول: بأن طالب العلم اللبناني عموماً، لا يملك طول النَّفَس المعهود في طلبة أقاليم شيعيّة أُخرى، يدرسون بالنجف، فلا جلد لهم على تحصيل العلم"[4]. أو أن يقال: "إنّ الطالب اللبناني، يعيش أرضيّته الاجتماعية اللبنانية في حبّه للحياة وسعيه لترتيب وسائل معيشته المتأنقة، التي لا تُعهد في عامة الطلبة الدارسين بالنجف من عراقيين أو غيرهم"[5]؛ من الإيرانيين، والأفغان، والهنود، والأتراك، وسواهم.

١- مقابلة شخصية سابقة مع السيد عبد الكريم فضل الله (ص ٢٤٠).

٢- راجع ،ص ٣١٠ .

٣- شرف الدين، عبد الحسين، بغية الراغبين،١/١٥٩.

٤- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ حسن طراد، ص٢٢٠.

٥- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ محمد الكوثراني،ص٢١٥.

ولا يبدو الرأي الأخير بعيداً، إذا ما قيس طالب العلم اللبناني إلى بقية طلاب العلم الشيعة الآخرين.

٤) شدّة ارتباط اللبناني بوطنه: ولهذا فاللبنانيون يقتصرون على أقل مدّة ممكنة لتحصيل العلوم الدينيّة، سواء في النجف سابقاً أو في قم حاليّاً. وحتى حينما يحصل العالم اللبناني على درجة الاجتهاد ، فإنه يعود بعد ذلك مباشرة، أي أنه يعود وهو في أول طريق المرجعيّة، بعد حصوله على اعتراف الفقهاء الكبار باجتهاده. وهو من الأسباب التي رجّحها بعض كبار العلماء المعاصرين(١).

وهو تقليد درج عليه العلماء اللبنانيون منذ بدايات تحصيلهم في النجف الأشرف، حيث وجدنا الشيخ حسن بن زين الدين الجبعي (صاحب المعالم ، ابن الشهيد الثاني) (ت:١١١١هـ) وابن أخته السيد محمد بن علي الموسوي الجبعي (صاحب المدارك) (ت:١٠٠٩هـ)، يقترحان على استاذهما الشيخ أحمد الأردبيلي (المقدّس) (ت:٩٩٣هـ) طريقة درس خاصة بهما دون بقيّة الطلبة، كي يعودا بسرعة إلى بلدتهما جبع! حتى صارت قلة المكث وكأنها تقليد حكم بقاء العلماء اللبنانيّين في مراكز الحوزات الشيعيّة الكبرى.

وهو ما لا يُرى بهذه القوّة في بقيّة طلاب العلم الوافدين إلى النجف، حيث يعمد بعضهم إلى نسيان ما وراءه، والإندكاك بالوضع النجفي الحوزوي، وهم يرون في مجاورة المراقد المقدّسة بالعراق، أغلى أمنياتهم، وهذا ينجرّ الى عامة شيعة تلك البلدان، فضلًا عن علمائهم، كإيران والهند وأفغانستان.....

وقد يكون هناك مبررات، لسرعة عودة اللبنانيّين؛ مثل حاجة أوطانهم لهم، أو ظروفهم الخاصة، ولكننا هنا في معرض رصد هذه الظاهرة، ومحاولة تحليلها.

١- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد حسين فضل الله، (ص٣٠٠).

٥) عدم تصدي من يبقى من الفقهاء اللبنانيّين بالنجف الأشرف، إلى إعطاء ما يُعرف في الحوزات بدروس الخارج، وهي الدروس التي ينهض بها المجتهدون، ويحضرها الطلبة المتقدّمون علمياً والمؤهلون لمنح شهادة الاجتهاد، بعد إتمامهم دورات من هذه الدروس.

إنّ هذه الدروس (الخارج)، هي التي ترفع من موقع المجتهد العلمي، حيث يُقارن درسُه، وبقيّة الدروس التي يلقيها المتجهدون الآخرون، في مراكز المرجعيّة الشيعية بالنجف، ثم قم لاحقاً. وذلك ممّا يمهد للمرجعيّة مستقبلًا، حيث تشكّل مجموعات الطلاب المرتبطين به، الذين ينشرون اجتهاده وآراءه، في بلدانهم التي ينتمون إليها، وبذلك ينتشر تقليده مستقبلًا.

وعدم التصدّي هذا، قد يؤدي إلى عدم معرفة الحوزة بقدرات العالم اللبناني الذي قد يكون مجهولًا حتى من قبل كبار المراجع، كما ينقل أن المرجع السيد محمد باقر الصدر، أضطر إلى أخذ دفاتر السيد محمد حسين فضل الله، (التي يدون فيها آراء من يحضر عليه من المراجع وبعض مناقشاته)، ليعرضها على المرجع الأعلى في زمنه، المرجع السيد أبي القاسم الخوئي (ت:١٤١٢هـ/١٩٩٢م)[١].

ولعلّ هذا السبب، متفرّع عن السبب الأول السابق، ولكنّنا عرضناه وحده لأهميته في إعداد المراجع الشيعية بالحوزات العلميّة.

ثانياً: الأسباب الموضوعيّة: وهي الأسباب التي تحيط بالعالم اللبناني، في ما تكتنفه من ظروف، وعوامل مكانيّة واقتصادية، أي أنها أسباب خارجة عن خيار العالم اللبناني، وهي أسباب ثلاثة ، واحد يعود إلى البيئة الحوزويّة خارج لبنان، واثنان مرتبطان بلبنان وطبيعته:

١) الأجواء الحوزوية غير الملائمة لوصول الفقيه اللبناني إلى موقع

١- مقابلة شخصية مع السيد محمد الحسيني (مواليد ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) مدير مكتب السيد فضل الله، بدمشق الخميس٢٢ صفر ١٤٢٩هـ / شباط ٢٠٠٨م / الساعة ١١.٣٠ صباحاً.

المرجعيّة، التي تسود فعاليّات ونشاطات الحوزات الكبرى بالنجف أو قم لاحقاً.

فالمرجعية ليست مجرد وصول مجتهد، إلى موقع علمي متفرّد ونبوغه، وتميزّه فقهيّاً على من سواه من المجتهدين، بل إن هناك أعرافاً وظروفاً وأجواءً، تفرزها عوامل تاريخيّة وحوزويّة وواقعيّة، يصعُب أن تتهيأ للعالم اللبناني. فاللبنانيون قد يكونون أقل عدداً – سواء بالنجف أو قم – من بقيّة الطلاب القادمين من أقطار شيعية أخرى، وليس هناك أجواء تهيئ لمرجعيّة فقهائهم، وكما إنهم قليلون جداً، في اللجان الاستشارية للمراجع المعروفين بـ (الحواشي)، الذين لهم دور كبير في ترشيح المراجع، وتقوية بعضهم ودعم آخرين. ولهذا تذهب بعض آراء كبار العلماء اللبنانييّن المعاصرين، أنّ ظروف النجف لم تكن لتتهيأ لمرجع لبناني أن يطرح نفسه، "فالسيد فضل الله. وحتى لو أنه لم يطرح بعض الأمور التي أثارت الآخرين، فأنه لن يحصل له موقع مرجعي، لو تصدىّ لذلك بالنجف، لعدم حصول أطراف مشجعة ومقلدة، داخل النجف، كما يحصل للآخرين"[1].

٢) قلّة الموارد الإقتصادية لشيعة لبنان، مما سيؤدي إلى قلة ما يصل إلى مجتهديهم القاطنين بالنجف، وهو مما قد يحول دون استقرار وضع المجتهد اللبناني ماليّاً، والذي يمكن أن ينعكس إيجابياً ـ فيما لو تحسّن ـ عليهِ؛ بتوزيعه الرواتب على طلبته، أو في طبع آرائه الفقهيّة، بكتاب يُطرح على المقلّدين ليقلّد بعد ذلك (الرسالة العلمية). فيما يحظى العلماء البارزون بالنجف، والذين يعودون إلى بلدان ذات قوة اقتصادية كبيرة، بدعم مالي يؤدي إلى دعم موقعهم العلمي بشكل واضح. "فالإيرانيون ـ على سبيل المثال ـ حينما يتقدمون في العلم، من خلال ثقة الحوزة بهم، فإنّ تجار مدنهم يُرسلون إليهم حقوقهم ليوزّعوها على طلبتهم، وربّما كان لهذا السبب بعض الدور.

أما جبل عامل فإنها لم تكن ذلك البلد الواسع كإيران والهند، فمن

١- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ حسن طراد. (ص٢٦٠).

الصعب جداً أن يحصل الفقيه اللبناني على موقع المرجعيّة، حيث يؤثّر الوجود الشيعي الكبير (في إيران أو في العراق)، والذي يكون له دور كبير في رجوع أعداد كبيرة منها، لتقليد المجتهد من تلك البلدان الشيعية الواسعة"[1]، وهذا الرأي لا يخلو من مناقشة، حيث يمكن أن يقال في ذلك:

أ- مع عدم إغفال الجانب المالي ودوره، لكنّه لا يقوَ على إيجاد وضع علمي خطير كموقع المرجعية، فليس هناك ملازمة بين الأمرين. فكم من مجتهد في غاية الفقر والعوز، ويعود إلى منطقة شيعيّة بالغة الفقر، قد صار عَلَماً من أعلام المرجعيّة.

ب- لم يثبت أن فقيهاً لبنانياً. خطى خطوات نحو المرجعيّة بالنجف، ثم حال وضع الشيعة اللبنانيّين المالي دون تقدّمه، في هذا الهدف الكبير، بل إنهم ـ الفقهاء اللبنانيون ـ كانوا في منأى عن ذلك.

ج- قد يكون ما ذكر عن قلة موارد المناطق الشيعية بلبنان، صحيحاً في الزمن القديم، ولكنّ الأمر تغيّر منذ عقود طويلة، عبر المغتربين الشيعة، وأصحاب رؤوس الأموال المعروفين منهم، حتى عرفت قرية بجبل عامل، بأنها قرية الألف مليونير قبل ربع قرن وربّما أكثر[2]، فلماذا لم ينعكس هذا التحسّن المالي الملحوظ على تصدي علماء لبنان للمرجعيّة بالنجف، أو بقمّ حالياً، وفيهم مستويات علمية رائدة مشهود لها في الحوزات[3]؟ ومع ذلك فإنّ خلف العلماء اللبنانيين، الدارسين بقم الآن يسيرون على خطى سلفهم، حيث يحثّون خطوهم للعودة إلى بلادهم، ولا يُعدمون أثرياء من الشيعة يؤازرونهم،عند عودتهم، ويدعمون جهودهم، في إنشاء الحوزات المعاصرة، وغيرها من المشروعات. ولو أنّ هؤلاء العلماء بقوا في قم وعُرفوا بها،

١- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد حسين فضل الله، ص ٣٠٠ .

٢- وهي قرية جويّا ، التابعة لقضاء صور، وقد سمعت ذلك من أهلها مراراً (الباحث).

٣- إضافة إلى العلاقات المشجعة جداً، بين الجمهورية الإسلامية بإيران، والوجود الشيعي اللبناني، والذي ينعكس إيجابياً في دعم الوجود العلمائي اللبناني بقم، ويهيئ لهم مشجعات قد لا تحصل لغير الطلبة اللبنانيين هناك. (الباحث).

لجاءتهم عطاءات أثرياء الشيعة اللبنانيين ـ وربما غيرهم ـ تقويّة لموقعهم هناك.

٣) تواترت شكوى بعض علماء جبل عامل، من كون مجتمعهم لا يرعى العلماء، ولا يوليهم اهتماماً ورعايته، كما هو عليه الحال، في بقية أقطار الشيعة في العالم، حيث يقدّر العالم ويُجلُّ أيما إجلال ويحترم في غاية الاحترام.

فقد كان السيد محسن الأمين، يكرّر شكواه من مجتمعه، في مواطن عدّة من كتبه، فنراه يعلّق بعد وقوفه على قبر الشيخ عبد الله نعمة (ت: ١٣٠٣هـ) المهدوم بقوله: "فرأيته خاشعاً أشبه بدارس، فإنّ علماء جبل عامل حالهم بعد مماتهم شبيهٌ بها في حياتهم، ولو كان هذا الفقيه في بلاد إيران، أو الهند، أو غيرهما، لكان قبراً مشيّداً معظماً، كما يكون هو في حياته"[١].

وفي موضع آخر يقول، معلّقاً على موضوع ضياع قبر المحقّق الميسيّ (ت:٩٣٥هـ): "كذلك قبرهُ غير معروف، لأنه في بلاده مضيعة العلماء أحياءً وأمواتاً"[٢]، ويكرر هذه في ترجمته له في الأعيان كذلك[٣].

ومع إجلالنا لرأي السيد محسن الأمين، فإنّا لم نجد هذه الشكوى ـ حسب الاطلاع تبثّ من غيره، وإن كانت فإنها قليلة على ما يبدو، ولعلّ ظروفاً قاسية ألمّت به دعته إلى ذلك، إضافة إلى ما نجده من إجلال للعلماء بلبنان إجلالًا ليس بعده إجلال لأقلّ طلبة العلم، فكيف بالعلماء الفقهاء المجتهدين؟ فلعل ذلك الأمر كان في فترة طارئة مرّت على جبل عامل وأهلِه.

خاصّة ونحن نرى ما يحظى به العلماء اللبنانيون الشيعة اليوم، على أكثر من صعيد اجتماعي واقتصادي وسياسي، من تأيّيد والتفات جماهيري واسعين، حتى غاب دور العائلات الشيعية التقليديّة، عن معظم الساحات

١- الأمين، محسن: خطط جبل عامل، ص٢٢٢.
٢- الأمين، محسن : خطط جبل عامل، ص٣٠٥.
٣- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٢/٣٤٩.

وصاروا أثراً بعد عين.

وختاماً فلعلّ من المناسب، إيراد ما ذكره السيد محسن الأمين نفسه، من مقارنة بينه وبين أحد كبار المراجع في زمنه؛ وهو المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت: ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) حيث يقول: "ومن لطيف الاتفاق أن سنة ولادته موافقة لسنة ولادتنا، ومجيئه إلى العراق في سنة مجيئنا إليها... وكان شريكنا في درس الشيخ ملّا كاظم الخراساني في الأصول. هذا مع المشابهة بيننا في الشكل، حتى كان كثير من الناس يشتبه بيننا وبينه، حين تشرفنا بزيارة النجف سنة ١٣٢٥هـ. وافترقنا عنه بالمسكن في مضيعة العلماء، وبما نحمد الله عليه، من أننا لم نبتلي بما ابتلي به، فلعلّ سكنانا ببلاد المضيعة، كان لخيرٍ أراده الله بنا، وبأنه اشتغل بأمور الرئاسة والتدريس وبأجوبة المستفتين، واشتغلنا طول عمرنا، وفي ليلنا ونهارنا، في انزوائنا بالتأليف والتصنيف والقضاء، وبعض مصالح العباد وأجوبة المستفتين..."[١]!.

وفي النص أعلاه، جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية، التي ذكرت لعدم وصول اللبنانيين، إلى موقع المرجعية الكبرى للشيعة.

١- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ٢/٣٦٠.

المبحث الثاني:

ولاية الفقيه، تطوّرها أدلّتها وأثرها في الساحة اللبنانيّة

إنّ أول من وضع مصطلح، (ولاية الفقيه) بهذا التركيب، الشيخ أحمد النراقي (ت: ١٢٤٤)[١] ، تلميذ الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وكانت تذكر قبله مجرّدةً، أي دون إضافتها للفقيه، الذي قد يذكر بأنه نائب الإمام، كما مرّ،واستمّر هذا المصطلح ولم يطرأ عليه تغيير، منذ عهد ذلك الفقيه.

والمصطلح مركّب من الولاية، المضافة الى الفقيه. أمّا الولاية فإنها تعود الى الفعل (ولي)، فيقال: "وليتُ الأمر إليهُ، بكسرتين، ولاية بالكسر تولّيته، وولّيت البلد، وعليه، وولّيتُ على الصّبي والمرأة، ..والولاية بالفتح والكسر النصرة.. وكلّ من ولي أمر أحدٍ فهو وليّه[٢]، و" الولاية النصرة، والولاية تولّي الأمر"[٣]. "وقال ابن الأثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها، لم ينطلق عليه اسم الولي... ابن السكّيت: الولاية بالكسر السلطان، والوَلاية والوِلاية النصرة"[٤].

والمعنى الذي يتناوله الفقهاء، في مدوّناتهم الفقهيّة، إنما يريدون معنى التدبير والسلطان، والقدرة، لا معنى النصرة والمحبّة والقرب، وبهذا يكون المعنى الاصطلاحي، قريباً من قولنا: سلطة الفقيه، وهي سلطة مستمدّة، من فهم اجتهادي للشريعة الإسلامية. وأمّا حدود هذه السلطة

١- النراقي، أحمد بن محمد مهدي: عوائد الأيام، ص ١٠٩، ٢٠٦ ." أحمد بن محمد مهدي النراقي (نراق، مدينة بإيران): فقيه غزير وعالم كبير، هاجر مع أبيه إلى النجف بعد دراسته المقدمّات ببلده، ثم حضر على أكابر علماء عهده مثل السيّد محمد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهما، ثم عاد الى بلده مرجعاً لها، له مؤلفات فقهية عدّة، وديوان شعر بالفارسي. (الأميني، محمد معادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ١٢٨٧/٣).

٢- الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص ٢٥٨.

٣- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب: المفردات في غريب القرآن، ص ٥٣٣.

٤- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ٤٠٧/١٥.

ومجالات تفعيلها، فمسألة خلافيّة، حسب فهم الفقهاء للأدلة الشرعيّة، التي تناولت الموضوع.

وأمّا الفقيه، فهو هنا بخصوص الفقه الديني، أي أنْ يكون مجتهداً قادراً، على استنباط الأحكام الشرعية، مع بقيّة الشرائط المطلوبة في الفقهاء المراجع[١]، ويعبّر عنه بـ (الفقيه الجامع للشرائط).

وقد انقسم الفقهاء، أقساماً ثلاثة، في موضوع الولاية هذا، الأول؛ من قالوا: إنّ الفقيه شأنه، شأن أيّ مسلم آخر، فلا ولاية له مطلقاً على أحد، الثاني؛ من قالوا: أنّ الفقيه له ولاية مطلقة، على جميع المسلمين، شأنه في هذا الامر، شأن النبي ﷺ، ومن بعده من الأئمة عليهم السلام، والثالث؛ الذين قالوا: إنّ للفقيه ولاية خاصة، في بعض الموارد، التي لا يريد الشارع إهمالها، وتسمى عند الفقهاء، بالأمور الحسبيّة.

وقد غاب القسم الأول، من آراء الفقهاء ، وبقى القسمان الآخران، وبالتالي فإن فقهاء الشيعة المعاصرين – ومن سبقهم بأمدٍ ليس بالبعيد– هم بين قائل بولاية الفقيه المطلقة، وبين قائل بولاية الفقيه الخاصّة (الحسبيّة)[٢] ، فالكلّ إذاً مؤمن بالأصل، ولكنّ الاختلاف في سعة هذه

١- راجع أول مبحث المرجعية السابق.

٢- الأمور الحسبيّة، من الفعل حسب، والحسبة: مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حسبةً، واحتسب فيه احتساباً، الاحتساب طلب الأجر، والاسم: الحسبة بالكسر وهو الأجر، وانه لحسنُ الحِسبة في الأمر، أي حسنُ التدبير فيه، وليس هو من احتساب الأجر، وفلان محتسب البلد، (ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١/٣١٤، ٣١٧). وفقهيّاً (اصطلاحاً)، فقد ذكر لها الفقهاء مصاديق عدّة منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والتعزيرات والفتيا والقضاء والشهادة والإشهاد (البجنوردي ، حسن: القواعد الفقهيّة، ٤/٣٠١)، ورعاية القاصر واليتيم وحفظ مال السفيه وتجهيز الموتى، الذين لا ولي لهم، (الكركي، علي بن عبد العالي: جامع المقاصد، ١١/ ٦٦م)، والنظارة على المساجد والأوقاف (البجنوردي، حسن: القواعد الفقهية ٤/١٠٣)، وقد قسم الفقهاء المسلمون الستّة الأمور الحسبية، الى ثلاثة أقسام، حقوق الله، كالدعوة لصلاة الجمعة، وحقوق الناس العامة مثل الطرق، ومورد الماء العام، وحقوق الناس الخاصة مثل رعاية اليتيم وتجهيز الموتى. ثم الحقوق المشتركة بين الله تعالى والناس، مثل الحكم في نسب المختلف فيه من الأولاد، وإلزام النساء بالعدّة. (الماوردي، علي بن محمد:الأحكام السلطانية، ص ١٤٧).

الولاية وضيقها[١].

إنّ صعوبة الاستدلال تكمن في أنّ جميع الفقهاء، حينما يُسألون: هل إنّ للفقيه في الأصل، ولاية على الآخرين(سواء كانت مطلقة أو خاصة)؟ فإنّ الجواب يأتي بالسلب، أي أنّ الأساس: أنّ لا ولاية لإنسان على آخر، فالولاية لله تعالى، والجواب قطعيّ ويقينيّ، وعليه فلا بد من دليل قطعي ويقيني له قوّة هذا القطع السالب ويقينه، ولكنّه يأتي نتيجة موجبة.

"وكل ما يورد من أدلّة، من الكتاب والسنّة، فيه نقاش في الدلالة (من الكتاب العزيز)، أو السند والدلالة في السنّة، ويحتاج الى مشقّة، وجهد، علميّين كبيرين، للوصول الى ذلك اليقين، ولهذا فالنتيجة سالبة عموماً"[٢]. بل تمادى بعض معارضي الولاية المطلقة، فاعتبرها غصباً لحقّ الإمام ومنصبه، وإعتداءً على هذا المنصب[٣].

وتخلّصاً من ذلك، فإن بعض الفقهاء القائلين بولاية الفقيه المطلقة، ذهبوا الى أنّها بحث من أبحاث أصول الدين، وإثباتها لا يحتاج الى دليل نقلي، (من الكتاب العزيز أو السنّة المطّهرة)، بل إنّ دليلها هو العقل فقط[٤]، ولهذا يقول الإمام الخميني: " انّ ولاية الفقيه، من القضايا التي يكفي تصورها للتصديق بها، فهي لا تحتاج الى كثرة البرهان"[٥].

١- العاملي، محمد جميل حمّود: ولاية الفقيه في الميزان، ص٤٤.

٢- الأصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر، ص ٦٩–٧٠.

٣- جاء ذلك في عدة من الكتب الفقهية التي تضمّنت آراء بعض الفقهاء (ولا سيّما فقهاء المدرسة الأخباريّة)، الذين لا يذهبون الى ولاية الفقيه. (الباحث).

٤- أصول الدين ثلاثة: التوحيد والنبوّة والمعاد، ويضيف الشيعة الى النبوة الإمامة، والى التوحيد العدل، فتكون الأصول عندهم خمسة (كاشف الغطاء، محمد حسين: أصل الشيعة وأصولها،ص٢)، (الحسيني، محمد علي: دراسات في عقائد الإماميّة، ص ٢٨)، (الأنصاري، عبد الواحد: هذه عقيدتنا، ص ١٣٨)، فإذا اعتبرنا أنّ البحث في موضوع ولاية الفقيه تابع للإمامة، فهذا يعني أنها لا تحتاج الى ما تحتاج إليه، أحكام العبادات؛كالصيام والزكاة من أدلة، فكما يثبت التوحيد، والنبوة، والمعاد، بالعقل فكذلك الولاية(الباحث).

٥- (الإمام الخميني، روح الله: الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)، ص ٥)(الدهلكي، حميد: المرجعية، ص ١١١).

ولعلّ أفضل صيغة لإثباتها ما ذهب إليه أحد الفقهاء المعاصرين، بقوله: " إذا أجرينا تغّييراً طفيفاً،على منهج البحث، بأن تكون المقدّمة عقليّة، وهي أصالة الحاكميّة لهذا الدين، ووجوب إقامة الحكومة الإسلامية، وهما أمران يشكلان، موضع اتفاق لكلّ الفقهاء، ثم نطرح سؤالًا: ما هي شرائط الحاكم، الذي يتصدى لذلك؟ فإننا سنجد، أنّ صفة الفقاهة في الدين، تأتي في مقدمة تلك الشرائط، أي نفي صلاحيّة غير الفقيه، فتحصر الولاية والحاكميّة، في خصوص الفقهاء "[1].

بعد ذلك يستفاد من الروايات، لإثبات هذا القدر المتيقّن أي إثبات صفة الفقاهة للحاكم، ويتمّ الأمر بأبسط طريق. فهذه الصيغة تجعل من الدليل العقلي، مقدمة للأحاديث والروايات، الواردة في هذا الباب.

ويعترض فقيه آخر، على القول بأنّ صفة الفقاهة كافيةً لتولّي منصب الحكم، "لأنّ مجرد كون الإنسان فقيهاً، لا يؤهّله لحكم الأمّة، لأن الفقه يتصل بالجانب النظري في الإسلام، والولاية علم حركيّة التطبيق في قيادة الأمة، فعليه التحلّي بخبرات القيادة، ومجرّد الفقاهة، لا تجعل الفقيه مؤهّلًا لقيادة الأمّة، بل عليه امتلاك مؤهلات القيادة، وأوصافها، لإدارة شؤونها المختلفة"[2].

وقد يطرح سؤال كبير، حينما نجد غالبية فقهاء الشيعة المعاصرين – أو المتأخرين منهم، في القرنين الأخيرين على الأقل– يوردون الإشكال بعد الآخر، على مسألة ولاية الفقيه المطلقة، ويحاولون حصرها، في خصوص الأمور الحسبيّة، وبدائرة ضيقة. أليس أنّ المتوقّع، هو أن يورد هؤلاء الفقهاء من الأدلة، ما يثبتون به ولايتهم على أمور الأمة مطلقة، لا أنّ يجهدوا أنفسهم، لأثبات غيرها، فلماذا ينحى فقهاء الشيعة في الأغلب ، هذا المنحى؟

يمكن إرجاع هذا الموقف السلبي، عموماً، تجاه ولاية الفقيه المطلقة الى

١- الآصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر ، ص ٧٠.

٢- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد حسين فضل الله، ص٣٠٠.

عوامل عدّة منها:

١– العوامل العقديّة: حيث: إنّ عقيدة الشيعة، ركّزت على اشتراط وجود النصّ على الإمام، والعصمة فيه. وشكّل ذلك الاشتراط، عزوفاً عن تصور من يتصدى لإمامة المسلمين دون ذينيك الشرطين. ولهذا يبذل القائلون بالولاية المطلقة للفقيه، جهوداً مضنية لإثبات أن القول بها ، لا يزاحم موقع الأئمة، ولا يلغي الشرطين أعلاه.

٢– العوامل التأريخية: فقد أعرض أئمة الشيعة عن ممارسة الحكم – ولو ظاهريّاً – ونأوا بأنفسهم عنه، والرواة يروون أنّ الأمام علي بن موسى رضا عليه السلام (ت: ٢٠٣هـ) لمّا ولّاهُ، المأمون العباسي (ت: ٢١٨هـ) ولاية العهد، حاول التنصّل عنها والاعتذار منها، بل إنّه رفض الخلافة التي أراد المأمون إرجاعها إليه[١]. ومع تغيّر هذا العامل، أو ضمور قوّته، بعد قيام دول شيعيّة، فإنّ الفقهاء الشيعة، أخذت آراؤهم الفقهية، تميل نحو ولاية الفقيه.

٣– العوامل النفسيّة (ذاتية): حيث يمكن أن يُأوّل موقفهم السلبي، تجاه ولاية الفقيه، الى لون من ألوان التحرّج في الدين، أو التخوّف من تحمّل المسؤولية، وما يؤدي إليه الحكم من التعامل مع الدماء والأموال، وأموربالغة الحساسيّة أخرى.

٤– العوامل الفقهيّة: ونعني بها طبيعة التدقيق المعمّق لدى الفقهاء الشيعة، في إستنباط الأحكام الشرعيّة، ومحاكمة الروايات وتقليب وجوهها، فإذا ما ضعفت رواية، عن قوّة مطلوبة تؤدي الى الاطمئنان فلا يُعتنى بها. كما يمكن، أن يكون للنفس الفردي، في تناول الأحاديث والروايات، أثر مهم على النتائج، التي يصل لها الفقيه، فيما لو أعاد قراءتها كمسألة تّهم المجتمع المسلم، لا أنّها مسألة تعود اليه شخصيّاً وهل هو مؤهل لذلك أم لا.

وسنتوقف عند نقطتين في موضوع ولاية الفقيه هما:

١- (الأربلي، على بن عيسى: كشف الغمّة في معرفة الأئمة٣٢/٦٩)، (الصدوق، محمد بن على بن بابويه : عيون أخيار الرضا، ١/١٥١)، (المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد، ص٣١٠).

النقطة الأولى: أدلة القائلين بولاية الفقيه المطلقة

لا بّد أن نتوقّف ، عند أهم الأدلة، التي أوردها القائلون، بولاية الفقيه المطلقة، وهي:

أولاً: القرآن الكريم: والأدلّة التي ذكرها الفقهاء، لإثبات الولاية، إنّما يريدون بها الولاية المطلقة، ويعتمد مجتهدو الشيعة، على أربعة مصادر، لاستنباط الأحكام الشرعّية، وهي: القرآن الكريم، السنّة المطهّرة، الإجماع، والعقل. فإذا أردنا أن نثبت الولاية المطلقة للفقهاء، عن طريق القرآن الكريم، فلا نجد آية صريحة، في هذا الموضوع، ولهذا فإنّ القائلين بالولاية المطلقة يلجأون، الى بعض الآيات القرآنية الكريمة، كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

بتقريب أنّه لا بّد من وجود ولي أمر في كلّ زمان، وأنّ الفقيه الجامع للشرائط، هو أكثر أهليّة من غيره لتولّي ذلك في عصر الغيبة. أو كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.... ﴾[2].

بتقريب أنّه لا يعقل أن يكون كلّ مؤمن وليّاً للأخر ومولىً عليه، فلا بدّ من وجود المؤمن، الذي يكون وليّاً لبقيّة المؤمنين، بزعامته ومرجعيتّه، وليس هناك أصلح لهذا الموقع من الفقيه.

وقد رّد عليهم، بأنّ طاعة ولي الأمر، تكون لمن يتولاه، سواءً كان فقيهاً، أو غيره، من عدول المؤمنين[3]، كما وردّ عليهم أنّ الآية الكريمة الثانية، جاءت لذكر، بعض صفات المؤمنين والمؤمنات، في تآزرهم، وهي بعيدة عن موضوع الحكم،

١- سورة النساء/ الآية ٥٩.

٢- سورة التوبة / الآية٧١.

٣- لم يقتصر تفسير قوله تعالى ﴿....وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ على الفقهاء، بمفسري المسلمين الشيعة فقط، حيث نجد أن هذا التفسير، أخذ به عند بعض علماء المسلمين السنة. فقد ورد أنهم " أهل القرآن والعلم، وهو اختيار مالك رحمه الله ونحوه قال الضّحاك، قال: يعني الفقهاء والعلماء في الدين". (القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٩/٥) " وأنهم العلماء، الذين يفتون في الأحكام الشرعية" .(الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير، ١٤٤/١٠).

كما أنّ القرآن الكريم كان يخاطب النبي ﷺ زمن نزولها، ولم يكن الفقهاء مخاطبين بمسائل إدارة شؤون المجتمع آنذاك.

إن ما ورد من القرآن الكريم، مما يصلح كدليل على ولاية الفقيه، قليل جدّاً.

ثانياً: الروايات:

وهي أكثر ما اعتمد عليه الفقهاء الشيعة القائلون بولاية الفقيه المطلقة، وفيها تأكيد واضح على تلك التي وردت، عن أئمة أهل البيت، باعتبار أن أحاديثهم، تمهّد لدور الفقهاء في عصر الغيبة بعدهم. وقد أوصل بعض الفقهاء تلك الأحاديث، الى إحدى عشرة مجموعة، وهي كالتالي:

١- ما ورد أنّ "العلماء ورثةُ الأنبياء"[١]. بدعوى أنهم يرثون ما كان للأنبياء عليهم السلام من مواقع، لا إرث المال، لعدم وجود صلة نسبية. ومن ضمن تلك المواقع؛ الحكم وإدارة الدولة. وردّوا عليهم: أ - أنّ الرواية مهملة، ولم تبين ما يراد بالإرث، ب- وأنّ مقتضى الإرث، توزيعه على جميع العلماء، لا خصوص فقيه له الولاية فقط، ج - وأن أبرز مصاديق إرث الأنبياء للعلماء هو العلم، د- أنّ العلماء هنا، يقصد بهم، خصوص الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، دون غيرهم.

٢- ما ورد أن "العلماء أمناء الرسل"[٢]: والأمانة تطلق على حفظ المال، ولعدمه هنا بالنسبة للعلماء، فلا بدّ أنهم، أمناء على ما كان يحفظه الرسل؛ من الأمور الشرعيّة، وإدارة شؤون الرعية، ولازمه رجوع الرعّية الى الفقيه، ولا يكون ذلك، إلا بجعل الولاية له.

وجاء الرّد على ذلك، أ- بأنّ متعلق الأمانة هو خصوص الدين، وأحكام الشريعة فحسب، ب- كما أن المقصود من العلماء هنا، هم خصوص أئمة

١- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ١٨/٥٣ (الحديث رقم ٢).
٢- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ١/٤٦ (الحديث: ٥).

أهل البيت، أي كما ورد على المجموعة السابقة.

٣- ما ورد من أن "العلماء خلفاء رسول الله ﷺ"[١]. الخليفة معناه أن يقوم السلف، بصلاحيات الخلف ومسؤولياته ، كما أنّ الخلافة، يتفرّع عنها الحكم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢].

وجاءت المناقشة: أ- أنّ الخلفاء هنا،هم خصوص الأئمة عليهم السلام، ب- وإن مقتضى ذلك، أن يثبت للفقيه كلّ ما كان للنبي ﷺ، وليس الأمر كذلك، فليزم التخصيص بأبرز هذا الأمور وهو العلم، ج - إضافة الى ضعف السند.

٤- ما ورد "أن الفقهاء قادة"[٣]. ومقتضى ذلك أن يتولوا قيادة المجتمع، وإدارة أموره. ويردُ عليه ما يرد على المجموعة السابقة إعلاه.

٥- ما ورد "أن العلماء كسائر الأنبياء قبلي" أو "أنهم كأنبياء بني إسرائيل" أو "أفضل منهم...."[٤]، ونحن لا نشك في ثبوت الولاية للأنبياء، ومقتضى التشبيه، مع عدم ذكر وجه الشبه، ثبوت ما للمشّبه به للمشّبه، إلّا ما خرج بالدليل، فتكون الولاية للفقهاء.

وردوّا عليهم: أنه لم يثبت أنّ لكل أنبياء بني إسرائيل ولاية، والدليل ما ورد في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٥] حيث لم يكن للنبي صفة قيادة المجتمع، فطلبوا قائداً يقودهم ضد عدوّهم، وكان ذلك القائد هو

١- (ابن شعبة، الحسن بن علي: تحف العقول، ص ٢٣٨)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة، ١٨/١٠- الحديث: ٧).

٢- سورة ص/الآية (٢٦).

٣- (المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار: ١٥٨/١ - الحديث: ٩)، (الطوسي، محمد بن الحسن: أمالي الشيخ الطوسي، ص ٤٨٥).

٤- النراقي، أحمد: عوائد الأيام. ص٢١٥). (المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ١٩٦/١ - الحديث: ٦٧).

٥- سورة البقرة الآية/٢٤٦.

طالوت.

٦- ما ورد: أنّ "العالم ولي من لا ولي له"[١]. ومقتضى ذلك، أنَّ يكون العالم، هو ولي الأمر في زمن غيبة الإمام(عليه السلام)، حيث لاولي للمسلمين سواه، فكلّ ما يصلح أن يكون له ولي، فإنَّ الفقيه يكون وليّه.

وردوّا على هذا الدليل؛ أ- أن الرواية ضعيفة السَنَد، ب - وأن العالم هنا هو الإمام(عليه السلام)، لا غيره، ج- وأنّ الولاية هنا،هي الولاية له، لا الولاية عليه، التي هي محل النزاع.

٧- ما ورد "أن العلماء حكام على الملوك كما أنّ الملوك حكّام على الناس"[٢]، ذلك بتقريب: أنَّ الملوك هم ولاة الأمور، ولمّا كان العلماء حكاماً عليهم، فيقتضي أنّ يكونوا بدورهم ولاة الأمر، وتكون السلطة لهم. ويردُ عليهم: أن سلطة العلماء تعني، السلطة الشرعية والروحية، لا أنّ العلماء، فعلًا يحكمون الملوك.

٨- ما ورد عن الإمام الثاني عشر(عليه السلام) "[٣] ... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليكم"[٤]. استدل بها بما يلي، أ- وقد عرّف الرواة هنا بالفقهاء، دون سواهم، ب - وإنّ (الحوادث الواقعة) تدل على مطلق الحوادث، المرتبطة بالحياة، فتشمل الحكومة والولاية، ج- ثم (فارجعوا فيها) أي في تلك الحوادث نفسها لا في مجرد تعييّن حكمها الشرعي، د- فلا بد من اتباع الحجةّ، ومقتضى ذلك: كون الولاية له[٥]، هـ- وأنّ الرواية منحت الولاية

١- الروحاني، محمد صادق: فقه الصادق، ٢٩٧/١٣ .
٢- الكراجكي، علي بن عبد العالي، كنز الفوائد، ٣٣/٢.
٣- وهي الرواية التي اعتمدها السيد محمد باقر الصدر حينما ذكر: أنّ للمجتهد الولاية الشرعية العامة. (الصدر، محمد باقر: الفتاوى الواضحة، ص ٢٩-٣٠).
٤- (الصدوق، محمد بن علي القمي: كمال الدين وتمام النعمة، ٤٨٣/٢ - ٤٨٤)، (الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة ١٨/ص ١٠١).
٥- الحيدري، محسن: ولاية الفقيه، ص ٢٠٨-٢١١.

للفقيه، على أساس كفاءته العلميّة[١].

ورُدّ عليهم: أنّ الرجوع الى العلماء والرواة، لأنهم يعرفون الأحكام الواردة، عن أهل البيتعليهم السلام في الأمور الشرعية، وليس له علاقة بالحكم والإدارة[٢]. وتعتبر هذه الرواية من الروايات المهمة في هذا الباب.

٩- ما ورد أنّ " العلماء كافلون لأيتام آل محمد "[٣]. ومقتضى الكفالة: هو التولّي لشؤونهم، والأيتام هنا هم المسلمون، والكفالة مطلقة، فتشمل الحكم إضافة الى العلم. وردوّا عليهم بأن المراد بالكفالة هنا، تعليمهم الأحكام الشرعية الموجبة لتربيتهم.

١٠- وهي أهم مجموعة، في ما يذكره الفقهاء القائلون بالولاية المطلقة، من أدلّة. (وكذلك ما ورد في الفقرة السابقة)، وتشمل الأحاديث والروايات، الدّالة على أنه من عرف أحكام أهل البيتعليهم السلام، فهو حاكم وقاض. وأهم ما فيها روايتان:

أ- مقبولة عمر بن حنظلة،[٤] عن الإمام الصادقعليه السلام (ت: ١٤٨هـ): " من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته حاكماً.... "[٥].

وعرفت بالمقبولة؛ لأنّ فقهاء الشيعة تلقّوها بالقبول رغم عدم وجود توثيق صريح، باسم الراوي[٦] .وظاهر الرواية أنّ الإمامعليه السلام، أعطى الفقيه

١- الحائري – كاظم: الإمامة وقيادة المجتمع، ص ٢١٣.
٢- مقابلة شخصية سابقة مع السيد محمد حسين فضل الله ص٣٠٠.
٣- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ١/ ١٨١ (الحديث: ٣).
٤- عمر بن حنظلة: أبو صخر، عمر بن حنظلة الكوفي العجلي البكري، صحب الإمامين محمد الباقر(ت: ١١٧هـ) وجعفر بن محمد الصادق (ت: ١٨٣هـ). وكان كثير الرواية، كما روى عنه أجلّاء رواة الحديث الشيعة الإمامية. (الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث، ١٤/ ٣١–٣٥)
٥- (الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ١٨/ ٩٨) (الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، ١/ ٦٧).
٦- الآصفي، محمد مهدي: ولاية الفقيه، ص ٧٥.

منصباً، كما كان يفعل سلاطين ذلك الزمن، والرواية واضحة في جعل الفقيه حاكماً، والحاكم هو الولّي المتصرف، في الشؤون العامّة. وإنّ إعطاء الرأي، في القضايا الاجتماعية، والسياسية، يجب أن يكون بيد الفقهاء، وإلا وقع المجتمع في الفوضى[١].

وردّوا عليهم: أ- إنّ الرواية جاءت في خصوص القضاء، فلا تتعداه الى غيره. ب- وأنها كانت زمن الحضور لا الغيبة، فلا يتعدى حكمها مرحلتها الزمنية، الى غيرها[٢].

ب- مشهورة أبي خديجة،[٣] عن الإمام الصادقعليه السلام: " إياكم إذا وقعت بينكم خصومة.... أن تتحاكموا الى أحد من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلًا، قد عرف حلالنا وحرامنا، فإنّي قد جعلته عليكم قاضياً، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً، الى السلطان الجائر"[٤].

والاستدلال بهذه الرواية، والرّد عليها من المعارضين، عينُ ما ذُكر في الرواية السابقة، من كونها: جاءت في خصوص التنازع والتخاصم، عند القضاة، وأنها كانت زمن حضور الإمام لا زمن غيبته.

١١- ما ورد عن الإمام الحسينعليه السلام: "إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على الحلال والحرام"[٥]. ومعنى جريان

١- (الحائري، كاظم: الإمامة وقيادة المجتمع، ص ٢١٠ -٢١١)(طحيني، محمد: ولاية الفقيه بشيق القصيد، ص ٢٦).

٢- ذكرنا في التمهيد: أنّ اعتماد هذه الرواية أحدث نقلة في الفقه الشيعي، حينما فهم عنها بعض الفقهاء إذناً عاماً، وان وردت في مورد خاص.

٣- أبوخديجة: " وهو سالم بن مكرم بن عبد الله، يقال: أبو سلمة الكناسي، يقال: صاحب الغنم مولى بني أسد الجمّال، روى عن الإمام جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ) وولده الإمام موسى بن جعفر (ت: ١٨٣هـ)، له كتاب يرويه عنه عدّة من الرواة. ويعرف بالشيخ الصالح الثقة، كان يعرف بأبي خديجة فكنّاه الإمام الصادق بأبي سلمة. (الكشي، محمد: الرجال،٦٤١/٢) (الخوئي، أبو القاسم: معجم رجال الحديث، ٢٦/٨-٢٧).

٤- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، ١٠٠/١٨.

٥- ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي: تحف العقول عن آل الرسول، ص ١٦٩ -١٧١.

الأمور والأحكام، على يد الفقهاء بأنها تلك الأمور المتحركة مع الحياة، وما تحتاج إليه، من شؤون تنفيذيّة، وتوجيه لها[١].

وجاء الرّد على هذه الرواية، أ- أنّ المقصود من العلماء هنا هم الأئمةعليهم السلام فقط، ب - والأمور هي نفسها الأحكام الشرعية، ولا تعني الولاية على الأمور العامة[٢]، وأما الواقعة، فتعني الأمور التي لا بد أن تقع مع الحياة، أي الأمور الحسبية، كما أن كلمة (مجاري)، هي جمع (مجرى)، وهو اسم مكان، أي محلّ جريان الأحكام الشرعية، ولا علاقة له بالولاية[٣].

وبهذا نكون قد ذكرنا، مجاميع الروايات الإحدى عشرة، التي استدل بها القائلون بالولاية المطلقة للفقيه، ويمكن أن يقال: أنّ كُل رواية (ومجموعة لوحدها) يمكن أن تكون غير كافية، على إثبات القول بولاية الفقيه المطلقة. ولهذا عمد بعض مناصريها، الى ضَم كل هذه الروايات، ليقول: " لو كان هناك سلطان، في ناحية ما، وأراد أن يسافر، فقال في حقّ شخص، بعض ما ذكر أعلاه – فضلًا عن جميعه – بأنه: خليفي، وبمنزلتي، والكافل لرعيتي، والحاكم من جانبي، وحجتي عليكم، والمرجع في جميع الحوادث لكم، وعلى يده مجاري أموركم وأحكامكم.فهل يبقي لأحد شكّ، في أنّ له فعل كل ما للسلطان فعله، في أمور الرعّية بتلك الناحية إلّا ما استثناه؟ "[٤].
ويؤكد هذا المعنى، المرجع الشيخ محمد حسن النجفي، صاحب الجواهر (ت: ٢٦٦ هـ) بقوله: " فمن الغريب وسوسة بعض الناس في ذلك، بل كأنه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً، ولا فهم من لحن قولهم (عليهم السلام) ورموزهم أمراً، ولا تأمّل المراد من قولهم: إنّي جعلته عليكم حاكماً، وقاضياً، وحجةً، وخليفة، ونحو ذلك، لمّا يظهر منه؛ إرادة نظم زمان الغيبة لشيعتهم

١- الأصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر، ص ٨٠.
٢- فضل الله، محمد حسين، مقابلة شخصية سابقة ص٣٠٠.
٣ -اعتمدنا في إيراد هذه المجموعات الإحدى عشرة على على مصادر عدّة أهمها كتاب (النور الساطع، لمؤلفه الشيخ علي كاشف الغطاء، ج١/ من ص ٣٦٠ – ص ٣٧٥، باختصار وتصّرف). (الباحث).
٤- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ٣٧٩/١.

وبالجملة؛ فالمسألة من الواضحات، التي لا تحتاج الى أدّلة"[1].

ولعلّ من المناسب هنا القول، بأن الفقيه، في بعض الأحكام يمكن له أن يسعى لمحاولة اكتشاف نفَسَ الشريعة المقدّسة، وطبيعة نظرتها لمسألة ما، أو علاجاً لأخرى، من مجموعة أحاديث أو روايات، تشكّل بمجموعها – إذا جُمعت– ما تعين الفقيه على ذلك الاكتشاف. أي أنّ حديثاً واحداً، مهما بلغت درجة وثاقته، قد لا يعطي المراد كلّه، ولكنّ إذا ضمّ الى منظومة أحاديث أخرى، فإنها تشكل – جميعها– رؤيةً شرعيةً، لمسألة من المسائل. فيجب عدم الاقتصار، على دراسة كل حديث لوحده، بل تؤخذ مجموعة الأحاديث، التي تعالج مسألة ما، ويسعى الفقيه لاكتشاف ذوق الشريعة إزاءها. ولعلّ أدلة ولاية الفقيه هي من هذا الباب، وهذا هو المعنى، الذي أراد الفقيهان، صاحبا النصّين أعلا بيانه وتوضيحه.

وإذا أردنا مزيد توضيح لهذه النقطة، فإنه يمكن مقارنتها، مع فكرة ما يعرف، بـ (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، التي تقوم على جمع كلّ الآيات القرآنية الشريفة، التي تتناول موضوعاً ما، وتفسيرها معاً، والخروج من هذا التفسير، بمحاولة معرفة الفهم القرآني الكريم، لذلك الموضوع. مع التأكيد على عظمة القرآن الكريم، وعدم مقارنته مع أي نصّ آخر، ولكنه مثل لتقريب الفكرة.

ثالثاً: الإجماع:

وهو ثالث الأدلة ،التي اعتمدها القائلون، بولاية الفقيه المطلقة، لأثباتها. والإجماع هنا بمعنى: إجماع آراء الفقهاء، على مسألة فقهية، حيث يكتشف من هذا الإجماع، وتقارب آراء الفقهاء على فهم موحّد، أو متقارب لتلك المسألة، الذي يؤدي الى اطمئنان النفس، في عدم مخالفتها للتشريع المقدّس.

١- النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ٢١/٣٩٧.

وقد خاض الفقهاء، في موضوع (الإجماع)، وأدلته، وشرائطه، وعناصره، وأشبعوه بحثاً. وفي بحثنا، نجد أنّ بعض الفقهاء القائلين بولاية الفقيه المطلقة، ادّعوا الإجماع عليها، كدليل من أدلة إثباتها. ولعّل من المستغرب أن يدعى الإجماع، في مسألة خلافيّة كهذه بين الفقهاء!.

وإذا حاولنا تفسير ذلك، أمكن لنا القول: إنّ دعاوى الإجماع، نقلت عن مصنفات، وآراء فقهية، تعود للفقهاء القدامى من الشيعة، حيث يبدو أنّ غالبيّة الفقهاء الماضين القدامى، كانوا يذهبون الى القول بالولاية المطلقة للفقيه، ثم تغيّر الأمر من أيام المرجع الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ)، الذي علّق بعد مناقشة أدلة ولاية الفقيه بقوله: " ... وبالجملة، فإنّ إقامة الدليل، على وجوب إطاعة الفقيه كالأمام، إلا ما خرج بالدليل، دونه خرطُ القتاد[١]،[٢].

حيث تغلّب رأيه في قصر الولاية، على الأمور الحسبية فقط، على رأي من جاء بعده، من الفقهاء حتى عصرنا هذا (وخاصّة حوزة النجف)، بما كان لهذا المرجع، من حضور مهم، في الحوزات العلميّة الشيعيّة. مع عدم غياب من يذهب من الفقهاء الى الولاية المطلقة، في عصر هذا المرجع، أو قبله أو بعده. حيث ينقل: أنّ الجدال احتدم ذات يوم، بين المرجع، الشيخ محمد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦هـ)، وأحد فقهاء عصرِه الشيخ محسن خنفر (ت:١٢٧٠هـ)، والقائل بولاية الفقيه المطلقة، فقال له المرجع، إنّ كان الأمر كما تقول، فإني أحكم بطلاق زوجتك فردّ عليه: أثبت الصغرى[٣]. " ويذكر بعض الفقهاء"، أنّ الإجماع على نوعيهِ[٤]، متحقّق في موضوع ولاية الفقيه،

١- القتاد: شجر شاكٍ صلب.... وهو قضبان مجتمعة، كلّ قضيب منها ملان ما بين أعلاه وأسفله شوكاً وفي المثل: من دون ذلك خرط القتاد." (ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ٢/ ٣٤٢).

٢- الأنصاري، مرتضى: المكاسب، ص ٣/ ٥٥١.

٣- (الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ١٣/ ٢٣٧)، (الخوئي، أبو القاسم: مصباح الفقاهة، ٥/ ٣٩). والصغرى: أي اثبت أنك مجتهد أصلًا!!.

٤- الإجماع أي إجماع آراء الفقهاء على مسألة معينة في الفقه، وهو على نوعين: ١. إجماع منقول،=

حيث رأى عدد من الفقهاء: إنّ هناك إجماعاً على القول بالولاية المطلقة، كما ينقل هذا الإجماع عن: المرجع السّيد محمد مهدي بحر العلوم (ت: ١٢١٢هـ) في كتابه (البلغة): " إنّ حكاية الإجماع على ذلك فوق حدّ الأحصاء "[1]، وعن الشيخ أحمد النراقي (ت: ١٢٤٤ هـ) في عوائد الأيام: " أنه نصّ عليه كثير من الأصحاب، بحيث يظهر كونّه من المسلّمات "[2]. وقبلهما المحقّق الكركي (ت: ٩٤٠هـ): " اتفق أصحابنا، على أنّ الفقيه العادل الجامع لشرائط الفتوى، المعبّر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية، نائب من قبل أئمة الهدى، في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه مدخل... "[3].

ويمكن الوصول الى الأجماع المحصّل، من خلال الصلاحيات، التي تعطى إلى الفقيه، في موارد كثيرة؛ كالحقوق الماليّة، والتصرف بها، والإشراف على مرافق حياتيّة مختلفة، والنهوض بمسؤوليّات عدّة، حيث نجد مصاديقها، في الأيتام، والقاصرين، والمساجد، وتولّي الطلاق، في حالات معيّنة.... مما يكشف عن ثبوتها للفقيه[4]. أي أن قيام الفقيه، بنشاطات أوسع من دائرة إصداره الفتوى فحسب، يدل على ثبوت الولاية له.

رابعاً: الدليل العقلي: [5]

وقد اعتمد هذا الدليل لوحده، مجموعة من الذين قالوا بالولاية المطلقة،

= أي ينقله بعض العلماء في كتبهم فيقولون: إن تلك المسألة فيها إجماع، ٢. إجماع محصل: وهو الذي يكون نتيجة لجهد الفقيه نفسه، حيث يراجع أقوال العلماء، ويصل الى القول بالإجماع، وهو حجة يؤخذ به، وفقهاء الشيعة يقولون: أنّ هذا الإجماع يكشف، عن رأي الإمام المعصوم عليه السلام . بينما لا يعتبر النوع الأول من الإجماع حجة عند بعضهم. (الباحث).

١- بحر العلوم، محمد: بلغة الفقيه، ص٣/٢٣٤.

٢- النراقي، أحمد: عوائد الأيام ص ٢١٠.

٣- الكركي، علي بن العالي: رسائل الكركي / رسالة الجمعة، ١/١٤٢.

٤- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ص ٣٥٨-٣٥٩.

٥- ويقصد به هنا: " أنّ العقل إذا حكم بحسن شيء أو قبحه – أي أنه إذا تطابقت آراء العقلاء جميعاً بما هم عقلاء على حسن الشيء لما فيه من حفظ النظام وبقاء النوع، أو على قبحه لما فيه من الإخلال بذلك – فإنّ الحكم هذا، يكون بادي رأي الجميع، فلا بدّ أن يحكم الشارع بحكمهم لأنه منهم بل رئيسهم" (المظفر، محمد رضا: أصول الفقه، ٢/٢٣٧). =

على أساس أنّها مسألة، ترتبط بأصول الدين لا فروعه، فخرجوا بها عن الأدلة النقليّة (الكتاب والسّنة) ليذهبوا في اعتمادها، على الأدلة العقليّة، وأنّ ما يأتي من الأدلة النقلية هو مزيد دعم لها[١]. ومؤدّى الدليل العقلي هو: القول بأن «العقل يحكم، بوجوب أن يكون الذي يلي الإمام في مسؤولياته عند غيبته، أفضل الرعيّة معرفة بالأمور الدينيّة، وأبصرهم تدبيراً للشؤون الدنيويّة، مع تقوى، وإيمان، ليمنعانهِ من الخروج عن الحدود الدينيّة. لأنّ الله تعالى، يريد تطبيق شريعته، ولا تطبّق إلا مع وجود حكومة تنهض بذلك، وليس هناك أفضل من الفقيه، في فهم أحكام الشريعة، وتطبيقها»[٢].

كما أن ما عرف بقاعدة اللطف الإلهي، التي اقتضت إرسال الأنبياء عليهم السلام، لهداية البشر، وحيث إنّ علماء الشيعة، يذهبون الى أنّ هذه القاعدة العقليّة، تستمرّ في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، فإنهم – أي القائلون بالولاية المطلقة– يقولون: إنّ من المستحيل أن يُهمل الناس زمن الغيبة، دون من يرجعون إليه. كما "وأنّ حفظ النظام، لا يمكن طبعاً، من دون وجود ناظم وسائس، وثم إنّ حفظ بيضة الإسلام والدفاع عنه، أمام هجمات

= واقدم نصّ في كتاب فقهي شيعي، ورد أنه يلجأ الى الدليل العقلي: " إذا فقدت الثلاثة – يعني الكتاب والسنّة والإجماع – فالمعتمد عند المحقّقين التمسّك بدليل العقل فيها". (ابن إدريس، محمد بن أحمد الحلّي: السرائر، ص٢).

و"الإماميّة يذهبون الى أن الأشياء حسناً وقبحاً يدركهما العقل دون أن يأمر الشارع أو ينهى، وكل ما في الأمر أنّ بعض الأشياء يدرك العقل حسنها بكل يسر وسهولة، وبعضها لا بدّ له من التأمل والنظر". (الحسني، هاشم معروف: المبادئ العامة للفقه الجعفري، ص ٢٣٩).

ولعلّ من المفيد، ذكر ما أورده المرجع السيد محمد باقر الصدر، في مقدمة رسالته العمليّة الفقهية (الفتاوي الواضحة)، حيث قال: " إن الدليل العقلي الذي اختلف الفقهاء والمحدثون، في أنه هل يسوغ العمل به أولاً، فنحن وإن كنّا نؤمن بأنه يسوغ العمل به، ولكّنا لم نجد حكماً واحداً، يتوقف إثباته على الدليل العقلي، بهذا المعنى، بل كلّ ما يثبت بالدليل العقلي، فهو ثابت في نفس الوقت، بكتاب أو سنة". (الصدر، محمد باقر: الفتاوى الواضحة، ص ١٥).

١- جاء ذلك في دروس المرجع السيد حسين البروجردي (ت: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠ م) بحوزة قم. (معرفة، محمد هادي: ولاية الفقيه، ص ١١٣–١١٦). (الخميني، روح الله: كتاب البيع، ص ٤٦١–٤٦٢).

٢- مقابلة شخصية سابقة مع الشيخ حسن طراد، ص٢٢٠ .

أعداء الدين، من الواجبات العقلية والشرعية، ومثل هذا الدفاع، لا يتسنّى لأحد، إلا تحت ظلال قوات عسكريّة مناسبة، تابعة لحكومة صالحةٍ. وبعد ملاحظة هذه النقاط، يكون إهمال الأمة الإسلامية، وعدم عرض أطروحة مناسبة لقيادتها، بتشكيل الحكومة الإسلامية، غير منسجم جداً مع الحكمة الإلهيّة. ومن هنا نستنتج: أنّ الشارع المقدّس، لا بدّ وأن يكون، قد عرض أطروحة مناسبة لهداية الأمة، في زمن الغيبة"[1]. ويلاحظ أعلاه، استخدام العقل كدليل لإثبات الولاية المطلقة للفقيه، دون ذكر آية قرآنية كريمة أو حديث شريف، بل إن المسألة تمّت، بنقاش عقلي فحسب.

كما ذهب الى ثبوت الولاية المطلقة للفقيه، حتى مع القول بأن روايات أدّلتها لا تنهض بها، من خلال الاستحسان العقلي، " وهو لا يحتاج الى دليل خارجي، لأنّ امتداد الشريعة المقدّسة وخلودها، يتطلب امتداد الولاية والزعامة الدينيّة، المتمثلة في زمن الحضور برسالة الرسول الأكرم ﷺ وبعده بإمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام. وفي زمن الغيبة؛ بفقاهة الفقيه الجامع للشرائط .. اذ لا يمكن افتراض امتداد الشريعة وخلودها، بدون افتراض امتداد الولاية والزعامة الدينيّة. ضرورة أنّ الشريعة في كلّ عصر بحاجة الى التطبيق والتنفيذ.."[2]. وأن الفقيه الجامع للشرائط هو أقرب الناس الى أوصاف الإمام بعد غيبته، فيتعين أن يكون هو الذي يحلّ محلّه[3].

كما صاغ أحد فقهاء حوزة قم المعاصرين، الدليل العقلي، بما ملخّصه: "إنّ للنبي ﷺ وظيفتان هما: مرجعيّة في تبليغ الوحي والرسالة، وسياسيّة في قيادة الأمة، وقد استمرّت هاتان الوظيفتان، في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بعده، في تبليغ أحكام الدين، وقيادة الأمة. وأمّا في عصر الغيبة، فقد تم نصاب الشريعة، وبيان أحكامها، فلا أحكام أخرى لتبلّغ، وبالتالي لم تبق إلّا الوظيفة السياسيّة. وإذا لم تسند هذه الوظيفة للفقهاء، ساد الهرج والمرج

١- الخميني، روح الله: كتاب البيع، ٢/٤٥٩-٤٦٢.
٢- الفياض، محمد إسحاق: الانموذج في منهج الحكومة الإسلامية، ص ١٠-١١.
٣- الحيدري، محسن: ولاية الفقيه، ص ١٢٢٥.

في الأمة، فلا بّد إذاً من ولايتهم المطلقة[١]. وسبقه أحد فقهاء حوزة النجف بقوله: "إنّ العقل الحاكم بوجوب نصب الله الإمام، لحفظ البلاد، وانتظام أمر العباد، من حيث الأمور الدينيّة والدنيويّة، يحكم بوجوب نصب، من يقوم مقامهُ عند غيبته"[٢]. ويقول آخرون، من الذين يُدرجون الدليل العقلي، لإثبات ولاية الفقيه المطلقة: " بأنّ الولاية التي كانت للنبي ﷺ، ثم كانت بعده للأئمة من أهل بيته، تكون بعدهم لمن ؟ فلا بدّ أن توكل هذه الولاية، بعد عصر الأئمة لأحدٍ ما، وإذا دار الأمر، بين الفقيه وغيره، فإن الفقيه مقدّم، لأنه القدر المتيقن، ممن يحمل أوصاف المؤهّل، لإدارة شؤون الأمة، في عصر الغيبة[٣].

بينما انطلق آخرون، من النقطة التي وصل إليها، القائلون بالولاية الخاصّة (الأمور الحسبيّة)، ليناقشوهم بقولهم: إذا كانت الشريعة مهتمة، بعدم تضييع أمورٍ خاصّة أوكلتها للفقيه، فكيف يمكن تصوّر، إهمال الشريعة للأمور الخطيرة، والمهمة؛ كالسياسة والحكم دون جعلها للفقيه؟.

ولو حاولنا أن ندرس الأدلة التي أوردها الذين اعتمدوا الدليل العقلي، لإثبات ولاية الفقيه المطلقة، فإنّ غاية ما تثبته تلك الأقوال: ضرورة إقامة أحكام الشريعة، في عصر الغيبة، كما كانت هي ضرورية، زمن النبي ﷺ والأئمة من بعده. أمّا أنّ نجعل من ذلك دليلًا،على خصوص قيادة الفقيه (بصفته الفقهية فحسب)، فهو ما لا ينهض الدليل العقلي لإثباته، (والملاحظ في طريقة عرض الدليل العقلي هذا، أنه عين الأسلوب الذي يتبع في إثبات الإمامة بعد النبوّة، الذي درج عليه متكلمو الشيعة). فلماذا يكون الفقيه، هو المؤهل الوحيد لإدارة تطبيق الشريعة في عصر الغيبة؟ ألا يحتمل أن يوكل الأمر، الى عنوان آخر، مثل وجود شخصيّة إسلامية قياديّة ملتزمة، لها قوة وحنكة وإدارة قياديّة، أو مجموعة من المؤمنين الذين يسعون الى تطبيق أحكام الشريعة؛ (حزب، تنظيم، جماعة)، والى ما سوى ذلك من الاحتمالات،

١- آملي، جوادي: ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام، ص ٩٩–٩٠.

٢- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ١/٣٥٣.

٣- الدهلكي، حميد: المرجعيّة، ص ١٠٣–١٠٤.

وهم يرجعون في الوقت نفسه، الى الفقهاء للتشاور معهم، ومعرفة الأحكام عنهم؟. ثم إنّ الفقه – بما هو فقه – فإنما يعني معرفة أحكام الشريعة، والفقيه المجتهد، هو الذي يقوى على استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها، وقد يبلغ الإنسان منزلة علميّة متقدّمة، ولكنّه قد لا يمتلك المؤهلات الذاتيّة المطلوبة، في العمل السياسي، وقيادة المجتمع، فليس هناك ملازمة، لا عقليّة، ولا واقعيّة، بين الفقه لوحده، وبين القدرة على إدارة شؤون الحياة.

ولهذا يترجّح – إذا ما أردنا القول، بولاية الفقيه المطلقة– ما رآه الشيخ الآصفي سابقاً، من أنه لا بّد من الإستفادة، من الدليل العقلي، لإثبات أهّمية تطبيق الشريعة فقط، ثم يأتي من بعد ذلك توظيف الأدلة النقليّة، التي ذكرت أهميّة موقع الفقيه، حتى يتسنّى لنا، ترجيحه على بقية المؤهلين لقيادة، المجتمع وإدارته؛ (من شخصيّة قياديّة، أو تنظيم إسلامي).

وبهذه النقطة نكون قد انتهينا، من عرض الأدلة، التي أعتمدها الذاهبون الى الولاية المطلقة، التي تبقى موضوعاً للأخذ والردّ، باعتبارها مسألة حيّة، والأدلة فيها مختلفة، وتزداد أهميّة دراستها، مع انفتاح المسلمين على دينهم، وبحثهم عن النظريات والأطاريح، التي ذكرها فقهاء المسلمين، في كيفية تطبيق أحكام الشريعة المقدّسة.

وإنّ خطورة المسألة، لا تكمن في إثبات ولاية الفقيه، أو عدم إثباتها نظريّاً، ولكنها تكمن في محاولة الإصرار، على أنها هي الأسلوب الشرعيّ الوحيد، والمتعيّن، دون سواها، أي أن تتحوّل من أطروحة فقهيّة، تخضع لأدوات البحث العلمي الفقهي، الى كونها تمثل الحكم الشرعي الوحيد، المتعيّن دون سواه من اجتهادات الفقهاء. والأخطر من ذلك، انْ تتحول من أطروحة فقهية، الى موقف سياسي. كما أنّ في الأصرار، على أنها النظرية الإسلامية الوحيدة، قد يجعل من الذهن الفقهي الاجتهادي، ذهناً جامداً نائياً عن البحث، في أفكار جديدة، تغني الساحة الإسلامية، وتضع بين أيدي المهتمين، بحقل تطبيق الشريعة الإسلامية، خيارات متعدّدة، ورؤىً متنوعة.

ولو فرضنا، أنّ الأخذ بأطروحة ولاية الفقيه، فشل في موقع ما، من مواقع العالم الإسلامي، ولأيّ سبب كان، فإذا كنّا نقول: إنّها الأطروحة

الإسلامية، الوحيدة، والمتعيّنة، فهذا قد يعني القول، بعدم قدرة الإسلام على الحكم وفشله في ذلك، بدل أن يقال : أنّ فهماً لم يكن مؤهلًا للتطبيق، وليس الإسلام ككل. فإذا فشل هذا الفهم، فلا يعني ذلك فشل الفكرة بالضروة، لوجود بدائل اجتهادية أخرى.

اختيار الولي الفقيه

كان بحثنا حتى الآن يدور حول أدلّة القائلين، بالولاية المطلقة للفقيه، معتمدين على الشرائط، التي تذكر في موضوعات الفقه المختلفة. ولو فرضنا أنّ الأدلة كانت تامّة، وقلنا بالولاية المطلقة، فكيف يمكن التعامل مع الواقع، الذي يشير الى وجود، عدد من هؤلاء الفقهاء. هل إنّ هناك مرجّحات لاختيار هذا الفقيه، وتقديمه على من سواه من الفقهاء؟

وذلك " أنّ ظاهر الأدلة، أن منصب الولاية مجعول لجميع الفقهاء الذين لهم أهليّة إشغاله وصلاحية القيام بمهامّه "[1].

إنّ هذه المسألة قد تكون محلولة عمليّاً، إذ إنّ استلام ولاية الأمر الفعليّة، إنّما يتمّ في ظل دولة قائمة، وأنّ هذه الدولة لابدّ أن تعتمد فقيهاً من الفقهاء، دون سواه، كما صنع الشاه طهماسب الصفوي، مع الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، أو كما صنع الشاه فتح علي القاجاري، مع الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

أو أنْ يقود الفقيه نفسه، حركةً توصله الى إقامة دولة، يتولى ولايتها الفقيه نفسه، كما كان الأمر مع الإمام الخميني، والجمهوريّة الإسلاميّة بإيران. وأمّا ولاية السيّد الخامنئي الحاليّة، فيمكن جعلها نمطاً ثالثاً، يتمثّل في اختيار فقهاء الدولة وليّها الفقيه، من مجموعة فقهاء. وبعبارة أخرى فإن بروز فقيه دون سواه، لتولّي مسؤوليات دولة ما، يكون محاطاً بظروف موضوعيّة، وعوامل واقعيّة، تختاره دون سواه.

١- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ١/ ١٠٤.

ولكنّ الفقهاء من شأنهم، أن يطرحوا كلّ مسألة، على بساط البحث، ومقارنة الأدلة، ومناقشة الأراء، وهو ما حصل لـ (ولاية الفقيه)، التي واجهتْ في الدوائر العلميّة الفقهيّة الشيعيّة، حزمةً من الأسئلة والإشكالات، ومنها ما كان حول مرجّحات اختيار فقيه، من مجموعة فقهاء مؤهّلين، لتولي موقع الولاية المطلقة.

لقد عاد الفقهاء الى الأدلة، التي اعتمدت، لإثبات الولاية المطلقة، وواجهوها بسؤال كبير: هل إنّ هذه الأدلة جاءت لتقول إنها تنصّب كلّ فقيه لموقع الولاية، أمْ أنها جاءت، لتؤكد أهليّته لذلك فحسب؟ لقد ذهبت بعض الأراء الى أنها دلّت على عموم النصب، وأخرى على عموم التأهيل، وثالثة على عموم النصب ابتداءاً، واعتماد طرق الترجيح في باب التزاحم[١] الفقهي، انتهاءً.

فآراء المجموعة الأولى (عموم النصب)، جوبهت بمناقشات حادّة، تركزت في إستحالة تصوّر، أنْ ينصّب كلّ الفقهاء المؤهلين في عصر ما، لتولي هذه المسؤولية عمليّاً، فيكون الفقيه ولياً على غيره من الفقهاء، ومولّى عليه من نفس هؤلاء الفقهاء، وهو أمر مستحيل. ولهذا فإنّ غاية ما يمكن إستفادته، من أدلّة الولاية المطلقة أنّ الفقاهة، هي من شرائط الولاية.

وبهذه النتيجة ترجحت مقولة المجموعة الثانية (عموم التأهيل)، أي أنّ غاية ما نستفيده من هذه الأدلة عقليّةً أونقليّةً، القول بأن الفقهاء مؤهلون لها، وأمّا كيفيّة اختيار أحد هؤلاء الفقهاء المؤهلّين، فإنّما يُرجع فيها الى شرائط الترجيح؛ المتمثّلة في الفقاهة، والتميّز بالتقوى، والكفاءة.. ولأنه لم يصدر شيء محدّد في كيفية اختيار فقيه، من مجموعة فقهاء، فلا بدّ من العودة الى الأمة، والانتخابات لتحديد هذا الفقيه[٢].

١- من المصطلحات الفقهيّة (التعارض) و(التزاحم) بين دلالة دليلين شرعيين. حيث يتساقط الدليلان المتعارضان للشك في دلالتهما، بينما يتم تقديم أحد الدليلين المتزاحمين، على الآخر، ولا يسقطه. (الآصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر،ص٥٣).

٢- (الصدر، محمد باقر: الإسلام يقود الحياة، ص ٢٠) (الآصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر، ص ٩٢).

وأمّا المجموعة الثالثة، التي قالت بعموم النصب، لكلّ الفقهاء ابتداءً، ثم العمل بقواعد التزاحم انتهاءً، فإنهم أضافوا شرطاً مهماً- من الناحية العمليّة- وهو شرط الأسبقية، في التصدّي لأمور الأمّة السياسيّة والقياديّة. حيث يجب على بقية الفقهاء، عدم معارضة الفقيه، الذي سبقهم في التصدّي للنهوض بسؤولية ولاية الفقيه[1].

ولكنّ فقهاء آخرين طرحوا فكرة، قد تكون مختلفة عن كُلّ ما بُيّن أعلاه، وهي ما عرف في مبحث المرجعية السابق (بشورى الفقهاء)، وفرقها هنا: أنَّ على الولي الفقيه، أن يرجع الى مجموعة من الفقهاء للتشاور معهم، ولا ينفرد بقراراته. وهي فكرة، لم تستطيع إيجاد أرضيّة قبول مناسبةٍ لها - عملياً- في الحوزات العلميّة، ولم تلق كذلك قبولًا في الجمهورية الإسلامية بإيران، التي اعتمدت - في مسألة اختيار الولي الفقيه - مجلساً من كبار العلماء، عرف بمجلس الخبراء، الذي عهد إليه مهمّات عدّة؛ منها اختيار الولي الفقيه. وهو مجلس ينتخب من الأمة، وبالتالي فإنّ الأمة هي التي تقوم - بالنتيجة - بهذا الاختيار، بطريقة غير مباشرةً.

ولاية الفقيه خارج دائرة البحث الفقهي

إذا خرجنا من دائرة بحوث الفقهاء، وما يوردونه من أدلّة إثبات للولاية المطلقة للفقيه، أو أولئك الذين يناقشون في تلك الأدلة، وما يُستفاد منها، فإننا سنجد أنّ لولاية الفقيه، لوناً آخر عند المثقفين والكتاب الإسلاميين، من الشيعة، وربّما من غيرهم.

فهم لا يهتمون كثيراً، بسرد تلك الأدلة الفقهية، أو محاولة إثبات صحة الاستفادة منها، لإثبات الولاية المطلقة للفقيه. بل إنهم يأخذون هذا الموضوع، كمنهج فقهي رائد، وطرح اجتهادي متقدّم، يجدونه منسجماً، مع

= (فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١-١٩ (المسألة ٣٠). (وهبي، مالك: الولاية والمرجعية، ص ٨٤).

١- (الأصفي، محمد مهدي: ولاية الأمر، ص ٩٣- ٩٤)، (كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ١/ ٤٠١).

الدور المرتقب للمرجعيّة الدينيّة، ودور الفقيه المجتهد، ضمن المؤسسة الإسلاميّة الشيعية، التي تمتد بهم، من واقعهم الحالي، وحياتهم المعاصرة، وصولًا الى عصر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام[1].

وإذا تجاوزنا مثقفي الشيعة (أو أغلبهم)، ونزلنا الى عامّتهم، فإننا نجدُ أن النظرة الى المرجع الديني، كقائدٍ للأمّة، فكرة راحت تتعاظم، وقد يصعب على الإنسان المسلم الشيعي العادي، أن يفكّك بين دور الفقاهة، ودور القيادة. خاصّة وأنّه يعيش فكرة انتظار، ظهور الإمام الثاني عشر عليه السلام (المهدي)، الذي يؤمّل لأقامة دولة العدل الإلهي. فهو يدعو له في صلاته، كما ويردّد في كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان الفضيل هذا الدعاء... " اللهّم إنّا نرغب إليك، في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة... "[2].

فالإنسان الشيعيّ العادي، لا يهتمّ كثيراً بأدلة إثبات الولاية أو نفيها، لأنّ المرتكز في تصوّره وشعوره، أنّ الفقهاء الكبار ومراجع التقليد، هم نوّاب الإمام المهدي، وينظر اليهم والى المهمّات المناطة بهم، بما قد لا يراها بعض الفقهاء بأنفسهم! وشعورهُ هذا، لم يرتكز على الأجواء الدينيّة العامة التي يعيشها المسلمون الشيعة، وشدة ارتباطهم بعلمائهم، ولا سيّما المراجع منهم فحسب، بلّ إنّ من يرجع إلى الرسائل العمليّة وحتى لأكثر الفقهاء النائين بأنفسهم، عن الولاية المطلقة، يجد أنهم يعبّرون عن المجتهد الجامع لشرائط الفتوى، بـ (الحاكم الشرعيّ)، وهو عنوان لا يحتاج الى كثير تأمّل في فهمه، وأنّ المراد به: أنّ هذا المرجع، يجد في نفسه، أنّه هو الحاكم الشرعيّ، في مقابل (حاكم لا شرعيّ) هنا أو هناك، وحتى لو حاول الفقيه، أن ينأى بصفة الحاكم الشرعيّ، عن الأبعاد السياسيّة، فإنّه أمر لا يتعقّله المسلم الشيعيّ بسهولة.

١- حماده، طراد: ولاية الفقيه / جريدة السفير، ٢٠٠٧/٧/١١.

٢- القمّي، عباس: مفاتيح الجنان، ص ٢٣٧.

ولتوضيح معنى (الحاكم الشرعيّ) فإنّ " للمجتهد وظيفتين: الأولى: إصدار الفتوى المطابقة لرأيه، للراغبين في الرجوع إليه والعمل بفتواه، وقد اصطلح على تسميّته بـ (المرجع). والثانية: الحكم بين الناس، وذلك في مقام التقاضي عنده، في الخصومات والمنازعات، أو في مقام الرعاية للأمور الحسبيّة، مثل الأوقاف والقاصرين ونحوهما. أو في مقام التصدّي للقضايا العامّة للأمّة، فيما لو صار في موقع الحكم والولاية العامة، وهو ما يصطلح عليه بـ (الحاكم الشرعي ...) "[1]. إنّ مصطلح (الحاكم الشرعي) مصطلح شائع عند كلّ الفقهاء الشيعة، بغض النظر عن موقفهم، تجاه ولاية الفقيه المطلقة. لأن كلّ مسلم شيعي – فضلًا عن الفقهاء– يؤمن أنّ الولي الحقيقي للمسلمين، بعد رسول الله ﷺ، هم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، وهم لا يتصوّرون خروجها، عن دائرة الفقهاء بعد عصر الأئمة.

ولهذا نجد أن الفقهاء، الذين لا يقولون بولاية الفقيه المطلقة، علميّاً وبحثياً، يلجأون اليها عمليّاً، لأن الواقع يحتّم ، على الفقهاء المقلّدين من المراجع ذلك. إنّ بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، من جهة، وديمومة التواصل مع الفقيه المرجع المقلّد من جهة آخرى، يعني في ما يعنيه؛ عودة الناس إليهم، ولا سيمّا في المواقف المهمّة، والقضايا الحسّاسة. وقد سبق بيان هذا الجانب في مبحث المرجعيّة السابق.

فالنزاع إذاً، في ولاية الفقيه المطلقة، نزاع نظري–حسب ما نراه– والفقهاء الذين يمارسون بعض صلاحياتها عمليّاً مع عدم قولهم بها نظرياً، يدرجون هذا النمط من النشاطات، تحت عنوان (المحافظة على النظام العام)[2]. إذا ما اضطروا الى اتخاذ مواقف تتطلبها الساحة عملياً.

ولعلّ من الأمثلة البارزة على ذلك، في عصرنا هذا، ما كان قد حدث مع

١- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١/ ١٤.

والأصل في كلمة (الحاكم– أنها تعني (القاضي)، ثم غلب معنى الحكم، على معنى القضاء، في الفهم العام.(الباحث).

٢- مقابلة شخصية مع السيد محمد حسين فضل الله سابقة،(ص ٣٠٠).

آخر المراجع الكبار، بالنجف الأشرف، وهو الإمام السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م). والذي عرف عنه أنّه آخر أبرز الفقهاء الكبار، الذين ورثوا القول بولاية الفقيه، في الأمور الحِسبية فقط، وكيف قد اضطر الى التدخّل ضمن بيان أصدره، في الأحداث الدامية التي شهدها العراق، وخاصة مدينة النجف الأشرف، في شهر شعبان ١٤٩١هـ/ آذار ١٩٩١م، والذي عيّن من خلاله، ثمانية من العلماء، لإدارة شؤون المدينة.

ولقد تلقّت جماهير الشيعة ذلك البيان، باعتباره خطوةً، طال انتظارها من المرجعيّة، لقول كلمتها في الأحداث الخطيرة، حتى قد ذهب بعض الباحثين، أنّ السيّد الخوئي غير رأيهُ في ولاية الفقيه المطلقة آواخر حياته[1]، ولكن لا دليل على ذلك.

والمثال الآخر، الذي يدعم ما نراه؛ من أنّ كل فقهاء الشيعة، يقولون بالولاية المطلقة، نظرياً أو عمليّاً، المواقف والبيانات، التي أصدرها المرجع الأعلى الحالي، بالنجف الأشرف، وهو السيّد علي الحسيني السيستاني (ولد: ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)[2]، والذي راح الإعلام العالمي، ومراكز الأبحاث، يتابعان مواقفه، في أحداث الساحة العراقية، منذ احتلال القوّات الأجنبية، أراضي العراق عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ولحدّ الآن، وقد جمعت بياناته وتصريحاته في كتاب خاصّ صدر عن مكتبه، ببيروت[3].

وقد ذكرنا في الفصل السابق، الذي بحثنا فيه موضوع المرجعيّة،

١- الحيدري، محسن: ولاية الفقيه، ص ٢٤٩.

٢- ومما جاء في ترجمته: " عرف بالاعتدال والورع ودرجات العقل ونفاذ البصيرة خاصّة في ما يتصل بالشأن السياسي العراقي، حظي بإحترام جميع الأطراف... تراجعت الأمم المتحدة وسلطات الإحتلال عن بعض خططها بعد إصدار سماحته فتوى تبطل عمل مجلس كتابة الدستور (غير العراقيين) ووجوب إجراء انتخابات عامة لاختيار العراقيين من يمثلهم، في كتابة الدستور وإجراء تصويت عام عليه، على أن يقرّ الدستور الجديد مبدأ التعدديّة والشورى وإحترام الأقليات..." (الزبيدي، حسن: موسوعة الأحزاب الواقية ص ٤١٨).

٣- النصوص الصادرة عن سماحة السيّد السيستاني في المسألة العراقية، جمعها مدير مكتبه في لبنان حامد الخفاف عام ١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م. وفيه (٩٧) استفتاءً وبيان ورسالة. (الباحث).

بعض مواقف المرجعيّات الإسلامية الشيعية، في قضايا جهاديّة، وسياسيّة، وفكريّة، واقتصاديّة. وكلّ تلك المواقف، كانت قد صدرت من مراجع (حوزة النجف الأشرف)، لا يذهبون الى الولاية المطلقة للفقيه. وإذا توقّفنا عند آراء أبرز المراجع الشيعة في عصرنا، السيّد أبي القاسم الموسوي الخوئي، الذي يعتبر استاذ المراجع الحاليّين، على الإطلاق، وهو من أبرز المراجع، الذين لا يقولون بالولاية المطلقة، ومع ذلك فإنه يرى أنّ الجهاد لا يسقط زمن الغيبة، إذا دعت الضرورة إليه. فإن " هذا الأمر المهمّ بحاجة الى قائد وآمر، يرى المسلمون نفوذ أمره، فلا محالة أن يتعيّن ذلك، في الفقيه الجامع للشرائط. فإنه يتصدّى لتنفيذ هذا الأمر من باب الحسبة، على أساس أنّ تصديّ غيره لذلك، يوجب الهرج والمرج، ويؤدّي الى عدم تنفيذه بشكل مطلوب وكامل "[١].

فالأمور الحسبيّة، تتسع عند المرجع السيّد الخوئي الى حدّ تصدّي الفقيه، لقيادة العمل الجهادي ضد أعداء الإسلام. فماذا بقي إذاً للذين يقولون بالولاية المطلقة، وما الفارق العملي بين الحالتين؟. وأمّا بالنسبة للمرجع الأعلى الحالي، السيّد علي الحسيني السيستاني، فإننا نجده يذكر في بعض أبحاثه الفقهيّة، وهو يناقش الحديث الشريف (لاضرر ولا ضرار...) عن معنى لفظة (لا ضرار)، بأنه يُفهم منها أمور، منها: " قانون تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، وهذا من شؤون الولاية في الأمور العامّة الثابتة للنبي ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام، والفقهاء في عصر الغيبة، إذ لابدّ من العدالة في حفظ النظام "[٢].

فهو يرجع مهمة تحقيق العدالة الاجتماعية، في عصرنا هذا الى الفقهاء، مع العلم أنه يصرح بنفي أخذه بفكرة ولاية الفقيه، في الوضع العراقي الجديد، بعد عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. فقد سُئل: هل تحبّون أن تكون دولة العراق، مثل دولة إيران الإسلامية؟ فكان جوابه: " أمّا تشكيل حكومة دينيّة،

١- الخوئي، أبو القاسم: منهاج الصالحين، ١/٣٦٦.

٢- السيستاني، علي: قاعدة لا ضرر ولا ضرار، ص ١٥٠–١٥١.

على أساس فكرة ولاية الفقيه المطلقة، فليس وارداً، ولكن يفترض بالحكم الجديد أن يحترم الدين الإسلامي، الذي هو دين أغلبية الشعب العراقي، ولا يقرّ ما يخالف تعاليم الإسلام"[١].

ورغم عدم ذهاب المرجع الأعلى السيّد السيستاني، الى الولاية المطلقة للفقيه، فإن الأحداث العراقية، أثبتت تصدّيه لحسم كثير من القضايا؛ كما مرّ في إعطاء المشورات، والنصائح، وبيان الاقتراحات، حتى صار بيته بالنجف الأشرف، موقع استقطاب للسياسييّن والمسؤولين؛ من عراقييّن وغيرهم، ومن مختلف المكوّنات العراقيّة وغيرها. وإذا رجعنا الى رأيه السابق، فإنه قد ينطلق من مفهوم تحقيق العدالة، أو المحافظة على النظام العامّ للمسلمين، وما يتطلبه كلّ ذلكّ من تصدّي الفقهاء ورعايتهم، حتى على رأيه، وهو يقول بالولاية الخاصّة (الحسبيّة). فماذا تختلف هذه النتيجة، عن نتيجة قول الفقهاء القائلين، بولاية الفقيه المطلقة من الناحية العمليّة؟!.

وهو يدعم الرأي الذي نراه، أنّه لا خلاف من الناحية العمليّة – وخاصّة في الموارد المهّمة التي تحتاج الى تدخّل الفقهاء– بين فقهاء الشيعة في القول بالولاية المطلقة للفقيه، فالكلّ يصل الى الرأي نفسه، في الواقع العملي[٢]. وهذه النتيجة تأتي منسجمة مع ما تختزنه الذهنيّة الشيعية، من إسقاط موقع الإمام، على الفقيه ودوره. ونؤكّد مرةً أُخرى أنّ لاستمرارية تقليد الإنسان الشيعي الحي والمباشر، للفقيه، دور كبير في تبنّي الولاية المطلقة للفقيه، وقد أشرنا الى هذه النقطة، في المبحث السابق، عند بيان بعض الفوائد المترتبة، على وجود المرجعيّات الدينية الكبرى،في بعض المدن المقدّسة عند المسلمين الشيعة .

١- الخفّاف، حامد: النصوص الصادرة، ص ٢٢٩.

٢- نعم إنّ الفرق يبقى واضحاً بين القائلين بالولاية المطلقة نظرياً وعملياً، وبين اللاجئين إليها عملياً، حيث يتفقون مع القائلين بها في بعض الظروف الخارجية، لأنهم إنما يلجأون إليها للضرورة، أو لدفع الضرر، مع عدم اعتقادهم بالولاية المطلقة لضعف أدلتها عن ذلك – بنظرهم– فيبقى الفرق علميّاً نظرياً فحسب. (الباحث).

إنّ الموضوعات الخارجية، والأحداث الواقعيّة، تقوم بعمليّة تحفيز للفكر الفقهي، في مراجعة نصوصه واستنباط آرائه وفتاواه، بما يتمّ من خلالها، مواكبةً لذلك الحدث، ومتابعة للحركة الحياتيّة اليوميّة. ولهذا فإنّ من غير المستغرب، أنْ تقفز أطروحة ولاية الفقيه الى الواقع، بعد قيام الدولتين الشيعيّتين؛ الصفويّة، والقاجاريّة، ثّم الجمهورية الإسلاميّة الحاليّة بإيران، التي أسهمت بشكل كبير، في مراجعة آراء الفقهاء وكثرة الاستفتاءات الواردة اليهم، تجاه الولاية المطلقة[1] والتي أنعكست – فيما انعكست فيه– في عدد غير محدود من الأبحاث، والمقالات، والمؤلفات التي تناولت موضوع ولاية الفقيه هذا، منذ عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ولحدّ الآن. ولعّل فصلنا هذا، هو من تلك الانعكاسات التي تمخّضت عن أحداث إيران وقيادتها الفقهائية، التي رفعت لواء ولاية الفقيه المطلقة.

وقد علّل بعض الباحثين، عدم بروز ولاية الفقيه بشكل واضح، زمن الغيبة الصغرى، وما بعده، حتّى زمن الدولة الصفويّة بإيران، الى الظروف غير المؤاتية، التي ألمّت بفقهاء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، وليأسهم في إقامة دولة، تحتاج الى إعمال ولايتهم عليها[2]. ولهذا فإنّ الفقه الإسلامي السنّي، كان متقدماً في طرح الفقه المتعلق بالحكم، الذي عرف بالأحكام السلطانية، لارتباط الخلفاء بهذا الفقه، ولجوئهم الى فقهائه لاستنباط الأحكام الشرعيّة، التي تحتاج اليها الدولة والمجتمع معاً.

ولهذا فلا بدّ أن توضع أطروحة ولاية الفقيه، أمام كلّ المسلمين،

---

١ - أصدر المرجع النجفي المعاصر الشيخ محمد إسحاق الفيّاض (وهو أحد المراجع الأربعة الأشهر بالنجف)، بحثاً حول ولاية الفقيه عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، وجاء في مقدمته: "لما كثر السؤال والاستفسار من المؤمنين دامت توفيقاتهم في الفترات السابقة عن رأينا في مسألة (ولاية الفقيه الجامع للشرائط)... ولمسنا الحاجة والضرورة للكتابة عنها، وبيان بعض حدودها؛ استجابة لكثرة الأسئلة والطلبات التي ترد علينا من الأوساط الدينية والثقافية وغيرها.(الفياض، محمد إسحاق: الأنموذج، ص٣–٤).

٢- (المقيمي، أبو القاسم: الأدلة العقلية على ولاية الفقيه، مجلة فقه أهل البيت، ٥١/ص ١٣٤)، (الحيدري، محسن: ولاية الفقيه، ص ٥٠–٥١).

بمختلف مذاهبهم الفقهية، ومدارسهم الاجتهادية، فكرةً واجتهاداً يمكن الإستفادة منه، ضمن منظومة أطاريح الفقهاء المسلمين، خاصة في موضوعات مهمة، كموضوع الحكم، وإدارة البلاد.

النقطة الثانية: ولاية الفقيه والمرجعيّة، الساحة اللبنانية نموذجاً

إن أطروحة ولاية الفقيه، تتفرّع عليها مسائل عدّة، ترتبط بالوليّ الفقيه وتعدده بالبلد الواحد، أو بلدان عدّة، وعلاقة الولي الفقيه بالمرجع الديني أو المراجع، الذي قد يتفق معه في القول بالولاية المطلقة أو يختلف. وسنتخذ من الساحة اللبنانية الشيعية مداراً لبحث بعض هذه المسائل. لأنها: أساساً موضع بحثنا هذا، عنها وعن حوزاتها المعاصرة، وثانياً لما تتميّز به من حضور واضح، لمقلّدي مرشد الجمهورية الإسلامية السيّد علي الخامنئي، بما لم يعهد مثله، لا داخل إيران ولا خارجها، نظراً للثقل المهمّ لحزب الله بها. ومن جهة ثالثة، فإنّ هذه الساحة تتميز، بوجود مرجع ديني لبناني، له مساحة تقليد مهمّة، داخل لبنان وخارجه، وهو السيّد محمد حسين فضل الله، المرجع الشيعي الوحيد خارج حوزتي النجف وقُم، وله حضور تقليدٍ واضح. إضافة إلى الحضور الكبير لمرجعية النجف الأشرف.

من خلال الفصول المتقدّمة من هذا البحث، عرفنا أنّ كبار مجتهدي شيعة لبنان، – وخاصة في المرحلة الأولى، من مراحل الحوزات اللبنانيّة – كانوا يميلون نحو القول بولاية الفقيه المطلقة. وكان الأبرز في أولئك المجتهدين، الشيخ محمد بن مكّي الجزيني (ت: ٧٨٦هـ) المعروف بالشهيد الأول، وهو من أوضح المجتهدين والفقهاء الشيعة، الذين ذهبوا الى القول بها. حتى أنّنا رجحنا أنّ سبب مقتله، كان من خلال امتداده السياسيّ والعسكريّ، الذي أثار الآخرين عليه، والهواجس حوله، منطلقاً من كونه فقيهاً، قد مارس دوره وصلاحياته بشكل كبير.

وفي الوقت ذاته كان أوّل الفقهاء الشيعة، الذين أعطوا لولاية الفقيه

المطلقة، دفعة قويّة، وأنزلوها واقعاً تتعامل معه السلطات، فقيه لبناني آخر، وهو الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت: ٩٤٠هـ). وهو الذي أسّس لهجرة كثير من فقهاء شيعة لبنان، نحو إيران، في عهد الدولة الصفويّة، الذين كانوا يتمتّعون بموقع (شيخ الإسلام) في تلك الدولة. حتى وصل بعض اولئك العلماء اللبنانيين، الى بعض مناطق الهند، التي كانت تحكمها دول شيعية، ومن ثمّ لقب الشيخ محمد بن علي بن خاتون (ت: بعد ١٠٣٨هـ)، بأمير أمراء الدولة القطبشاهيّة، كما مرّفي الفصل الأوّل.

بينما اتّسمت المرحلة الثانية، من مراحل حوزات لبنان (المرحلة النجفيّة)، بعدم وضوح تبنّي فقهاء تلك المرحلة، لمسألة ولاية الفقيه المطلقة. ثم جاءت المرحلة الثالثة (المعاصرة)، وكبار فقهائها من تلامذة الحوزة النجفية في دورها الأخير، الذي شهد عزوفاً واضحاً عن تبنّي هذه المسألة، فكان من الطبيعي، أن لا نجد لولاية الفقيه صدىً يذكر، في غالبية الحوزات اللبنانية المعاصرة، حتى في آراء أوسع مراجعها الحاليّن تأييداً للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهو السيّد محمد حسين فضل الله، ذي الجذور الفقهية النجفيّة، والمواقف الساندة للقيادة الإيرانية، في الوقت عينه.

نعم عادت ولاية الفقيه، الى الساحة اللبنانية، مع بعضٍ من طلبة حوزة النجف الأشرف، وهم الذين بادروا الى تشكيل حركة حزب الله في لبنان، ثم تبعتهم موجات من طلبة، وحوزة قم، (نسبة مهمّة)، من الذين تبنوا ولاية الفقيه المطلقة. وقلنا (نسبة مهمة) لأنه لا تلازم بين الدارسين بقم، وبين القول بالولاية المطلقة للفقيه. وذلك لأسباب عدّة منها:

١ – لم يكن اختيار الطلبة اللبنانيين للدراسة في حوزة قم، إيثاراً لها على حوزة النجف الأشرف، بل لأنها – حوزة قم – صارت الخيار الوحيد، بعد ما حلّ من نكبات بحوزة النجف، كما مّر في الفصل الثالث.

٢ – إن أغلب مراجع قم، لا يقولون بالولاية المطلقة، لأنهم من خريجي حوزة النجف الأشرف. فمن غير الدقيق الاعتقاد أنّ الحوزة القميّة – ككل – تتبنى ولاية الفقيه المطلقة.

٣– أن أختيار القول بالولاية المطلقة وعدمه، يتمّ عادة في مرحلة ما قبل الدراسة بحوزة قم، أي أنّ الطالب اللبناني، قبل وصوله الى حوزة قم يكون قد خطّ له خطاً معيّناً، مع عدم إغفال إحتمال التغيير، ونسبتُه قليلة عموماً. لأنّ ولاية الفقيه تحوّلت – في الأعم الغالب– الى موقف سياسي وليس مجرّد اجتهاد فقهي.

إنّ الساحة اللبنانية وتبعاً لها حوزاتها المعاصرة، وكما مرّ بنا في المبحث الأول تضمّ ثلاث قوى دينية (مرجعيّة)، وهذه القوى الثلاث، لها رأي في ولاية الفقيه، يتمّ على أساسه تمايز ساحة القول بالولاية، عن ساحة التقليد المرجعي الديني. فالقوّة الأولى، وهي الجهة الشيعية الرسميّة، التي يمثّلها المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، يتبعه عامة الجمهور الشيعي المتدين التقليدي، إضافة الى حركة أمل، التي ترجع الى مرجعيّة النجف الأشرف.وبالتالي فإنّ هذه الجهة لا تقول – تبعاً لمرجعية النجف الأشرف العليا الحاليّة – بولاية الفقيه المطلقة–، وقد صرّح الشيخ عبد الأمير قبلان، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، في بعض الدروس، التي يلقيها اسبوعيّاً، على العلماء وطلبة العلم، بمقر المجلس، بقوله الذي يؤكد موقفه: "... إننا لا نريد ولاية الفقيه، مع تقديرنا لها، ولا نخفي شيئاً عن اللبنانيين، نحن نحب إيران، ولكن لا يمكن أن تطبّق ولاية الفقيه في لبنان..."[١] حيث نجد، أنّ المسألة لم تعد مسألة فقهية مجردة، بل إنّ سمتها السياسيّة، صارت غالبة على تلك الفقهيّة منها. ولا يهمّنا من النصّ أعلاه، إلا بعدُه الفقهي، دون بقية الأبعاد، التي قد تخرج بحثنا عن مساره، من أبعاد سياسيّة وغيرها.

والثانية، من قوى الساحة اللبنانية الشيعيّة المعاصرة بحوزاتها، تلك المرتبطة بمرجعيّة مرشد الجمهورية الإسلامية، السيّد علي الخامنئي (ولد:

---

١ - قبلان، الشيخ عبد الأمير: محاضرة أخلاقية، الأربعاء، ٢٣ جمادى الأول ١٤٢٨هـ/٢٨ آيار ٢٠٠٨م/ لبنان، ولعل الجدير ذكره، أنّ من أوائل المعترضين المجاهرين لولاية الفقيه المطلقة، وفي أيام نجاح الثورة الإسلامية الأولى،كان الفقيه اللبناني الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م– وسجله في كتابه (الخميني والثورة الإسلامية، ص٧٦) وهوآخر كتبه .(الباحث).

١٣٦٠هـ/١٩٤١م)، الذي يعتبر أبرز المراجع الحاليّن، القائلين بولاية الفقيه المطلقة. وتأتي جماعة حزب الله والأجواء الموالية لها، لتمثل من يقول بولاية الفقيه المطلقة.

إنّ حزب الله يولي مسألة ولاية الفقيه، اهتماماً لافتاً، في نشاطاته الثقافية، والتي تنعكس في الدروس، التي تعطى في المعاهد الثقافية، والدورات، التي تقام لأفراده، أو المتعاطفين مع خطّه. حيث تندرج مادة (ولاية)، في ضمن المواد التي تدرّس في تلك المعاهد[١] أو الدورات الثقافية، مع مواد تدريس أخرى: كالقرآن الكريم، والسيرة المطهرة، والفقه، والنحو، والأخلاق، وغيرها.. ويؤكّد مسؤولوه: أنّ " الارتباط بالولاية تكليف والتزام يشمل جميع المكلّفين، حتى عندما يعودون الى مرجع آخر في التقليد، لأنّ الآمريّة في المسيرة الإسلامية العامّة، للولّي الفقيه المتصدي. ولا خشية من التعارض، مع عيش المكلفين في البلدان المختلفة، فالحدود التي يضعها الوليّ الفقيه، تأخذ بعين الاعتبار مسألتين، الأولى: تطبيق الأحكام الشرعية، وعدم القيام بما يخالفها. والثانية: الظروف الموضوعيّة، والخصوصّيات لكل جماعة، أو بلد، والتي تؤثّر على دائرة التكليف، ومساحة الاهتمام. إنّ التزام حزب الله بولاية الفقيه، حلقة من هذه السلسلة، إنّه عمل في دائرة الإسلام، وتطبيق أحكامه، وهو سلوك في إطار التوجيهات، والقواعد التي رسمها الولي الفقيه[٢].

وقد ذكرنا في فصل المرجعيّة، أنه ليس من الضروري التلازم بين المنتمين لحزب الله، أو المتعاطفين معه، وبين تقليد السيّد الخامنئي[٣]، أي أن هناك عدداً ما من هؤلاء المنتمين والمتعاطفين، قد يقلدون مراجع آخرين،

١- تعطى (٣٩) ساعة دراسية في مادة الولاية، لطالبات معاهد سيّدة نساء العالمين في مستوياتها الخمسة. (جدول بحصص المعهد وتوزيعها، نشرة- كمثال على هذا الاهتمام. (الباحث).

٢- قاسم، نعيم: حزب الله، ص ٧٧-٧٨.

٣- وكان إيران الجمهورية الإسلامية اليوم، تهدي الى الساحة اللبنانية، ثمار ما أسسه الفقهاء اللبنانيون الشيعة المهاجرون، الى إيران في فترة الحكم الصفوي!! (الباحث).

لا يقولون بولاية الفقيه. ولهذا لا نستطيع القول: أن كلّ جماعة حزب الله، يقولون بالولاية المطلقة، التي قد يقول بها في الوقت نفسه، مقلدو مراجع آخرين لا يقولون بها؛ أي قد نجد، من يقلّد بعض مراجع النجف الأشرف أو السيّد فضل الله، ثم يذهب الى ولاية الفقيه المطلقة، قناعة منه وانسجاماً. إلّا أنّ الأحتمال الأخير، أقل بكثير من الأول، وعدد هؤلاء في الاحتمالين قد يكون قليلًا أو نادراً بكلمة أدقّ، ضمن جمهور المقلدين، إذ إنّ المعروف أن من يقلد مجتهداً، فإنه يقول بما يذهب إليه ذلك المجتهد بشكل عام.

أمّا القوة الدينية الثالثة في الساحة اللبنانية الشيعية، فهي تلك المتجسدة بالسيّد محمد حسين فضل لله، وحوزاته المعاصرة، وعموم مقلّديه، والمتأثرين بأفكاره ومنهجه، وقد عرفنا أنّ السيّد فضل لله، رغم كل تعاطفه، مع الجمهورية الإسلامية وقياداتها إلا أنه يصّرح، إنه لا يذهب الى القول بالولاية المطلقة للفقيه.

أي أن مرجعية السيّد فضل الله، تصطفّ مع مرجعية النجف الأشرف، في القول بولاية الفقيه الخاصة (الحسبية) دون المطلقة. وبذا يتفرد مقلدو السيد الخامنئي في القول بها، أي أن ساحة الارتباط بولاية الفقيه، تختلف عن ساحة التقليد المرجعي بلبنان، فقد كانت الأخيرة، تتوزع على ثلاث مرجعيّات، (النجف الأشرف، السيّد الخامنئي، السيّد فضل الله)، بينما تقلّصت الى محورين لا ثالث لهما في (ولاية الفقيه): مرجعيّة النجف الأشرف والسيّد فضل الله، في مقابل، مرجعيّة السيّد الخامنئي[1]. وهذا أمر طبيعي، ينسجم مع بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، الذي ينتج عنه، تعدّد الأراء الفقهية، التي تمنح المسلم الشيعي أكثر من خيار في التقليد، وما يؤسسّ هذا الاختيار من حراك ثقافي، وتساؤل علميّ، وتحرّج شرعيّ، قبل اختيار المرجع المقلّد. ولهذا أيضاً، فإن من الطبيعي، أن تختلف رؤى المقلّدين في

١- من المهم التذكير هنا، أن السيد فضل الله لا يؤمن بولاية الفقيه من ناحية فقهية، بينما نجده منسجماً معها سياسياً، عبر تأييدة لحزب الله والجمهورية الإسلامية الإيرانية، في حين نجد المجلس الإسلامي الشيعي لا يؤمن بها فقهياً ولا يؤيدها سياسياً كذلك. (الباحث).

(ولاية الفقيه)، كاختلاف هذه الرؤى، في مسائل شرعية أخرى، حسب اجتهادات المراجع، وآرائهم العلميّة الاستنباطيّة. إنّ "ولاية الفقيه من المسائل الشرعية، التي يرجع في أصل الالتزام بها، الى رأي المكلّف إنْ كان مجتهداً، أو الى رأي مرجعه، إن كان مقلداً وليست هي من المسائل الأعتقادية، التي يتحتّم على المؤمنين الالتزام بها، بمقتضى اعتقادهم"[١].

وهنا، لا بدّ من التأكيد، على فكّ التلازم، بين تبنّي (ولاية الفقيه المطلقة)، وبين الإيمان بقيام دولة إسلامية. فالفكرة التي يتوصّل إليها بعض الفقهاء، ينبغي أن تكون أطروحةً من أطاريح كيفية تطبيق الشريعة، لا أنها الطريقة الوحيدة. وهذا ما ذهب إليه السيّد محمد باقر الصدر، في آخر كتبه (الإسلام يقود الحياة)، مع العلم أنه كان من المراجع الواعين، والمؤسسين لحزب الدعوة الإسلامية[٢]، وهو أوسع الأحزاب الإسلامية في الساحة الشيعية، الداعية الى إقامة الحكومة الإسلامية، ولم يكن يقول بالولاية المطلقة، ولكنه كان متفاعلًا ومتفائلًا، حينما أخذ الإمام الخميني بطرح دروسه حول (ولاية الفقيه)، حتى بكى فرحاً، وهو يقول: "السيّد الخميني أعلن الحكومة الإسلامية... انتهت مظلوميّة الإسلام إني أرى أن الإسلام، سيسيطر على الوضع". كما إنّه شجّع بعض تلامذته، لحضور درس الإمام الخميني تقويةً له[٣]. وهو موقف قد يكون قريباً، من موقف السيّد محمد حسين فضل الله، والحوزات المرتبطة به، الذي قد يفاجأ الكثيرون من المهتّمين بالساحة الإسلامية الشيعية، واللبنانيّة منها بالخصوص، حينما يعلمون، أنه لا يذهب الى القول بالولاية المطلقة للفقيه كذلك، على رغم ما عرف به الرجل، من مواقف تأييد للجمهورية الإسلامية بإيران، وقائدها

١- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١/١٨ المسألة ٢٤.

٢- (ابو زيد العاملي، أحمد عبد الله: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، ٢/٤١)، (الزبيدي، حسن لطيف: موسوعة الأحزاب العراقية، ص ٤٤١)، (النعماني، محمد رضا: محمد باقر الصدر، ص ١٤٦).

٣- ابو زيد العاملي، أحمد عبد الله، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، ٢/٢٦٣، ٢٦٤.

الراحل الإمام الخميني، وفي أحرج الظروف وأقساها، لأنّ الإعلام أو التصور الأوّلي، قد يذهب الى التلازم، بين المؤيد لجمهورية إيران الإسلامية، وبين ولاية الفقيه، لمّا ارتبطت بها منذ عام ١٩٧٩م.

وقد يخفّ بعض تأثير المفاجأة، حينما نعلم، أن السيّد محمد حسين فضل الله، كان يقول بأعلميّة المرجع السيّد أبي القاسم الخوئي (ت: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م)، آخر المراجع الكبار بالنجف الأشرف، وذلك في أوجّ تألّق نجم الإمام الخميني ومرجعيّته، بعد قيام الجمهورية الإسلاميّة بإيران.

وفي مقابلة شخصيّة معه، وقد سئل عن سبب عدم قوله بالولاية المطلقة للفقيه، مع التوقع المتبادر أنّه من أوائل الذين يقولون بها، ومع ما عرف عنه من مواقف داعمة ومؤيدة، لإيران، وجمهوريتها، ونظامها؟ فجاء جوابه: "إنّ تأييد الجمهورية الإسلامية شيء والقول بولاية الفقيه المطلقة شي أخر، حيث لا تؤيد الأدلّة الشرعيّة المعتمدة، القول بها مطلقاً"[1]. ويضاف الى ذلك أنّ السيّد فضل الله، أحد تلامذة المرجع السيّد أبي القاسم الخوئي، ولا بدّ أنّ يكون متأثراً بمبانيه الفقهيّة، التي أوصلته الى اعتماد الولاية الخاصة فحسب. وإنّ هذا التفكيك بين الإيمان بقيام حكم إسلامي، وبين القول بولاية الفقيه المطلقة، يجعل أمام الحركيّين الإسلاميّين – لاسيما في الساحة الإسلامية الشيعية– أكثر من نظرة إجتهادية، في مسائل الحكم الإسلامي، ولا يقتصر على نظرة إجتهادية واحدة.

التقليد وولاية الفقيه

قد يطرح أمام الذاهبين الى الولاية المطلقة للفقيه، اعتراض مفاده: ألا يكفي التقليد، والرجوع الى الرسالة العلميّة للفقيه المرجع، والتي تمثل فتاواه وآراءه، دونما الحاجة، الى موضوع الولاية هذا؟ وقد أجيب على هذا الإعتراض، بـ " أنّ طبع التقليد، لا يقتضي تحقق الطاعة والالتزام، بالفتوى

١- فضل الله، محمد حسين، مقابلة شخصية سابقةص (٣٠٠).

العامة للمرجع، المجرّد من الولاية، والحاكميّة، وقوة التنفيذ، المتوفّرة لدى الدولة. وأنه عملياً أشبهُ بالموعظة، والنصيحة، والإرشاد، ولا يتحرك غالباً على طبقهِ إلا القليل من أهل التقوى. مضافاً الى أنّ التقليد – في كل زمان ومكان – يمكن أنّ يكون متعدداً ومختلفاً، حتى في البيت الواحد، والعائلة الواحدة... وهو اختلاف مشروع، ومغطّى بغطاء المرجعيّة... ولكنّه، غير مقبول ولا محتمل، في الموضوعات العامّة، التي يضرّ الاختلاف العمليّ بشأنها..."[1]

إن هذا الاعتراض، يفتح علينا إشكاليّة مهمّة، تعاني منها الساحات الشيعية عموماً – ومنها اللبنانية– حول الحدود الفاصلة، بين الرأي الاجتهادي للمرجع المقلّد، والحكم الولائي للفقيه الولي، وربّما إشكاليّات أخرى. فالعلاقة بين تقليد الإنسان المسلم الشيعي، لأحد مراجع الدين، وبين إيمانه بولاية الفقيه، ذات أبعاد عدّة. إذ قد يقلّد مرجعاً لا يقول بالولاية، فهل عليه الإلتزام، بما يقوله مرجعه هذا، في مسألة ولاية الفقيه، أم يمكن التبعيض، بأن يقلّد المرجع في المسائل الشرعيّة، ويعود الى الفقيه المتصدي للشأن العام، في القضايا العامّة. كما يمكن عكس المسألة، بافتراض من يقلّد مجتهداً، يذهب الى الولاية المطلقة، ولكنّه لا يقلّده، بخصوص هذه المسألة فقط.

والاحتمال الأخير قليل جداً، إذ إنّ المسألة التي عادة ما تطرح هي الأولى، وهو أمر طبيعي، لأنّ أغلب المراجع الدينيّين الكبار حالياً، لا يدعمون أطروحة ولاية الفقيه، وبعض المقلدين يكون في حيرة بين وجوب تقليد هذا المرجع، لأنه الأعلم والأوفر حظاً، من الناحية الفقهية، وبين الانسجام مع بعض الفتاوى الولائية (الصادرة عن ولاية الفقيه). وتتجسد هذه الحيرة، في شريحة مهّمة من المقلدين الأتقياء، ذوي الوعي السياسيّ، أو الحسّ الإسلامي الحركيّ. وحسمت المسألة مع الفتوى، التي ترى أن الإيمان بولاية

١- طحيني، محمد: ولاية الفقيه بشيّق القصيد، ص ٥٦–٥٧.

الفقيه، ترجع الى رأي من يقلّده من المجتهدين[١]، وكانت جمهورية إيران الإسلامية، وتبعاً لها مؤيّدوها من جماعة حزب الله وأجوائها، تؤكّد على ضرورة اتّحاد المرجعيّة وولاية الفقيه، في مرجع فقيه واحد[٢]. حتى تمّ التأكيد على هذه المسألة، في دستور الجمهورية الإسلامية[٣]. بينما لا يرى آخرون ذلك، ومنهم السيّد فضل الله ، فيمكن التفكيك بين المرجعية وولاية الأمر[٤]. ولهذا فإن مقلّديه، بل مقلّدي سواه من المراجع، الذين لا يرون ولاية الفقيه، لديهم العذر الشرعي، في عدم الأخذ بآراء الولي الفقيه، لأنّ الأخذ بها، يعود الى رأي من يقلدونه من المراجع. ولكن الفقهاء أجمعوا، أنه إذا " حكم الحاكم الجامع للشرائط، لا يجوز نقضه حتى لمجتهد آخر، إلّا إذا كان مخالفاً، لما ثبت قطعاً من الكتاب والسنة..."[٥]، و " حيث يصدر الفقيه أمراً تجب طاعته، ولا يجوز الخروج عليه، فيما هو ولي عليه.."[٦]، " وإذا أمر الحاكم الشرعي بشيء تقديراً منه للمصلحة العامة، وجب اتباعه على جميع المسلمين.."[٧] باعتبار أنّ منصب الولاية للفقيه " لو شغله واحد منهم (الفقهاء)، لم يجز للغير مزاحمته، ومعارضته في ذلك"[٨].

إنّ من الحقائق، التي لا بد من بيانها، أنّ موقع المرجعيّة يشغله وبشكل دائم، مجتهدون عدّة، ولم يمرّ عصر، ينفرد فيه مجتهد بالتقليد، دون سواه، نعم قد تكون لأحد المجتهدين، المساحة الأوسع في التقليد، والذي

١- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١/١٨ (المسألة ٢٤).
٢- وهبي، مالك: الولاية والمرجعية، ص ٤٧.
٣- التسخيري، محمد علي: حول الدستور الإسلامي الإيراني، ص٤٦١. ولكنّ الإمام الخميني أرسل في ١٩٨٩/٤/٢٩ بعد تنحيته لخليفته الشيخ حسين المنتظري، في ١٩٨٩/٣/٢٧، رسالة الى رئيس مجلس صيانة الدستور، أشار فيها الى عدم ضرورة كون الولي مرجعاً. (القزويني، جودت: المرجعيّة الدينيّة العليا، ص ٣٥٢).
٤- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١/٨ (المسألة ٢٥).
٥- السيستاني، علي: منهاج الصالحين، ١/١٥ (المسألة ٢٦).
٦- فضل الله، محمد حسين: فته الشريعة، ١/١٧ (المسألة ٢٣).
٧- الصدر، محمد باقر: الفتاوى الواضحة، ص ٣١.
٨- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع، ١/٤٠١.

يعرف بالمرجع الأعلى، والمتمثّل اليوم بالمرجع السيّد على الحسيني السيستاني بالنجف. ولهذا فإنّ من الطبيعي جداً، أن يكون هناك أكثر من رأي فقهي، في أكثر من مسألة في وقت واحد. وإن مسألة ولاية الفقيه، من هذه المسائل المختلف حولها.

إن من الطبيعي – لذلك – أن يتوزع المقلدون، بين من يقول بولاية الفقيه، أولا يقول بها، مع بروز مجتهد أو أكثر، يقول بذلك، وتبقى المسألة ضمن بقية المسائل الفقهية، المتنازع حولها علمياً، مع عدم إغفال الجوانب السياسية، وغيرها، لخصوص ولاية الفقيه.

ولم تكن أطروحة (ولاية الفقيه) تشغل مساحة تذكر، في موضوع الخلافات الفتوائيّة عند جمهور المقلّدين، ولكنّها طرحت بقوة، بعد أحداث إيران، وخاصّة في المناطق، التي شهدت تقليد الإمام الخميني أولّا، ثم السّيد علي الخامنئي ثانياً، ولبنان كانت من تلك المناطق. ولما كانت مسألة ولاية الفقيه، من المسائل الخلافيّة بين الفقهاء المجتهدين، وهي ذات أبعاد سياسيّة، تتجاوز مجرد كونها رأياً فقهياً، متنازعاً فيه، فإنّ توصيات صدرت، من بعض المراجع في فتاويهم، التي تضمنتها رسائلهم العمليّة، وأجوبتهم عن المسائل الشرعيّة، وخاصّة في الساحة اللبنانية، تدعو الى عدم اتخاذ، الإيمان بولاية الفقيه، أو عدمه، مبرراً للاختلاف والتنازع. وصدرت هذه الفتاوى، من قبل السيّد فضل الله، والسيّد الخامنئي، ذوَي المساحة التقليديّة اللافتة، في المجتمع الشيعي اللبناني.

يقول السيّد فضل اللّه: "من يرى – إجتهاد أو تقليداً– عدم وجوب طاعة الولي الفقيه، لا يجوز له الجهر بالمخالفة، بالنحو الذي يؤدي الى الإخلال بالنظام العام، وتفتيت وحدة الأمة، وإضعاف قوى الجماعة"[1]. ويؤكد السيد علي الخامنئي الأمر بقوله: "ولاية الفقيه في قيادة المجتمع، وإدارة المسائل الاجتماعية، في كلّ عصر وزمان، من أركان المذهب الاثني

١- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١٨/١ (المسألة ٢٦).

عشري، ولها جذور في أصل الإمامة، ومن أوصله الأستدلال الى عدم القول بها، فهو معذور، ولكن لا يجوز له بثّ التفرقة والخلاف"[١].

ثم لا بد أن نذكّر بما قلناه، في المبحث الأول السابق، أن الارتباط بالمرجعية عبر التقليد أمر يتجاوز حدود الدول والأقاليم، عبر شبكة وكلاء المرجعيّة، الذين يوصلون الفتاوى الشرعيّة الى المقلّدين، ومن جهة أخرى، يقوم هؤلاء الوكلاء، من العلماء، باستلام الحقوق الشرعية، من أموال الأخماس، والزكوات، والوجوه الشرعية الأخرى، الى المرجعيّة، لإدارة الشؤون الدينيّة، ورعاية المدارس الدينيّة، وأوضاع الطلبة، وإغاثة أهل الحاجة.

ويأتي القائلون بولاية الفقيه، ليؤكّدوا أن الاستجابة لولاية الفقيه، لا تقترن بالحدود، إذ كما يرجع المقلّدون الى المرجع الديني، في فتاواه، فعليهم الرجوع الى الولي الفقيه، في أحكامه، إذ " لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته، كما لا علاقة لموطن المرجع بمرجعيته"[٢] ، حتى ذهب مناصرو ولاية الفقيه الى القول: " إنَّ فكرة فصل المرجعيّة عن الولاية والقيادة، هي نتاج فكرة فصل الدين عن السياسة"[٣]. ولكن الفارق كبير، بين الرجوع الى المرجع، لأخذ حكم شرعي عنه، وبين الرجوع الى الولي الفقيه، الذي قد تكون لبعض أحكامه، آثار في مساحة أوسع، قد تنعكس سلبياً على المقلّد فرداً أو جماعة. ولهذا قد يترّجح الرأي الذي يدعو الى حصر دائرة إعمال الولي الفقيه ولايته، في البلد الذي يملك بسط اليد عليه، دون غيره من البلدان، لئلا تتحول المسألة، الى إرباك وتمزيق، لوضع المسلمين الشيعة في بلدانهم؛ ومجتمعاتهم، وهو فهم أخذ عن مجموعة فتاوى مجتهدين وفقهاء، يذهبون الى أن ولاية الفقيه – لوتمّت– فإنما تكون في المنطقة، أوالبلد الذي يملك فيه ذلك الفقيه، بسط اليد، سياسياً وأمنيّاً.

١- الخامنئي، علي: أجوبة الاستفتاءات الشرعية ٢٤/١٢.
٢- قاسم، نعيم، حزب الله، ص ٧٧.
٣- وهبي، مالك: الولاية والمرجعية ، ص ٩٢.

تعدّد الفقهاء القائلين بولاية الفقيه

وإذا أردنا أن نبحث الموقف، من إشكاليّة احتمال وجود أكثر من ولي فقيه، في زمن واحد، إذا ما تصدّى لموضوع الولاية، أكثر من مجتهد يرى وجوبها، وهل يختلف الأمر، إذا كان تعدّد المجتهدين، القائلين بولاية الفقيه المطلقة، وهم في بلد واحد، أو بلدان عدّة؟.

إن كلمة فقهاء الشيعة، تكاد تكون واحدة، في عدم إمكانيّة إعمال أكثر من فقيه لولايته، في بلد واحد، لما يسبّبه ذلك من فوضى وإرباك، وسلبيات كثيرة. لكن التباين بدا جلياً في فتاواهم، إذا ما فرض وجود ولي فقيه لكلّ بلد، أي أن لكل فقيه مساحة ولاية، حسب امتداد سلطته، وبسط يده، فلا تتداخل هذه السلطات فيما بينها. فبالأساس " لا يوجد في الأدلة – من حيث المبدأ – ما يمنع من تعدّد الفقهاء المتصدّين للشؤون العامّة، في أكثر من قطر إسلامي، نعم إذا أضرّ هذا التعدّد كلياً أو جزئياً، بانتظام الأمور العامّة للمسلمين كافّة، فإنه يجب الانضواء تحت حكومة وليٍّ واحد، بالقدر الذي يرفع الضرورة، ويصون الوحدة، ويحفظ الأمة "[1].

وقد مرّ بنا في هذا الفصل، الأسس في تقديم فقيه على آخر، في قواعد التزاحم والأسبقية.إن وجود فقيه واحد، يقول بالولاية المطلقة فقط، مع مجموعة فقهاء آخرين لا يقولون بها، هو أهون– كما يبدو– من وجود أكثر من فقيه، يرى هذه الولاية. حيث يمكن أن يؤدي ذلك الى تشتت تقليد القائلين بها. وإن كان مثل هذه الاحتمالات أكثر ما تكون افتراضيّة، لأنّ الواقع، كما ذكرنا، هو الذي يفرض ولاية فقيه دون آخر، كما في التجارب الفقهيّة الشيعية الثلاث، التي طبقت فيها أطروحة ولاية الفقيه، إذ تتبنى الدولة فقيهاً معتمداً، وكان ذلك أيام الدولتين الصفويّة والقاجاريّة، مع الفقيهين، الشيخ الكركي، والشيخ كاشف الغطاء، وهو الآن مع تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مع مرجعيتي الإمام الخميني والسيّد الخامنئي.

وبهذا نكون قد انتهينا من المبحث الثاني من الفصل الأخير لبحثنا وبه تمامه، ونذكر أخيراً أهم النتائج التي توصّلنا إليها أثناء الفصول السابقة.

١- فضل الله، محمد حسين: فقه الشريعة، ١/١٨ (المسألة ٢٧).

خاتمة في أهمّ نتائج البحث

في نهاية أطروحتنا هذه، لابدّ أن نقف على أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، مرتبّة مع الفصول المارّة بنا، وهي:

١- ترجيح أن التشيّع بلبنان بدأ في القرن الرابع الهجري، وليس كما هو شائع من كون نشأته في القرن الأول منه.

٢- مصطلح (الحوزة) ومصدر استخدامه وتاريخ الاستخدام، الذي كان بتأثير أجواء الطلبة والعلماء الإيرانيّين الدارسين بالنجف الأشرف.

٣- تحديد المراحل الثلاث لتطوّر الدراسات الحوزوية بلبنان.

٤- إبراز تبنّي الشيخ محمد بن مكي الجزيني (ت: ٧٦٨هـ) والمعروف بالشهيد الأول، لأطروحة ولاية الفقيه، وممارسته أبعادها في المجتمع، كسبب أساس لحادث مقتله بدمشق.

٥- اعتبار الشيخ علي عبد العالي الكركي (المحقق الكركي)(ت:٩٤٠هـ)، هو المؤسّس للحركة العلميّة بحوزة النجف، في مرحلتها الثانية، وليس كما هو الشائع من ارجاع ذلك الى فقيه إيراني هو الشيخ أحمد الاردبيلي(ت:٩٩٤هـ).

٦- إرجاع سبب قتل الشيخ زين الدين بن علي الجبعي (ت:٩٦٥هـ) المعروف بالشهيد الثاني، الى التوظيف الديني والمذهبي للدولتين المتصارعتين، العثمانيّة والصفويّة.

٧- إجراء مقارنات بين الشهيدين الأول والثاني، وبين الأول والمحقّق الكركي.

٨- إجراء مقارنات بين حوزات المراحل الثلاث، بعد تثبيت ترتيبها تأريخياً، وبيان خصائص كل حوزة.

٩- جلاء صورة الحضور النجفي الكبير في حوزات لبنان في المرحلة الثانية.

١٠- متابعة سلسلة الفقهاء اللبنانيّين الشيعة، الدارسين بالنجف الأشرف، منذ عهد الشيخ علي بن عبد العالي الكركي (ت:٩٤٠هـ) الى واقعنا المعاصر.

١١- أول إحصاء للعلماء اللبنانيّين الذين كانوا وكلاء للمرجعية النجفيّة، بالمدن

والنواحي العراقيّة، وتميّز اللبنانيّين في ذلك دون غيرهم، من العلماء غير العراقيين بالنجف.

١٢– متابعة الوجود العلمائي اللبناني الشيعي بحوزة قم، تاريخياً.

١٣– مقارنة بين حوزتي النجف الأشرف وحوزة قم.

١٤– دراسة ميدانيّة لحوزات لبنان المعاصرة، وترتيبها تأريخياً، وبيان خصائصها وميزاتها، وآفاقها المستقبليّة في سابقة لم نحط بأخرى قبلها، – حسب الاطلاع –.

١٥– متابعة الحوزات النسويّة المعاصرة، وآفاق نشاطيها المعرفي والتبليغي.

١٦– ترجيح قيام حوزات لبنان المعاصرة بالأدوار التبليغيّة، لما تميّزت به الشخصيّة اللبنانيّة من خصائص.

١٧– الوقوف على مراحل تطوّر تبني الفقهاء الشيعة لأطروحة ولاية الفقيه.

١٨– مناقشة أسباب عدم بلوغ فقيه لبناني معاصر، موقع المرجعيّة الدينية العامّة للشيعة بالعالم.

١٩– حضور مرجعية السيّد محمد حسين فضل الله المعاصرة، وعوامل قوّتها، في سابقة مرجعيّة تسجّل لأول مرة لفقيه لبناني معاصر.

٢٠– مناقشة أدلة إثبات ولاية الفقيه المطلقة.

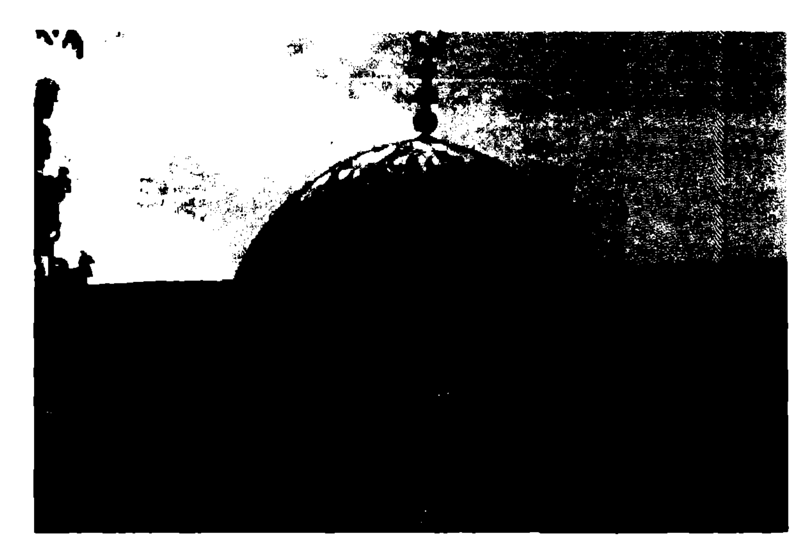
٢١– اطروحة ولاية الفقيه تتناغم مع الثقافة الشيعية التي يتلقّاها المسلم الشيعي المعاصر.

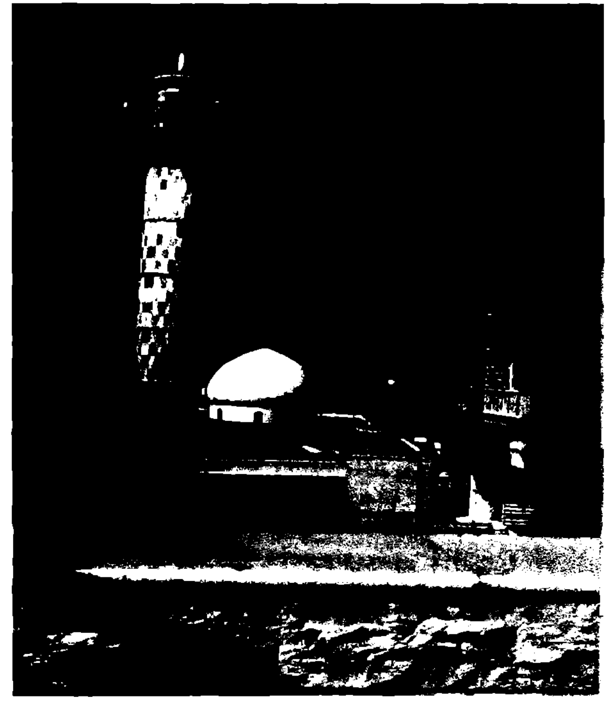
٢٢– إنّ الفقهاء الشيعة المعاصرين، يذهبون – كلهم – الى القول بالولاية المطلقة للفقيه، إما نظريّاً، أو عمليّاً، على خلاف ما هو متداول.

٢٣– حضور ولاية الفقيه في حوزة النجف الأشرف، علميّاً وثقافياً، بما لا تتوافر في حوزة قمّ، خلاف ما هو مشهور.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

الملاحق والصور



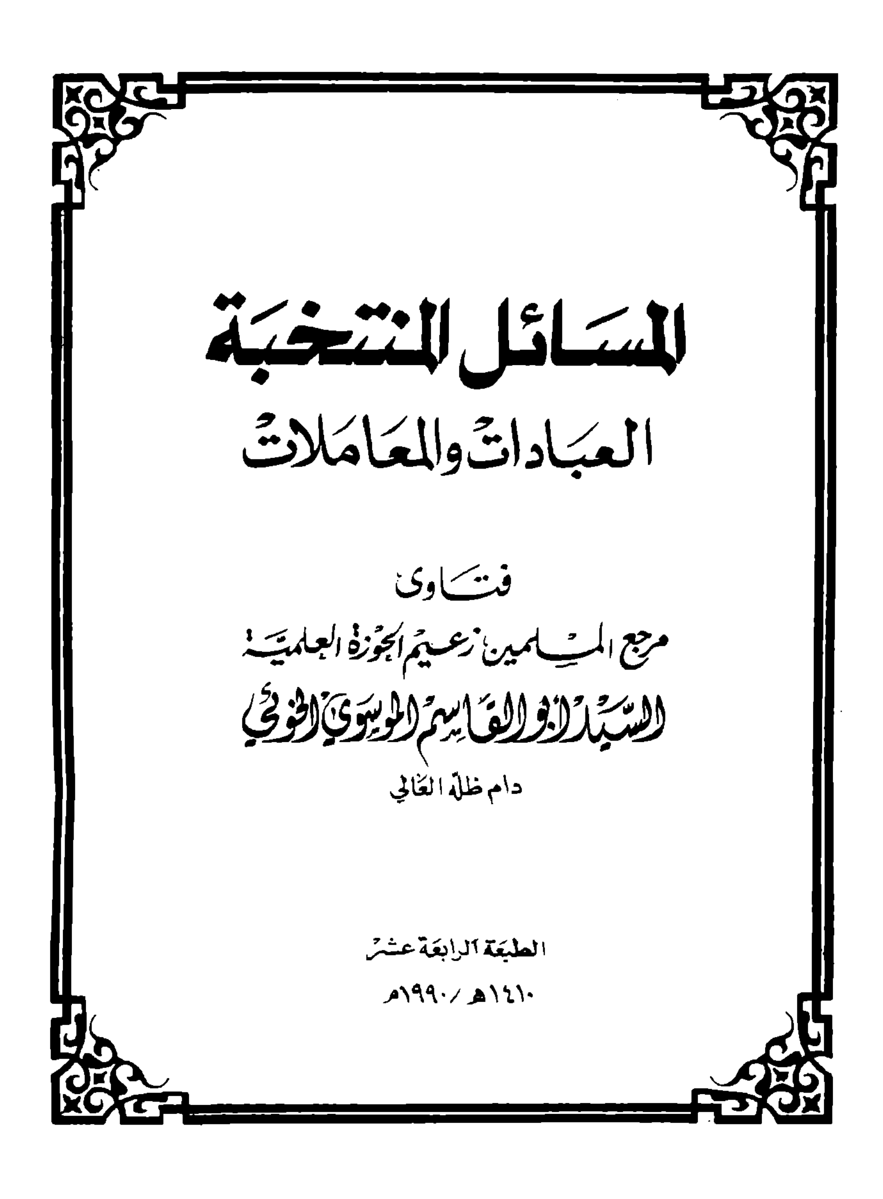


صورة رقم(١) المسجدان المنسوبان للصحابي أبي ذر الغفاري، الأعلى ببلدة الصرفند والأسفل ببلدة ميس الجبل



صورة رقم (٢) تنتشر بوسط العراق وجنوبه، علامات على الطرق الخارجيّة، وهي تشير إلى بعض مراقد أبناء أئمة أهل البيت(ع).


مرقد السيد
يحيى بن عمر
بن الحسين بن
بن زيد بن علي السجاد



صورة رقم (٣) صورة غلاف الرسالة العمليّة لأبرز مراجع الشيعة المعاصرين السيد أبو القاسم الخوئي ت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ولقبه (زعيم الحوزة العلميّة).



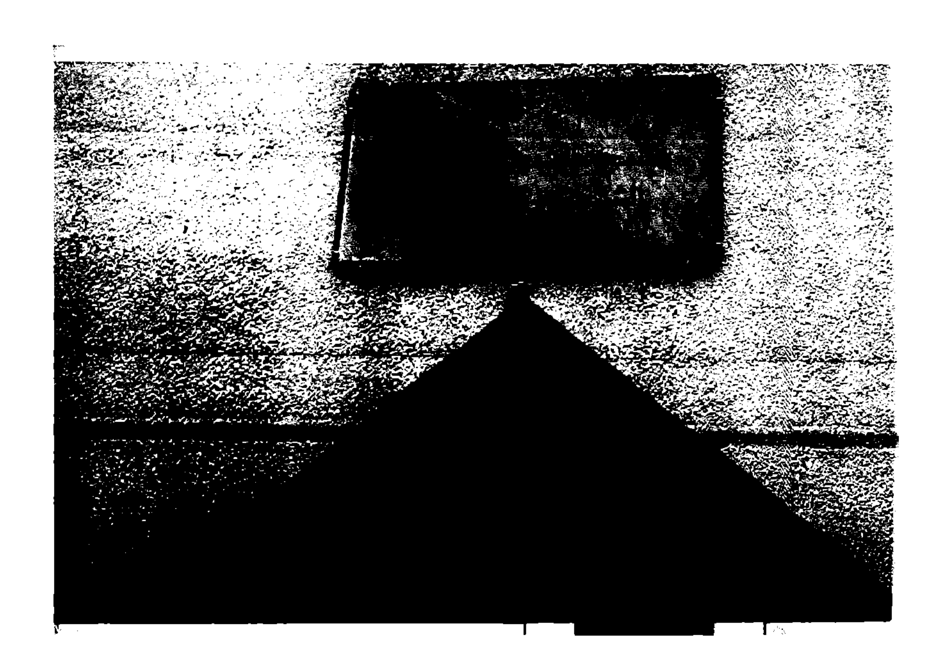


صورة رقم (٤) الصورة الأولى: ساحة المطران سليمان الحجّار بجزين، موضع مسجد الشهيد الاول الشيخ محمد بن مكي الجزيني (ت: ٧٨٦ هـ)، والصورة الثانية: ثانوية جزّين الرسمية (على اليسار)، موضِع مدرسة الشهيد الأول بجزّين.





صورة رقم (٥) مسجد الشهيد الأول بكربلاء، تأسيس سنة ٧٥١هـ وأسفله، مسجد الطريحي بالنجف الأشرف، المنسوب للمحقّق الكركي الشيخ علي بن عبد العالي (ت:٩٤٠هـ).





صورة رقم (٦) مسجد الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي: (ت:٩٦٥هـ)، وقد شيّد على بعض مدرسته ومسجده القديمين، بجباع.

قال الشهيد، مُخاطباً أبا الحسن البكري :

« ما تقولون في أمر هؤلاء العوام، الذين لا يعرفون شيئاً من الدلالات المُنجية من الهلكات. ما حكمهم عند الله سبحانه. وهل يرضى منهم هذا التقصير؟ بل ننقل الكلام إلى العلماء الأعلام والفضلاء الكرام. الذين جمد كلٌ منهم على مذهب من المذاهب. ولم يدرِ ما قيل فيما عدا ذلك المذهب الذي اختاره. مع قدرته على الإطلاع والفحص وإدراك المطالب. وقنع بالتقليد للسلف. وجزم بأنهم كفوه مؤنة ذلك. ومن المعلوم أن الحق في جهة واحدة. فإن قالت إحدى الفرق، الحق في جانبنا، اعتماداً على فلان وفلان، فكذلك الأخرى تقول. إعتماداً على مُحققيهم وأعيان مشايخهم. لأن ما من فرقة إلا ولها فضلاء ترجع إليهم وتقول عنهم. فالشافعيّة مثلاً يقولون، نحن الإمام الشافعي وفلان وفلان كفونا ذلك. وكذلك الحنفيّة يستندون إلى الإمام أبي حنيفة وغيره من مُحققي المذهب. وكذلك المالكيّة والحنابلة يستندون إلى فضلائهم ومُحققيهم. وكذلك الشيعة يقولون، نحن السيد المرتضى والشيخ الطوسي والخواجا نصير الدين والشيخ جمال الدين وغيرهم. بذلوا الجهد، وكفونا مؤنة التفحّص. ونحن على بصيرة من أمرنا. فكيف يكتفي مثل هؤلاء الفضلاء بالاقتصار على أحد هذه المذاهب، ولم يطّلع على حقيقة المذهب الآخَر؟ بل ولا وقف على مُصنّفات أهلها ولا عرف أسماءها. فكون الحق مع الجميع لايُمكن. ومع البعض ترجيح من غير مُرجّح».

أجاب أبو الحسن :

«أمّا ما كان من أمر العوام، فنرجو من عفو الله أن لا يؤاخذهم بتقصيرهم. وأمّا العلماء فيكفيهم كون كل منهم مُحقاً في الظاهر».

قال الشهيد :

«كيف يكفيهم مع ما ذكرنا من تقصيرهم في النظر وتحقيق الحال؟».

أجاب :

«ياشيخ جوابك سهل. مثال ذلك مَن وُلد مختوناً. فإنه يكفيه عن الختان الواجب شرعاً».

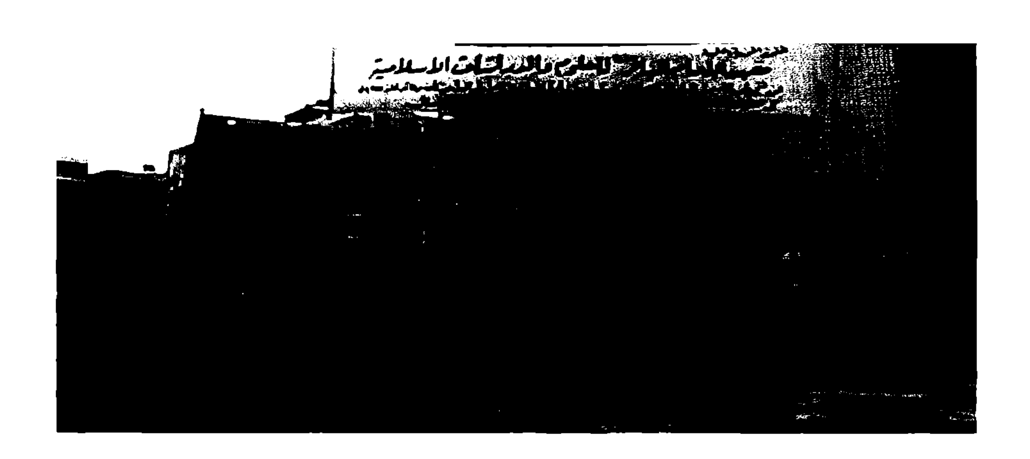
قال :

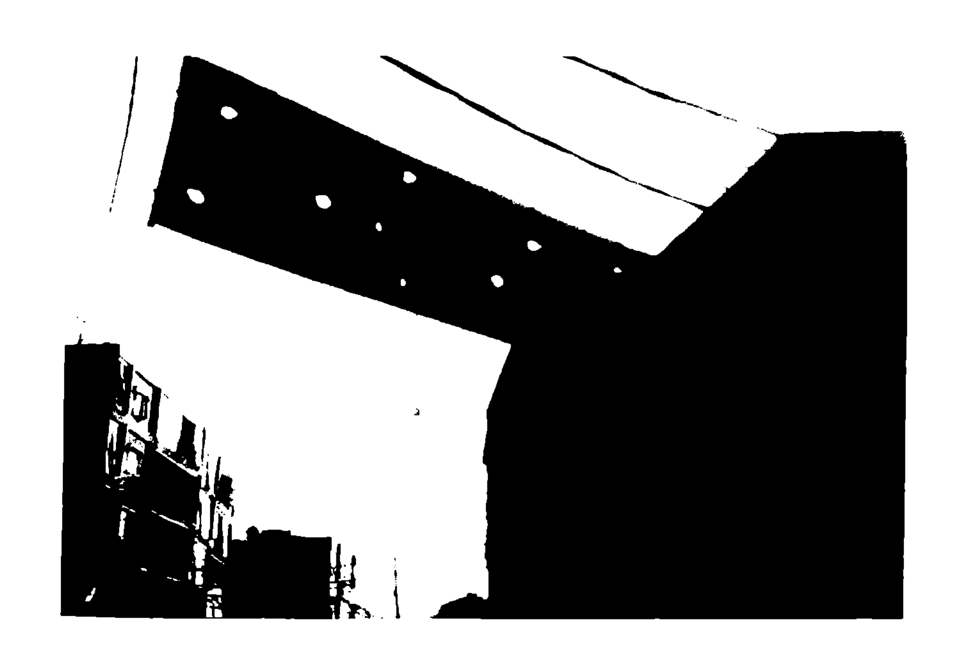
« هذا المختون خلقةً لا يسقط عنه الوجوب حتى يعلم أن هذا هو الختان الشرعي. بأن يسأل ويتفحّص من أهل الخبرة والمُمارسين لذلك. وأن هذا القدر الموجود خلقةً هل هو كافٍ في الوجوب شرعاً أم لا. أمّا أنه من نفسه يقتصر على ما وجده، فهذا شرعاً لا يكفيه».

أجاب :

« ياشيخ، ليست هذه أول قارورة كُسرت في الإسلام»

ملحق رقم (١) الحوار الذي جرى بين الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجباعي، وأبرز فقهاء الشافعية الشيخ أبي الحسن علي بن محمد البكري الشافعي (ت: ٩٥٢هـ) في طريقهما إلى الحج سنة ١٩٤٣ هـ. (العاملي، علي بن محمد الجبعي: الدر المنثور، ١/١٦٤-١٦٥).





صورة رقم (١٣) لافتات تدعو للانضمام الى بعض الحوزات المعاصرة (رجالية أو نسويّة) في بعض شوارع الضاحية الجنوبية لبيروت.

بسمه تعالى

الموضوع: ميثاق الحوزات الدينية في لبنان. التاريخ: ٢٧ رجب ١٤٢٣ هـ.

الجهة: جماعة من العلماء القيمين على الحوزات. الموافق له: ٧/١٠/٢٠٠٢ م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

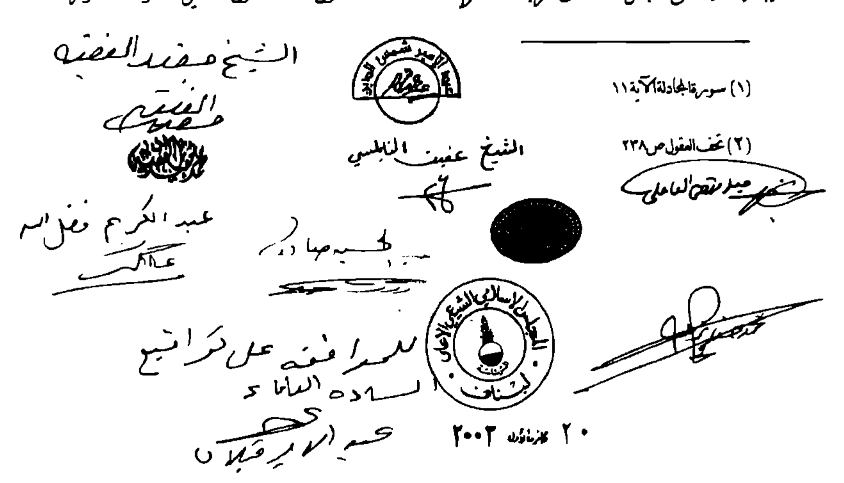
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ ..(١)

.. مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه ..(٢).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وآله الغر الميامين.

وبعد ..

إن الإسلام الذي هو أقر نعمة بعد الوجود، قد صدع بتبليغ أصوله وفروعه، الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وأوصياؤه الأئمة المعصومون عليهم السلام، واجتهد في حفظه، وترويجه، في غيبة إمام الحق عجل الله تعالى فرجه الشريف، العلماء العاملون، المخلصون، الذين أنفقوا كنوز


(١) سورة المجادلة الآية ١١

(٢) تحف العقول ص ٢٣٨

الشيخ عفيف النابلسي

[redacted]

٢٠ كانون٢ ٢٠٠٣

ملحق رقم(٣) (ميثاق الحوزات الدينية في لبنان) الذي صدره بعض مسؤولي الحوزات وحظي بمباركة ابرز العلماء الشيعة بلبنان، صور عن تواقيع هؤلاء العلماء.

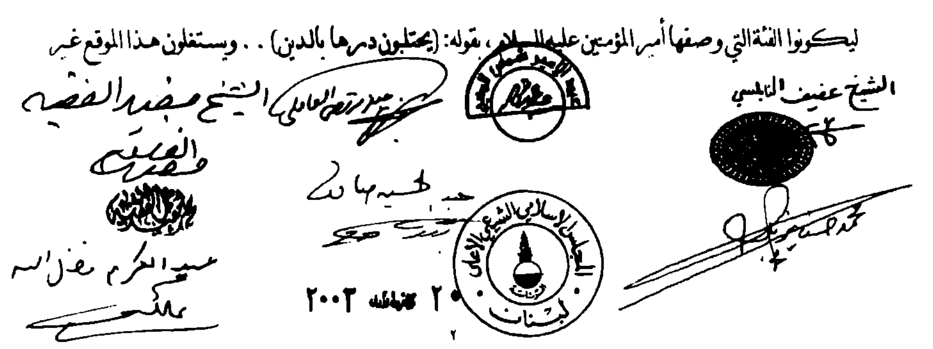
أعمارهم، في النظر في آثار النبوة، لحفظ الشريعة، واستنباط الأحكام، ونشرها، وبثها، تعليماً وسلوكاً بين الأنام.

وقد كان هؤلاء العلماء يهتمون بأن يتوارث مشعل العلم، والفقه، خلفٌ منهم من بعد سلف، فأنشأوا لهذه الغاية الشريفة المدارس والحوزات، يحوطونها بالرعاية العلمية والروحانية، ليتخرج منها أجيال من العلماء، والفقهاء، يكونون في كل زمان مناراً في البلاد، وقدوة للعباد.

ومن هنا نأمل أن يكون للحوزات الدينية في أقطار العالم الإسلامي عموماً، ولحوزات لبنان بالخصوص، في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، كما كان لها في القرون الماضية الأثر الفعال في بناء المجتمع الايماني، الموالي لأهل البيت عليهم السلام، المتميز بوعي أفراده، وجدية التزامهم بالعقيدة الحقة، التي يواجهون بها مختلف التحديات. وقد تميز علماؤنا الأبرار بعطاءاتهم، وإنجازاتهم العلمية، والحضارية، التي خدمت ولا تزال تخدم الإنسانية جمعاء.

وكان المؤمنون العارفون، بل عامة الناس فيما مضى، جيلاً بعد جيل، يرون في علماء الدين، نماذج كمالية، ومشاعل نورانية، فانعكس هذا الأمر تقديساً، وحباً، وتقديراً لهم، فملكوا القلوب، وغدوا ملوكاً على النفوس، وإن لم تكن لهم دولة.

ولكي نحفظ هذه المكانة المميزة التي حازوها على الدوام من تطفل المتطفلين، وطمع بعض ضعاف النفوس، والإنتهازيين، الذين قد يغريهم ترك الأمور على غاربها، فيعملون على فتح ثغرة خطيرة ينفذون منها. ليكونوا الفئة التي وصفها أمير المؤمنين عليه السلام، بقوله: (يحتلبون درها بالدين) . . ويستغلون هذا الموقع غير

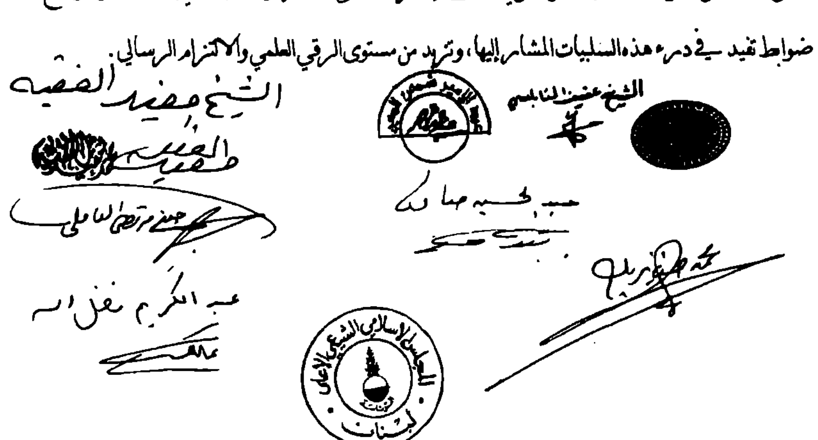


٢

متحرجين من التعدي على الحدود الشرعية، ولا مكترثين من تجاوز كثير من الآداب الإسلامية.

لكي نحفظ هذه المكانة، كان من الطبيعي أن نعمل على تحصين المواقع العلمية وتقويتها، وحفظ هذا المسلك العلمي المقدس، من سلبيات ربما ينشأ عنها، حالة من الضعف والوهن، في أداء الرسالة الإسلامية المقدسة.

وأمام هذا الأساس لضرورة التصدي لهذه الحالات التي يمكن أن تنشأ، وحرصاً على صفاء، ونقاء صورة حملة الرسالة، والذائدين عن حياض هذا الدين، حتى لا تتشوه صورة العالم في نفوس كثير من الناس. تلاقى جماعة من أهل العلم، والفضل، ممن يتصدون للإشراف على المدارس العلمية الدينية في لبنان، لوضع ضوابط تفيد في درء هذه السلبيات المشار إليها، وتزيد من مستوى الرقي العلمي والالتزام الرسالي.



٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٢

تمهيد في الأسباب والدوافع

وقد رأينا أن من واجبنا أن نعمل على تحصين المواقع العلمية وتقويتها، وذلك بأن نتحرز من الأمور التالية:

١.أن يصل الأمر إلى حد تصبح معه دعوى الاجتهاد، أمراً مبتذلاً وهيناً، يدّعيه من ليس أهلاً له.

٢.منع الامتيازات للقاصرين علمياً، الذين قد يسيئون في تعاطيهم في الشأن العلمي، ويسيئون للدين، وللحق، ولقداسة العلماء، فيجب التحرز من الوقوع في هذا المحذور.

٣.تدني المستوى العلمي، حيث لوحظ أخيراً تعجّل بعض الطلبة في لبس الزي العلمي، والتصدي للعمل، في مجال التبليغ، والإرشاد، والتعليم، في إطار أوسع من مدركاتهم، فيجب أيضاً التحرز من وجود مثل هذه الحالات.

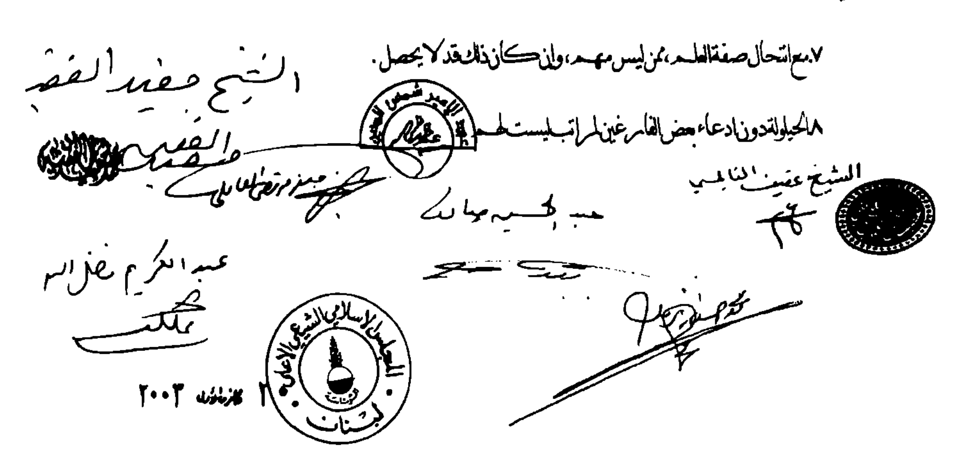
٤.ارتكاب المنافيات للشرع وللآداب، التي قد تصدر من نزر من المتلبسين باللباس الديني، حتى لو كان عن غير قصد أو التفات.

٥.يجب التحرز من استغلال قلة من ضعاف النفوس لموقعهم الديني، على المستوى الاجتماعي والمادي، في ممارسات غير لائقة دينياً، وعرفياً، كجمع قلة نادرة للأموال بطريقة غير خاضعة للأصول الشرعية، أو الضوابط الاجتماعية.

٦.يجب التحرز من التحصن بالزي، لمخالفة النظام الاجتماعي العام بطريقة تعطي الانطباع السيء، عن أهل العلم وغيرهم.

٧.منع انتحال صفة العلم، ممن ليس منهم، وإن كان ذلك قد لا يحصل.

٨.الحيلولة دون ادعاء بعض القاصرين لمراتب ليست لهم

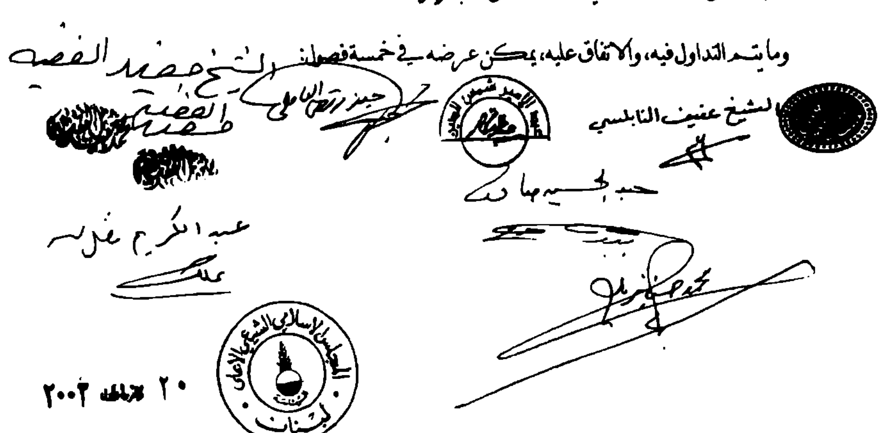


فصول الميثاق

كانت الخطوة الأولى التي انبثقت عن هذا الاجتماع، هي الاتفاق على أمور اجتمعت عليها كلمتهم، وتفيد في رسم الصورة الصحيحة التي ينبغي أن تكون عليها الحوزات وطلابها، والقيمون عليها .

وقد صيغ هذا العمل على أساس التنسيق بين المؤسسات الحوزوية، في نطاق العمل في دائرة المشتركات، وما هو محل وفاق، على أساس أن يوفق الله سبحانه وتعالى، لتوسيع دائرة التوافق والتعاون، من خلال التشاور والتعمق في بحث القضايا، وما ذلك على الله بعزيز . .

وما يتم التداول فيه، والاتفاق عليه، يمكن عرضه في خمسة فصول:



٢٠ [illegible] ٢٠٠٢

الفصل الأول

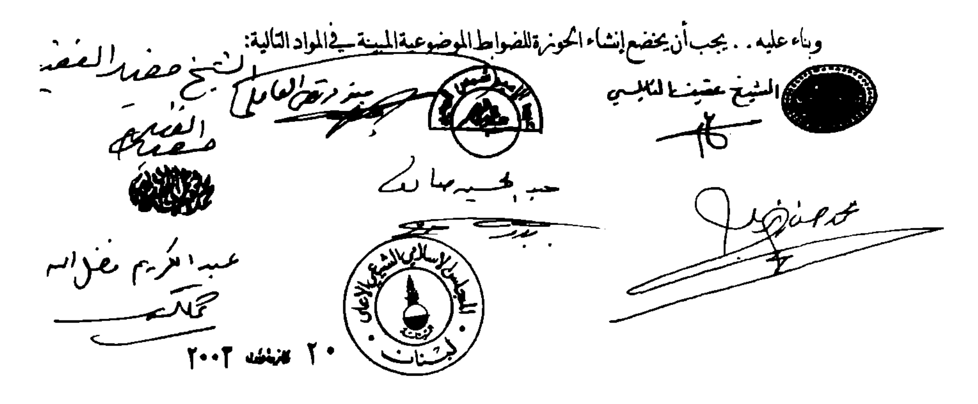
إنشاء الحوزة

الحوزة هي مجمع علمي ديني دراسي، يعنى بتعليم طلابه العقيدة الإسلامية، والعلوم الموصلة إلى الاستدلال على الحكم الشرعي، واستنباطه من مظانه.

وهذا التعريف يرمي إلى تمييز طلب العلم الديني، عن بقية الاختصاصات العلمية في العلوم، والآداب الإنسانية، وهو مخرج أيضاً لكثير ممن حاز بعض العلوم والثقافة الإسلامية العامة، بمقدار لا يفي للاستدلال على الأحكام الشرعية.

فالحوزة العلمية تهدف إلى أن يصبح الطالب المتخرج منها، فقيهاً مجتهداً، أو مبلغاً عارفاً بالإسلام، وبحقائقه، بمقدار يؤهله لأن توكل إليه مهمة الدعوة إلى الإسلام، وتبليغ أحكامه، ونشر مفاهيمه وحقائقه، سواء أكان بالكتابة، أم بالخطابة، أم متخصصاً في بعض العلوم الحوزوية، أم باحثاً ملتزماً بمنهجية البحث العلمي، التي ستوضح في الملاحق الخاصة لذلك، أم منصرفاً للتدريس، أم في موقع يتناسب مع جانب العلم الديني. وذلك بعد أن يتم إعداده في الحوزات العلمية، من خلال دراسة المقدمات، والسطوح العليا، ومقدار من بحث الخارج في الفقه والأصول.

وبناء عليه.. يجب أن يخضع إنشاء الحوزة للضوابط الموضوعية المبينة في المواد التالية:



٦

المادة الأولى: المنشىء للحوزة . .

ويشترط في من يبادر إلى إنشاء الحوزة، أن يكون من أهل العلم المعروفين، بكفاءتهم العلمية والسلوكية، والمعززين بشهادة العلماء بذلك .

المادة الثانية: الهيئة التعليمية . .

ويجب في الهيئة التعليمية أن تكون من الفضلاء المقتدرين على تدريس المواد المقررة للطلاب .

وهذان هما الأساس الذي تعتمد عليه الحوزات، وما سواهما من المفردات المادية، إنما هي أمور كمالية .

المادة الثالثة: طالب العلم الديني . .

يوجد نوعان من المنتسبين إلى الحوزات العلمية، هما:

الإبتدائي: وهو الذي ينتسب إلى الحوزة ابتداء، ولكي يدرس طلب انتسابه لا بد له من:

١. التعريف عنه، وحده الأدنى:

أ: الأوراق الثبوتية الصحيحة، والصريحة . .

ب: التأكد من حسن سابقته . .

ج: شهادة تعريف، وحسن سلوك من علماء قرى الحوزة المعنية كفاية

شهادة

الشيخ عفيف النابلسي

الشيخ محمد الفقيه

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان

٢٠ [illegible] ٢٠٠٢

٢. الأهلية العلمية، بأن يكون حائزاً على شهادة تؤهله دخول الجامعة، ولا يكفي ادعاء الأهلية لذلك بدون هذه الشهادة.

ثم تدرس الحوزة طلبه بالاستناد إلى ذلك، وملاحظة سائر الاعتبارات المعتمدة في تلك الحوزة، يقبل انتسابه أو يرفض..

الانتقالي: وهو من سبق له أن انتسب لحوزة أخرى، فيطلب تعريفه أو ملفه من الحوزة السابقة، وتعامله الحوزة حسب المقررات، مع أخذ المعطيات المطلوبة بنظر الاعتبار..

ملاحظة: يجب اعتماد فترة تجريبية لا تقل عن فصل دراسي، أي ثلاثة أشهر..

المادة الرابعة: المراحل الدراسية..

يجب اعتماد المراحل المتعارف عليها في المناهج الدراسية، وهي ثلاث:

المرحلة الأولى المقدمات: وهي ما عدا الفقه والأصول من العلوم التي يتوقف عليها الاستنباط من قبيل النحو بمستوى ألفية ابن عقيل مثلاً، والمنطق بمستوى المنطق للعلامة المظفر، والمعاني والبيان بمستوى جواهر البلاغة، أو مختصر التفتازاني، بالإضافة إلى ذلك كله، دراسة رسالة فقهية عملية كاملة، ودراسة كتاب عقائدي، ولو في حدود كتاب عقائد الإمامية للمظفر.

المرحلة الثانية السطوح: وهي كتب الفقه، والأصول المتداولة دراسياً، كاللمعة، والحلقات، وأصول الفقه، والكفاية، والرسائل، والمكاسب، بالإضافة إلى دراسة لكتاب في الدراية، ويقترن ذلك كله مع كتب في العقائد، بمستوى شرح التجريد.

الشيخ عفيف النابلسي

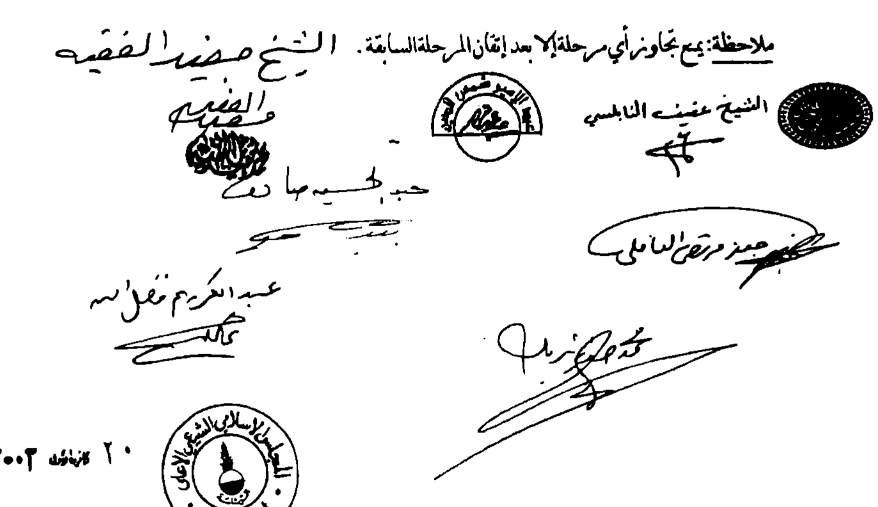
المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى — لبنان

٢٠ [illegible] ٢٠٠٣

وهاتان المرحلتان تؤهلان الطالب علمياً، بحيث يصبح مستوعباً لجمل المسائل الأصولية والفرعية، وتؤهلانه أخلاقياً، وسلوكياً، وعقائدياً.

المرحلة الثالثة بحث الخارج: وهي مرحلة الدراسات العليا في الفقه والأصول، وهي تقترن مع بداية مرحلة التخصص في حقل من الحقول، في العلوم الإسلامية.

ملاحظة: يمنع تجاوز أي مرحلة إلا بعد إتقان المرحلة السابقة.



٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣

الفصل الثاني

التنسيق بين الحوزات

ينبغي التنسيق بين الحوزات بما يلي:

١ـ تبادل التعريف بالملفات الخاصة بالطلاب، مع الإشارة إلى المنتسبين الذين لم يجتازوا فترة الاختبار المقرر في الحوزات.

٢ـ التعاون لتأمين أساتذة في حال الحاجة.

٣ـ تفعيل البحوث العلمية.

٤ـ عقد الندوات حول مواضيع معينة.

٥ـ تبادل الخبرات الإدارية والمناهج العلمية.

الشيخ عفيف النابلسي

الشيخ مفيد الفقيه

عبد الحسين صادق

عبد الكريم فضل الله

محمد رضا العاملي

٢٠ ... ٢٠٠٣

محمد ...

ارتداء لباس أهل العلم

وهذه الفقرة مهمة جداً، إذ يضع المرتدي للباس نفسه في موضع المسؤولية مباشرة.

وقد توافق مشرفو الحوزات العلمية على أن مرحلة ارتداء اللباس الديني لا تكون إلا بعد إنهاء مرحلة السطوح، وبعد أن يمتحن بمحضر من أساتذة من مرحلة السطوح فما فوق، من نفس الحوزة، ويمكن أن يدعى البعض من الحوزات الأخرى، فيتم الأمر بموافقتهم جميعاً، أو الأكثر.

وأما من لم يبلغ المستوى الدراسي المشار إليه أعلاه، فلا يحق له ارتداء الزي، إلا في حالات استثنائية، تدرسها هيئة الأمناء، ويكون القرار لهم في ذلك، وفقاً لمعطيات بالغة الأهمية، تصل إلى حد الضرورة.

ومنشأ هذا التدبير، هو أن هذه المرحلة تمتع بأمرين:

الأول: النضج العلمي، مما يؤهله للمسؤولية الاجتماعية بدرجة مقبولة، بخلاف المقدمات، فإن النضج العلمي غير متوفر فيها.

الثاني: أنها محددة بحد معين ومعروف، وهذا بخلاف مرحلة الخارج.

ملاحظة هامة: يجب احترام هذا الزي الخاص، وعدم الاستفادة منه فيما بعد هتكاً للصف..

الشيخ عفيف النابلسي

جعفر مرتضى العاملي

عبد الكريم فضل الله

٢٠ تشرين ٢٠٠٢

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لبنان

الفصل الرابع

تمهيد في المراد من المخالف

أولاً: المخالف لنظام الحوزة، إن كان منتسباً لها، فإنها هي التي تتخذ في حقه الإجراء الإداري المناسب.

ثانياً: المخالف الذي لا ينتسب فعلاً إلى الحوزات العلمية، وهو على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من ارتدى اللباس الديني قبل بلوغه المرحلة المناسبة المذكورة في الفصل الثالث.

القسم الثاني: المرتكب للمنافيات الشرعية والأخلاقية، بلا مبالاة.

القسم الثالث: المستغل للموقع الديني في ممارسات غير لائقة.

ثالثاً: المنتحل لصفة أهل العلم، وهو:

القسم الأول: المنتحل لصفة أهل العلم من غير الطلبة، وإن كان من المحسوبين عليهم عند عامة الناس.

القسم الثاني: المنتحل المدعي لمقامات مقدسة، وخطيرة، وهو ليس أهلاً لها.. من قبيل الاجتهاد، والمرجعية.

القسم الثالث: وهو الأكثر شيوعاً، ويشمل من خالف المقرر في المرحلة الدراسية.

القسم الرابع: وهم الأخطر، وهو الذي يظهر المخالفة للمسلمات العقائدية.

الشيخ عفيف النابلسي

جعفر مرتضى العاملي

عبد الكريم فضل الله

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان

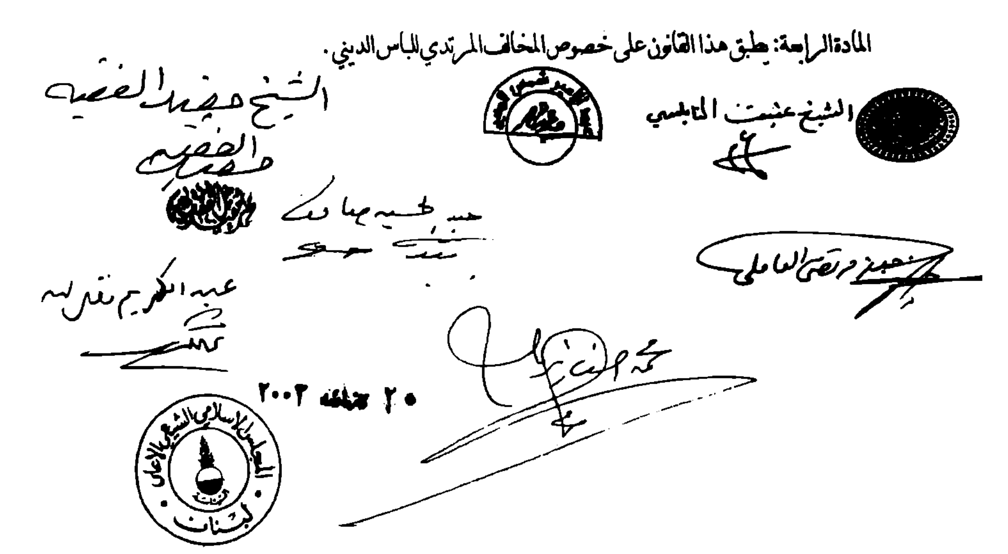
قانون الجزاء والتصدي

المادة الأولى: يطلب من المخالف، والمنتحل، العدول عن مخالفته بالتنبيه، ثم التحذير، ثم اتخاذ الإجراء المناسب بحقه، ويتم ذلك بالتعاون مع سطلة إجراء رادعة، تمنعه من لبس الزي الخاص، ومن ممارسة دور أهل العلم.

المادة الثانية: يصدر تعميم بحق المخالف والمنتحل، لكل المعنيين من العلماء، والجهات العامة، من الجمعيات، والأحزاب، والمؤسسات الحكومية، والمراجع المختصة، ويبين حاله لديهم.

المادة الثالثة: ثبوت صفة الانتحال خاصة، يجب أن يتم بإجماع المشرفين على الحوزات صاحبة الميثاق.

المادة الرابعة: يطبق هذا القانون على خصوص المخالف المرتدي للباس الديني.



الفصل الخامس

هيئة الأمناء

المادة الأولى: هيئة الأمناء تتألف من العلماء اللبنانيين الذين لهم صفة الإشراف على الحوزات العلمية، الذين واكبون هذا الميثاق تأسيساً، وانجازاً، ويشرفون على تطبيقه في حوزاتهم، ويعملون على تعميمه قدر الإمكان، ويجتمعون بشكل دوري، وحين تدعو الحاجة، وإليهم أمر إقرار الملاحق التفصيلية فيما يرتبط بالقوانين الشارحة.

المادة الثانية: تشكل لجنة لمتابعة التوصيات مؤلفة من إدارة شؤون الحوزات في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ممثلة بشخصين، وأربعة مندوبين معينين من قبل هيئة الأمناء، مهمتها أن تجتمع دورياً لمراقبة سلامة التطبيق، وتدون الملاحظات لرفعها لهيئة الأمناء عندما تدعو الحاجة.

المادة الثالثة: تتولى هيئة الأمناء النظر في كل طلب طارئ بعد رفعه من قبل اللجنة المشار إليها في المادة الثانية لاتخاذ القرار فيها.

المادة الرابعة: تتخذ هيئة الأمناء المواقف والتصريحات بالنسبة إلى الأحداث الطارئة التي لا ترتبط بالحالات المنوعة المذكورة، عبر اقتراح من أحد أركان الهيئتين: الأمناء، أو الجهة المذكورة في المادة الثانية.

المادة الخامسة: توجه الرسائل والطلبات إلى اللجنة المذكورة في المادة الثانية لتوثيقها ودراستها والتحقيق فيها ثم عرضها على الهيئة الأمناء لإبداء الرأي طبقاً للمادتين الثانية والثالثة.

الشيخ عفيف النابلسي

حيدر مرتضى العاملي

٢٠ [illegible] ٢٠٠٢

١٤

كلمة أخيرة: إننا نأمل أن يصبح هذا الميثاق بعونه تعالى، بمثابة الشروط المبانية لسلامة طلب العلم الديني، وتشذيبه، وتهذيبه، وذلك بعد فترة من ممارسته، بحيث يصبح سنة حسنة للأجيال القادمة، فينالنا أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

تعديل بتاريخ ٢٩ أيار ٢٠٠٣م.

بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون). نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ميثاق الحوزات العلمية في لبنان طريقاً للإصلاح على خط الإيمان الأصيل وتوحيد وسد [illegible] القائمين به والعاملين لتطبيقه إلى حفظ الفقه الرباني وصيانة حوزته من أي اختراق إنه نعم المولى ونعم النصير

عبد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وبعد فقد وجدنا في سبيل هذا الميثاق المبارك الذي هو تثبيت للنهج الشرعي الأصيل للحوزات العلمية [illegible] وقد اطلعت على النصا [illegible] الإخوة الأفاضل الذين تناولوا هذا الميثاق مما نصه بخلاصة ما دفعه جزاهم الله خير الجزاء نسأل الله أن يوفق الجميع لتطبيقه بشكل عام على كل الحوزات لخدمة الشرع المقدس والله ولي التوفيق

[illegible]

بسم الله الرحيم الرحمن
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين
وبعد فقد تداعى الغيارى على الدين والحفظة لشريعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله من العلماء من اللبنانيين من جبل عامل وبعلبك واتفقوا على تأسيس [illegible] واتفقوا في بداية أمرهم على إقامة [illegible] يتحملون من خلاله مسؤولياتهم [illegible] أمام الله والتاريخ والمستقبل وقد تقدم لحمل هذه المسؤولية [illegible] عرفوا بفضلهم وعلمهم وتاريخهم ونحن إذ نبارك هذا العمل ندعو الله أن يحفظهم ويسدد خطاهم

عفيف النابلسي

٢٢/١١/٢٠٠٢م
٢٧ رمضان المبارك/

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد والصلاة والسلام على محمد وآله وبعد فإن الإخوة الأكارم، وبدافع من إحساسهم بالمسؤولية قد تداعوا فيما بينهم لتدارس وضع الحوزات العلمية التي يشرفون عليها، فكان هذا الميثاق الكريم هو ثمرة جهودهم هذه، وقد أرادوه بمثابة انطلاقة للعمل الواعي والبناء في سبيل الله. فسدد خطاهم، وإنا نسأل [illegible] لعاملين المجاهدين في سبيله وأن يعينهم في تطبيق هذا الميثاق، [illegible]

[illegible] مرتضى العاملي

٢٠ [illegible] ٢٠٠٢م

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان

عبد المحسن [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" و [illegible] العلمية أمانة أسأل الله أن يكون في هذا الميثاق حفظاً للدين وحماية العلم والمرجعية الشيعية وأن [illegible] الإخوة في [illegible]

عبد الكريم فضل الله

محمد [illegible]

[illegible] للتوقيع

[illegible] على [illegible] العلماء

حسن [illegible]

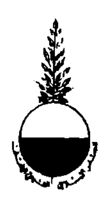
بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعت على ميثاق الحوزات العلمية الدينية في لبنان وعلى خلفيته والافكار المطروحة حول اجرائه، وأرى فيه ضرورة اكيدة لساحتنا الدينية وطرحاً مباركاً ستكون له الكثير من الآثار الطيبة على مجمل العمل الاسلامي والديني في لبنان وابدي كل الاستعداد لتقديم اي عون او مساندة اودعم لتطبيقه على احسن وجه ان شاء الله تعالى

مع شكري للسادة العلماء القيمين على هذا الانجاز الكبير.

حسن نصرالله

٩ رجب ١٤٢٤ هـ



بسمه تعالى

رئاسة

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

لبنان

قرار رقم ت د ٢٠٠٣/٢

إن نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

بناء على القانون رقم ٦٧/٧٢ تاريخ ١٩ كانون الأول ١٩٦٧ (تنظيم شؤون الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان)

بناء على القرار رقم ١٥ الصادر بتاريخ ٢١ آب ١٩٦٩ (النظام الداخلي للمجلس الإسلامي الشيعي الاعلى) والمكرّس بالقانون رقم ٨٦/٢٠ تاريخ ١٤ حزيران ١٩٨٦ لا سيما المادتين ٢٨ و٢٩ من القرار ١٥ (الهيئة الشرعية).

وبعد استطلاع رأي الهيئة الشرعية على ميثاق الحوزات الدينية في لبنان الذي تم إعداده من قبل أصحاب السماحة (مرفق ربطاً).

يقرر ما يلي

أولاً: يوافق المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان على " **ميثاق الحوزات الدينية**" الذي يتولى الإشراف على المدارس العلمية الدينية الخاصة بالطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان ويحدد أسس إنشائها والتنسيق بينها ويزيد من مستوى الدراسة العلمية الدينية والالتزام الرسالي.

ثانياً: يُعيّن كل من صاحبي السماحة القاضي الشيخ محمد مهدي اليحفوفي والشيخ علي عبد الأمير شمس الدين في لجنة المتابعة لهيئة الأمناء استناداً إلى نص المادة الثانية من الميثاق من الفصل الخامس (هيئة الأمناء) ويرتبطان مباشرة برئاسة المجلس.

ثالثاً: يبلغ هذا القرار حيث تدعو الحاجة ويُعمل به من تاريخه.

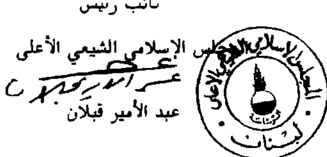
بيروت في ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٣

نسخة طبق الأصل



نائب رئيس

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى



عبد الأمير قبلان

كتاب المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يقر موافقته على هذا الميثاق.



أسماء المعتقلين اللبنانيين في العراق

- سماحة الشيخ علي حسين جعفر: مواليد ١٩٤٦ - مدرس في حوزة العلوم الدينية بالنجف الأشرف.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

- ابراهيم الشيخ علي جعفر: مواليد ١٩٧٤ - طالب مدرسة في ثانوية النجف.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

- سماحة الشيخ طالب الخليل: مواليد ١٩٤٤ - مدرس في حوزة العلوم الدينية بالنجف الأشرف.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

- الشيخ مهدي مفيد الفقيه: مواليد ١٩٦١ - طالب علوم دينية.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

- هادي مفيد الفقيه: مواليد ١٩٦٩ - طالب مدرسة.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

- الشيخ صادق محمد رضا الفقيه: مواليد ١٩٦٣ - طالب علوم دينية.
أعتقل بتاريخ ١٩٩١/٣/١٧ في مدينة النجف الأشرف.

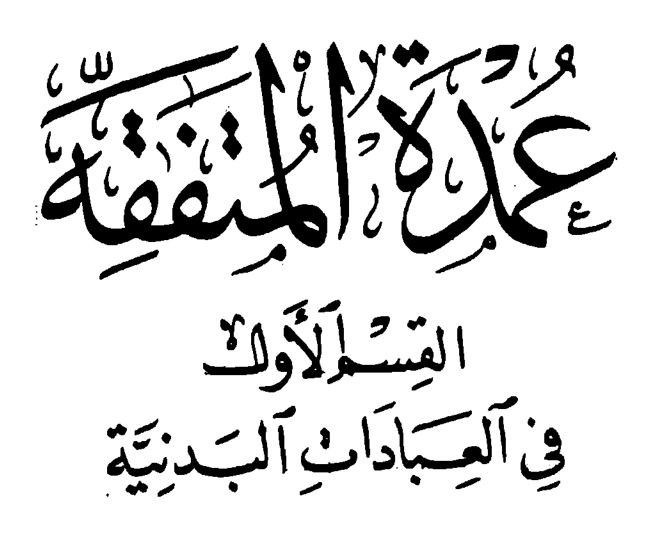
- نصيف ابراهيم دهيني :	أعتقل في العراق عام ١٩٨٠.
- حسين عبد الحليم شعيب :	أعتقل في العراق عام ١٩٨٠.
- رنبال خليل جلول :	أعتقل في العراق عام ١٩٨٦
- جلال محمد حسين الهادي:	أعتقل في العراق عام ١٩٨٦.
- محمد أحمد الخليلي :	أعتقل في العراق عام ١٩٩٠.
- صبحي خليل حيدر :	أعتقل في الكويت عام ١٩٩٠.
- دعد عمر انيس الحريري:	اعتقلت في الكويت عام ١٩٩٠.

اللجنة الوطنية لدعم
المعتقلين اللبنانيين في العراق

ملحق رقم(٤) قائمة بأسماء لبنانيّين معتقلين بالعراق من عام ١٩٨٠-١٩٩١م.



صورة رقم (١٤) صورة لطلاب كلية الفقه بالنجف الأشرف (الدفعتان الأولى والثانية) وبينهم مجموعة من اللبنانيين.



تأليف

المرجع الديني آية الله العظمى

الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي

دام ظله

صورة رقم (١٥) الرسالة العملية لمرجع لبناني معاصر.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث النبويّة الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
- أ -	
إبراهيم، السيد حسن علي	١٦٩
، السيد علي	١٦٨، ١٦٩
، السيد محمد حسن علي	١٦٩
آل إبراهيم، محمد	١٦٤، ١٦٩
ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني	٣٥١
ابن إدريس، محمد بن منصور الحلّي	٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ١٤٦، ٢٤٢، ٣٠٣
أختري، محمد	٢٤٢
الأحسائي، علي بن أبي جمهور	١٠٩
الأردبيلي، أحمد بن محمد المقدّس	١٢٩، ١٣٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٣٤٥، ٣٩١
أرسلان، شكيب	١٩، ٦٢
ابن الأرقم، زيد	١٩
الأسدي، الحسن بن يوسف (العلامة الحلي)	٧٨
الأسدي، زين العابدين العاملي	١٨٨، ١٨٩، ٢٥٤
، الكميت بن زيد	٨
الأشعث، عبد الرحمٰن بن محمد	٢٨، ٢٩
الأشعري، الأحوص بن سعد بن مالك	٢٩
، إسحاق بن سعد بن مالك	٢٩
، السائب بن مالك بن عامر	٢٩
، عبد الرحمٰن بن سعد بن عامر	٢٩
، عبد الله بن سعد بن عامر	٢٩

ـ ب ـ

- حـ -

- س -

- ش -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

• م •

فهرس الأماكن والبلدان

- ت -

- ج -

. غ .

. ف .

. ق .

- ك -

فهرس الأديان والمذاهب والفرق والجماعات

فهرس المصادر والمراجع

المصادر

- ابن الأثير، علي بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفرات، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الأحسائي، محمد بن علي بن أبي جمهور: غوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، قم، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ابن إدريس، أبو عبد الله محمد بن أحمد العجلي الحلّي: السرائر، النجف الأشرف، مكتبة الروضة الحيدرية، لات.
- الأربلي، علي بن عيسىٰ: كشف الغمّة في معرفة الأئمة، بيروت، دار الأضواء، ط٥، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- الأشعري، أحمد بن عبد الله بن خلف: المقالات والفرق، طهران، مركز انتشارات علمي وفرهنكي، ١٤٠٢/ ١٩٨٣.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب: محاضرات الأدباء، بيروت دار ومكتبة الحياة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.
- الحسين بن محمد الراغب: معجم مفردات القرآن الكريم، تحقيق محمد سيّد الجيلاني، بيروت، دار المعرفة، لا.ت.
- أبو الفرج علي بن الحسين الأموي: كتاب الأغاني، بيروت دار إحياء التراث العربي (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، لا،ت.
- أبو الفرج علي بن الحسين الأموي: مقاتل الطالبيين، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- الأفندي، الميرزا عبد الله الأصبهاني: رياض العلماء وحياض الفضلاء، قم، مطبعة الخيام، ١٩٨١/ ١٤٠١.
- الأنصاري، مرتضىٰ: المكاسب، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠.

- البحراني، يوسف: لؤلؤة البحرين، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

: الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، بيروت، دار الزهراء ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

: كشكول البحراني، بيروت، دار الهلال، ط١ ١٤١٨/ ١٩٩٨.

- بحر العلوم، محمد مهدي: بلغة الفقيه تحقيق محمد بحر العلوم، طهران مكتبة الصادق، ط٤، ١٤٠٣/ ١٩٨٤.

: الفوائد الرجالية، (تحقيق محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم)، النجف الأشرف مطبعة الآداب، ط١، ١٣٨٥/ ١٩٦٥.

- ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، لات.

- الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سؤرة: سنن الترمذي، تحقيق صدقي محمد جميل العطّار، بيروت، دار الفكر ١٤١٤/ ١٩٩٤.

- التوحيدي، أبو حيّان: الأمتاع والمؤانسة، قم، مطبعة إسماعيليان، ١٤١٢/ ١٩٩٢.

- الجبعي، زين الدين بن علي (الشهيد الثاني): علم الدراية، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، لات.

- ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رحلة ابن جبير، بيروت دار التراث، ١٣٨٨/ ١٩٦٨.

- الجزري، عز الدين علي بن محمد الجزري: أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنّا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد، بيروت، دار الشعب، لات.

- ابن الجزري، محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القرّاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٨/ ١٩٣٩.

: لسان الميزان، حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٩/ ١٩٢٠.

- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، طهران، دار الكتب الإسلامية، لات.

: أمل الآمل في علماء جبل عامل، تحقيق أحمد الحسيني، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

: وسائل الشيعة إلى تحصيل أحكام الشريعة، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط٦، ١٤١٢/ ١٩٩١م.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢/ ١٩٦٢.

- الحلبي، أبو الصلاح تقي الدين بن نجم: الكافي في الفقه، قم ، دار اسماعيليان، ١٤٠٠ هـ/ ١٨٨٠م

: علي بن برهان الدين الشامي: السيرة الحلبية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٦/ ٢٠٠٦.

،علي بن برهان الدين الشامي، السيرة الحلبية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م

- الحلي، جعفر بن الحسن المحقق: شرائع الإسلام، بيروت، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤١٥/ ١٩٩٥.

- ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار صادر، لات (مصورة عن الطبعة الحجرية).

- ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي: المقدّمة، تحقيق د علي عبد الواحد والي، القاهرة، لجنة البيان العربي، ط٢، لا ت.

: كتاب العبر (تاريخ العلامة ابن خلدون)، بيروت، دار مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

- الخوانساري، محمد باقر: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، قم، مكتبة إسماعيليان، ١٣٩٠/ ١٩٧٠.

- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧/ ٢٠٠٧.

٣. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- الرازي، محمد بن عمر الفخر: التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، لات.

- ابن رسته، أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

- الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس، بيروت، دار الهداية، لات.

- روملو، حسن: أحسن التواريخ، طهران، بوذرجمهر، لات.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي، الأنساب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩، ١٩٩٨.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن الشافعي: بغية الوعاة في طبقات المحدثين والنحاة، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦/ ١٩٠٥.

- ابن شعبة، الحسن بن علي الحرّاني: تحف العقول عن آل الرسول، قم، دار النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧/ ١٩٩٦.

- الشهبي، أبو بكر بن أحمد: تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، بيروت، دار السرور، ط١، (مصوّرة عن الطبعة المصريّة).

- الصدوق، محمد بن علي القمّي: عيون أخبار الرضا، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٤/ ١٩٨٤.

: كمال الدين وتمام النعمة، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٤/ ١٩٨٤.

- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٨/ ١٩٣٩.

- الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي، بيروت، مؤسسة الوفاء، قم، ١٤٠٦/ ١٩٨١.

: كتاب الخلاف، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

- العاملي، علي بن محمد الجبعي: الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور، قم، مكتبة السيد المرعشي، ط١، ١٣٩٨/ ١٩٧٨.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، بيروت، دار إ حياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٨٩.

- ابن عساكر، علي بن الحسن الدمشقي: تاريخ دمشق، بيروت، دار الفكر.

- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت المكتب التجاري، لات.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، بيروت، المركز الإسلامي للبحوث، ١٤٠٦/ ١٩٨٥.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.
- القباذياني، ناصر خسرو: سفرناوة، ترجمة يحيى الخشّاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٣٩٠/ ١٩٧٠.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة، بيروت، دار الهلال، ١٤١٩/ ١٩٩٩.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.
- القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجّاج: صحيح مسلم، (شرح النووي)، بيروت، دار إحياء الكتاب العربي، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- القمّي، شاذان بن جبرائيل: الروضة والفضائل، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- القهبائي، عناية الله بن علي: مجمع الرجال، أصفهان، لاد، ١٣٨٤/ ١٩٦٤.
- الكركي، علي بن عبد العالي: جامع المقاصد في شرح القواعد، بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١١/ ١٩٩١.
- رسائل الكركي/ رسالة الجمعة: تحقيق محمد الحسّون، قم، مكتبة السيد المرعشي، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٨٩.
- الكشّي، محمد: اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي في الأصول والروضة، طهران المكتبة الإسلامية، ١٣٨٣ هجري شمسي.
- الماوردي، علي بن محمد البصري: الأحكام السلطانية والولايات الدينيّة، القاهرة، مكتبة مصطفى الباني، ط١، ١٣٨٠/ ١٩٦٠.

- المجلسي، محمد باقر: البحار، تحقيق محمود دریاب، بيروت، دار التعارف، ط٣، ١٤١٠/ ١٩٩٠.
- المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، قم، دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- المرتضى، علي بن الحسين: رسائل الشريف المرتضى، قم، دار القرآن الكريم، ط١، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة، قم، دار النشر الإسلامي، ط٤، ١٤١٧هـ.
- المقدسي، عبد الرحمٰن بن إسماعيل: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، دار الجيل، ط١ هجرية، لات.
: محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨/ ١٩٨٧.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار الفكر، دار صادر، ط٣، ١٤١٤/ ١٩٩٤.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، القاهرة، ١٣٧٦/ ١٩٥٦.
- النجفي، محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٧، ١٤٠١/ ١٩٨١.
- النراقي، أحمد بن محمد مهدي: عوائد الأيام من قواعد الفقهاء، طهران، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧/ ١٩٩٧.
- النوبختي، الحسن بن موسى: فرق الشيعة، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٥٥/ ١٩٣٦.

الأعمال الحديثة

- الأديب، عادل: الأئمة الإثنا عشر، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

- الآصفي، محمد مهدي: تاريخ الفقه الشيعي (مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية للشيخ محمد مكي الجزيني ت٧٦٨هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٣/ ١٨٣.

: ولاية الأمر، طهران، مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

- آملي، محمد جوادي: ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

- الأمين، حسن: جبل عامل السيف والقلم، بيروت، دار الأمير، ط١، ١٤٢٣/ ٢٠٠٣.

: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بيروت، دار التعارف، ط٦، ١٤٢٢/ ٢٠٠٢.

: عصر حمد الحمود: بيروت، دار التعارف، ط١، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

: مستدركات أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، ط٢، ١٤١٨/ ١٩٩٧.

، محسن: أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، ط٥، ١٤١٨/ ١٩٩٨.

: خطط جبل عامل، تحقيق حسن الأمين، بيروت، دار المحجّة البيضاء، ط١، ١٤٣٢/ ٢٠٠٢.

: في رحاب أئمة أهل البيت، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

: المجالس السنية، بيروت، دار التعارف، ط٢، ١٤١٨/ ١٩٩٧.

- الأميني، عبد الحسين: شهداء الفضيلة، قم، دار الشهاب، لات.

: الغدير، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

- الأنصاري، عبد الواحد: هذه عقيدتنا، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

ـ البجنوردي، محمد حسن: القواعد الفقهية، تحقيق مهدي المهريزي ومحمد حسن الدارِيني، قم، دار دليل ما، ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤.

. البحراني، حسين علي البلادي: رياض المدح والرثاء، قم، المطبعة الحيدرية، ط١، ١٤١٦/ ١٤٩٦.

، علي: أنوار البدرين في تراجم القطيف والأحساء والبحرين: النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨٠/ ١٩٦٠.

ـ بحر العلوم، محمد: الدراسة وتاريخها في النجف الأشرف (موسوعة العتبات المقدسة)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

ـ محمد تقي: مقتل الحسين، تحقيق حسين بحر العلوم، بيروت، دار الزهراء، ط٢، ١٠٤٥/ ١٩٨٥.

ـ بدوي، عبد الرحمٰن: المنطق الصوري الرياضي، قم، دار الذخائر، ط١، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

ـ البراقي، علي النجفي: تاريخ الكوفة، النجف، المطبعة الحيدرية ١٣٥٦/ ١٩٧٥.

ـ البستاني، بطرس: محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٨.

ـ بنّوت، جهاد: حركات النضال في جبل عامل، بيروت، دار الميزان، ط١، ١٩٩٣.

ـ البهادلي، علي أحمد: الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بيروت، دار الزهراء، ط١، ١٤١٣/ ١٩٩٣.

ـ بوذر جمهري، محمد حسن: القاموس الشامل، بيروت، دار نوفل، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ بول، استانلي، طبقات سلاطين الإسلام، بيروت، دار العالمية، لات.

ـ التسخيري، محمد علي: حول الدستور الإسلامي الإيراني، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.

ـ جنّاتي، إبراهيم: المسار التاريخ لأطروحة لزوم تقليد الأعلم (موسوعة النجف الأشرف)، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨.

ـ الجواهري، محمد مهدي: ذكرياتي، دمشق، دار الرافدين، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٨٨.

ـ الحائري، كاظم الحسيني: الإمامة وقيادة المجتمع، قم، مكتب آية الله السيد كاظم الحائري، ط١، ١٤١٦/ ١٩٩٥.

ـ حرز الدين، محمد: مرابقد المعارف، قم، منشورات سعيد بن جبير، ط١ ١٤١٢/ ١٩٩٢.

- حرز الدين، محمد: معارف الرجال، تحقيق محمد حسين حرز الدين، قم، مكتبة السيد المرعشي النجفي، ١٩٨٦/ ١٤٠٥.
- حركة أمل: مسيرة الإمام الصدر، بيروت، رئاسة حركة أمل، بيروت، دار بلال، ط١، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠.
- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، بيروت، دار الجيل، ط١٣، ١٤١١/ ١٩٩١.
- الحسني، سليم: المعالم الجديدة للمرجعية الشيعيّة، بيروت، دار الملاك، قم، ١٤١٤/ ١٩٩٣.
- الحسني، هاشم معروف: الانتفاضات الشيعيّة عبر التاريخ، بيروت، دار الكتب الشعبيّة، لات.
 : سيرة الأئمة الإثني عشر، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.
 : المبادىء العامّة للفقه الجعفري، بيروت، دار القلم، ط٢، ١٣٩٨/ ١٩٧٨.
- الحسيني، محمد: محمد باقر الصدر، دراسة في سيرته ومنهجه، بيروت، دار الفرات، ط١، ١٤١٠/ ١٩٨٩.
 ، محمد علي: دراسات في عقائد الشيعة الإمامية، بيروت، مؤسسة النعمان، ١٤٠٩/ ١٩٨٩.
- الحكيم، محمد باقر: الحوزة العلمية نشؤها أدوارها، قم، دار الحكمة، ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.
 ، محمد سعيد: المرجعية الدينيّة، بيروت، مؤسسة المرشد، ط٣، ١٤٢٢/ ٢٠٠١.
- خازم، علي: تجمع العلماء المسلمين في لبنان، بيروت، دار الغربة، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٧.
- الخالدي، فيصل: المنبر الحسيني، بيروت، دار الهلال، ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٤.
- الخامنئي، علي الحسيني: أجوبة الاستفتاءات الشرعيّة، بيروت، ط٦، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.
- الخشن، حسين: مشفرة في التاريخ، بيروت، دار القماطي، ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.
- الخفاف، حامد: النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ط١، ١٤٢٧/ ٢٠٠٧.

- الخميني، روح الله الموسوي: الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)، لاد، لات.
: كتاب البيع، قم، مؤسسة إسماعيليان، ط٤، ١٤١٠/ ١٩٩٠.
: كشف الأسرار، لاد، لات.
- الخوئي، أبو القاسم الموسوي: مصباح الفقاهة، (تقرير الميرزا محمد علي التوحيدي)، بيروت، دار الهادي، ١٤١٢/ ١٩٩٢.
: معجم رجال الحديث، قم، منشورات مدينة العلم، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
: منهاج الصالحين، بيروت، دار المرتضىٰ، ط١، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.
- درويش، علي إبراهيم: جبل عامل الحياة السياسية والفكرية، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤١٣/ ١٩٨٩٣.
- الدهلكي، حميد: المرجعية بين الواقع والطموح، بيروت، دار المعارف، ط١، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.
- رستم، سعد: الفرق والمذاهب الإسلامية، دمشق، دار الأوائل، ط١، ١٤٢٩/ ٢٠٠٩.
- رزق، رامز: ميس الجبل لؤلؤة جبل عامل، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.
- الروحاني، محمد صادق: فقه الصادق، قم، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، ١٩٩٣/ ١٤١٣.
- الريّس، فايز حسن: القرىٰ الجنوبية السبع، بيروت، مؤسسة الرسالة، لات.
- الزبيدي، حسن لطيف: موسوعة الأحزاب العراقية، بيروت، مؤسسة العارف، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.
- زميزم، سعيد رشيد: دول الشيعة عبر التاريخ، بيروت، دار القاري، ط١، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨.
- الزنجاني، إبراهيم الموسوي: وسيلة الدارين في أنصار الحسين، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.
- أبو زيد، أحمد عبد الله العاملي: محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، بيروت، مؤسسة المعارف، ط١، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.
- سحمراني، أسعد: البهائية والقاديانية، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٤١٠/ ١٩٨٩.
- السرّاج، عدنان: الإمام محسن الحكيم، بيروت، دار الزهراء، ط١، ١٤١٤/ ١٩٩٣.
- السماوي، محمد طاهر: إبصار العين في أنصار الحسين، (تحقيق محمد جعفر الطبسي)، قم، مركز الدراسات الإسلامية، ط١، لات.

ـ السيستاني، علي الحسيني: قاعدة لا ضرر ولا ضرار، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤١٤/١٩٩٤.

: المسائل المنتخبة، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط٢، ١٤١٤/١٩٩٤.

: منهاج الصالحين، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١٤، ١٤٢٩/٢٠٠٨.

ـ السيف، توفيق: نظرية السلطة في الفقه الشيعي، بيروت المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٠٢/٢٠٠٢.

ـ الشامي، حسين، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، لندن، دار الإسلام، ط٢، ١٤١٩/١٩٩٩.

ـ الشاهرودي، نور الدين: المرجعية الدينية ومراجع الإمامية، طهران، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ـ الشرتوني، سعيد الخوري: أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٤١٢/١٩٩٢.

ـ شرف الدين، حسين، الإمام موسى الصدر، بيروت، مركز الإمام موسى الصدر، ط٢، ١٤٢٢/٢٠٠٢.

، عبد الحسين: بغية الراغبين، بيروت، الدار الإسلامية، ط١، ١٤١١/١٩٩١.

ـ أبو شقرا، يوسف: الحركات في لبنان، بيروت، دار الفارابي، ١٤٠٢/١٩٨٢.

ـ شمس الدين، محمد رضا: الأدوار العلمية لجامعة النجف، موسوعة النجف الأشرف، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨.

ـ الشهابي، حيدر: الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان، بيروت، دار نظير عبّود، لات.

ـ الشيرازي، ناصر مكارم: التفسير الأمثل، قم، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، ط١، ١٤٢١/٢٠٠١.

ـ الشيبي، كامل مصطفى: الصلة بين التصوّف والتشيع، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط٣، ١٤٠٢/١٩٨٢.

ـ الصدر، حسن الكاظمي، تكملة أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٧/١٩٨٦.

، محمد باقر: الإسلام يقود الحياة، طهران، وزارة الإرشاد الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣/١٩٨٣.

: الفتاوى الواضحة، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، لات.

: المحنة، قم، منشورات ذو الفقار، لات.
- الصفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل، بيروت، دار النهار، ط٢، ١٤٠١/ ١٩٨١.
- الصفّار، رشيد: مقدمة ديوان الشريف الرضي، بيروت، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.
- الصغير، محمد حسين: الفكر الإمامي من النصّ حتى المرجعية، بيروت، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٤٢١/ ٢٠٠٠.
- الصمد، قاسم: تاريخ الضنية السياسي والاجتماعي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، لات.
- الضامن، منذر: أياسيات البحث العلمي، عمّان، دار المسيرة، ط٢، ٢٠٠٩/ ١٤٢٩.
- الطباطبائي، محمد حسين: الشيعة في القرآن، قم، دار الشريف الرضي، لات.
- طحيني، محمد: ولاية الفقيه بشيّق القصيد، بيروت، دار الصفوة، ط١، ١٤١٣/ ٢٠٠٩.
- الطعمة، سلمان: كربلاء في الذاكرة، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.
: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٤٢٠/ ١٩٩٩.
- ظاهر، سليمان: صفحات من تاريخ جبل عامل، تحقيق عبد الله سليمان الظاهر، بيروت، الدار الإسلامية، قم، ٢٠٠٢/ ١٤٢٣.
: معجم قرى جبل عامل، بيروت، دار التعارف، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.
- العاملي، محمد جميل حمّود: ولاية الفقيه في الميزان، بيروت، مركز العترة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣.
- أبي عبد الله، عبد الله إبراهيم: الموسوعة اللبنانية (تاريخ لبنان عبر التاريخ).
- العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٥٣/ ١٩٣٥.
- عمرو، يوسف محمد: التذكرة، بيروت، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط١، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.
: صفحات من ماضي الشيعة وحاضرهم في لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦.
- الغروي، محمد: الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٤/ ١٩٩٤.
: المرجعية ومواقفها السياسية، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط١، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.
: مع علماء النجف الأشرف، بيروت، دار الثقلين، ط١، ١٤٢٠/ ١٩٩٩.

- الفتلاوي، كاظم عبود: مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، قم، دار الاجتهاد، ط١، ١٤٢٧/٢٠٠٦.

- فرحان، عدنان: أدوار الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، قم، المركز العلمي للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٨/٢٠٠٨.

- فضل الله، عبد الرؤوف، لبنان دراسة جغرافية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٧/ ١٩٨٦.

، محمد حسين: الفتاوى الواضحة، بيروت، دار الملاك، ط٢، ١٤١٨/١٩٩٩.

: فقه الشريعة، بيروت، دار الملاك، ط١، ١٤٢٠/١٩٩٩.

: المرجعية بين الواقع والطموح، آراء في المرجعية الشيعية، بيروت، دار الروضة، ط١، ١٤١٥/١٩٩٤.

: الندوة، بيروت، دار الملاك، ط١، ١٤٢٤/٢٠٠٤.

- الفضلي، عبد الهادي: تاريخ التشريع الإسلامي، قم، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤١٤/١٩٩٣.

- الفقيه، . أحمد جواد: أدوار جامعة النجف، (موسوعة النجف الأشرف) بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨.

، محمد تقي: جامعة النجف في عصرها الحاضر، (موسوعة النجف الأشرف)، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨.

: جبل عامل في التاريخ، بيروت، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦.

: كيف يُنتخب الرئيس، (موسوعة النجف الأشرف)، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٩/١٩٩٨.

- الفيّاض، محمد إسحاق: الأنموذج في منهج الحكومة الإسلامية، النجف الأشرف، لاد، ط٢، ١٤٢٨/٢٠٠٨.

- آل قاسم، عدنان: الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، بيروت، دار السلام، ط١، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨.

- قاسم، نعيم: حزب الله، بيروت، دار الهادي، ط٣، ١٤٢٥/ ٢٠٠٤.

- القزويني، جودت: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، بيروت، دار الرافدين، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

: المؤسسة الدينية الشيعيّة من العصر البويهي إلى العصر الصفوي، بيروت دار الرافدين، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

، مهدي: المزار، تحقيق جودت القزويني، بيروت، دار الرافدين، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

- القمّي، عباس: الأنوار البهية، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤٠٤/ ١٩٨٤.

: الكنى والألقاب، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

: مفاتيح الجنان، بيروت، دار القارىء، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.

: وقائع الأيام، بيروت، مؤسسة البلاغ، لات.

- الكاتب، أحمد: المرجعية الشيعية وآفاق التطوّر، بيروت، دار العربية للعلوم، ط١، ١٤٢٧/ ٢٠٠٧.

- كاشف الغطاء، علي: النور الساطع في الفقه الجامع، قم، دار طلعة نور، ط١، ١٤٣٠/ ٢٠٠٩.

، محمد حسين: أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، قم، مؤسسة الإمام علي، ١٤١٥/ ١٩٩٥.

: العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفرية، تحقيق جودت القزويني، بيروت، دار بيسان، ط١، ١٤١٨/ ١٩٩٨.

- كرد علي، محمد: خطط الشام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩١/ ١٩٧١.

- محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

- محفوظ، حسين: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية (موسوعة النجف الأشرف)، بيروت، دار الأضواء، ط١، ١٤١٩/ ١٩٩٨.

- محيي الدين، عبد الرزّاق: الحالي والعاطل الملحق أمل الآمل، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ط١، ١٣٨٩/ ١٩٦٩م.

- مطهّري، مرتضى: الإسلام وإيران، طهران، منظمة الأعلام الإسلامي، لات.

- المظفّر، محمد رضا: أصول الفقه، النجف الأشرف، دار النعمان، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

، محمد حسين: تاريخ الشيعة، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

- معتوق، حسين: المرجعيّة الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.
- معرفة، محمد هادي: ولاية الفقيه، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ.
- معلوف، لويس: المنجد، بيروت، دار المشرق، ط٢١، ١٩٩٣/١٩٧٣.
- مغنية، محمد جواد: الإمام الخميني والدولة الإسلامية، قم، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٢٧/٢٠٠٦.
- الشيعة في الميزان، بيروت، دار التعارف، ط٤، ١٣٩٩/١٩٧٩.
: الشيعة والحاكمون، بيروت، دار الهلال، ط٧، ١٤١٢/ ١٩٩٢.
- المقرّم، عبد الرزّاق: مقتل الحسين، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ط٥، ١٣٩٩/ ١٩٧٩.
- مكّي، محمد كاظم: الحياة الفكريّة والأدبيّة في جبل عامل، بيروت، دار الزهراء، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ملحم، محمد طاهر: المصطلحات الأصوليّة، بيروت، دار التعارف، ١٤١٥/ ١٩٩٥.
- مؤسسة أعمال الموسوعة: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٩م.
- المهاجر، جعفر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، بيروت، دار الملاك، ط١، ١٤١٣/١٩٩٢.
: جبل عامل بين الشهيدين، دمشق، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥.
: الكرك حاضرة علميّة، بيروت، المستشارية الثقافيّة الإيرانية، لات.
: الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، بيروت، دار الروضة، ط١، ١٩٨٩/ ١٤١٠.
- الموسوي، عبّاس: علماء ثغور الإسلام في لبنان، بيروت، دار المرتضى، ط١، ١٤٢١، ٢٠٠٠.
- نصر الله، حسن عباس، تاريخ بعلبك، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط١ و١٤٠٤/ ١٩٨٤.
- النعماني، محمد رضا: الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، قم، دار الهجرة، ١٤٠٦/١٩٨٦.
- النفيسي، عبد الله فهد: دور الشيعة في تطوّر العراق السياسي الحديث، بيروت، دار النهار، ١٣٩٣/١٩٧٣.

- نور الدين، عبد الرضا: جويا بين الماضي والحاضر، بيروت، دار الصفوة ط١، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣، دار التضامن، ط١، ١٤١٩/ ١٩٩٩.
- الوردي، علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، قم، دار الشريف الرضي، ط١، ١٤١٣/ ١٩٩٣.
- وهبي، مالك مصطفى: بحوث في علم الدراية والرواية، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧.
: الولاية والمرجعية، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.

رسائل جامعيّة

- زيتون، سهام محمد: الحوزات العلميّة في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
- ميرفان، صابرينا: حركة الإصلاح الشيعي، ترجمة هيثم الأمين، بيروت، دار النهار، ط١، ٢٠٠٣/١٤٢٣

الدوريّات

- الحائري، علي أكبر: حوزة النجف إنجازات ومآسٍ، في التحقيق والحوزة، ص٧٥، بلات (عدد خاص).
- الحسّون، محمد: حياة المحقّق الكركي، في فقه أهل البيت، ٥١/ ١٣٤.
- حمادة، طراد: ولاية الفقيه، في السفير، تاريخ ١١/ ٧/ ٢٠٠٧.
- الخزرجي، صفاء الدين: الفقيه الأقدم، في فقه أهل البيت (١٤١٨/ ١٩٩٧) ٨/ ١٥٧ - ١٨٥).
- شرف الدين، جعفر: من دفتر الذكريات الجنوبيّة، في العرفان، مجلد (٧١) العدد (١٠)، ص٧٥.
- عبد الساتر، حسن: الحوزات العلمية سلوكاً ومنهجاً، في رسالة النجف، لات، ١/ ص٦٣.
- الفاضلي، حسين: السيد حسن الشيرازي أمة في رجل، في المرشد (١١ . ١٨) (٢٠٠٤/ ١٤٢٥).
- لطفي، منال: إيران ثلاثون عاماً على الثورة، في الشرق الأوسط ١١٠٣٦ (١٤/ ٢/ ٢٠٠٩)، ص٨.
- المددي، أحمد: النجف الأشرف منهل العلم والفضيلة، في التحقيق والحوزة لات، ص٨٦.
- المقيمي، أبو القاسم: الأدلة العقلية على ولاية الفقيه، في فقه أهل البيت، ٢٠٠٨/١٤٢٩ (٥١/ ١٣٣ . ١٥٦).
- هواري، زهير: من يصنع رجال الدين في لبنان، في السفير، العدد (١٠٧٤١) ٥/ ٧/ ٢٠٠٧.
- رسالة شخصية، الشيبي، كامل مصطفى: نسب آل الشيبي، (الأحد، ٢٦ ربيع الأول ١٤١٧هـ/ ١١آب ١٩٩٦م، صور).

منشورات حوزويّة تعريفيّة

حيث اعتمدنا على مجموعة من المنشورات التي تصدرها بعض الحوزات اللبنانية المعاصرة، كتعريف بها وبميزاتها، كمرجع لبعض المعلومات الواردة في هذه الأطروحة.

المقابلات الشخصيّة

١ . بركات، أكرم (مسؤول الوحدة الثقافية في حزب الله)، حوزات لبنان المعاصرة، بيروت (مبنى جمعية المعارف الإسلامية)، السبت ١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ٩/ ١٠، ٢٠٠٨م، بعد الظهر.

٢ . البعلبكي، مهدي (مسؤول مكتب رواتب المرجع الخامنئي لطلبة العلم)، عدد الطلاّب وتوزيعهم على الحوزات المعاصرة، بيروت (مكتب المرجع الخامنئي)، الأربعاء ٣ رجب ١٤٢٨هـ/ ١٨ تموز ٢٠٠٧م، ١٠ صباحاً.

٣ . بقعوني، جورج (مطران صور للروم الكاثوليك)، الدراسة الدينية عند النصارى بلبنان، صور (كنيسة مطرانية الروم الكاثوليك)، السبت ١٣ ربيع أول ١٤٢٩هـ/ ١٩ نيسان ٢٠٠٨م، ١٢ ظهراً.

٤ . الحبّوشي، علي مكي (قاضي شرعي ومؤسس حوزة حبّوش)، أ . آفاق الحوزات المعاصرة، حبوش . النبطية (مبنى جمعية حبوش الخيرية)، الإثنين ٨ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٤ نيسان ٢٠٠٨م، ١ بعد الظهر. ب . معلومات عن حوزة النبطية والمدرسة الحميدية، إقليم التفاح/ اللويزة (حسينية اللويزة)، الخميس، ٢ شوال ١٤٢٨هـ/ ١ تشرين الثاني ٢٠٠٧م، ٤ عصراً.

٥ . حجازي، حسين محمود (مدير حوزة الإمام علي . بيروت)، حوزة الإمام علي، ميزانها آفاقها، بيروت (بناية حوزة الإمام علي/ بئر حسن)، الثلاثاء ١٣ جمادي الثالثة ١٤٢٩هـ/ ١٧ حزيران ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

٦ . الحرشي، أسد الله (قاضي شرعي، إمام بلدة سحمر)، حوزة الشهيد الأول بسحمر،

بيروت (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، الأربعاء ١٠ ربيع ٢ ١٤٢٩هـ/ ١٦ نيسان ٢٠٠٨، ١١ صباحاً.

٧. الحسيني، محمد (باحث، مسؤول مكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله بدمشق)، الفترة النجفية من حياة السيد محمد حسين فضل الله، دمشق (مكتب السيد محمد حسين فضل الله . السيدة زينب)، الخميس ٢٢ صفر ١٤٢٩هـ/ ٢٩ شباط ٢٠٠٨، ١١,٣٠ صباحاً.

٨ . الحكيم، حيدر (مسؤول مكتب المرجع السيد محمد سعيد الحكيم ببيروت)، إحصاء الحوزات المعاصرة بلبنان، بيروت (مكتب المرجع السيد محمد سعيد الحكيم . حارة حريك)، الأربعاء ٢٣ جمادي الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٨ أيار ٢٠٠٨م، ١ بعد الظهر.

٩ . الحكيم، هالة (مديرة حوزة السيدة الزهراء ببعلبك)، نشأة الحوزة النسوية وشرائط القبول فيها، بعلبك (بناية الحوزة)، الأربعاء ٢٣ جمادي الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٨ أيار ٢٠٠٨م، ١٢ ظهراً.

١٠ . حلاّل، حسن (مسؤول المعهد الإسلامي الشرعي، بيروت)، ميزات المعهد الشرعي وآثاره في بقية الحوزات المعاصرة، بيروت (مبنى المعهد الإسلامي الشرعي/ بئر حسن)، الأربعاء ١٩ صفر ١٤٢٩هـ/ ٢٧ شباط ٢٠٠٨م، ٩ صباحاً.

١١ . الخرسان، محمد هادي (أحد مؤسسي حوزة أهل البيت ببيروت، طالب دراسات عليا (دكتوراه) ظروف تأسيس الحوزة ومهمانها، بيروت (منزله الخاص بحارة حريك)، الأحد ٨ ربيع ١ ١٤٢٩هـ/ ١٦ آذار ٢٠٠٨م، ٥ عصراً.

١٢ . الخليل، بنيان (طالب في حوزة أهل البيت بنت جبيل)، شؤون الحوزة، بنت جبيل (بناية الحوزة)، الأحد ١٣ ربيع ٢ ١٤٢٩هـ/ ٢٠ نيسان ٢٠٠٨م، ٢ بعد الظهر.

١٣ . الخليل، جعفر (قارىء القرآن الكريم ومتعهد نقل الموتى إلى مقبرة النجف بالعراق)، قبور اللبنانيين بمقبرة النجف، بيروت (منزله الخاص . الشياح)، الأحد ٢٠ رجب ١٤٢٨هـ/ ٢٩ تموز ٢٠٠٧م، ٩ صباحاً.

١٤ . الخليل، سلمان (قارىء القرآن الكريم ومتعهّد نقل الموتى إلى مقبرة النجف بالعراق)، إجراءات دفن بعض العلماء اللبنانيين ونقل جثامينهم إلى العراق، بيروت (منزله الخاص، الشياح)، الأحد ٢٠ رجب ١٤٢٨هـ/ ٢٩ تموز ٢٠٠٧م، ٩ صباحاً.

١٥ . الخفاف، حامد (مدير مكتب المرجع السيد علي السيستاني ببيروت)، إحصاء عدد العلماء وطلبة العلوم الدينية الشيعة بلبنان، بيروت، الخميس ٢٤ جمادي الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٩ أيار ٢٠٠٨، ١ بعد الظهر.

١٦ . الخوئي، عبد المجيد (ابن المرجع الأعلى للشيعة السيد أبي القاسم الخوئي، المدير السابق لمؤسسات الإمام الخوئي الخيرية بالعالم)، الأعراف المرجعية، لندن (منزله الخاص)، الأحد ٢٦ ذو الحجة ١٤١٤هـ/ ٥ حزيران ١٩٩٤م، ١ بعد الظهر.

١٧ . درويش، ناجي (مسؤول حوزة الإمام الهادي ببيروت)، أوضاع الحوزة وأحوالها، بيروت (بناية الحوزة)، الثلاثاء ٢ ربيع٢ ١٤٢٩هـ/٨ نيسان ٢٠٠٨، ١١ صباحاً.

١٨ . دهيني، سلمان (مدير حوزة البشير . تول النبطية)، أوضاع الحوزة وأحوالها، النبطية (بناية الحوزة)، الإثنين ٩ ربيع ٢ ١٤٢٩هـ/ ١٤ نيسان ٢٠٠٨م، ٩,٣٠ صباحاً.

١٩ . رئيس زادة، محمد حسين (المستشار الثقافي الإيراني ببيروت)، المصطلحات العربية في اللغة الفارسية المستخدمة بإيران، بيروت (بناية المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في إيران)، الأربعاء ٥ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ/ نيسان ٢٠٠٩م، ١٢ ظهراً.

٢٠ . سائلي، علي (مدير معهد الرسول الأعظم (ص) ببيروت)، الحوزة الإيرانية بلبنان وعلاقتها بحوزة قم، بيروت (مبنى المعهد بحارة حريك)، الإثنين ١١ شوال ١٤٢٨هـ/ ١٢ تشرين الأول ٢٠٠٧، ١٠,١٥ صباحاً.

٢١ . سبيتي، يوسف (مدير حوزة الإمام الجواد ببيروت)، أوضاع الحوزة، بيروت (مبنى الحوزة بجادة السيد هادي نصر الله)، الأربعاء ١٣ صفر ١٤٢٩هـ/ ٢٠ شباط ٢٠٠٨م، ٩ صباحاً.

٢٢ . سعد، فادي (مدير حوزة سيد الشهداء ببئر السلاسل)، ميزات الحوزة وأوضاعها، بئر السلاسل (مبنى الحوزة)، الأحد ٢ شعبان ١٤٢٩هـ/ ٣ آب ٢٠٠٨م، ١,٣٠ بعد الظهر.

٢٣ . شرف الدين، حسين (باحث وكاتب)، أ . الحوزات في اهتمامي السيدين عبد الحسين شرف الدين وموسى الصدر . صور (مكتبه الخاص بصور)، السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ/ ١ آذار ٢٠٠٨م، ١٠ صباحاً. ب . الأسر اللبنانية من جذور عراقية، بيروت (مبنى السفارة العراقية)، السبت ٢١ جمادي الثانية ١٤٢٨هـ/ ٧ تموز ٢٠٠٧م، ١١ صباحاً.

٢٤ . شرف الدين، عبد الله (عميد أسرة آل شرف الدين بلبنان)، اللبنانيون بحوزة قم، صور (منزله الخاص)، السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ/ ١ آذار ٢٠٠٨م، ٤ عصراً.

٢٥ . شمس الدين، علي (مدير حوزة الشهيد الأول ببيروت)، نشأة الحوزة وأهدافها، بيروت . شياح (مسجد الطيّونة)، الإثنين ٢٥ صفر ١٤٢٩هـ/ ٣ آذار ٢٠٠٨م، ٩ ليلاً.

٢٦ . صادق، أحمد (مدير حوزة الإمام الصادق بالنبطية)، حوزة النبطية في المرحلة الثانية وعلاقتها بحوزة الخيام، وشؤون حوزة الإمام الصادق المعاصرة، النبطية (منزله الخاص)، أ- الأحد ١٠ جمادي الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٧ أيار ٢٠٠٧، ١١ صباحاً. ب- الإثنين ٢٩ ربيع

٢ ١٤٢٩هـ/ ٥ أيار ٢٠٠٨م/ ، ١ بعد الظهر.

٢٧ . طالب، ناجي (مدير حوزة الإمام الهادي ببيروت)، شرط العمر في القبول بالحوزات المعاصرة ومصادر تمويلها، بيروت (مبنى حوزة الإمام الهادي بمنطقة الغبيري)، الخميس ١١ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٧ نيسان ٢٠٠٨م، ٩ صباحاً.

٢٨ . طراد، حسن (من أكابر مجتهدي لبنان المعاصرين وإمام مسجد المهدي بالغبيري)، شرائط المرجعية ومستقبل حوزات لبنان المعاصرة وعلاقة ذلك بأوضاع حوزة النجف، بيروت (منزله الخاص بالغبيري)، الأربعاء ١٩ صفر ١٤٢٦هـ/ ٣٠ آذار ٢٠٠٥م ١٠,٣٠ صباحاً.

٢٩ . عسّاف، دلال (مسؤولة المعهد الشرعي الإسلامي/ القسم النسائي، واقع الحوزة وآفاق عملها قياساً بما كانت عليه عند تأسيسها، بيروت (مبنى الحوزة بحسينية حي السلّم)، الإثنين ١٥ ربيع، ١٤٢٩هـ/ ٢١ نيسان ٢٠٠٨م، ١١,٣٠ صباحاً.

٣٠ . العقي، علي (من أبرز علماء بعلبك وأحد مؤسسي حوزتها)، أوضاع حوزات لبنان المعاصرة ومستقبلها وعلاقة ذلك بتطور أوضاع حوزة النجف الأشرف، وشرائط المرجعية، بيروت (مكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦هـ/ ٥ أيار ٢٠٠٥، ١٠,٣٠ صباحاً.

٣١ . عمرو، يوسف محمد (قاضي شرعي وباحث)، المرجعية وعلماء جبل عامل، دور الحوزات المعاصرة، بيروت (منزله الخاص بالغبيري)، الأحد ١٩ صفر ١٤٢٧هـ، ١٩ آذار ٢٠٠٦م، ٦ مساءً.

٣٢ . عيسى، نوال (مدير التربية والتعليم في الحوزة)، ميزات حوزة الزهراء النسوية ومعوّقات العمل الحوزوي النسوي بلبنان، بيروت (مبنى حوزة الزهراء بحارة حريك)، الإثنين ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ٣١ آذار ٢٠٠٨م، ١١,٣٠ صباحاً.

٣٣ . الغروي، محمد (من أبرز علماء صور، مسؤول حوزة نسوية معاصرة ومؤسس حوزة أخرى، وباحث) تأسيس الحوزات النسوية بلبنان، والمرجعية وعلماء جبل عامل، صور (منزله الخاص)، أ- الجمعة ١٧ ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ ٨ كانون الأول ٢٠٠٦م، ١٢ ظهراً. ب- السبت ٢١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ٢٩ آذار ٢٠٠٨م، ١ بعد الظهر. ٣) السبت ٢٣ صفر ١٤٢٩هـ، ١ آذار ٢٠٠٥ الساعة ١٢ ظهراً.

٣٤ . فاضل، إبراهيم (مدير حوزة انصار، إمام مسجد أهل البيت بالبابلية)، حوزة إنصار وأوضاعها، إنصار - صور (مبنى حوزة انصار)، الإثنين، ٨ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٤ نيسان ٢٠٠٨م، ١١,٣٠ صباحاً.

٣٥ . فحص، هاني، (مدير المركز اللبناني للدراسات والتقريب والحوار، باحث)، ميزات حوزة النجف الأشرف وتطور أطروحة ولاية الفقيه، بيروت (مركز/ بئر حسن)، أ. الجمعة ٢٨ جمادي الثانية ١٤٢٨/ ١٣ تموز ٢٠٠٧م، ١٠ صباحاً. ب- (منزله الخاص)، الأربعاء ٢٨ ربيع ١٤٣٠ ، ٢٦ آذار ٢٠٠٩، ٥ عصراً.

٣٦ . فضل الله، عبد الكريم (مؤسس حوزة الثقلين وجمعية الحسين الخيرية)، أسباب إغلاق الحوزة وعلاته العامليين بالمرجعية، بيروت (منزله الخاص بحارة حريك)، الخميس ١٤ رجب ١٤٢٩هـ/ ١٧ تموز ٢٠٠٨ م، ٢ بعد الظهر.

٣٧ . فضل الله، علي عبد المحسن (عضو المكتب الشرعي لمكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، حوزة خربة سلم، بيروت المرجع و مكتب السيد محمد حسين فضل الله) الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ١٩ آذار ٢٠٠٨م ١١ صباحاً.

٣٨ . فضل الله، محمد حسين (مرجع ديني معاصر)، ميزات حوزة النجف مقارنة مع حوزة قم، وأطروحة ولاية الفقيه أدلتها والردود عليها. (مكتبه الخاص، بحارة حريك)، ١) الإثنين ٤ جمادي الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢١ أيار ٢٠٠٧م، ١٠,٣٠ صباحاً. ٢) الثلاثاء ١٩ جمادي الأولى ١٤٢٧هـ/ ٥ حزيران ٢٠٠٧، ١١ صباحاً.

٣٩ . فضل الله محمد كاظم (مسؤول المكتب الشرعي المالي بمكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، أسباب اختياره حوزة قم للدراسة دون النجف، بيروت، (منزله الخاص)، الأحد ٥ شعبان ١٤٢٨هـ/ ١٩ آب ٢٠٠٧م، ١١ صباحاً.

٤٠ . قاري، رعد (صاحب دار القارىء للنشر)، بعض نشاطات السيد حسن الشيرازي بلبنان، بيروت (دار القارىء بئر العبد)، الاثنين ١٩ شوال ١٤٢٩هـ/ ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٨م، ١١,٣٠ صباحاً.

٤١ . قاسم، نعيم (نائب الأمين العام لحزب الله)، حوزات لبنان المعاصرة وما يمكن أن تنهض به من مهمّات، بيروت (مكتبه الخاص بحارة حريك)، الجمعة ٥ جمادي الثانية ١٤٢٧هـ/ ٣٠ حزيران ٢٠٠٦م، ١١ صباحاً.

٤٢ . قبلان، عبد الأمير (نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، حضور المرجعية النجفية في المجتمع اللبناني الشيعي، بيروت (بناية المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) الجمعة ٢٢ رجب ١٤٢٩هـ/ ٢٥ تموز ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

٤٣ . كاشف الغطاء، أسعد (نجل الشيخ علي كاشف الغطاء أحد مراجع النجف المعاصرين)، تأثير آراء أبيه على تحوّل رأي الإمام الخميني في أطروحة ولاية الفقيه في سني إقامته بالنجف الأشرف، بيروت (منزله الخاص بالغبيري)، السبت ١ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ/ ٢٨

آذار ٢٠٠٩م، ٣ عصراً.

٤٤ . كوثراني، محمد (قيادي في حزب الله ومؤسس حوزة جبل عامل)، ذكريات من حوزة النجف الأشرف ومقارنتها مع حوزة قم، وظروف تأسيس حوزته وآفاقها، بيروت (مطعم الساحة بطريق مطار بيروت)، الخميس ٢٢ جمادي الأولى ١٤٢٨هـ/ ٧ حزيران ٢٠٠٧، بعد الظهر.

٤٥ . كوراني، أحمد (مسؤول لجنة الاستفتاءات الشرعية بمكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، ظروف تأسيس المعهد الشرعي الإسلامي، دور الموزات في استيعاب الطلبة اللبنانيين العائدين من النجف (منزله الخاص ببئر العبد)، الخميس ٢٦ ربيع١ ١٤٢٦هـ/ ٥ أيار ٢٠٠٥م، ٥ عصراً.

٤٦ . مرتضى، محمد (أحد المساهمين في تأسيس حوزة علوم أهل البيت)، ظروف التأسيس ونهاية الحوزة وما تركته من أثر، بيروت (مسجد الإمامين الحسنين حارة حريك)، الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٢٩/ ٢٩ تموز ٢٠٠٨م، ١٢ ظهراً.

٤٧ . مرعي، علي (مسؤول القضاء الشرعي بمكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، أوائل نشوء حوزة الشهيد الثاني ببرج البراجنة، بيروت (مكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، الثلاثاء ٩ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٥ نيسان ٢٠٠٨م، ١٠ صباحاً.

٤٨ . مسلماني، سمر (مسؤولة الدراسات العامة في معهد سيّدة نساء العالمين الثقافي)، مهمات المعهد وآفاق نشاطات ومشتملات العمل النسوي الإسلامي، بيروت، (بناية المعهد الملحقة بمسجد القائم)، الأربعاء ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ٢ نيسان ٢٠٠٨م، ١١ صباحاً.

٤٩ . ملص، مصطفى (إمام بلدة المنية مؤسس معهدها العلمي)، معلومات عن المعاهد الشرعية عند المسلمين السنة بلبنان، بيروت (بناية جمعية العلماء المسلمين بلبنان حارة حريك)، الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢٩هـ/ ٢١ تشرين الأول ٢٠٠٨م، ١٠ صباحاً.

٥٠ . الموسوي، عباس علي (باحث ومؤلف ومن أبرز علماء منطقة النبي شيت)، أوائل العلماء اللبنانيين المهاجرين إلى قم، بيروت (منزله الخاص)، الثلاثاء ٢ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ/ ٨ أيار ٢٠٠٧م، ٨ مساءً.

٥١ . المهاجر، جعفر (باحث وكاتب إسلامي متخصص بتاريخ المسلمين الشيعة بلبنان)، حوار حول نشاطات مبعوثي مرجعية بغداد إلى مدينتي طرابلس وصور في القرن الخامس الهجري، بيروت (دار الهادي للنشر ببئر العبد)، الجمعة ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٩هـ/ ١٣ نيسان ٢٠٠٧م، ١٠ صباحاً.

٥٢ . مهنا، عبد المنعم (مؤسس حوزة صديقين)، معلومات حول نشأة الحوزة وبدايات اشتراك طلاب الحوزات في جهاد الصهاينة، بيروت (منزله الخاص بطريق المطار)، السبت ١٦ رجب ١٤٢٦هـ/ ١٩ تموز ٢٠٠٨ م، ١٠ صباحاً.

٥٣ . النابلسي، عباس (كاتب وإعلامي ونجل مؤسس حوزة صيدا)، معلومات عن حوزة الإمام الصادق بصيدا وأوصافها ومصيرها، بيروت (مكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، الجمعة ٢١ رجب ١٤٢٩هـ/ ٢٥ تموز ٢٠٠٨م، ٩ ليلاً.

٥٤ . النجفي، بشير (أحد أبرز المراجع الدينيين بالنجف الأشرف)، أوضاع حوزة النجف الحالية، ومدى استفادتها من تنظيم الدراسات بحوزة قم، (مكتبه الخاص بالنجف الأشرف)، الثلاثاء ١٠ رجب ١٤٢٨هـ/ ٢٣ تموز ٢٠٠٧م، ٩ ليلاً.

٥٥ . نور الدين، عبد الرضا (من وجهاء بلدة جويا/ صور، ومؤلف كتاب جويا بين الماضي والحاضر)، آثار مدرسة آل خاتون وموضع مكتبتها (مسجد الإمامين الحسنين بحارة حريك)، الأربعاء ٨ جمادي الثانية ١٤٢٩هـ/ ١١ حزيران ٢٠٠٨، ٦ مساء.

٥٦ . نور الدين، عبد الهادي عبد الله (من معمري بلدة جباع وأدبائها)، مواضع آثار مدرسة الشهيد الثاني ومسجده وموضع اختفائه، وموضع قبري صاحب المعالم وصاحب المدارك بجباع (جولة ميدانية على تلك الآثار)، الإثنين ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٧هـ/ ١٤ أيار ٢٠٠٨م، ١٢ . ١,٣٠ بعد الظهر.

٥٧ . نور الدين، لؤي (من أبرز علماء بلدة جويا)، حوله حول حوزة سيد الشهداء وأمور المرجعية، جويا/ صور (منزله الخاص بجويا)، الأحد ٧ جمادي الثانية ١٤٣٠هـ/ ٣١ أيار ٢٠٠٩م، ١٢,١٥ ظهراً.

٥٨ . النوري، حسن (أحمد مجتهدي حوزة النجف الأشرف)، الطلبة اللبنانيون الذين كانوا بحوزة النجف، أوصاف ونشاطات، (مدرسة المصطفى (ص) بالنجف الأشرف)، الأحد ٢٦ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ/ ١٣ أيار ٢٠٠٧م، ٩ صباحاً.

٥٩ . ياسين، علي (مدير سابق للمدرسة الدينية بصور وإمام بلدة خربة سلم)، الحوزات المعاصرة بلبنان وأوضاع حوزة النجف الأشرف، بيروت (مكتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله)، الإثنين ١ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ/ ١٠ أيار ٢٠٠٥، ١١ صباحاً.

٦٠ . اليحفوفي، مهدي (قاض شرعي ومؤسس حوزة الإمام المجتبى ببعلبك)، أوضاع الحوزة ومستويات الحوزات المعاصرة بلبنان، بيروت (مبنى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بحارة حريك)، الأربعاء ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ/ ١٦ نيسان ٢٠٠٨، ١٢ ظهراً.

٦١ . يزبك، محمد (قيادي في حزب الله وإمام جمعة بعلبك)، الوكلاء اللبنانيون بمدن العراق، ومستقبل حوزات لبنان المعاصرة. بيروت (مكتبه الخاص بحارة حريك)، الثلاثاء ٧ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ/ ٢٤ نيسان ٢٠٠٧م، ٣ بعد الظهر.

المحاضرات

- الخفاف، حامد (مدير مكتب المرجع السيد السيستاني ببيروت): جامع المقاصد قمّة النتاج الفقهي في المرحلة النجفية من حياة المحقّق الكركي، بيروت (المؤتمر الدولي حول المحقق الكركي)، ١٦/ ١٠، ٢٠٠٣م.
- قبلان، عبد الأمير (نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى): محاضرة أخلاقية، بيروت (بناية المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، الأربعاء ٣٠ جمادي الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٨ أيار ٢٠٠٨م.

الفهرس العام

الفهرس



د. الشيخ فيصل الكاظمي

- باحث وخطيب حسيني
- بكالوريوس علوم
- ماجستير دراسات إسلامية
- دكتوراه دراسات إسلامية

مؤلفاته

- المحراب والحياة.
- مجالس شهر رمضان.
- مجالس ليالي عاشوراء.
- مجالس النبي (ص) وآله.
- مجالس الدين والحياة 1/2.
- إعداد الخطباء.
- المنبر الحسيني (رسالة ماجستير).
- الحوزات الشيعية المعاصرة (أطروحة دكتوراه).

دراسة أكاديمية تناولت الحوزات الشيعية المعاصرة في نشأتها وجذورها التاريخية وآفاقها المستقبلية والمهمات المنتظرة منها، واتخذت حوزات لبنان نموذجاً لهذه الدراسة، حيث كانت لها دراسة ميدانية مستقصية.

وكان لا بد من دراسة مراحل تطور الدراسات الحوزوية اللبنانية تاريخياً، وأبعاد العلاقة التاريخية المعرفية بين جبل عامل والنجف الأشرف.

ثم كانت هناك وقفتا بحث مع المرجعية الدينية الشيعية وأطروحة ولاية الفقيه وآثارهما في الساحات الإسلامية والعالمية.

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان
الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال
هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com